



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا سَبْعٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإسكندرية

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية وآدابها

شعبة الدراسات الإسلامية

محمد فريد وجدى مفكراً إسلامياً

رسالة ماجستير مقدمة من

الطالبة : صباح إبراهيم بيومى سليمان

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور / مصطفى الصاوى الجوينى

أستاذ الدراسات الإسلامية والبلاغية

أستاذ متفرغ بجامعة الإسكندرية

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

إهداء

إلى أسرتي :-

والدى رحمه الله : سرت فى طريق الغلم كما أردت.

والدتي : أعطتني ما حرمت منه.

أخوای وأخواتی.

إلى معلمي ووالدي :-

أ.د . مصطفى الصاوى الجوينى

جميعكم لكم فضل علىَّ

لذا أهدى إليكم هذا العمل المتواضع.

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، استغفره وأتوب إليه ، وأعوذ به من الزلل والخطأ والنسيان وأصلى وأسلم على أشرف الخلق والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى هديه ونوره نسير .

لقد وسعت مدرسة محمد عبده آفاق الأرض بحثاً وسعياً وراء الحق فناصرها من اقتنع بمبادئها وحاربها من خالفها . فكانت لها حسنات عسى أن تكفر ما عليها من سيئات . فأخرجت للعلم جيلاً من الرواد . حاربوا بالقلم الفساد . فكانت كلماتهم شتى وهدفهم واحد . فأثرت الفكر الإسلامى بما أشاعته من روح التجديد فى الأزهر والمحافظة على الدين .. فأشهرت كلماتها سلاح ضد المستشرقين والجامدين فى الفكر من المسلمين وكشأن المحارب لا بد له من زلات؛ فهكذا حملت بين طيات مبادئها العيوب والمميزات ، الإيجابيات والسلبيات . ولقد تناولت الأعلام الكثير من شخصيات هذه المدرسة بالنقد والتحليل وأظهرت مالها وما عليها .

ولكن كثيراً ما تتسى شخصية الرجل الذى عاش يشغله هم واحد وغاية لا يحيد عنها ؛ الدفاع عن الإسلام ورفع رايته . هو "محمد فريد وجدى" تحلى بصفات المؤمن الأصيل . ما أن تقلب فى مؤلفاته حتى تشعر . أنه المفكر الموسوعى ، فلا تصاحب فكره فى أى قضية تشاء إلا وأسرك حسن أسلوبه ، وجذبك بمخاطبته لعقاك ، ودفع خصومه بأدبه الجم ، وقلمه العف ، وحتى لا يسع بعضهم إلا أن يشكروه وكأنه يتمثل قوله تعالى (١) "

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

تمثل القرآن فى قلبه ، فنطق به قلمه ولكنه بشر (٢) " وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِمْ
فهو يخطئ ويصيب .

وقبل أن أعرض لخطة البحث وأهم المشكلات والصعوبات التى واجهتنى يطيب لى أن أعرف تلك الشخصية المشهورة المغمورة فى ذات الوقت وأن ألقى بأشعة نور تزيل الغيوم حول هذا المفكر والكاتب الإسلامى ، الذى لا يكاد يعلم بوجوده إلا القلة القليلة المتقفة من جيلى الحالى ، ونوابغ الفكر فى الجيل السابق ، فما حدثت أحد عن هذه الشخصية إلا وتعتقد حاجبيه استغراباً ودهشة من هذه الشخصية التى لا يكاد يسمع لها صدى .

(١) سورة فصلت : آية ٣٤ .

(٢) سورة يوسف : من آية ٧٦ .

اسمه (١)

محمد فريد وجدى بن مصطفى وجدى بن على رشاد.

مولده

ولد فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وإن اختلف بعد فى تعيين سنة مولده ، فهناك من جعلها سنة (١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م)^(٢) وهناك من تقدم بها عن هذا التاريخ ثلاث سنين ، فجعلها سنة (١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م)^(٣)

نشأته

ولد فى مدينة الإسكندرية ، وتقل بينها وبين دمياط ، ثم استقر فى السويس مع والده الذى كان بلى منصب وكيل المحافظة بها ، ثم عاد واستقر فى القاهرة.

أسرته

من أسرة تركية الأصل^(٤) ، من أسر الطبقة الوسطى ، فهى أسرة محافظة وكان أبوه من أوساط الموظفين ، ولكنه رجل مهتم بالعلم ، حفى بأهله ، وكانت له فى داره مكتبة تضم الكثير من كتب الدين والأدب وفنون المعرفة المختلفة ، بالعربية والفرنسية والتركية. ويرى د. طه الحاجرى أن عناية والده بمجالسة العلماء والمتقنين كانت لتكوين فريد وجدى فكراً وثقافياً.

تعليمه

تلقى تعليمه فى الإسكندرية حيث إنها مسقط نشأته الأولى " و المدارس التى تلقى تعليمه فيها : مدرسة إسماعيل أفندى حقى ، و مدرسة حمزة قبطان ، ومدرسة مسيو فالو ، كما ذكر أنه أدخل المدرسة الأولى وهو فى الرابعة من عمره ، فأمضى بها أربعة أعوام ، ثم

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : ط ١٩٧٧ ، دار الشعب .

(٢) محمد يوسف خليفه : الأهرام : العدد ٢٤٥٥٤ - السنة ٨٠ - ٦ من جمادى الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٠ فبراير ١٩٥٤ - الأربعة ص -خير الدين الزركلى : الأعلام : ص ٢٢٠ ، ح ٧ ، ط الثالثة.

(٣) - عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ح ١١ ، دار احياء التراث العربى بيروت لبنان ، ص ١٢٦

- أنور الجندى : محمد فريد وجدى . رائد التوفيق بين العلم والدين ص ٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١٩٧٤ . يقول " قبل أن ينتهى القرن الماضى بخمس سنوات ظهر شاب فى العشرين من عمره "

- ويرجع د. محمد طه الحاجرى التاريخ الأول (١٢٩٥ م - ١٨٧٨ م) لما ذكره فريد وجدى عن نفسه فى دائرة معارف القرن العشرين والقرن الرابع عشر. وما ذكره طاهر الطناحى فى تقديمه لكتاب " الإسلام دين الهداية والإصلاح " طبعة دار الهلال.

(محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى : ص ١٨)

(٤) هذا ترجيح من طه الحاجرى وقد ذكر أنور الجندى " هو الموسوم بأنه أصل تركى أو جركسى " أنور الجندى - محمد فريد

وجدى : ص ٢٢)

انتقل منها إلى المدرسة الثانية ، وبقي فيها حتى أتقن القراءة والكتابة ، ثم تحول بعد ذلك إلى المدرسة الثالثة وظل بها إلى أن نقل أبوه مصطفى بك وجدى ، إلى مدينة القاهرة . وكما يتضح " أنها كانت مدارس خاصة ، كما يدل على ذلك تسميتها بأسماء أصحابها" (١) وفى عام ١٨٩٢ م تقريباً "نقل مع أسرته إلى القاهرة ، فلم يكمل تعليمه الثانوى فى المدرسة الفرنسية وألحقه أبوه بالتعليم النظامى " المدرسة التوفيقية " ، وهى مدرسة ثانوية ولكنه انتقل إلى دمياط بعد بقاءه عامين فى القاهرة ؛ مما لم يجعله يكمل تعليمه فى المدرسة التوفيقية ١٨٩٤م . وإلى هنا انقطعت صلته بالمدارس أو انقطعت أخبارنا عنها . " (٢)

العوامل المؤثرة فى تكوين شخصيته

منها عوامل غير مباشرة مثل :-

١- "أحداث الاحتلال الإنجليزي ، منذ قدوم الأسطول البريطانى الفرنسى وإرسائه بميناء الإسكندرية ، فى أواسط مايو ١٨٨٢ م" (٣) وما ترتب عن ذلك من مذابح وحرائق هذا غير " حركة الهجرة التى نستطيع أن نرى صورة واضحة منها فيما كتبه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده عنها فى مذكراته ، إلى غير ذلك من مشاهد الاحتلال ومنكراته والأصدقاء المختلفة التى كانت تردد عنه ، وما كان يثيره ذلك كله فى نفوس الناس وأحاسيسهم وأحاديثهم . "

" لقد كانت هذه المرحلة الأولى من حياة محمد فريد وجدى تمثل فى الحياة المصرية الصراع بين الشخصية الإسلامية المصرية والاستعمار الإنجليزي . وكان هذا الصراع أقوى ما يكون - أول أمره على الأقل - فى مدينة الإسكندرية ، فهى التى تلقت الصدمة الأولى ، وهى التى استهدفت لكثير من نتائجها ، وتعرضت لكثير من ردود فعلها ؛ وجدير بذلك أن يكون له أثره فى إرهاب مشاعره . وتفتيح مداركه ، وتكوين شخصيته . " (٤)

٢- تنقله مع أسرته أثناء مراحل التعليم

" لقد كان لهذه النقلة (٥) أثر كبير فى حياة الفتى محمد فريد وجدى ، لا من الناحية التى ذكرناها ، وهى الاضطراب بين نظامين ، والحيرة بين أسلوبين ، فحسب ، بل فوق ذلك من ناحية أنها حدثت فى سن التفتح العقلى ، والتوثب الوجدانى ، فكان لها أثرها فى إثارة مواهبه وحفز ملكاته فلم يعد الأمر أمر محاولة الملاءمة والتوفيق بين ما نشأ عليه من نظام تعليمى

(١) محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص ١٩ ، ٢٢

(٢) المصدر السابق : ص ٤٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢١ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢١ .

(٥) يقصد طه الحاجرى : المرحلة الثانوية من تعليمه .

وما عليه أن يواجهه من نظام آخر ، يريد أن يعقد صلته به ، وإنما تضاف إلى هذا الملازمة بين ما يدفعه إليه طموحه العقلي وتوثبه الذهني ، وبين هذه البرامج التعليمية المحدودة الجافة في المدرسة التوفيقية (١)

٣- حادثة الشك في العقيدة

" على أن الشك الديني لدى الأستاذ في نشأته الأول قد هيا له هذا القدر الهائل من الثقافة ؛ إذا تعرض في صلبه اليانع إلى هواجس عاصفة ، زعزعت يقينه وكدرت أفقه - كما سجل ذلك على نفسه" (٢)

يقول (٣) " الذي أدى بي إلى الشك في كل شيء حتى الدين وعلومه . فقد كنت في سن السادسة عشرة طالباً في المدرسة التحضيرية وكان أبي مصطفى وحدى موظفاً في الحكومة المصرية ، وحدث وقتئذ أن اختير وكيلاً لحافظة دمياط ، فكان لابد من انتقاله مع عائلتي إلى هذه المدينة التي اشتهر أهلها بدمائة الأخلاق ، والتفقه في الدين وميلهم إلى الآداب ! ولما نزلت هذه البلدة مع أبي . أقبل علماؤها وكبار أهلها يرحبون به ، فكان يجتمع في دارنا عدد كبير منهم ، وكانت تدور أثناء المجلس عدة مناقشات دينية وجدت فيها مجالاً للبحث والتفكير . غير أنني كنت إذا ناقشت أحد العلماء في مسألة تتعلق بالكون والخلق أسرع بي لقل باب المناقشة ، وأمرني بالأخوض في المسائل الدينية أو أبدى فيها رأياً ، فكنت أمتنع لذلك ، وأرى أن فيه حجراً على العقل بلا مسوغ وأخذت أبحث عن السبب الذي أدى بهم إلى هذا الجمود ، وقلت في نفسي لابد أن يكون ما يدرسونه من الكتب عقيماً .. ومن هنا تزلزلت عقيدتي ، وشرع الشك يتسرب إلى نفسي حتى صرت لا أرتاح إلى رأى واحد يتضمنه كتاب ، ولا اقتصر على فكرة معينة يجتهد بعض العلماء في إثباتها بما أدلى من قوة الحجة وساطع البرهان . وجعلت أتناول بالقراءة والدرس جميع الكتب الدينية والكونية والاجتماعية ، وسائر ما يتعلق فيها بعلم النفس وأكببت على ذلك عدة سنين ، فاكتسبت علماً غزيراً ، واتسع أمامي نطاق الحياة ، وجال نظري في الكائنات جولات أفادتني فيما أتناوله بالبحث والدرس حتى صرت لا أقنع بفكرة دون أن أعنى بدرسها وتمحيصها معتمداً في ذلك على تجاربي الذهنية التي مرت بي "

(١) محمد طه الحاجري : محمد فريد وحدى حياته وآثاره : ص ٢٥ .

(٢) محمد فريد وحدى : مناقشات وردود : مقدمة بقلم محمد رجاء البيومي ، ص ٨ .

(٣) طاهر الطناحي : مقدمة الإسلام دين الهداية والإصلاح ، دار الهلال ، العدد ١٤٠ - جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - نوفمبر ١٩٦٢ م .

"وقد أفادني هذا " الشك " استقلالاً في الفكر ، واعتماداً على النفس ، ورغبة في استيعاب ما يقع بيدي من الكتب على اختلاف أنواعها بصبر وجلد ، كما أفادني دقة في البحث حتى أزال الشك عني ، وارتاحت نفسي إلى عقيدة ثابتة "

صفاته

" كان مؤمناً ، عالماً ، أديباً ، صحفياً ومصلحاً اجتماعياً . كان لفريد شخصيات متعددة كاملة لم تطفح إحداها على الأخرى ، كان مؤمناً ، ملك الإيمان جوانب نفسه ونواحي نفسه ، وكان مؤمناً عن بصيرة وفهم لا عن عصبية وتقليد ، أقبل على الإسلام يتدارسه ويتفهمه ويتعمقه ، ويتذوق ما فيه من سمو وجمال وكمال " (١)

"وكان معتنياً بصحته ، مراعيًا لسلامة الجسم والنفس عاملاً بما يقول : نموذجاً طيباً بسلوكه كما كان نموذجاً طيباً في تفكيره وتأليفه " (٢)

" أما خلقه - فالقدر الذي أعرفه عنه - إنه كان يؤثر العزلة والانطواء على نفسه ، وقل أن يرى في حفل أوناد ، وقد يكون ذلك طبعاً أو نتيجة خبرة وتجربة ، وكان كثير الصمت قليل الكلام كدأب العلماء يشعرك حين تتحدث إليه إنك المفيد والمستفيد ويقول الذين أكثروا الصلة به أن بطبعه حدة لكن لا تخرجه عما يجمل بعقله الرجال ، ومع أنه حضري النشأة وفي سعة من العيش فقد كان محافظاً على تقاليده الشرقية بل مسرفاً في الحفاظ عليها . " (٣)

بعض ملامح حياته

" كان يعمل كثيراً في شبابه وكهولته نحو ست عشرة ساعة في اليوم حتى إذا جاوز الخمسين وضع لنفسه نظاماً لم يتغير ، فكان يستيقظ في السابعة صباحاً ، ويمارس شئونه العلمية ، والطبعية حتى الساعة الثانية بعد الظهر ثم يتغذى في منزله ويستريح إلى الساعة الرابعة . ثم ينهض ليزور والدته ، وفي الساعة السادسة يطالع جرائد المساء ، ثم يقابل زواره ساعة واحدة ، فينهض بعدها ليرتاح نصف ساعة ، ثم يعود لزيارة والدته مرة أخرى . وفي نحو منتصف الساعة العاشرة يأوى إلى مضجعه . تلك سنة سار عليها بعد الخمسين في جميع فصول السنة" (٤) . "ولم يكن يرتاد دور السينما أو المسارح وكان يعتذر عن شهود الحفلات والاجتماعات كلها. ولم يعرف أنه اصطاف مرة في إحدى مدن الشواطئ أو سافر إلى

(١) أبو الوفا المرازى : الأهرام : العدد ٢٤٥٨٩ - السنة ٨٠ - ١٧ مارس ١٩٥٤ م - ١٢ من رجب ١٣٧٣ هـ مقالة بعنوان "في ذكرى الأربعين الفيلسوف المصلح محمد فريد وجدى"

(٢) د . منيع عبد الحليم محمود : مناهج التفسيرين : ص ٣٧٢ ، ط الأولى ١٩٧٨ م ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني القاهرة . بيروت . مطبعة لمضة مصر .

(٣) أبو الوفا المرازى : الأهرام : العدد ٢٤٥٨٩ - السنة ٨٠ .

(٤) طاهر الطناحي . مقدمة الإسلام دين الهداية والإصلاح : ص ١٢ .

الخارج^(١) " وكان يستقبل زائريه ، كل يوم بعد صلاة المغرب - لمدة ساعة - يتحدث إليهم ،
ويجيب على أسئلتهم ويذلى برأيه فيما يثار من موضوعات في الصحف اليومية "

مواقف في حياته

يقول العقاد عن عمله بتحرير الدستور مع فريد وجدى:-

"واننى لأحمد الله إن كانت بداية عملى المنتظم فى الصحافة مع رجل كالأستاذ وجدى
رحمه الله قليل النظر فى تزاوته وصدقه وغيرة على المصلحة القومية واستعداده للتضحية
بماله وراحته فى سبيل المبدأ الذى يراعه ولا يتزحزح عنه قيد أنملة "^(٢)

"ولو وفته صحافتا لقات غير مسرفة ولا غالية أن الصحافة المصرية لم تعرف كاتباً
بلغ مبلغه من الزهد فى المنافع وتغليب الواجب على كل منفعة ، ولو جر عليه الخراب
والهزيمة. ولا أعدد مواقفه فى هذه الفضيلة فهى كثيرة ، ولكنى أكتفى منها بموقفين عرضاً
لى، وهو فى أشد الحاجة إلى المال ، والصحيفة مهددة بالإفلاس السريع . وهما :-^(٣)

كان عضواً فى مجلس الحزب الوطنى فاعترض على مصطفى كامل ، لأنه اقترح
على الحزب أن يوجه خطاباً إلى وزير الخارجية البريطانية ، ورأى أن يوجه الحزب هذا
الخطاب إلى وزارات الدول جميعاً كي لا يكون فى التخصيص شبه اعتراف لانجلترا بصفة
ممتازة فى البلاد المصرية . وأصر مصطفى كامل على رأيه وجاراه الحزب على ذلك ، فبسط
فريد وجدى مسألة هذا الخلاف وكتب مقالاً أو مقالين يؤيد بها وجهة نظره ، فانصرف أتباع
الحزب عن الصحيفة وعرضت مسائل أخرى بعد ذلك أغضبت الخديو وطائفة من رجال
الدين ، فكسدت الصحيفة ومنيت بالبورار .. وحول هذا الوقت ، حدث الانقلاب الدستورى فى
الدولة العثمانية واحتاج حزب تركيا الفتاة إلى "لسان حال عربى " لكاتب مشهور فى العالم
الإسلامى من غير تصريح بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية التى اشتهر السلطان عبد الحميد
بالدعوة إليها ، وأرسل الحزب وسطاءه إلى الأستاذ وجدى يساومه على مبلغ شهرى (لعله
ألف جنيه) ويرجوه أن يحذف من صدر الصحيفة شعارها المثبت تحت عنوانها وهو (لسان
حال الجامعة الإسلامية) وله أن يكتب فى الدفاع عنها ما يشاء بغير صيغتها الظاهرة .

فرفض الأستاذ وجدى هذه المعونة وهو متقل بالديون ، لأنه يابى التوجيه ويشفق أن يوجه
إلى غير ما يعنيه ، وإن لم يكن فى جوهر السياسة خلاف. وغضب الخديو فى تلك الأيام على

(١) الزركلى : الأعلام : ٢٢١ .

(٢) عباس عمود العقاد : حياة قلم : ص ٨٩ ، المجموعة الكاملة ، المجلد الثان والعشرون ، السيرة الذاتية ، دار الكتاب اللبنانى بيروت ط
الأولى ١٩٨٢ م

(٣) عباس عمود العقاد : الأخبار : العدد ٤٨٢ ، السنة العاشرة ، ٩ من جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ ، ١٣ من فبراير ١٩٥٤ م -
السيب ، ص ٤

توفيق البكرى لمنعه أصحاب الطرق الصوفية من السير مع ركب المحمل على حسب العادة المرعية في ذلك الاحتفال ، فتصدى الأستاذ وجدى لتأييد السيد توفيق وحمد له تعطيل هذه البدع ، وأحب السيد توفيق أن يكافئ الصحيفة على حسب المؤلف فأرسل " اشتراكه " مع من يسأل عن أحوالها المالية ... فكان الجواب " إيصالاً " بقيمة الاشتراك ورداً لبقية المبلغ وشكراً مقتضياً يحول دون الاسترسال فيما وراء الاشتراك والسؤال . ولم تمض أسابيع حتى عجزت الصحيفة عن شراء الورق ، وثقلت عليها الديوان ، وكان في وسع الأستاذ وجدى أن يغلقها ويدع ما فيها من آلات الطباعة لسداد ديونها ، ولكنه قبل أن يغلقها دعا إليه تاجر الورق واتفق معه على سعر كل كتاب من كتبه ، فهبط ثمن الكتاب الذي كان يباع بمائة قرش إلى نحو عشرة قروش .. وعلى هذا الاتفاق أعطى كل دائن وكل موظف نسخاً من تلك الكتب التي كان قد طبعها لحسابه ، واشترط عليه أن يسلم حاملها جميع أثمانها نقداً بغير تسويق ، ثم أعلن إغلاق الدستور بعد الاطمئنان على سداد كل ملزم مستحق .

ولقد كانت أزمة الصحيفة أثراً من آثار " المبدأ " الذي لا ينحرف عنه الرجل قيد شعرة ، وهو الجهر بالرأى ولو خالف القوة والكثرة وخالف أحب الناس إليه ^(١)

أسلوبه

"كان فريد أديباً يمتاز بأسلوبه الفنى الدقيق العميق . كما يمتاز بسلامة العبارة ، وكان يردد في كتاباته ألفاظاً غريبة على القارئ العادى ويبدو لدقيق الملاحظة إنها في خواصه وكان فيما يكتب عفواً نزيهاً لا تستفزه الخصومة ولا يطيش حلمه ولا قلمه ولا يزدهيه علمه ولا أدبه " ^(٢)

وطريقته النقدية تدعو إلى الإعجاب والعجب معاً . إذ لم يسمح مرة لبراعة أن ينال شخوص ضحاياهم على كثرتهم الغالبة ، بل اتجه إلى الآراء وحدها ، يعرضها كما ذكرها أصحابها في أمانة وإحاطة ، ثم يدفع بالتى هى أحسن ، دفع المحيط الوائق دون أن تأخذه نشوة الفلج ، فيكيل لصاحبه ما يند عن آداب البحث ومقتضيات اللياقة ، بل إنك تراه يؤيد ما يتفق مع وجهة نظره تأييداً يغمره بالثناء والإطراء ، فلا تدرى أنت أم مهاجم أم مدافع!

(١) عباس محمود العقاد: رجال عرفتهم: الملل : العدد ١٥١ ، ٢ جمادى الأولى ١٣٨٣ أكتوبر ١٩٦٣ م ص ١٦٠

(٢) أبو الوفا المرازى : الأهرام : العدد ٢٣٤٨٩ : سنة ٨٠

ولو سلك الناقدون مسلك فريد في ردوده لضاق نطاق الجدل في أقصر زمان ومكان ،وهيهات ! فإن التربية الحسيفة التي أرضعت الكاتب في مهده الأدبي لا تتاح لغير القلة من النبلاء !!"^(١)

اهتمامه بأعمال الشباب(٢)

"وقد تواضع كبار الكتاب على أن يهملوا آراء من لم يبلغوا مكانتهم الأدبية من الشبان ، فلا تجد أديباً كبيراً يناقش كاتباً مغموراً يتسنى الدرجات الأولى في سلم إنتاجه ، ولكن الأستاذ وجدى يشذ عن هذا الترفع الأدبي المتداول ، فيتناول جميع ما يصدر في ميدانه الإسلامى أياً كان كاتبه ، ثم يسلك في نقده مسلكه مع ذوى الذبوع والصيت ، وتلك إحدى فضائل الرجل النفسية ، ولها دلالاتها الأكيدة على مقومات سلوكه دون نزاع ."

"وتتميز مساجلات (فريد وجدى) ومعاركه بأنه يبدأ فى أول بحثه بتلخيص واف كامل لآراء خصمه على نحو أمين . ثم يعرض لكل جزئية فيدحضها ، ثم يصل فى النهاية إلى الفكرة العامة فيقضى عليها ، وهو فى كل هذه المساجلات لا يخرج عن حدود الذوق والعلم.. فإذا ساجله أحد أغضى فى رده عن الأمور الخاصة ما لم تتصل بجوهر فكره"^(٣) ومن يدقق فى حياة محمد فريد وجدى يجدها مجموعة سلسلة من المساجلات والمناقشات تختلف فى الموضوعات وتتحد فى الهدف وهو الدفاع عن الإسلام وكل ما يمسّه

آراء العلماء

يقول "عباس محمود العقاد"^(٤) "محمد فريد وجدى هو فريد عصره غير مدافع ! وتلك كلمة مألوفة طالت ألفتها حتى رثت وبليت وأصبحت حروفاً بغير معنى .. ولطالما قيلت عن عشرات من حملة الأقلام فى عصر واحد : كلهم فريد عصره ، وكلهم واحد من جماعة تعد بالعشرات .. فلا معنى لها فى باب العدد ولا فى باب الصفات ، ولا سيما صفات الرجحان والامتنياز .. إلا أننا نقولها اليوم عن "محمد فريد وجدى" لنعيد إليها معناها الذى يصدق على الصفة حرفاً حرفاً ، ولا ينحرف عنها كثيراً ولا قليلاً حتى فى لغة المجاز .. فقد عرفنا فى عصره طائفة غير قليلة من حملة الأقلام ورجال الحياة العامة ، فلم نعرف أحداً منهم يماثله فى طابعه الذى تفرد به فى حياته الخاصة أو العامة وفى خلقه أو تفكيره ، وفى معيشته اليومية أو معيشته الروحية وأوجز ما يقال عنه فى هذه الحالات جميعاً أنه لم يخلق فى عصره من يتقارب المثل الأعلى والواقع المشهود فى سيرته كما يتقاربان فى سيرة هذا الرجل "الفريد" نعم :

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : مقدمة بقلم محمد رجب البيومى :ص ١٠

(٢) المصدر السابق :ص ١٠

(٣) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين : ص ١٤٤

(٤) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم : الهلال ، العدد ١٥١ ، جمادى الأولى ١٣٨٣ _ أكتوبر ١٩٦٣ م ، ص ١٥٨

الفريد حتى فى لغة الأجناس ، لأن اسمه فريد والفريد حتى فى عزلته ، لأنه كان فى عزلة
النسك والرهبان عليمًا غاية العلم بالتحليل والتحرير "
يقول " أبو الوفا المراغى^(١) "

" كان فريد عالماً عصامياً فى علمه لم يتم تعليمه فى جامعة أو معهد بل أتمه بنفسه
وجلده وصبره وجهاده ، ولم يتخصص فى علم من العلوم فلا يقال هو عالم فى فن كذا بل كان
عالمًا على نمط العلماء السابقين الذين لهم مشاركة فى كل معارف عصرهم ، إلا أننا نلاحظ
غلبة الاجتماع والفلسفة عليه ، فلا حرج إذا قلنا إنه فيلسوف أو عالم اجتماع "
ويقول " د . منيع عبد الحليم محمود^(٢) "

" كان حار الدفاع عن الحق ، شديد التمسك بما يعتقده صواباً سلس الأسلوب ، واضح
الفكرة ، بعيداً بهدفه فى الحياة ... ولقد دخل فريد وجدى فى الحياة الفكرية الإسلامية فى
عصره دخولاً حكيماً . لقد درس مشكلات العصر وكتب فى الكثير منها كتابات مستفيضة سواء
تعلقت بإصلاح المجتمع أو المسائل الفلسفية أو الجوانب الروحية . وقد اضطره ذلك إلى أن
يدخل فى جدل مستفيض مع الذين يرى أنهم ليسوا على الحق . "
ويقول " محمد رجب البيومى^(٣) "

" كانت رسالة الدفاع شاقة وعسيرة ، لا ينهض بها غير نوى الكفاءة الثاقبة ، والأستاذ
وجدى أول من تصدى للدفاع بأقطع سلاح لأنه جعل نفسه جندياً فى كتيبة مستشهدة لا تعرف
الهوة ، ومعها عدته من الإطلاع الشامل والخبرة بأفات الفكر المعاصر ، وعلل ما يستورد من
النظريات الخادعة . مع إمام جيد ببواعث التهجيم ، وحيل التريص ، فإذا أضيف إلى ذلك كله
عفة القلم ونزاهة الضمير ، والارتفاع من مهاوى الإسفاف ، كان المدافع منتصراً فى ميدانه ،
لأن هدوء النبوة ، وتلمس العذر ، والمقابلة بالتى هى أحسن تدعو المتسرع إلى الائتاد ،
والغاضب إلى الهدوء لا سيما إذا كان هذا السلوك المثالى من كاتب يملك الإقناع ، ويعتصم
بالبرهان . "

" وقد تهافتت كبريات المجالات والصحف على آثاره . ومنها بعض الصحف التى لا
تؤيد منحاه ، ولكنها تفخر بأن تكون معرضاً لشتى الآراء فكان بحث الأستاذ بين شتى البحوث
المختلفة ، بسمه فى ثغر وبرقاً فى غيم ، أما المجالات الملتزمة فإنها تجد فى ثمرات الأستاذ أكلاً
شهياً يستطيبه القراء ، فهى تباهى به فى اعتزاز .. "

(١) أبو الوفا المراغى : الأهرام : العدد ٢٥٤٨٩ ، سنة ٨٠

(٢) د . منيع عبد الحليم محمود : مناهج المفسرين : ص ٣٦٩

(٣) محمد فريد وجدى : من معالم الإسلام : ص ١١٢١٠ . مقدمة بقلم محمد رجب البيومى ط الأولى دار المصرية اللبنانية - ١٩٩٤ .

شهرته في البلاد الإسلامية والغربية^(١)

"والحق أن فريد وجدى لم يكن لمصر وحدها ولا للعروبة وحدها ، ولكنه كان للفكرة الإسلامية الصحيحة في كل أرض يظلمها لواء الإسلام . فالمسلمون في جاوه وأندونيسيا والباكستان وأفغان وإيران وتركيا يعرفون محمد فريد وجدى ، كما يعرفه العرب في مصر والجزيرة العربية السعودية وسوريا والعراق وبلاد المغرب وغيرها . ولقد شهد له إخواننا المسيحيون قبل المسلمين بالفضل والعلم والثقافة الواسعة . فالفيكونت فيليب دى طرازى المؤرخ الجليل يقول عنه في كتابه الضخم " تاريخ الصحافة العربية " " اسم محمد فريد وجدى مقرون بالاحترام في كل صقع انتهى إليه نفوذ العربية ، فهو العالم الذى صرف عمره بين القلم والقرطاس باحثاً ومؤلفاً وناشراً كل مفيد من التصانيف الوفرة العدد الجليلة القدر أما المستشرق الدكتور تشارلز آدمس (يخصصه بما يقرب من أربع صفحات متتاليات عن كتابه الإسلام والتجديد في مصر) فيثنى على جهود فريد وجدى في نصرة الدين والدفاع عنه ، ويستشهد بما كتبه عنه مجلة الهلال من أنه فريد في معرفته للجانب الاجتماعى من الحياة المصرية مما لا شك فيه أن فريد وجدى تأثر بأراء أستاذه الشيخ محمد عبده في الإصلاح " (٢)

عمله

" في أوائل القرن العشرين نشرت له الصحف المصرية بحثاً عميقة في الفلسفة والاجتماع أثارت الإعجاب ، وحملت الخديو عباس على استدعائه وإلحاقه بديوانه الخديوى فليث في وظيفته الجديدة يومين اثنين حيث تركها وفضل الحياة بين الكتب على حياة القصور " (٣)

" وقد عهد إليه المرحوم الإمام المراغى رئاسة تحرير مجلة الأزهر بالرغم من غربته عن البيئة الأزهرية ، لما لمس فيه من غزارة العلم والتعمق في فهم الدين ، فليث رئيساً بضعة عشر عاماً نشر فيها مئات البحوث الروحية والفلسفية ودافع فيها عن مبادئ الإسلام دفاعاً لم يسبقه إليه سابق . " (٤)

(١) محمد عبد الغنى حسن : الأهرام : العدد ٢٤٥٦١ - السنة ٨٠ ، ١٣ من جمادى الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٧ من فبراير ١٩٥٤ م - الأربعاء . ص ٥ .

(٢) وقد علق السيد رشيد رضا في الجزء الثانى من مجلة (المنار) أن فريد وجدى في كتابه المدنية والإسلام تأثر بالشيخ محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد . (المصدر السابق) .

(٣) محمد يوسف خليفة : الأهرام : العدد ٢٤٥٥٤ - السنة ٨٠ - ٦ من جمادى الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٠ من فبراير ١٩٥٤ م - الأربعاء - ص ٥ .

(٤) محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص ١٢ ، كما أورد د. طه الحاجرى أن فريد وجدى اشترك في إصلاح الأزهر وقد أصدر مقالين كتبهما في جريدة المؤيد في نوفمبر وديسمبر ١٩٠٦ - وقد أجه في هاتين المقالتين إلى نقض الأصل الذى يتوكل عليه معارضوا الإصلاح . وهو أن الأزهر مدرسة دينية لا شأن لها إلا بعلوم الدين ، وذلك عنده وضع لا حقيقة له ولا سند يعتمد عليه .. وإنما هو وضع حادث في عصور الانحطاط " المصدر السابق : ص ١٢ .

وفاته

" توفي في جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ - فبراير ١٩٥٤ م " في هدوء تام لم يشعر به أحد^(١)

مؤلفاته

" لفريد وجدى ثلاثة أعمال كبرى (مؤلفاته)^(٢) وصحفه ومقالاته المتنوعة "

١- مؤلفاته :

- ١- الفلسفة الحقة فى بدائع الأكوان (١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م) مطبعة عبد الرازق.
- " موضوعه بيان أسرار الوجود ، والحكمة الكامنة فى كل من وجوهه ، وفى كل صورة من صورته . وقد صنّفه على عوالم الكون الأربعة : الإنسان والحيوان والنبات والجماد."^(٣)
- ٢- تطبيق الديانة الإسلامية على النواميس المدنية (١٣١٦ هـ - ١٨٩٩ م) المطبعة العثمانية. سُمى فيما بعد " الإسلام والمدنية" وصدر فى (١٣٢٢ - ١٩٠٤) الطبعة الثانية ١٩١٢ المطبعة الهندية .
- " ويضع هذا الكتاب حجر الزاوية فى اتجاه فريد وجدى ، وفى الكشف عن الخط الذى بدأ يعمقه ، وكان بذلك من أوائل من تحدثوا عن سلامة المقومات الفكرية الإسلامية ، وقررتها على البقاء والاستمرار ، ودورها فى إنشاء الحضارة المعاصرة "^(٤)
- ٣- الحديقة الفكرية فى إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية (١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م) مطبعة الترقى .
- يبين هذا الكتاب " موقفه إزاء الفلسفة المادية وأهم قضاياها " التشكيك فى الألوهية " ^(٥)
- ٤- المرأة المسلمة (١٣١٩ هـ - ١٩٠٢ م) مطبعة الترقى ، الطبعة الثانية ١٩٠٥ والثالثة ١٩٢٠ مطبعة هندية .
- أولى محمد فريد اهتماماً عظيماً بالمرأة المسلمة وحقوقها واستمرت كتاباته فى هذه القضية سنوات تقترب من نصف قرن . فقد كان " يرى أن الإصلاح الاجتماعى ينبغى أن يدور فى فلك الدين "
- ٥- الإسلام ، فى عصر العلم (١٣٢٠ هـ - ١٩٠٣ م) الجزء الأول بمطبعة الترقى والجزء الثانى صدر ١٩٠٥ م مطبعة الشعب.

(١) أبو الوفا المرازى : الأهرام : العدد ٢٤٥٨٩ - السنة ٨٠ .

وقد علق طه الحاجرى على وفاته المنسية بأنه عاش فى عزلة ومات فى عزلة وربما عزلة حياته هى السبب فى عزلة موته .

(٢) نقلاً من أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين : ص

(٣) محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص ٣٥ .

(٤) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين : ص ١٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٩ .

- يقول وجدى " فهو أصدق كتاب يمثلنى مناضلاً عن الفلسفة الروحانية والدين ، باعتبار
أنهما الركنان القويان من أركان الاجتماع والرقى " (١)
- ٦- كنز العلوم واللغة ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٥ م والطبعة الثانية ١٩١٦ مطبعة الواعظ.
" دائرة معارف عامة ، تحتوى على فصيح اللغة العربية ، وخلاصات العلوم العقلية
والنقلية والطبيعية والتاريخية والعمرانية ، وترجم المشاهير . وفيها من الفوائد الطبية
والعلاجية ، والوسائل الحيوية ، ما يحتاج إليه الإنسان فى سائر أحواله المعيشية (٢)
- ٧- دائرة معارف القرن الرابع عشر والعشرين الميلادى (طبعة أولى ١٩١٠ م - ١٩١٨)
وطبعة ثانية ١٩٢٣ (عشرة أجزاء)
" كتب فريد وجدى - وحده - دائرة المعارف وهو عمل ضخم ، شاق ، لا ينهض به ،
إلا العصبية ؛ أولو القوة فى العلم والمال .. (٣) " وأعد لها مطبعة خاصة تخرج على
الناس بإنتاج الكاتب وحده لا شريك له !! " (٤)
- ٨- صفوة العرفان فى تفسير القرآن ومقدمة ، طبع حجر مصر (١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م)
طبع باسم المصحف المفسر ١٩٢٥ مطبعة (دائرة معارف القرن العشرين) تم طبعه
بمطابع الشعب ١٣٧٧ هـ .
- ٩- الوجديات مقالات خيالية فى سبيل الدين واللغة والوطنية (١٣٢٨ هـ - ١٩١١ م)
مطبعة الواعظ الطبعة الثانية ١٩٢٨ م .
- ١٠- مجموعة الرسائل الفلسفية (الرسالة الأولى) (١٣٣٣ هـ - ١٩١٦ م) (فى معترك
الفلسفتين المادية والروحية).
- ١١- كتاب المعلمين (منهج الدراسة لوزارة المعارف) (١٣٣٥ هـ - ١٩١٨ م) مطبعة دار
المعارف.
- ١٢- على أطلال المذهب المادى (مطبعة دائرة المعارف) ١٩٢١ ثلاثة أجزاء.
أبحاث روحية " اتخذ منها حجة قوية يحارب بها من ينكرون الحقائق الغيبية فى عالم
السموات والأرض. " وفى هذا المجال " قال عنه الأستاذ باول كراوس : أنه ملك كتاب
العرب على الإطلاق " (٥)

(١) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين : ص ٢٢ .

(٢) محمد فريد وجدى : كنز العلوم واللغة : مطبعة الواعظ - مصر ، ١٣٢٣ هـ ، ١٩٠٥ م .

(٣) عبد الحليم محمود : الحمد لله هذه حياتى : ص (١)

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : مقدمة بقلم محمد رجب البيومى ، ص ٩ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٢ .

- ١٣- دستور التغذى ١٩٢١ م " حاول به رسم منهجه فى المذهب النباتى " .
 ١٤- نقد الشعر الجاهلى ١٩٢٦م مطبعة دائرة المعارف .
 ١٥- الإسلام دين عام خالد - ١٩٣٢م مطبعة دائرة المعارف ، وأعادت دار الهلال طبعه
 تحت اسم الإسلام دين الهداية والإصلاح ١٩٦٢م .
 ١٦- الأدلة العلمية فى جواز ترجمة القرآن ١٩٣٦ مطبعة الرغائب.

مفقودات

- ١٧ - (سفير الإسلام إلى سائر الأقوام) نشرها ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٧م ولم أجد لها فى دار الكتب.
 ١٨ - اللورد كرومر والإسلام (صدر ١٩٠٧م) ولم أجد له فى دار الكتب .

٢- صحفه ومجلاته .

- الحياة : صدرت عام ١٨٩٩ - ١٩٠٠ ثم توقفت وعادت للصدور ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ وتوقفت وعادت للصدور ١٩١٤ - ١٩١٥ م.
 الدستور : صدر فى ١٦ من نوفمبر ١٩٠٧ وتوقف سنة ١٩١٠ ثم أعيد ١٩٢٢ .. واستمر يصدر كجريدة أسبوعية حتى عام ١٩٣٣ م .
 الوحديات : صدرت عام ١٩٢١ - ١٩٢٢ م .

٣ - مقالاته المختلفة :

- توزعت على عدد من الصحف والمجلات ومن أهمها :
 مجلة المجلات العربية ١٩٠٦ - المقتطف ١٩١٩ - الأهرام من (١٩٣٠ - ١٩٤٦) - الهلال ١٩٢٩ - ١٩٤١) - كل شىء (١٩٣٠ - ١٩٣٥) المعرفة (١٩٣١ - ١٩٣٢) - الأخبار . (أغسطس ١٩٢٤ - الرابطة العربية (أكتوبر ٣٦ ويوليو ٣٨) . البلاغ (أغسطس ، سبتمبر ١٩٣١) الرسالة ١٩٤٥ - البريد الإسلامى (١٩٤١ - ١٩٥١) .
 ٤- مجلة نور الإسلام (الأزهر فيما بعد) من ١١ سبتمبر ١٩٣٣ إلى فبراير ١٩٥٢ م .
 وقد جمع د . محمد رجب البيومى كثير من هذه المقالات فى كتب منها - المناقشات والردود - السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة - سيرة الرسول - من معالم الإسلام طبعة الدار المصرية اللبنانية .

خطة البحث

لقد أثرت أن يحتوى البحث على أنواع شتى من مؤلفات فريد وجدى لبيان تنوع أساليبه فى الكتابة واتساع ثقافته مع تعدد مصادرها وتسخيرها لكل ملكاته الذهنية والعقلية إلى خدمة هدف واحد لا يحيد عنه ؛ هو خدمة الإسلام من خلال الربط بين الدين والعلم كوحدة واحدة لا انفصال بينها .
وسأعرض لخطة البحث موضحة المنهج الذى نهجته فى كل مبحث على حدة .

المقدمة

تضمنت خطة البحث وأهم الصعوبات التى واجهتني مع التعريف ببعض ملامح شخصية فريد وجدى

الفصل الأول : منهجه فى تفسير القرآن الكريم

بدأ عرضه بإشارة إلى بداية التأليف والنشر ، ثم توضيح منهجه فى التفسير من خلال مقدمته مع نبذة عن أدوات ووسائل المفسر للقرآن من خلال آراء العلماء وتطبيق هذا على بعض النماذج من تفسير وجدى مع الالتزام بالشكل الذى اختاره " وجدى " وهو ذكر الآية ثم تفسير الألفاظ أو المعانى .
ثم تلى هذا الإشارة إلى بعض الخصائص التى احتوى عليها تفسيره وهى المقاصد الشرعية والإعجاز العلمى والمرأة فى الإسلام والتكرار مع بعض النماذج الموضحة .
وأخيراً آراء بعض العلماء فى تفسير وجدى وتصنيفهم له بالإجمالى مرة وبالهدائى مرة أخرى ثم النتيجة التى توصلت إليها .

الفصل الثانى : مباحث قرآنية

يتضمن أربعة مباحث تتعلق بالقرآن من عدة أوجه

المبحث الأول : معجزة الإسراء والمعراج

وقد تم عرض المبحث من خلال آراء بعض العلماء فى هذه المعجزة ومناقشتهم لكيفيتها وعرض رأى محمد فريد وجدى ومناقشة هذا رأى من خلال آراء العلماء مع الإشارة إلى صحة أحاديث الإسراء والمعراج والحكمة المستنبطة من هذه المعجزة ويختتم المبحث بعرض لبعض الآراء التى تتحد فى المقدمات وتختلف فى النتائج تبعاً لمقاصد العلماء .

المبحث الثانى : قضية الإعجاز القرآنى .

عرض لهذه القضية من خلال آراء بعض العلماء الأقدمين والمحدثين الذين استشهد بهم فريد وجدى ، ثم مناقشة رأيه القائل بروحانية القرآن مع اعترافه بالإعجاز البلاغى وإن كان ثانوياً ، وذلك من خلال مناقشة د . عبد الكريم الخطيب ود . محمد رجب البيومى لآرائه .

ولمزيد من توضيح رأى فريد وجدى الخاص بالإعجاز الروحى ، النفسى تم عرض لآراء بعض العلماء الذين انتهجوا نهجه فى الإعجاز .

المبحث الثالث : الوحدة الموضوعية

تم مناقشة قضية الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم من خلال رأى فريد وجدى ومناقشة محمد محمود حجازى وعبد المتعال الصعيدى ومحمد رجب البيومى لهذا الرأى . وانتهى المبحث بعرض نموذج من المقالات التفسيرية .

المبحث الرابع : ترجمة معانى القرآن

بدأ المبحث بالإشارة إلى بداية ظهور الدعوة إلى الترجمة فى مصر منذ العشرينيات ثم تصاعدها فى الثلاثينيات مع الإشارة إلى الشكل السياسى الذى اتخذته منذ دعوة تركيا إلى الترجمة ، ثم عرض مشروع الترجمة سنة ١٩٣٦ م وآراء المؤيدين واعتراض الرافضين مع توضيح دور فريد وجدى فى هذه القضية ومشاركته الشيخ محمد مصطفى المراغى وأخيراً نماذج من مظاهر نجاح الدعوة إلى الترجمة .

الفصل الثالث : السيرة الحمديد تحت ضوء العلم والفلسفة

ينقسم إلى مبحثين : -

المبحث الأول : السيرة الحمديد

بدأ المبحث بنبذة عن السيرة ونشأتها مع الإشارة لصفات كاتب السيرة ثم عرض لبعض المواقف التى عنى فريد وجدى بتحليلها وبيان أوجه الإعجاز فيها واعتماده فى تحليله على علم النفس والاجتماع والفلسفة .

المبحث الثانى : رد على شبهات المستشرقين حول محمد صلى الله عليه وسلم

تم عرض لبعض الشبهات التى أثارها المستشرقون ضد الإسلام وخاتم المرسلين ، فتم عرض موجز لكل شبهة يليها دفاع فريد وجدى .

الفصل الرابع : بين الدين والأدب والاجتماع

المبحث الأول : المرأة المسلمة.

بدأ المبحث بعرض لقضية الجباب ثم التعليم ثم العمل ثم الاشتراك السياسى للمرأة وذلك من خلال آراء فريد وجدى ومناقشته لقاسم أمين متضمنة أيضاً آراء لبعض العلماء فى القضايا السابقة .

المبحث الثانى : الأدب الجاهلى

يبدأ بتمهيد عن العصر الجاهلى ومفهومه ثم تقسيمه إلى قسمين :-

القسم الأول : الشعر الجاهلى

تم فيه عرض فقرات من كتاب الشعر الجاهلى لطفه حسين ثم تعقيب فريد وجدى عليها كما تم الاستشهاد ببعض الآراء التى تناولت كتاب طه حسين بالنقد والتحليل .

القسم الثانى : النثر الفنى

بدأ بتعريف النثر ثم عرض لقضية النثر الفنى ووجوده فى العصر الجاهلى ونظرية زكى مبارك بأن القرآن يعد نموذجاً للنثر الجاهلى . وتم عرض لمناقشة لطفى جمعة وزكى مبارك ثم المناقشة الطويلة بين زكى مبارك وفريد وجدى ثم تعقيب محمد عبد المطلب على المناقشات السابقة .

أهم الصعوبات والمشكلات

اعترضتني بعض المشكلات والصعاب التى واجهت بحثي من أهمها :-

- ١- عدم وجود مصادر كافية تكلمت عن الشخصية أو ثقافتها .
- ٢- عدم إعادة طبع معظم مؤلفاته مما أدى إلى صعوبة التصوير من النسخ الأصلية لقدمها .
- ٣- تناثر مقالاته فى الجرائد والمجلات التى اندثرت واستهلك أعداد منها حتى فى دار الكتب .
- ٤- كثرة كتابته فى الموضوع الواحد فى مصادر مختلفة مما يزيد من تشتت خاصة وجميع المصادر تكمل بعضها وقد أجد صعوبة فى الحصول على إحداها فيصبح الرأى مبتوراً لا يصح الاعتماد عليه ، مما جعلنى ألغى بعض المباحث أو القضايا لعدم اكتمال المصادر .

أهم المراجع والمصادر

هناك بعض المؤلفات التى لازمتنى فى بحثي حيث لا غنى لى عنها ، منها :-

- ١- المقالات التى جمعها د . محمد رجب البيومى فى أربعة كتب هم :-

أ- مناقشات وردود

ب - من معالم الإسلام

ج- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة .

د- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فكانت هذه الكتب قنديلاً بدد ظلمات الاستفهام حول هذه الشخصية فكملت الكثير مما ينقصنى وأضافته إلى القليل الذى حصلت عليه ثروة أغنت بحثي

- ٢- " محمد فريد وجدى " حياته وآثاره " لـ محمد طه الحاجرى . تابع فيه حياة فريد

وجدى ومؤلفاته بالتحليل .

٣- " محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين " لـ أنور الجندى ، كان مرجعاً هاماً لكل مرحلة من مراحل فريد وجدى الثقافية والعلمية ، فرافقنى فى بحثى دليلاً ومرشداً .

وأخيراً أوجه الشكر إلى أستاذى مصطفى الصاوى الجوينى .. أشهد الله أن بفضلہ اجتزت محن كثيرة ، مررت بها معه وهو أعلم بها ، فكانت العاصفة الهوجاء معه نسيماً لطيفاً والنار المتأججة برداً وسلاماً .. فشكراً له .. شكر مهما عظم لا يوفيه حقه وثناءاً مهما كثر لن يبلغ المبلغ الذى يستحقه . كان علمه كالبحر الزاخر ؛ أغرف منه ما وسعتنى الحيلة ، فما نصب وما ارتويت .

الفصل الأول

منهجه في تفسير القرآن الكريم

عنى محمد فريد وجدي عناية فائقة بتفسير القرآن الكريم. وقد ظهر هذا الاهتمام في صور شتى منها :-

١- وضع تفسيراً مستقلاً يحمل عنوان "المصحف المفسر" وقد كان مسمى "بصفوة العرفان في تفسير القرآن".

٢- المقالات التفسيرية التى ألحقها بمقدمة تفسيره.

٣- الآيات المتفرقة التى أوردها فى كتبه وأبحاثه ، فاهتم بتفسيرها لاستناده عليها فى مناقشة قضايا الإسلام المختلفة.

وننوقف عند مؤلفه المصحف المفسر ؛ لنتعرف على سبب التأليف والهدف منه، ثم نلتقي مع بعض النماذج التى توضح لنا منهجه فى التأليف ، وإلى أى مدى التزم "فريد وجدى" بما وضعه لنفسه فى خطة بحثه ، وصلة هذا بمدرسة محمد عبده الذى يعد محمد فريد وجدى تلميذاً أصيلاً لهذه المدرسة، فهل التزم بكل خطوط هذا المنهج ، أم تميز بشخصية منفردة لا تخفى بين طياتها ملامح هذه المدرسة. ؟

● بداية التأليف والنشر :-

لا يوجد لدينا تاريخ متفق عليه لبدء طبع المصحف المفسر والمقدمة الملحقه به. وسندع الأستاذ طه الحاجرى^(١) يوضح لنا هذا الأمر :- يقول "فى شهر شوال ١٣٢١هـ ، أو فيما بين أواخر ديسمبر (١٩٠٣) وأوائل يناير ١٩٠٤ ، بدأت تظهر كراسة جديدة تحمل اسم صفوة العرفان فى تفسير القرآن ، وأخذت تظهر شهرياً وهذا الكتاب كان يتألف ، بعد تمام ظهوره ، من مقدمة طويلة تقع فى ١٨٠ صفحة كبيرة ، وقد طبعت على حدة ، ومن التفسير الموضوع على هامش المصحف،والذى أخذ أخيراً حين أعيد طبعه ، اسم "المصحف المفسر" وقد تم ظهور المقدمة أولاً وإن كنا لا ندرى متى كان ذلك ، فالتاريخ المثبت فى صدرها هو تاريخ البدء فى طبعها.إلا أننا نجد المؤلف يورد فى صفحة ١٤٠ منها فصلاً من رسالته التى وضعها بالفرنسية لمؤتمر الأديان الذى قيل إنه انعقد باليابان سنة ١٩٠٦ كما يقول فنعلم من ذلك أن إيراد هذا الفصل فى هذه المقدمة ؛ إنما كان بعد هذا العام ، وأن طبع هذه المقدمة قد استغرق أكثر من ثلاثة أعوام ثم نجد فى أواخر سنة ١٩٠٧ إعلاناً عن التفسير ، مضمناً الإعلان عن المقدمة ، فذلك فيما نرجح هو تاريخ الانتهاء من هذا الكتاب."

(١) محمد طه الحاجرى - محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص ٨٨ : ٩٤ (رأيه فى تاريخ الطبع)، جامعة الدول العربية معهد

البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م.

● منهج محمد فريد وجدى فى التفسير

وضح فريد وجدى فى المقدمة منهجه فى التفسير استهلها بالكلام عن الأمة العربية فى الجاهلية ليخلص من ذلك إلى بيان ما أتيج لها من نهضة بسبب القرآن موضعاً أهميته يقول: (١)
" القرآن الكريم كتاب إلهى ، ووحى سماوى ، نزل به الروح الأمين ، على قلب خاتم النبيين ، ليحيى به قلوباً أماتتها الشهوات ، وينقذ من الحيرة عقولاً سممتها الشكوك والشبهات ، ويحل من الأغلال أفكاراً قيدتها الخرافات ، وسجناتها التخرصات ، ويسترد للنفوس حقوقاً اغتصبها القادات وسلبها السادات ويقوم به دولة الكمالات ويسلك بالأرواح به مسالك الإيمان ، المستند على بدائه الحس والعيان، هذه بعض وظيفة القرآن الشريف التى أداها لبنى الإنسان، كما شهد به أعداء القرآن بل وأعداء الأديان . فأين نحن من فهم هذه الأسرار ، والإشراف على ما أودعت آياته من الأنواء ، وما ضمنت من الحقائق الكبار ، والمعارف الغزار"

ويوضح فريد وجدى أسباب ذلك (٢) :- "أننا لا نفهم مراميه العالية ، ومغازيه السامية ومن جراء العجمة التى طرأت على لغتنا لاختلاطتنا بالأمم جيلاً بعد جيل. وقبلاً بعد قبيل وأضف إليه تساهل بعض العلماء فى مسألة قراءته بغير تدبر... ولو فرضنا القارئ فقيهاً فى اللغة وأدرك معانى الكلمات كلها؛ فلا يستطيع أن يفهم القرآن على حقيقته أصلاً إلا بإلمامه بأسباب نزول الآيات الكريمة..." -
والنتيجة التى يصل إليها وجدى هى :-

"هذه الحاجة الشديدة من الأمة بعثت فينا روح الإقدام لوضع تفسير للقرآن الكريم"
هذه بعض الأسباب التى دفعت فريد وجدى إلى وضع تفسير للقرآن. والسؤال الجدير بالذكر فى هذا المقام : كيف بدأ هذا الشعور بالحاجة يلح عليه ؟ ومتى كان ذلك؟
يقول (٣)

"فبانى حوالى سنة ١٣٢٣هـ حاولت أن أقرأ القرآن قراءة تدبر وفهم كما أمر به موحيه سبحانه وتعالى ، فأعوزنى أن أجد من التفاسير ما يبلغنى أمنيته من أقرب الطرق وأسهلها ، فإن المطولات لا يتسع لتلاوتها وقت أمثالى من المشتغلين بفروع كثيرة من العلم، والمختصرات قصد بها حلول المسائل الفنية من التفسير . وكان مرادى تفسيراً يعطى للألفاظ العربية حقها من البيان ويعرض للمعنى عبارة خالية من المسائل الفنية مع بيان أسباب نزول الآيات ليجلي للقارئ المعنى بكل جلاله. فأخذت أضع تفسيراً لنفسى، وشرعت

(١) محمد فريد وجدى : المقدمة المصحف المفسر ، ص ٦ ، ط دار الشعب بالقاهرة ، ١٩٧٧م

(٢) المصدر السابق : ص ٦

(٣) المصدر السابق : المقدمة

اكتسبه علي هامش مصحف؛ لأتخذة عمدة في تلاوتي للكلام الكريم . وقبل أن أتمه أدركت أن هذا العمل طلبه كل تالٍ للقرآن العظيم . فرأيت أن أتم ذلك التفسير وأطبعه ليعم انتشاره ، ففعلت ، وهو هذا الكتاب الذي أقدمه للقراء راجياً أن أكون بهذا العمل سبباً في نشر معنى كتاب الله بين ناس لم يكونوا ليبلغوه في حياتهم ؟ إما لأن أعمالهم لا تمكنهم من الإطلاع علي التفاسير ؟ وإما لأن مادتهم العلمية لا تسمح لهم بإدراك أغراض المؤلفين السابقين " ويوضح فريد وجدى الطريقة التي أخرج بها تفسيره ^(١) ثم إنى رأيت تنميماً للفائدة أن أجعله على شكل المصاحف العادية ، فجعلت تفسير كل صفحة في هامشها ، ليسهل الرجوع إلى معنى أى لفظ أو أية آية في حال التلاوة "

و يوضح فريد وجدى هدفه من هذا التفسير قائلاً "إنى لأرجو من وراء هذا أن يعم انتشاره " فيشيع بهذه الوسيلة العلم بمعاني الكتاب العزيز ، وتتحرك في النفوس عوامل الرغبة في العمل بها لاسترداد مجد هذه الأمة المضاع ، بمثلنا وسط الأمم الراقية : نعمل كما تعمل لرفع منار الإنسانية ، وتشبيد صروح العمران والمدنية "

ويبين فريد وجدى المصادر التي استعان بها في تفسيره يقول ^(٢) "هنا يجب على أن أنبه إلى أنى استخلصت هذا التفسير من الآراء المجمع عليها لدى أئمة المفسرين و أقطاب أهل السنة ، فلم أخرج به عن سنتهم قيد شعرة ليوافق مذهباً من المذاهب ، أو يؤيد رأياً من الآراء الفردية ، ولو اضطررتي الكلام في بعض الآيات على أن أورد رأياً لى أو لأحد من غير أهل السنة ، نبهت إليه وعزوته لقاتله حتى يكون القارئ على بينة من أمره " و يشير فريد وجدى إلى المنهج الذى اتبعه في تفسيره يقول ^(٣) "وقد راعيت في تفسيري هذا:-

١- أن أعنى باللغة عناية لم يعن بها مفسر من السابقين ، فإنهم فيما يظهر لغزارة مادتهم اللغوية لم يلموا من لغة القرآن إلا بالغريب الذى يعطو عن متناول كثير من الخاصة ولكنى رأيت أن الكتاب الكريم قد جمع أوجه كلمات اللغة العربية ، وعقائل مفرداتها . ونحن أحوج ما نكون إلى التقوى فيها لنحفظ وجودها من عبث العجمة بها . فشرحنا المفردات شرحاً وافياً و دللنا على أصولها و أتينا بمشتقاتها . و التزمنا أن نشرح اللفظ حيث وجدناه ، ولو صادفناه في كل صفحة من صفحات المصحف . وهذا أيضاً لم يعمل مفسر من المتقدمين . فإنه متى أتى على شرح اللفظ في سورة من السور ، ثم صادفه في سورة أخرى أهمله من الشرح اعتماداً على سبق الكلام فيه ."

^(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : المقدمة .

^(٢) المصدر السابق

^(٣) المصدر السابق

٢- "الإشارة عقب الآيات إلى أسباب نزولها و الحادثة التي تقدمتها ،وبما أن نزول القرآن عقب الحوادث كان القصد منه تثبيت النبي عليه الصلاة و السلام و المؤمنين، وهذا لا يتم إلا بالدعوة إلى سبيل النظام الإجتماعى و الكمال العمرانى .أو إلى أصول مكارم الأخلاق و تهذيب النفس".

٣- "فستشير إن شاء الله عقب الحوادث الاجتماعية الكبرى وقوانين التهذيب الكلية إلى ما يقابلها من العلوم العمرانية الحديثة و علم النفس الجديد ليتجلى لقارئ القرآن إعجازه العلمى و اشتماله على أصول العلوم العالية و سبقه العالم أجمع إلى تقرير الحقائق العمرانية و الفلسفية الكبرى "

٤- "الإشارة إلى الآيات الناسخة و الآيات المنسوخة و بيان أسباب ذلك و حكاية الواقعة التي استلزمت النسخ ، وذلك عقب تفسيرها في محلها."

أما مقدمة التفسير المستقلة فتشتمل على^(١) "مقدمة فيها تاريخ القرآن الكريم و كيفية نزو له و تعدد قراءاته و كيفية حفظه وترتيبه و استنساخه و استلغات القارئ لمعجزاته العلمية الكبرى التي تشهد له بالصراحة التامة بأنه كلام الله المنزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم وإقامة الأدلة العلمية على حفظه من التبديل و التحريف ، و نقل شهادات كبار رجال العلم الأجانب على ذلك و شهادة بعض أكابر الفلاسفة الأوربيين الذين يعتقدون أنه كتاب سماوى ، و سبب عقيدتهم هذه مع أنهم لا يعرفون العربية و لا يدركون إعجازه من جهة البلاغة ، ويسبق ذلك فذلكة فى فلسفة الأديان و ما آل الناس إليه فى هذا العصر من جهة التدين وإلى أى غاية هم مسوقون."

وقبل أن نرى معاً مدى التزام فريد و جدى بمنهجه سنظل إطلالة سريعة على الوسائل التي يستعين بها أى مفسر للقرآن الكريم حيث إنها تعد لدى بعض العلماء من الضروريات التي يجب أن يلم بها كل مفسر .يقول د.أحمد جمال العمرى^(٢) "إن العملية التفسيرية^(٣) التوضيحية لا بد أن تشمل أموراً ضرورية فى مقدمتها:

(١) محمد فريد و جدى : مقدمة المصحف المفسر: ص ٧ .

(٢) د. أحمد جمال العمرى :دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرآن : ص ٢٦، ٢٧، ٢٨ ط (١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ). الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(٣) نبذة مختصرة عن التفسير .

"التفسير هو كشف المعنى وإبائه و الفعل فسر يطلق على الشروح التي تكتب على المؤلفات العلمية و الفلسفية و هو يرادف الشرح. يطلق على الشروح اليونانية والعربية ."

"وفى الإسلام تدل كلمة تفسير على تفسير القرآن بصفة خاصة وعلى علم التفسير نفسه الذى يعرف باسم علم القرآن والتفسير " و علم التفسير قديم قد يرجع تاريخه إلى صدر الإسلام و يروى أن ابن عباس المتوفى عام ٦٨هـ كان حجة فى التفسير و نسبوا إليه تفسيراً محفوظاً بالمكتبة الحميدية باستنبول " =

١- العمل على ربط معانى القرآن بما ورد فى السنة المطهرة الصحيحة من بيانه. وفى ذلك استعانة بالمبين للقرآن، وهو الحديث

٢- "مراعاة القراءات إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض "

٣- "إبراز الجوانب الجمالية .. البيانية و البلاغية للقرآن. وهذه من الأمور الممتعة ، التى تربط قارئ القرآن بمعانى القرآن ، وبالقيم الجمالية فيه."

٤- "معرفة أسباب النزول .. إذ إن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية"

٥- "معرفة علم القصص .. لأن معرفة القصة القرآنية تفصيلاً ؛ يعين على توضيح ما أجمل منها فى القرآن "

٦- "معرفة الناسخ والمنسوخ.. وبه يعلم المحكم من غيره ، ومن فقد هذه الناحية ربما أفتى بحكم منسوخ ، فيقع فى الضلال و الإضلال "

٧- "علم الموهبة :و الموهبة علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الإشارة فى القرآن بقوله تعالى^(١) **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ**

٨- " فإن القرآن الكريم قد اشتمل على أخبار الأمم الماضية ، وسيرهم وحوادثهم ؛ وهى أمور تقتضى الإلمام بعلمى التاريخ ، وتقويم البلدان"

وقد قدم الشيخ رشيد رضا - لتفسيره بمقدمة .. استقاه من دروس أستاذه الشيخ محمد عبده وهذا بعض منها ... يقول^(٢)

"للتفسير مراتب ، أدناها : أن يتبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتزييهه ويصرف النفس عن الشر.. أما المرتبة العليا : فهى لا تتم إلا بأمر أحدها - فهم حقائق الألفاظ المفردة ، التى أودعها القرآن يقصد اللغة واستعمالها فى عصر الرسول لا فى عصرنا الحالى".

"ثانياً : علم الإعراب - وعلم الأساليب (المعانى والبيان)"

ثالثاً : علم أحوال البشر - "يحتاج هذا إلى فنون كثيرة من أهمها التاريخ بأنواعه"

رابعاً : العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن (معرفة أحوال العرب زمن الرسول)

خامساً : العلم بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ..."

هل التزم محمد فريد وجدى بهذه الضروريات من وسائل؟

= "وواضع التفسير ، بمعنى جامع لا مدونه الإمام مالك بن أنس الأصبحى إمام دار الهجرة و هكلدا تتصل نشأة التفسير بتاريخ تدوين الأحاديث ."

من دائرة المعارف الإسلامية: مادة تفسير :ج ٩ ، تعليق أمين الخولى ، ص ٤٠٩ : ٤١٢ ط دار الشعب .

(١) سورة البقرة : من آية ٢٨٢

(٢) - د. أحمد جمال العمري : دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرآن : ص ٢٩

إن الإجابة على هذا التساؤل تلزم عرضاً لبعض النماذج المتنوعة من تفسيره. أما عن طريقة عرض هذه الأمثلة سألتزم طريقة فريد وجدى فى عرض تفسيره أى نأتى بالآية أولاً ثم نحدد الجزء المفسر ونقسمه إلى تفسير بالألفاظ أو بالمعانى.

والمسائل التى سنعرض لها هى بالترتيب :- ١- القرآن ٢- الحديث الشريف

٣- أسباب النزول ٤- القراءات ٥- النسخ والمنسوخ ٦- التأويل

٧- الفقه ٨- البلاغة ٩- اللغة ١٠- اللغة والاصطلاح الدينى

وتفسير فريد وجدى جمع بين منهجى التفسير بالمنقول والتفسير بالمعقول.^(١)

أولاً : القرآن

- قوله تعالى^(٢) **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**
"تفسير الألفاظ : "لا مبدل لكلماته" ، أى لا محرف لها . وهذا وعد آخر بأن القرآن لا يستطيع أن يحرفه أحد إلى جانب قوله تعالى " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ^(٣)

استدل وجدى بهذه الآية لتأكيد إعجاز القرآن وخلوده إلى يوم القيامة دون تحريف

- وقوله تعالى^(٤) **أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**
"تفسير الألفاظ : (وثقالاً) أى ركبانا أو مرضى . ويؤيده ما روى أن ابن مكتوم ، وكان كفيف البصر ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أعلى أن أنفر؟ قال: نعم. فنزل قوله تعالى "

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ"^(٥) وهذه الرواية يتدخل

فيها القرآن مع الحديث مع أسباب النزول وأتى بها ليرجح أحد المعنيين

^(١) التفسير المأثور : "يشمل التفسير المأثور ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته . وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص القرآن الكريم."

من محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون : ج ١ ، ص ١٥١ ، ط ١٣٨١هـ ، ١٩٦١م - دار الكتب الحديثة.
"وقيمة التفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المصدر الثانى للتفسير ؛ فهو المشروع من قبل ربه وهو الوسيلة التبليغية والمنهج السلوكى .."

من د. أحمد زغلول صادق : المنهج الجديد فى مناهج المفسرين : ج ١ ص ٨٠ ، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
"التفسير بالرأى : هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول ومعرفته لألفاظ العربية ووجوه دلالتها واستعانتها فى ذلك بالشعر الجاهلى ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالنسخ والمنسوخ من آيات القرآن ، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسر."

محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون : ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٢) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة الأنعام ، آية ١١٥ ، ج ٧ ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٣) سورة الحجر : آية ٩ .

(٤) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة التوبة ، من آية ٤١ ، ج ١٠ ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٥) سورة: الفتح : من آية ١٧ .

- قوله تعالى (١) "وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَهُ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾"

"تفسير الألفاظ : "أى أوحينا إليه أن هؤلاء سيستأصلون وهم داخلون فى الصبح. القضاء فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا ، وكل واحد منها على وجهين إلهى وبشرى ، فمن القول الإلهى قوله : " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ " (٢) ومنه الآية التى نحن بصدددها" وضح وجدى أحد استخدامات لفظ قضى.

- قوله تعالى (٣) "وَإِذَا نُنَادِي عَلَىٰ هِمَّةٍ آيَتُنَا بِبَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا"

"تفسير الألفاظ : (نديا) أى مجلسا ومجمعا ، ومثل ندئ النداء والمنتدى ، وأطلق ذلك على المجلس"

أيضاً قال تعالى " فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ " (٤) ، أى جلسه"

- قوله تعالى (٥) "وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ"

"تفسير المعانى : .. يدعو إلى أبعد غايات الكمالات النفسية وأرفعها ، بالدعوة إلى مقابلة السيئة بالحسنة ، فإن هذه منزلة الكلمة العارفين التى قال فيها : " وَمَا يُلْقَاهَا " (٦)

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا أَلْذُوحَظٌ عَظِيمٌ

- قوله تعالى (٧) " وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿١﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٢﴾ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٣﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٤﴾"

تفسير المعانى : إنا أنزلنا هذا القرآن فى ليلة القدر من شهر رمضان ، وما أدراك ما ليلة القدر؟ ليلة القدر أفضل من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها إلى سماء الدنيا أو إلى الأرض حافين حول الخلق بإذن ربهم من أجل كل أمر قدر فى تلك السنة سلام هى ، أى لا يقدر الله فيها إلا السلامة ، حتى مطلع الفجر."

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة الحجر : آية ٦٦ ، ح ٤ ، ص ٣٤٢

(٢) سورة الإسراء : آية ٢٣

(٣) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة مريم ، آية ٧٣ ، ح ١٦ ، ص ٤٠٣.

(٤) سورة : العلق : آية ١٧

(٥) المصدر السابق : سورة الرعد : آية ٢٢ ، ح ١٣ ، ص ٣٢٥.

(٦) سورة فصلت : آية ٣٥

(٧) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة القدر ، ح ٣٠ ، ص ٨١٥

"ليلة القدر في أوتار العشر الأواخر من رمضان ، ولعلها السابعة منها ، وسميت بذلك لشرفها"

"أو لتقدير الأمور فيها ... كقوله تعالى (١) " فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ : وإنزال القرآن فيها أى ابتداء إنزاله فيها."

ثانياً: الحديث

- قوله تعالى (٢) " وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ "

"تفسير الألفاظ : (تحشرون) الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها".

"وفى الحديث : النساء لا يحشرن أى لا يخرجن إلى الغزو"

- قوله تعالى (٣) " أَلَتَّابُونَ الْعَيْدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّابِقُونَ الرَّكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ "

" تفسير الألفاظ : (السائحون) أى الصائمون لقول رسول

الله: سياحة أمتي الصوم. وقيل هم المسافرون للجهاد أو لطلب العلم."

- قوله تعالى (٤) " وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "

"تفسير الألفاظ : (جنات عدن) عن النبي صلى الله عليه وسلم : عدن دار الله التى لم

ترها عين قط ولم تخطر على قلب بشر ، لا يسكنها غير النبيين والصدّيقين والشهداء"

- قوله تعالى (٥) " تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ "

"تفسير المعانى : ولكن أيها المؤمنون هذه أمة قد مضت لسبيلها بما كسبت من خير

وشر ولكم ما تكسبونه منهما ، لا تسألون عما كانوا يعملون. والمعنى أن انتسابكم لا

يجديكم نفعاً ولا ينجيكم من عذاب الله إن أسأتم. لستم بمسئولين عنهم ؛ فأعملوا لأنفسكم

ولا تمنوها الأماني الكاذبة . فإن الله لا يحابي أحداً من العالمين."

"وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم، يعنى يوم القيامة"

(١) سورة الدخان : آية ٤

(٢) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة آل عمران ، من آية ١٥٨ ، حـ ٤٤ ، ص ٨٩ .

(٣) المصدر السابق : سورة التوبة : من آية ١١٢ ، حـ ١١ ، ص ٢٦١ .

(٤) المصدر السابق : سورة التوبة : آية ٧٢ ، حـ ١٠ ، ص ٢٥٢ .

(٥) المصدر السابق : سورة البقرة ، آية ١٣٤ ، حـ ١ ، ص ٢٦ .

- قوله تعالى (١) " فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوا هُورَهُمْ وَأَحْصُوا هُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "

"تفسير المعاني : لما نزلت هذه الآيات أرسل النبي ليعلمها يوم الحج الأكبر بمكة ، فكان مما قاله : أمرت بأربع ، أن لا يقرب البيت بعد هذا اليوم مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده"

ثالثاً : أسباب النزول

- قوله تعالى (٢) " ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "

"تفسير الألفاظ : أى ثم أنزلوا من عرفة حيث ينزل الناس لا من المزدلفة لتترفعوا عن الخلق والخطاب لقريش فقد كانت تترفع عن الناس فنزلت هذه الآية لردعها عن ذلك."

- وقوله تعالى (٣) " وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "

"تفسير المعاني : قوله " ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم " نزلت في أبى بكر لما حلف أن لا ينفق على مسطح لافترائه الكذب على عائشة."

"وقيل بل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يكلم ختته ولا يصلح بينه وبين أخته."

وهنا لم يحدد أى الروايتين أصح .

- وقوله تعالى (٤) " وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَبَإِينَ أَيْدِينَا وَمَا خَلَفْنَا وَمَابَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا "

" تفسير الألفاظ : "وما ننزل إلا بأمر ربك" هذه حكاية قول جبريل لما استبطأ رسول

الله . - ثم وضع باقى القصة فى تفسير المعاني - "هذه الآية نزلت حين استبطأ رسول الله

جبريل لما سئل عن قصة أهل الكهف وخشى أن يكون انقطع عنه الوحي"

- وقوله تعالى (٥) " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِنَ السَّمَاءِ تَمِيزُ الْغُفَاةَ مِنَ الْغُلَامِ وَلِتُزِيلَ عَنْكُمْ قُلُوبَهُمْ وَمَا تَنْصُرُوا مِنَ الْأَمْرِ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة التوبة : آية ٥ ، حـ ١٠ ص ٢٤٠

(٢) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٩٩ ، حـ ٢ ص ٣٩

(٣) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة البقرة ، آية ٢٢٤ ، حـ ٢ ص ٤٥

(٤) المصدر السابق : سورة مريم : آية ٦٤ ، حـ ١٦ ص ٤٠٢ .

(٥) المصدر السابق : سورة الأنفال : آية ١٤:٩ ، حـ ٩ ص ٢٢٧ ، ٢٢٨

"تفسير المعاني : شرح تمهيدى - كان بلغ رسول الله أن إبلا عليها تجارة لقريش ومعها قافلة من الشام قافلة لمكة ومعها أربعون رجلاً ؛ فندب أصحابه لغنمها ، فخرج معه ثلاثمائة رجل وبضعة عشر رجلاً فلما كانوا ببعض الطريق . بلغهم أن القافلة أفلتت منهم . وفى هذه الأثناء بلغ قريشاً أن رسول الله قد تصدى لأبلهم ؛ فندب أبو سفيان لقتاله فلباه نحو سبعمائة ، فقصدهم المدينة وأدرك النبي قبل قفوله إلى المدينة . وكان الله قد وعد رسوله إحدى الطائفتين . إما جيش قريش وإما الأبل . فلما أفلتت تعين أن تكون الطائفة الموعود بها هي جيش قريش فطلب إلى أصحابه مقاتلته ، فقال بعضهم إننا خرجنا لغنم الإبل لا للحرب فلم نستعد لها فغضب النبي . ثم خضعوا لأمره ، وحدثت الواقعة المسماة بوقعة بدر ، التى قتل فيها من زعماء المشركين أربعون وأسر أربعون . وقد أمدهم الله فيها بألف من الملائكة ."

- قوله تعالى (١) "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا"

"تفسير المعاني : نزلت هذه الآية تبشيراً لهم . وقد كانوا بعد هجرتهم إلى المدينة يبيتون ويصبحون فى أسلحتهم خوفاً من مباغطة المشركين لهم". وهو لا يكتفى بتوضيح سبب النزول ، بل يوضح أثرها على الإسلام يقول "فكانت هذه الآية من أكبر أعلام النبوة إذا أنبأت عن غيب ما كان يتوقعه أحد"

- قوله تعالى (٢) "الْمَدَّ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّن بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَ إِذْ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ۝ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝"

"تفسير المعاني : نزلت هذه الآيات حين غزا الفرس الرومان فغلبوهم ، ففرح بذلك مشركو العرب ، إذ قالوا إن الفرس لا كتاب لهم مثلنا ، والرومان أهل كتاب مثلكم ، لأنهم كانوا نصارى ، ولننتصرون عليكم كما انتصر الفرس فحلف أبو بكر بعد ما جاء الوحي بهذه الآية أن الرومان سيعودون فينتصرون . فقالوا له اجعل لنا موعداً ففقد لذلك ثلاث سنين فقال له النبي : زد فى الرهان ومد الأجل ، فإن بضع تعنى من ثلاث إلى تسع ، ففعل وانتصر الرومان فى السنة التاسعة"

- قوله تعالى (٣) " عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُرَىٰ ۝ ۝ يَذْكُرْ فَتَنَّهُمُ الذِّكْرَىٰ ۝"

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة النور ، من آية ٥٥ ، حـ ١٨ ، ص ٤٦٧ .

(٢) المصدر السابق : سورة الروم : آية ١-٥ ، حـ ٢١ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

(٣) المصدر السابق : سورة عبس ، آية ١ : ٤ ، حـ ٣٠ ، ص ٧٩١ .

" تفسير المعاني : تمهيد : كان الصاحبى ابن أم مكتوم كفيف البصر فجاء إلى النبى يوماً وهو مشغول بكبراء قريش ، يدعوهم للإسلام ، فقطع عليه كلامه وهو يقول: علمنى مما علمك الله. كرر ذلك ولم يعظم تشاغله بالقوم ، فكره رسول الله منه ذلك ، فنزلت هذه الآية تنكر على رسول الله عبوسه وإعراضه قائلاً له : ما يدريك ، لعله يريد أن يتعظ فتتفعه موعظتك؟"

ب- القصص

هى إخبار للأمم الماضية وقد وضعتها تحت أسباب النزول فيها سبب لذكرها فى القرآن وإن كان للعبرة والعظة من الماضى.

- قوله تعالى^(١) " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَذِّبُنَا هُزُوا قَالَ أَتَوَدُّونَ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ

"تفسير المعاني : كان السبب فى أمرهم أن يذبحوا بقرة أن رجلاً منهم قتل رجلاً وبادر بالشكوى لموسى ، فبحث موسى عن القاتل فلم يهتد إليه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة وأن يضربوا القتيل بعضو منها ، فلما فطوه أحياء الله وأخبرهم عن قاتله ، فإذا به ذلك الرجل الذى بادر بالشكوى"

- قوله تعالى^(٢) " ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥١﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ

"تفسير المعاني : قيل إنهم لما طلبوا أن يروا الله جهرة - وكانوا سبعين رجلاً من بنى إسرائيل نزلت عليهم صاعقة فأحرقتهم ثم أحياهم بعد موتهم. ويذكرهم الله بما تفضل عليهم من المن والسمانى ليقبهم الهلاك فى تلك البقعة المجدبة ؛ فكفروا بكل هذه النعم فقطعت عنهم جميعا ، ويذكرهم بما فعله آبائهم حين أمرهم بدخول بيت المقدس أو مدينة أريحا ، بعد خروجهم من النية وهم ساجدون يسألون الله أن يحط عنهم ذنوبهم ويغفر لهم عنادهم واعدأ إياهم بالمكافأة وحسن الجزاء"

- قوله تعالى^(٣) " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

(١) محمد فريد : المصحف المفسر : سورة البقرة : آية ٦٧ وما يليها ، ج ١ ، ص ١٣، ١٤.

(٢) محمد فريد وحدى : المصحف المفسر : سورة البقرة ، آية ٥٦، ٥٨ ، ج ١ ، ص ١١

(٣) محمد فريد وحدى : المصحف المفسر : سورة البقرة ، آية ٢٤٣ ، ج ١ ، ص ٥١

"تفسير المعاني : قال المفسرون إن الذين خرجوا من ديارهم ألوفاً هم قوم من بنى إسرائيل أصاب قريتهم طاعون فخرجوا هاربين منه فأماتهم الله جميعاً ثم أحياهم ليعتبروا"
 "ولكن وجدى يرى رأياً آخر يقول : "الآية تحتل معنى أرفع من هذا ، وهو أنهم لما تولاهاهم الذعر لدرجة أنهم أفقروا قريتهم وعطلوا أعمالهم هرباً من الموت ، أماتهم الله موتاً أدبياً ثم بعث إلى نفوسهم عواطف عالية فحيوا حياة اجتماعية أخرى فلما أراهم أن الهرب من الموت موت فى الواقع أمرهم بالقتال ليحفظوا وجودهم من المبيدات"
 لم يقتنع وجدى بالقصة التى قصها المفسرون فأول الآية تأويلاً نراه بعيداً عن ظاهر الآية قد تحتمله أولاً ، ولكنه اجتهد.

ثالثاً : القراءات.

- قال تعالى^(١) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ

" تفسير الألفاظ : "لما آتيتكم من كتاب وحكمة"

"السلام فى لما موطنه للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستخلاف وما تحتل الشرطية. وقرأ حمزة لما بالكسر على أن ما مصدرية أى لأجل إيتائى إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجئ رسول مصدق أخذ الله الميثاق عليكم"

"وقيل ما موصولة بمعنى الذى ، أخذ الله الميثاق عليكم الذى أتاكموه من كتاب وحكمة"

- قوله تعالى^(٢) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعِدًا فِجْرًا مِمَّا مَاقَلَّ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ"

"تفسير الألفاظ : (أو عدل ذلك) أى أو ما ساواه ، وقرئ ، عدل بكسر العين، وهو ما

عدل بالشئ فى المقدار"

- قوله تعالى^(٣) " قَالُوا ارْجِعْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣١﴾"

"تفسير الألفاظ : (قالوا أرجه ، أى أرجئه بمعنى أخر أمره وقد قرأها أبو عمرو وأبو

بكر ويعقوب. يقال أرجاه يرجئه إرجاء أى أخره"

- قوله تعالى^(٤) " وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِهِ لَبِيقًا إِلَّا بِشِقِّ

الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾"

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة آل عمران : من آية ٨١ ، حـ ٣ ، ص ٧٦ .

(٢) المصدر السابق : سورة المائدة ، آية ٩٥ ، حـ ٧ ، ص ١٥٦ .

(٣) المصدر السابق : سورة الأعراف : آية ١١١ ، حـ ٩ ، ص ٢١٠ .

(٤) المصدر السابق : سورة النحل : آية ٧ ، حـ ١٤ ، ص ٣٤٦ .

"تفسير الألفاظ : (إلا بشق الأنفس) أى إلا بكلفة ومشقة. وفيها قراءتان إحداهما : بالفتح أى بشق الأنفس ، والأخرى : بالكسر أى بشق الأنفس فعلى الأولى يكون شق مصدر شق الأمر عليه أى صعب . وعلى الثانى يكون شق بمعنى نصف ، فإن للشى شقين أى نصفين ، ويكون المعنى لستم بباليغيه إلا بذهاب نصف قوة الأنفس بالتعب"

- قوله تعالى^(١): "وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ"

"تفسير الألفاظ : (مودعة بينكم) أى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها والمفعول الثانى لاتخذتم محذوف. وقرأها ابن عامر وأبو بكر مودة بينكم"

- قوله تعالى^(٢): "وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا" "تفسير الألفاظ (حملته أمه كرها) أى ذات كره أو حملا ذا كره. والكره المشقة وقرئ

كرها بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر"

قوله تعالى^(٣): "قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن

قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

"تفسير المعانى: قال "آمنكم عليه إلا كما ائتمنكم على أخيه من قبل ، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين وقرئ فالله خير حفظاً ، وقرئ أيضاً فالله خير حافظ ، وقرئ فالله خير الحافظين."

خامساً: الناسخ والمنسوخ

- وقوله تعالى^(٤): "كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ" ١٨٠

"تفسير المعانى : فرض الله عليكم إذا أوشك أحدكم على الموت ، وكان ذا مال أن يوصى بثلثه لوالديه وأقربائه بالعدل والمساواة . وكان هذا الحكم سارياً فى أول الإسلام قبل تعيين المواريث فلما نزلت آيات المواريث نسخ هذا الحكم" وهو لم يذكر الآية الناسخة ، بل اكتفى بالإشارة."

قال تعالى^(٥) "أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة العنكبوت ، من آية ٢٥ ، ح ٢٠ ، ص ٥٢٤ .

(٢) المصدر السابق : سورة الأحقاف : آية ١٥ ، ح ٢٦ ، ص ٦٦٨ .

(٣) المصدر السابق : سورة يوسف : آية ٦٤ ، ح ١٣ ، ص ٣١٢ .

(٤) المصدر السابق : سورة البقرة ، من آية ١٨٠ ، ح ٢ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٥) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٨٤ ، ح ٢ ، ص ٣٥

فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

"تفسير المعاني: فإذا أطاق أحدكم الصيام ولم يرد الصيام فعليه فدية طعام مسكين، نصف صاع من قمح أو صاع من غيره فمن زاد في الفدية فهو خير له إن كنتم تعلمون. كان هذا في أول الأمر ثم نسخ وفرض الصيام بلا رخصة على كل قادر عليه كما يرى في الآية التالية." (١)

قوله تعالى (٢) " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً

لَا زَوْجَهُمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ

تفسير الألفاظ: " (متاعاً إلى الحول غير إخراج) أي أن المتوفى يوصى قبل موته أن تمتع امرأته حولاً كاملاً بالسكنى والنفقة غير مخرجة من بيت زوجها مدة الحول. وقد كان هذا في أول الإسلام قبل أن تورث المرأة فلما ورثها الشرع نسخت هذه المدة، وأبدلت مدة العدة بها أي أربعة أشهر وعشرة أيام" (٣)

- قوله تعالى: (٤) " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بَعْضٌ

تفسير المعاني: "إن الذين هاجروا وأوطانهم وجاهدوا الأعداء بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا، أولئك بعضهم أولياء بعض في الميراث. وكان المهاجرون والأَنْصَارُ يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة، ثم نسخ هذا الحكم بقوله: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض."

وقد كرر ذلك عند الآية الناسخة (٥) يقول في تفسير الألفاظ: " (وأولوا الأرحام بعضهم أولى بِبَعْضٍ) أي والأقارب بعضهم أولى ببعض من الأجانب، وهذه الآية نسخت عاداتهم الأولى في التوارث بالهجرة والنصرة."

- قوله تعالى (٦) " إِنْ رِبِّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثُهَا وَطَائِفَةٌ

مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ

عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ

(١) الآية التالية هي قوله تعالى: "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر"

(٢) محمد فريد وجدى: المصحف المفسر: سورة البقرة، آية ٢٤٠، حـ ٢، ص ٤٩.

(٣) يشير إلى آية ٢٣٤ في نفس السورة

(٤) محمد فريد وجدى: المصحف المفسر: سورة الأنفال، آية ٧٢، حـ ١٠، ص ٢٣٨.

(٥) المصدر السابق: سورة الأنفال: آية ٧٥، حـ ١٠، ص ٢٣٩.

(٦) المصدر السابق: سورة المزمل، آية ٢٠، حـ ٢٩، ص ٧٧٥.

تفسير المعانى : "قيل كان التهجد واجباً على التخيير المذكور ، فحسر عليهم القيام به فتنسخ بالآية، المخففة له، وهى (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) ، ثم نسخ بتاتاً بالصلاة المفروضة ولكنه لم يذكر الآية الناسخة واكتفى بالإشارة إليها."

سادساً : التأويل

- قوله تعالى^(١) وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

تفسير الألفاظ : "أى استوعب كرسیه الكون كله. والكرسى معروف. قيل كرسى فى الحقيقة" ويعترض وجدى قاللاً "وأما هذا تصوير لعظمته. وقيل كرسیه مجاز عن علمه أو ملكه"

- قوله تعالى^(٢) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ

تفسير الألفاظ : (ثم استوى على العرش) أى ثم جلس على العرش ، والجلوس محال على الله. فيكون تأويله ثم استوى على الملك يُرَبُّهُ ويدبره" وفى تفسير آخر يقول^(٣) : "استوى أى استقر والعرش سرير الملك والاستقرار محال على الله" وبصرف ظاهر الآية عن طريق البلاغة "فالعبرة كناية عن استيلائه على الملك وتصرفه فيه"

وفى تفسير قوله تعالى^(٤) إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ترك الأمر لعلماء السنة يقول "ثم استوى على العرش) أى ثم جلس على سرير الملك وبما أن الله ليس بجسم ولا عرض فلا يجوز أن يؤخذ هذا الكلام على ظاهره ، بل يجب تأويله. وقد سلك علماء السنة هذا المسلك فقالوا : إن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف أى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن. وقالوا : العرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام"

- قوله تعالى^(٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ

تفسير الألفاظ : "المكر هو الاحتيال ، وهو مستحيل على الله ، وإنما أسنده الله إلى نفسه فى الآية للمشاكلة بين اللفظين. أما فى حقه تعالى فيفسر بالتدبير. فيكون المعنى: وقد مكروا ، ودبر الله ما يبطل مكروهم ويوافق الحكمة الإلهية."

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة البقرة : من آية ٢٥٥ ، حـ ٢ ، ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق : سورة الرعد ، من آية ٢ ، حـ ١٣ ، ص ٣٢٠ .

(٣) المصدر السابق : سورة الفرقان : آية ٥٩ ، حـ ١٩ ، ص ٤٧٧ .

(٤) المصدر السابق : سورة الأعراف ، من آية ٥٤ ، حـ ٩ ، ص ٢٠١ .

(٥) المصدر السابق : سورة إبراهيم : آية ٤٦ ، حـ ١٣ ، ص ٣٣٦ .

- قوله تعالى^(١) "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾"

تفسير المعانى : وأطاعوا أمر الله فى السجود له ، سجدوا إجلال لا عبادة ، إلا إبليس ؛ فإنه أبى واستكبر وكان من الكافرين. ربما يكبر على التالى للقرآن أن يعتقد أن الملائكة يجادلون الله. والحقيقة أن هذا تمثيل لحال الملائكة عندما علموا فى عالمهم الروحاني بأن كائنات سيظهر على الأرض يكون من أمره ما يكون من الفساد ، فجاشت فى صدورهم هذه الاعتراضات ، والهمهم الله الرد عليها على نحو ما تراه " ويوضح وجدى سبب هذا التعليل - "هذا تأويل واجب لأن الله لا يرى. ولا للملائكة الأعلى ... بنص القرآن"

- قوله تعالى^(٢) "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا"

تفسير الألفاظ : " (لا يستحي) من الحياء ، وهو انقباض النفس عن إثبات أمر مخافة الذم. وهو بهذا المعنى مستحيل على الله لأنه منزّه عن الانفعالات. فالمراد به الامتناع. والمعنى إن الله لا يمتنع أن يضرب مثلاً."

سابعاً : الآراء الفقهية

قوله تعالى^(٣) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ" تفسير المعانى : قال الأصوليون : قوله الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى لا يدل على منع قتل الحر بالعبد والرجل بالمرأة والمؤمن بالكافر. وإنما نزلت لما تحاكم حيان من العرب إلى الرسول وكانت بينهما حروب ، فاقسم أحد الحيين أن يقتل بكل عبد حراً وبكل أنثى ذكراً ، فنزلت تأمرهم بأن يكون الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى "...

قوله تعالى^(٤) "إِنْ أُولَٰئِكَ يَتَرَفَعُونَ فِي النَّاسِ إِلَىٰ ذِي بَيْتٍ مِّمَّنْ يُدْعَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾"

تفسير المعانى : "إن أول بيت بنى لعبادة الله هو الذى ببكة ، قيل هو أولها من حيث القدم وقيل من حيث الشرف ، فيه آيات واضحات ، منها : مقام إبراهيم ، ومنها : أن من دخله يأمن على نفسه ولا يتعرض له أحد. عند أبى حنيفة من دخل لا يقبض عليه ولو كان قاتلاً ، بل يلجأ إلى الخروج"

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة البقرة : آية ٣٤ ، حـ ١ ، ص ٨.

(٢) المصدر السابق : سورة البقرة : من آية ٢٦ ، حـ ١ ، ص ٦٧.

(٣) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٧٨ ، حـ ٢ ، ص ٣٤.

(٤) المصدر السابق : سورة آل عمران ، آية ٩٦ ، حـ ٣ ، ص ٧٨.

- قوله تعالى: (١) "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُزَادُوا
إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾"

"تفسير المعاني : المعنى الظاهر أن الله أراد لهم أن يزدادوا إثماً فامهلهم ليتماذوا
ويتسكعوا فى ضلالهم ، ولكن ذهب المعتزلة إلى أن قوله تعالى (إنما نملئ لهم خيراً
لأنفسهم) جملة معترضة والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملئ لهم ليزدادوا إثماً ، بل
ليتوبوا ويدخلوا فى الإيمان ، فقرأوا الجملة المعترضة بكسر ألف إنما وقرأوا قوله تعالى
إنما نملئ لهم ليزدادوا إثماً بفتح ألف إنما. ثم ذكر الله أنه يبتلى المؤمنين بالشدائد ليميز
الخبيث من الطيب."

- قوله تعالى (٢): "فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا بَنِيَّ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ۚ قَالَ
يَا بُنَيَّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٧٩﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ"

"تفسير المعاني : نقول. الرؤيا التي رآها إبراهيم تتعلق بابنه إسماعيل فهو الملقب
بالذبيح وقال بعضهم : بل الرؤيا تتعلق بابنه إسحاق. والقول أرجح وعليه جمهور
المسلمين وهو قد رجح أحد الأراء ودعمه برأى جمهور المسلمين.

ثامناً : البلاغة

- قوله تعالى (٣) "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ"

تفسير الألفاظ : (بحبل الله) "أى بالإسلام أو بالقرآن . استعار كلمة الحبل حيث إن
التمسك بالحبل سبب السلامة"

- قوله تعالى (٤) "لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِيَدَيْكَ لِأَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾"

تفسير الألفاظ: "لئن بسطت إلى يدك. أى لئن بطشت بى ، فإن بسط اليد كناية عن
البطش"

- قوله تعالى (٥) "وَلِذَا غَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٨١﴾"

تفسير الألفاظ " (وبلغت القلوب الحناجر) "هذا كناية عن شدة الرعب ، فإن الخائف

يخفق قلبه حتى يخيل له أنه قد بلغ إلى حنجرته وهى منتهى الحلقوم."

- قوله تعالى (٦) "فَنَقَّبَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا"

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة آل عمران : آية ١٧٨ ، حـ ٤ ، ص ٩٢ .

(٢) المصدر السابق : سور الصافات : آية ١٠٢ : ١٠٧ ، حـ ٢٣ ، ص ٥٩٣ ، ٥٩٤ .

(٣) المصدر السابق : سورة آل عمران ، من آية ١٠٣ ، حـ ٤ ، ص ٧٩ .

(٤) المصدر السابق : سورة المائدة : آية ٢٨ ، حـ ٦ ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٥) المصدر السابق : سورة الأحزاب : من آية ١٠ ، حـ ٢١ ، ص ٥٥ .

(٦) المصدر السابق : سورة آل عمران : آية ٣٧ ، حـ ٣ ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

تفسير الألفاظ : " وأنبثها نباتا حسناً " شبهها فى نموها وترعرعها بالزرع ، والكلام مجازة تربيتها بما يصلحها فى جميع أحوالها .

- قوله تعالى ^(١) " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَفَشَلُوا أَوْتَذْهَبَ رِيحَكُمْ " وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ "

تفسير الألفاظ : (وتذهب ريحكم) " أى وتذهب دولتكم . والريح مستعارة للدولة .. حيث إنها فى سريان أمرها ونفوذ سلطانها تشبه الريح فى هبوبها وامتدادها .

- قوله تعالى ^(٢) " وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَهُمْ يُوَلَّاءٌ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿١١﴾ "

تفسير الألفاظ : " أى وأوحينا إليه أن هؤلاء سيتأصلون وهم داخلون فى الصبح والدابر الأصل ، وقطع الدابر كناية عن الاستئصال .

- وقوله تعالى ^(٣) " ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ "

تفسير المعانى : " والمراد من هذا التعبير تصوير تأثير قدرته وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بالأمر المطاع وإجابة المطيع .

تاسعاً : اللغة

قوله تعالى ^(٤) " أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ "

تفسير الألفاظ : (الخاسرون) " أى المضيعون ، يقال خسر يخسر خسرا وخسراناً وخسارة ضد ربح "

- قوله تعالى ^(٥) " وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ "

تفسير الألفاظ : (الطاغوت) الشيطان وكل ما عبد من دون الله ، مشتق من الطغيان وهو تجاوز الحد .

- قوله تعالى ^(٦) " وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ "

(١) محمد فريد وحدى : المصحف المفسر : سورة الأنفال ، آية ٤٦ ، حـ ١٠ ، ص ٢٣٤ .

(٢) المصدر السابق : سورة الحجر : آية ٦٦ ، حـ ١٤ ، ص ٣٤٢ .

(٣) المصدر السابق : سورة فصلت : آية ١١ ، حـ ٢٤ ، ص ٦٣١ .

(٤) المصدر السابق : سورة المجادلة : من آية ١٩ ، حـ ٢٨ ، ص ٧٢٨ .

(٥) المصدر السابق : سورة الزمر ، آية ١٧ ، حـ ٢٣ ، ص ٦٠٨ .

(٦) المصدر السابق : سورة النبأ ، آية ٢٨ ، حـ ٣٠ ، ص ٧٨٨ .

تفسير الألفاظ : (كذابا) "أى تكذبا ، وفعال بمعنى تفعيل شائع فى العربية"

- قوله تعالى^(١) "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ

تفسير الألفاظ : " قيل أم هنا منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإكثار ، أى ما كنتم حاضرين إذ حضر يعقوب الموت. وقيل هى متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء" عرض الرأي والرأى الآخر دون ترجيح أو تفصيل.

- قوله تعالى^(٢) "أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١١﴾

تفسير المعانى : (أفمن حق عليه كلمة العذاب) " هذه جملة شرطية معطوفة على محذوف تقديره أنت مالك أمرهم ، فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه."

عاشراً : التفسير والاصطلاح الدينى

لم يغفل فريد وجدى الإشارة إلى تغير دلالات بعض الألفاظ بعد ظهور الإسلام وتحولها إلى مصطلح دينى

- قوله تعالى^(٣) "وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ " "

تفسير الألفاظ : "ابتلى ، الابتلاء فى الأصل التكليف بالأمر الشاق. ثم أطلق على الاختبار."

- قوله تعالى^(٤) "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا

" حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾

تفسير الألفاظ : "الجنة هى الروضة. وفى الاصطلاح الدينى الدار التى أعدت للصالحين فى عالم الآخرة."

- قوله تعالى^(٥) "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ

" عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا

تفسير الألفاظ : (اعتمر) أى زار

"والاعتماد فى الاصطلاح الدينى هو الحج ، ولكن بغير وقوف بعرفة"

- قوله تعالى^(٦) : " يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر: سورة البقرة : آية ١٣٣ ، ١- ، ص ٢٥

(٢) المصدر السابق : سورة الزمر : آية ١٩ ، ٢٣- ، ٦٠٨ .

(٣) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٢٤ ، ١- ، ص ٢٤ .

(٤) المصدر السابق : سورة البقرة ، آية ٣٥ ، ١- ، ص ٨ .

(٥) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٥٨ ، ٢- ، ص ٣٠ .

(٦) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٥٣ ، ٢- ، ص ٣٠ .

تفسير الألفاظ : "والصلاة هي في اللغة الدعاء والدين والرحمة والاستغفار" وفي الاصطلاح "عبادة فيها ركوع وسجود وحركات يعرفها المسلمون".

"والصلاة بمعنى الدعاء لا تكون إلا في الخير ، وأما الدعاء فيكون في الخير والشر"

- قوله تعالى^(١): "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيَرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (١١٥)

تفسير الألفاظ: (وما أهل لغير الله به) "أى وما ذكر اسم غير اسم الله عند ذبحه. أصل الأهلال الصياح لرؤية الهلال ، ثم أطلق على تكبير الله"

ولم يكتف فريد وجدى ببيان الاستعمالات الشائعة في اللغة أو الاصطلاح الدينى ، بل من الطريف أنه أهتم بتوضيح بعض الألفاظ ودلالاتها في اللغة العامية المصرية مثال :-

وقوله تعالى^(٢) "وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّائِكِينَ" (١٢٠)

تفسير المعانى : "وأنبأ لكم أيضاً شجرة تخرج من طور سيناء هي شجرة الزيتون تنبت ثمراتها مصحوبة بالزيت و آدم للآكلين . ثم يعلق موضحاً (وهو الغموس بلغتنا المصرية)"

- قوله تعالى^(٣) "قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ"

تفسير الألفاظ : (يتيهون) "أى يضلون وهو ما يعبر عنه في اللغة العامية بيتوهون". وتكملة لبيان الصورة نعرض لبعض النماذج التى احتواها التفسير وتعد من خصائصه وتبين مدى التزام فريد وجدى بالمنهج الذى وضعه لنفسه :-

أولاً : المقاصد الشرعية

استحوذ أمر استلهم أسرار التشريع على فريد وجدى ؛ فاهتم بالنظر إلى أهداف القرآن وغاياته وعنى بمغزى الحكمة فى تشريعاته الفقهية لما فى ذلك من صلاح الناس ومجتمعاتهم. ومن ذلك :-

- قوله تعالى^(٤) "مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (١٠٦) - علق عليها وجدى موضحاً حكمة النسخ بقوله "تقول إن النسخ ضرورى فى الأحكام بسبب تطور الأمم وترقيها أو تدليها ، وأن الإسلام دين عملى فلا مناص له من مسيرة المجتمع الإنسانى فى تقلباته حتى يبلغ به كماله ، أليس هذا أولى من بقاء الأحكام على حالة واحدة فيضطر الآخذون بالدين لتركها واللجأ إلى تشريع أجنبى"

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر: سورة النحل : آية ١١٥ ، حـ ١٤ ، ص ٣٦٢ .

(٢) المصدر السابق : سورة المؤمنون آية ٢٠ ، حـ ١٨ ، ص ٤٤٧ .

(٣) المصدر السابق : سورة المائدة : آية ٢٦ ، حـ ٦ ، ص ١٤١ .

(٤) المصدر السابق : سورة البقرة ، آية ١٠٦ ، حـ ١ ، ص ٢١ .

- قوله تعالى ^(١) "لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ"

تفسير المعاني : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) .. أى بالتجارة فى أثناء شهور الحج. وقد كانوا فى الجاهلية يقيمون أسواقاً للتجارة فلما جاء الإسلام تأثموا من ذلك فنزلت هذه الآية تبيح لهم الإتجار فى شهر الحج.

ثم يوضح وجدى الغرض من هذا التشريع " وهذا إشعار لهم أن هذا الدين لم يفرض عليهم ليحرمهم من الكسب ويعطل مواهبهم ، ولكن ليهديهم أقوام السبل ويحفظهم إلى أسمى الغايات"

- وقوله تعالى ^(٢) "وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلَا يَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠١"

وبعد الشرح يعقب وجدى قائلاً "هذا أبلغ وأكمل ما عرف فى الشرائع من الحث على حفظ حقوق اليتامى والقيام على تربيتهم"

- قوله تعالى ^(٣) "وَالَّتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَدْحَشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا"

تفسير المعاني : "واللاتى يأتين بفاحشة من نساكن - المراد بالفاحشة هو الزنا - فاطلبوا ممن اتهمهن أربعة شهداء. إن طلب أربعة شهداء رؤية فى تهمة الزنا من المقررات البالغة حد الحكمة فإن هذه الجريمة من أشنع الجرائم وثبوتها يجر إلى أشد العقوبات، فالاحتياط فى إثباتها إلى هذا القدر عدل ليس وراءه مرمى"

- قوله تعالى ^(٤) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّلَكُمْ بِسُوءٍ فَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَلْكُمْ عَنْهَا اللَّهُ وَعَنْهَا اللَّهُ عَفْوٌ وَحَلِيمٌ ۝١٠٢"

تفسير المعاني : "الآية نزلت حين سأل سراقه بن مالك ، وقد أوحيت إلى رسول الله آية الحج ، قلنا : أكل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم حتى أعاد سؤاله ثلاثاً : فقال : لا ولو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم ، فأترونى ما تركتكم. ونزلت هذه الآية. ثم يوضح المقصد الشرعى قائلاً :-

(١) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٩٨ ، ح-٢ ، ص ٣٩.

(٢) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة النساء : آية ٨ ، ١٠ ، ح-٤ ، ص ٩٩.

(٣) المصدر السابق : سورة النساء آية ١٥ ، ح-٤ ، ص ١٠١.

(٤) المصدر السابق : سورة المائدة، آية ١٠١ ، ح-٧ ، ص ١٥٧.

"هذه من حكم الإسلام البالغة ، فإنه سلك في تيسير الدين على الناس كل طريق حتى سد عليهم طريق السؤال خشية من تعقيد الأمور وتعقيدها ، فأين هذا من أسلوب الذين يفترضون ما لا يكون ويجيبون عنه!"

- قوله تعالى^(١) "وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٣٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ

تفسير المعاني : "لقد اقتصت الديانة الإسلامية بالتكفل بسعادة الحياتين وحققتهما لذويهما في الواقع في صدر الإسلام، وهذا الحدث الجلل لم يتفق لأمة من أمم المعمور إلى اليوم ، ولو استقام المسلمون على سنة كتابهم لاستردوا مكاتهم التي بهرت العالم قروناً طويلة "

ولا يخفى دعوة الإصلاح الاجتماعي عن طريق التمسك بالإسلام التي تنطق بها حروف وجدى .

- قوله تعالى^(٢) "تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾" تفسير المعاني : "لقد تكرر ذكر موسى وفرعون في القرآن على وجوه شتى لأن في تاريخهما عبرة العرب وزجراً لهم عن التماهى في إهمال الدعوة الإسلامية". وهنا قد يبين فائدة تكرار القصص في القرآن .

ثانياً : العلم والإعجاز العلمى

عاصر فريد وجدى توظيف العلوم المختلفة فى التفسير ؛ فاهتم ببيان أوجه الإعجاز العلمى فى القرآن، كما عنى بعلمى النفس والاجتماع فى تفسير الآيات.

- قوله تعالى^(٣) "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَئِنْ لَيْتُمْ مِّنْ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ آدَعْهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣١﴾"

تفسير المعاني : "واذكر إذ طلب إبراهيم أن يريه الله كيف يحيى الموتى ؛ فأمره أن يأخذ أربعة من الطير فيضمهن إليه ثم يقطعهن ويجعل على كل جبل جزء منهن ثم يناديهن فيأتينه مسرعات إن الله عزيز حكيم" ثم بعد الشرح يطل بإطلالة علمية يقرب فيها إلى الأذهان معجزة إبراهيم .

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة النساء : آية ١٢٨ : ١٣٠ ، حـ ٥ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) المصدر السابق : سورة القصص ، آية ٣ ، حـ ٢٠ ، ص ٥٠٦ .

(٣) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ٢٦٠ ، حـ ٣ ، ص ٥٥ .

"إن إشارة الكتاب الكريم إلى معجزة إبراهيم هذه تشير إلى أنه في الإنسان قوى إلهية في إمكانها بتوفيق الله أن تبعث الحياة في الجمادات. وقد دلت الأبحاث في المغناطيس الحيواني في هذا العصر على ما يجعل هذه المعجزة معقولة علمياً." (١)

- قوله تعالى (٢) "قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝" (٣)

تفسير المعاني : "تقول اختلف الناس في الجن ، فمن قائل إنه لا جن ، وإنما كل ما يتصل بنا من العالم الروحاني فهو من الأرواح الأدمية ، ومن قائل إنهم عالم قائم بنفسه. ويفهم من روح القرآن تأييده لهذا الرأي .. ولعل الأبحاث التي يجريها العلماء في تحقيق المسائل الروحية تفضي إلى علم صحيح يركن إليه في أصل الجن" (٣)

- قوله تعالى (٤) "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۝" (٥)

تفسير المعاني : "قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم (يريد بالحق القرآن) فمن اهتدى به فإنما يهتدى لنفسه لأن نفعه عائد عليها دون سائر الناس ، ومن ضل فإنما يضل عليها لأن التبعة واقعة عليها دون سائر الخلق ، وما أنا عليكم بوكيل" . ثم يوضح أثرًا من آثار علم النفس في القرآن يقول : "قوله تعالى : فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، نعه نحن أصلاً عظيماً من أصول تربية النفس. تربية حرة مطلقة لإشعاره إياها بأن كل أعمالها عائدة عليها وكل شر تفعله مرتد إليها ، لا تأثير لاعتبار آخر في ذلك."

- قوله تعالى (٥) "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا نَرَاكَ مُخْتَلِفِينَ ۝" (٦)

تفسير المعاني : وبعد تفسير وجدى للآية أشار إلى ما تحويه من أسس علم الاجتماع يقول :- "يشير إلى ناموس اجتماعي كبير وهو ضرورة الخلاف بين الناس في عقائدهم وعوائدهم وميولهم ليجري كل منهم على شاكلته فيبلغ من ناحيتها أبعد الغايات فيصل العالم

(١) إن هذه المعجزة خاصة بإحياء الموتى والتنويم المغناطيسي لا يعني أن العلم لديه هذه القدرة ، وإن كنا نقبلها فعلى سبيل تقريب المعجزة إلى الأذهان.

(٢) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة الجن ، آية ٢٠١ ، ح ٢٩ ، ٧٧٠.

(٣) حتى مسألة الجن يخضعها فريد وجدى إلى الأبحاث العلمية ، ربما هي عادته في محاولة لتقريب الأمور الغيبية إلى العقل ، وقد أثار هذا جدلاً بينه وبين بعض العلماء أمثال مصطفى صبرى (مفتي الديار التركية السابق). انظر القول الفصل - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين.

(٤) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة يونس ، آية ١٠٨ ، ح ١١ ، ص ٢٨٣.

(٥) المصدر السابق : سورة هود ، آية ١٨ ، ح ١٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢.

يسيراً يسيراً إلى كماله المنتظر بالجمع بين هذه المحصولات المادية والمعنوية المتباينة. وهذه من المعجزات العلمية لهذا القرآن نضيفها إلى الكثير مما عرف منها اليوم."

- قوله تعالى^(١) "وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" ٥

تفسير المعاني : "وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق لكم ما لا تعلمون من تسخير قوى البخار والكهرباء وغيرهما. وهذه من أغرب معجزات القرآن ، فإن فيه تنبؤ صريحاً بما اخترع فى القرنين التاسع عشر والعشرين".

- قوله تعالى^(٢) "أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا

مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" ٢٠

تفسير المعاني " ألم ير الكافرون أن السموات والأرض كانتا جميعاً كتلة واحدة ففصلنا بعضها عن بعض ، وجعلناها كواكب وشمسا وتوابع ، وجعلنا من الماء كل حيوان ونبات أفلا يؤمنون؟ نقول هذا من أغرب معجزات القرآن ، فإن العلم الحديث يقرر ذلك حرفياً".

- قوله تعالى^(٣) "وَأَتَيْنَهُم بِبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا أَيْنَهُمُ

تفسير المعاني : "وأتيناهم دلائل من أمر الدين فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ، لأن العلم بطبيعته مثير للخلاف ، والدين لا يصح أن يكون محلاً للنزاع لأنه بسيط موافق لبدهة العقل فلا يجوز خلطه بمسائل العلم فيعتريه ما يعترىها من الشكوك والإشكالات".

ظاهر الكلام فصل بين الدين والعلم وإن كان فريد وجدى كما سبق يسخر العلم لخدمة الدين .

ثالثاً : المرأة فى الإسلام

لم يغفل فريد وجدى وهو من مدرسة محمد عبده أن يشير إلى اهتمام الإسلام بالمرأة ومدى رعايته لها.

- قوله تعالى^(٤) "الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ مَّا أَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة النحل : آية ٨ ، حـ ١٤ ، ص ٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق : سورة الأنبياء : آية ٣٠ ، حـ ١٧ ، ص ٤٢٣ .

(٣) المصدر السابق : سورة الجاثية ، آية ١٧ ، حـ ٢٥ ، ص ٦٦٢ .

(٤) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ٢٢٨ ، حـ ٢ ، ص ٤٦ .

اللَّهُ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَئِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ

تفسير المعاني : الطلاق مرتان وليس بعدهما إلا المعاشرة بالمعروف أو الفراق بالمعروف. ولا يحل للرجل أن يأخذ من مهر امرأته شيئاً إلا أن خشياً أن لا يقيما حدود الزوجية وأرادت المرأة أن تفدى نفسها بمال تدفعه للرجل في مقابل تطليقها فيحل له أخذه إذ ذاك^(١)

ويقارن وجدى بين حال المرأة فى الإسلام وحالها من قبل فى الجاهلية يقول :-
"هذه الأحكام تعتبر غاية فى رعاية حقوق النساء ؛ فإنها صريحة فى الاعتراف لهن بحقوق على الرجال وتنص على وجوب احترامها ، أين هذا مما كانت عليه فى الجاهلية حيث كانت تورث ك بعض الأمتعة ولا تجد من ترفع إليه ظلامتها!"

- قوله تعالى^(٢) "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعُهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ" وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَاً لَعَنَ تَرَاوِيحَهُمَا وَشَاوَرِيحَهُمَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْتَقُوا اللَّهَ

تفسير المعاني : "فى هذه الآية من رعاية حقوق المرأة مالا يعرف فى غير الشريعة الإسلامية ، فإن المرأة كانت فى تلك العصور محرومة من كل حق فى كل أمة ، بل كانت أسيرة لا تملك لنفسها عدلاً ولا صرفاً حتى أشرق شرع الله فخلصها مما كانت فيه ."

- قوله تعالى^(٣) "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِمُهْتَنٍ يَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعَصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ

تفسير المعاني : "تقول إن أعداء الإسلام يفترون عليه بأنه لم يحفل بالنساء ، وبأنه عدهن من الأشياء لا الأحياء وأنت ترى أن الكتاب الكريم ينوه بهن فى كل فرصة ويجعل لمبايعتهن الرسول شأنًا ، فينص عليه فى آيات خاصة شأن الحوادث ذات الخطر وكفى بهذا تكذيباً للمتولين على الإسلام" (يقصد اتهامات المستشرقين بأن الإسلام أبخس المرأة حقها)

وَابْعَا : التكرار

يقترّب التكرار إلى المظاهر الشكلية فى تفسيره أكثر من الضمنية. فهو كما قال فى مقدمة تفسيره سيلتزم تكرار تفسير اللفظ كلما تكرر اللفظ.

وسنكتفى بتتبع فريد وجدى فى تفسيره للحروف المقطعة فقد ذكرت فى سبع وعشرين سورة ،

(١) يشير إلى قضية "الخلع"

(٢) المصدر السابق : سورة البقرة ، آية ٢٣٣ ، ح-٢ ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) محمد فريد وحدي : المصحف المفسر : سورة الممتحنة : آية ١٢ ، ح-٢٨ ، ص ٧٣٧ .

قال فى طه^(١)... " طه قيل معناه يا رجل على لغة بنى عك ، وقيل أصله طاهها على أنه أمر لرسول الله بأن يطأ الأرض بقدميه ؛ فإنه كان يقوم فى تهجده على إحدى رجليه ، وقد إبدلت الألف من الهمزة ، والهاء كناية عن الأرض. لكن يرد ذلك رسمها"

وهذا مخالف لأراء كثيرين من المفسرين الذين يروا أن طه من الحروف المقطعة أمثال أحمد المراكى يقول^(٢) "طه تقدم أن قلنا إن أصح الآراء فى الحروف المقطعة التى فى أوائل السور أنها حروف تنبيه كالأويا ونحوهما ، مما يذكر فى أوائل الجمل لقصد تنبيه المخاطب إلى ما يلقى بعدها لأهميته وإرادة إصفائه إليه نحو ما جاء فى قوله تعالى " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"^(٣) وينطق بأسمائها حين القراءة فيقال (طاهها) وفى سورة يس^(٤) قيل مثل يس كمثل الم وكهيعص من الأحرف التى تبدأ بعض السور وقيل معناه يا إنسان بلغه بنى طئ على أن أصله يا سينين فاقصر على شطره لكثرة النداء به" ومن خلال النماذج السابقة التى تم الاستشهاد بها نخلص إلى بعض الملاحظات حول

تفسير محمد فريد وجدى ، وهى مقسمة للآتى :-

أولاً: ملاحظات حول أدوات التفسير ووسائله.

ثانياً : ملاحظات حول الخصائص التى يتميز بها تفسيره.

ثالثاً: ملاحظات عامة.

أولاً : ملاحظات حول أدوات التفسير ووسائله

أولاً : القرآن

استعان فريد وجدى بالقرآن لتفسير معنى أو لتوضيح لفظة أو لتأييد حكماً ، ولكنه لم يحدد رقم الآية ولا اسم السورة.

ثانياً : الحديث الشريف

لم يستدل بالحديث كثيراً وما ذكره كان لتوضيح دلالات الألفاظ أو المعانى وينقصه توثيق الحديث. ولم يذكر السلسلة السندية ولو فى الهامش.

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة طه ، جـ ١٦ ، ص ٤٠٦.

(٢) أحمد مصطفى المراكى : تفسير المراكى : ص ٩٤ ، المجلد الخامس ، سورة طه ، دار إحياء التراث العربى بيروت ط الثانية سنة

١٩٨٥م.

(٣) سورة يونس : آية ٦٢.

(٤) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة يس ، جـ ٢٢ ، ص ٥٧٩.

ثالثاً : أسباب النزول

- اهتم فريد وجدى بأسباب النزول اهتماماً بالغاً حتى أن المتتبع له لن يجد مشقة في استخراج الشواهد عكس مسائل الفقه أو الحديث مثلاً.
- وهو يأتي بسبب النزول دون أن ينبه القارئ إلى هذا في بعض الأحيان. وقد يأتي بعدة آراء دون ترجيح لها حيناً ومرجحاً لأحد الآراء حيناً آخر.
- القصص

عنى وجدى بإيراد أخبار الأمم السابقة بالإيجاز تارة وبالتفصيل تارة ولم ينس توضيح العبرة المقصودة في هذا أو ذاك.

رابعاً : القراءات

اشتمل تفسير الألفاظ لدى فريد وجدى على كثير من أوجه القراءة المختلفة دون تفصيل أو تحديد لأسماء القراء أحياناً. وكذلك اشتمل تفسيره للمعاني على أوجه القراءة حين يقارن بين دلالة لفظة وأخرى.

خامساً : الناسخ والمنسوخ

وقف فريد وجدى عند الآيات المنسوخة خاصة ، وأشار إلى الآية الناسخة إما بذكر الحكم الناسخ وحسب أو بذكر الآية الناسخة ، وكان يكتفى أحياناً بمجرد الإشارة إلى أن هذا الحكم تم نسخه ولا يذكر الحكم المنسوخ ولا الآية أو السورة. وقليل ما يشير عند الآية الناسخة إنها نسخت حكماً آخر.

سادساً : التأويل

أول فريد وجدى بعض الألفاظ لما تشتمل عليه من دلالات يراها تمس تنزيه الله من كل نقص وعيب ويعلل إتيانها في القرآن على هذه الصورة لأسباب بلاغية أو لغوية ، مكرراً تأويله وتعليله لها كلما تكرر اللفظ وإن اختلفت الصياغة (مثل لفظ العرش ، مكر الله).

سابعاً : الفقه

هناك بعض الآيات التي استوقفت فريد وجدى حول قضايا فقهية استشهد فيها بآراء للمعتزلة وأخرى للأصوليين ، وبعض الآراء المختلفة حول تفسير آية أو دلالة لفظ. وهذه الوقفات لم تكن كثيرة ، بل تكاد تعد في تفسيره ككل.

ثامناً : البلاغة

تنتشر الاستدلالات البلاغية بكثرة في تفسير فريد وجدى لا سيما تفسيره للألفاظ موضعاً أوجه الاستدلال وتأثيرها على المعنى مستشهداً أحياناً بأقوال العرب واستعمالاتهم لتؤكد رأيه مكتفياً في بعض المواضع بالإشارة إلى الموضع البلاغي دون تفصيل.

تاسعاً : اللغة

احتلت اللغة جزءاً كبيراً من تفسير فريد وجدى لأهميتها فى تحديد المعنى فحرص على إيراد المرادفات مع الترجيح أحياناً كما حرص على توضيح تصريف الألفاظ واشتقاقاتها فى النحو واستعمالاتها المختلفة كاستخدام اللفظ فى الفعل الماضى والمضارع وتوضيح اختلاف مدلول اللفظ حسب موقعه الإعرابى. وقد يأتى ببعض الآراء المتعددة فى مسألة نحوية دون تفصيل فيها أو ترجيح.

عاشراً : الاصطلاح الدينى

اهتم فريد وجدى بتتبع تطور اللفظ وتغيره مع الاصطلاح الدينى. وهذا لأهميته فى ثقافة المسلم (كما رأينا أن وجدى لا يغفل اللغة العامية المصرية فيبسط الألفاظ للعامية من القراء)

ثانياً : ملاحظات حول خصائص التفسير لدى وجدى.

أولاً : المقاصد الشرعية

أننا حين نبدى ملاحظتنا عن استلهم أسرار التشريع لدى فريد وجدى نتذكر قول محمد حسين الذهبى يقول^(١) " نجد أن الأستاذ الأكبر (يقصد محمد عبده) يهتم فى تفسيره اهتماماً كبيراً بإظهار سر التشريع الإسلامى وحكمة التكليف الإلهى ليظهر محاسن الإسلام ويكشف عن هدايته للناس" ولا عجب إن انطبق هذا على محمد فريد وجدى فهو من مدرسة محمد عبده فلم يدع آية يوضح من خلالها عظمة الإسلام إلا وأمسك بها وجعلها دليلاً على صدق حديثه لما فى الإسلام من رفع شأن للعالم أجمع

ثانياً : العلم والإعجاز العلمى

من أهم القضايا التى ولع فريد وجدى بها ؛ الربط بين العلم والدين ، وظهر هذا فى مؤلفاته المختلفة فكان منطقياً أن تتضح هذه القضية من خلال تفسيره للقرآن الكريم ، فيسعى تارة لتقريب المعجزات عن طريق العلم وأحدث ما توصل إليه ، وتارة يوضح أوجه الإعجاز فى آيات الذكر الحكيم لما تشتمل عليه من أسس علمى النفس والاجتماع.

ثالثاً : المرأة فى الإسلام

"تناول رجال المدرسة الاجتماعية^(٢) (مدرسة محمد عبده) آيات من القرآن الكريم حاولوا أن يصلحوا على ضوءها وأن يثبتوا من خلال تفسيرها ما يرون فيه إصلاحاً لأوضاع

(١) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون : ٣ - ، ص ٢٦٣ .

(٢) فهد عبد الرحمن سليمان الرومى : اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر : ص ٧٩٤ ، ٢م

المرأة" التزام فريد وجدى بهذا الدور ؛ فأخذ يبين رعاية الإسلام لحقوق المرأة ، راداً بذلك على شبهات المستشرقين فى شىء من سهولة اللفظ وبساطة الأسلوب.

رابعاً : التكرار

صدق فريد وجدى فى تنفيذ ما وعد به فى منهجه ، فقد تكرر إيراد تفسير اللفظ مهما تكرر اللفظ ، وذلك حتى يسهل على التالى للقرآن أن يجد المعنى كيفما قرأ وأراد فلن يفوته تفسير لفظ ذكر فى أول سورة فى المصحف إن قرأه فى نهايته.

ثالثاً : ملاحظات عامة على تفسير فريد وجدى

- ١- التزم غالباً بالمنهج الذى وضعه لنفسه إلا فى حالات قليلة.
 - ٢- حاول توصيل وجهة نظره دون أن يتدخل كثيراً فى القرآن.
 - ٣- اهتم بالأساسيات التى تساعد على التفسير السهل الميسر مثل : اللغة وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، وغيرها من وسائل التفسير بالمأثور، كما لم يخف كما سبق ذكره. وجود الجانب العقلى فى تفسيره مثل : التأويل واعتماده على العلم ومعجزاته. ولم يغفل الجانب الاجتماعى الذى تميزت به مدرسة محمد عبده كاهتمامه بالمرأة.
- ملاحظات شكلية فى طريقة التفسير أوفى صياغته.

كما ذكر فريد وجدى فى منهجه ؛ فهو يأتى بالآيات على شكل المصحف ثم يأتى فى الهوامش بتفسير الألفاظ ثم بتفسير المعانى

وما خالف هذا المنهج فى تفسيره كله إلا فى عدة مواضع يمكن حصرها :-

- ١- اكتفائه بتفسير الألفاظ ولا يذكر تفسير المعانى^(١)
 - ٢- أن يأتى بتفسير الألفاظ والمعانى مندمجين معاً^(٢)
 - ٣- أن يكتفى بما ذكره فى التمهيد أو أسباب النزول ويشير إلى وضوح الباقي
 - ٤- أن يأتى بتفسير الألفاظ داخل تفسير المعانى^(٣)
- وهو عادة يذكر تفسير الألفاظ الموجودة فى الصفحة كلها حتى ولو كانت لأكثر من سورة ولا يضع فواصل لتبين نهاية سورة أو بداية أخرى سواء فى تفسير الألفاظ أو المعانى وكأنها وحدة واحدة لا وجود لفواصل ولا مسميات.
- وبعد إيراد الملاحظات على تفسير فريد وجدى التى تعد تقييمه - نطوف سريعاً مع بعض الآراء حول المصحف المفسر وأسلوب فريد وجدى فيه.

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : مثل : سورة الأعراف : جـ ٩ ، ٢٢٣ ، سورة يوسف ، جـ ١٢ ، ص ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق : سورة القلم ، الحاقة ، المعارج ، جـ ٢٩ ، ص ٧٥٨ : ٧٦٧

(٣) المصدر السابق : سورة الأنبياء : جـ ١٧ ، ص ٤٥٧.

لقد سبق وذكرنا أن تفسيره يجمع بين الجانب النقلي والجانب العقلي مع الاهتمام بالجانب الاجتماعي الذي ميز مدرسة محمد عبده ، ولكن د. "جمال العمرى" يضع تفسير وجدى تحت إسمه آخر^(١) فكما بدا من النماذج السابقة أن فريد وجدى يتمتع القارئ بأسلوب ميسر. ينثر القرآن بألفاظ سهلة ، تؤدي المعنى ، قريبة من ألفاظ القرآن . وهذا ما يتفق مع ما سماه د. جمال بالتفسير الإجمالي . ولأترك له الساحة ليعرفنا بهذا النوع من التفسير يقول :-^(٢) التفسير الإجمالي "هو الذى يعتمد فيه الباحث المفسر ، إلى الآيات القرآنية على ترتيب تلاوتها، أو وضعها فى المصحف ، فيقصد إلى معانى جملها ، متتبعا ما ترمى إليه من مقاصد ، وما تهدف إليه الجمل من أهداف، ويتوخى المفسر فى عرضه لهذه المعانى ، وضعها فى إطار من العبارات التى يصوغها من ألفاظه ، ووضعها فى قوالب تقربها من الأفهام ، وتجعلها مفهومة متدركة من القارئ أو السامعين."

"والمفسر فى هذا المنهج الإجمالي ، إذ يسير على منهج القرآن فى ترتيبه ، يجعل المعانى بعضها متصلاً ببعض. وهو إذ يلفظ بعبارته التى صاغها من ألفاظه ، يأتى بين الحين والحين بلفظ من ألفاظ القرآن، حتى يشعر السامع أنه لم يكن بعيداً - فى تعبيره - عن سياق القرآن ، وحتى يحقق التفسير من جانب ، ويكون رابطاً نفسه بنظم القرآن من جانب آخر ، ويكون فى الموضوع الذى يغرب ، أو يصعب فيه لفظ القرآن ، آتياً بلفظ يكون أوضح عند السامعين ، وأيسر فى الفهم عند القارئ ، وفى المواضع التى يعبر فيها بألفاظ القرآن تكون تلك الألفاظ واضحة المعنى، بيّنة المقصود ، وبذلك يكون فيما جاء به من ألفاظ موضحاً للمقصود.^(٣)

"وهذا اللون من التفسير الإجمالي ، أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية التى لا يتقيد فيها المترجم بالألفاظ والجمل ، وإنما يقصد بها إلى توضيح المعنى ، وإبراز مراميه وتجليتها فى بيان المقصود من جملها وتركيبها."

(١) إن كنت تعتقد أن رأى السابق يشمل المضمون ، أما رأى د. جمال يستوعب الشكل أكثر من المضمون وإن كان لا يعفله.

(٢) د. أحمد جمال العمرى : دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرآنى : ص ٤١ .

(٣) ونؤيد رأى د. "أحمد جمال العمرى" بهذا النموذج من تفسير فريد وجدى الذى يتضح فيه سرده للآيات واضحاً بدل المعنى الغامض معنى مفهوم. قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم"

تفسير المعاني : يأيها المؤمنون اجتهدوا فى القيام بعهود الله شاهدين بالقسط أى بالعدل ، ولا تحملنكم كراهتكم لقوم على أن لا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى واحذروا الله إن الله خبير بما تعملون . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بمغفرة وأجر كبير. وأما الذين كفروا وكذبوا بآيات الله فلهم عذاب الجحيم" محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة المائدة ، آية ٨ : ١٠ ، ح ٦ ، ص

"وقد يضيف إلى ذلك تلميحات من إيجاز لحادثة تاريخية ، أو سبب نزول أو حديث نبوى ، أو أثر عن السلف ، حتى يحقق بهذه الإضافات الفائدة المرجوه من تفسيره" ثم يحدد د. جمال الفنة التى تشتهر بهذا التفسير يقول "وهذا النوع من التفسير شفهي معظمه ، وأكثر المفسرين على هذا النمط هم المحدثون ، رواد الإذاعة والتلفزيون خاصة فيما يتصل بتقدمة التلاوة. و القصد منه ، إعطاء فكرة إجمالية عما سيتلوه القارئ من القرآن الكريم ، حتى يكون السامع للقرآن مدركاً لمعانيه ، واعياً لمقاصده ، ملماً بأطرافه ، مدركاً لمغزاه ، وبذلك لا يكون سماع القرآن مقصراً على جمال المقاطع ، وإيقاع النغم ، وإنما يكون المستمع واعياً بالمقروء ، وإن كان إجمالاً ... وهذا التفسير الإجمالى وليد العصر الحاضر . ومن أمثله فى القديم تفسير الجلالين للسيوطى ، وتفسير محمد فريد وجدى فى الحديث" أما د. محمد إبراهيم شريف فيرى أن محمد فريد وجدى باعتباره مفسراً اتبع المنهج الهدائي يقول^(١) :- "كان محمد فريد وجدى صاحب رسالة محددة ألقت به كمفسر فى طريق الاتجاه الهدائي مع غيره من المفسرين ، وكان رائد مدرسة فكرية تجمع بين القديم والجديد فى صعيد واحد وتزواج بين الحضارة والدين على منهج يختلف عن منهج الباحثين من رجال الدين أو العلم على السواء"

"ويمكن أن نقول إنه بهذا المنهج الذى اتبعه فيه كثير من التلاميذ، قد كون مدرسة متميزة نوعاً ما ، ولكنها لم تخرج عن اتجاهها الهدائي ، فقد آمن بإنسانية الفكر البشرى ، وجعل هدفه المواءمة بين الفكرة الإسلامية وأصول المدنية العصرية . وقد جاءت آراء فريد وجدى واتجاهاته الإصلاحية مضمنة فى بعض كتبه مثل : "المدنية والإسلام" والوجدانيات ودائرة معارفه ، كما ضمن تفسيره ومقدماته روحه التجديدية"^(٢)

ويوضح د. طه الحاجرى رأيه فى مقدمة تفسير فريد وجدى المستقلة يقول:-^(٣) "المقدمة.. بدأها بما سماه " فذلكة فى فلسفة الأديان.. وقد استغرقت هذه الفذلكة معظمها . وغلبت عليه فيها روح الأبحاث التى كان يعالجها فى الحقيقة الفكرية" وما كان يعالجه من ذلك فى "الإسلام فى عصر العلم" بما يتصل بفلسفة الأديان ، ومراحل الإيمان وخصائص الإسلام وما إلى ذلك، فإذا هو مستغرق فيها مسترسل معها ، حتى إذا ما كان عليه أن يتكلم فى تاريخ القرآن وكيفية نزوله، وقرآته وما إلى ذلك مما ذكره فى منهجه لم يأت بجديد ، ولم يكذب يزيد

(١) د. محمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن : ص ٤٦٨ ، ط ١ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢) دار التراث القاهرة.

(٢) المصدر السابق : ص ٤٦٩ .

(٣) محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وأثره : ص ٩٠ .

فى مثل ما جاء منه فى كتاب ككتاب الإتقان للسيوطى دون أن يبدو له فيه جهد خاص يستحق التتويه^(١)

وأرى أن لا غرابة فى رأى د. طه الحاجرى فقد أوضح د. أحمد جمال الصلة بين السيوطى وفريد وجدى فهما يتبعان نفس المنهج الإجمالى وإن كان د. طه الحاجرى عاب بعض التقصير على فريد فى المقدمة ، فقد مدح التزامه بالمنهج الذى وضعه فى تفسيره المصحف المفسر يقول^(٢):-

"فإنه فى التفسير حقق ما رسمه ، ووقف عند حدود ما التزمه ، فجاء مؤدياً للغرض الذى أراد له أداءاً كافياً ، من ناحية العناية بتفسير المعانى تفسيراً يجمع إلى الدقة والقصد القرب واليسر ، ومن ناحية العناية اللغوية بتفسير الألفاظ ، كما تجنب إقحام التفسير فى معتزك المذاهب ومزدهم الآراء ، فوقف عند التفسير السائد ، دون أن يعرض لرأى خاص إلا أن يضطره الكلام إليه ، فينبه إلى ذلك . وقد وقع ذلك فى مواضع قليلة"

وللدكتور محمد رجب البيومى رأى موجز فى تفسير فريد وجدى يقول^(٣) : "وقد لمس حاجة عصره إلى تفسير مناسب يقرب كتاب الله من الأذهان ، إذ أن التفاسير المتداولة نتيه القارئ فى أودية من العلوم : عربية وفقهية ومذهبية ، فتأى به عن الروح الحى المتألق فى كتاب الله ، لذلك نهض بواجبه فى التفسير نهوض من يدرك أهمية عمله ، فذاع تفسيره الموجز وترجم إلى لغات كثيرة وتناقله جمهور المسلمين فى شتى بلادهم النازحة شاكرين" ونختم بأراء العلماء فى المصحف المفسر برأى أ. أنور الجندى يقول^(٤):

"ولا يزال القرآن المفسر باقياً إلى اليوم يعاد طبعه ، ولا تزال مقدمته تشهد بأن (فريد وجدى) استكمل فى هذه المرحلة من حياته أسلحة البحث العلمى وأدواته ، وأنه قد تهيأ فعلاً لأداء رسالته التى عاش لها. ولم يخرج عن نطاقها ولم يتوقف ، ولم تزد الأحداث والتطورات العلمية والمذاهب المستحدثة إلا إيماناً بها ، واقتناعاً بأنه على الحق ، وأن الإنسانية تتجه إلى فكرة الدين لا محالة ، بعد أن تنتهى مرحلة الفلسفة المادية ، وأنه لا سبيل إلى حل أزمتها الاجتماعية والإنسانية إلا باعتراف الإسلام."

(١) حقاً لم يزد فريد وجدى فى المسائل المتعلقة بعلوم القرآن كما ذكر د. الحاجرى لأنها مسائل لا تحتاج لإضافة أو نقاش ولكن بما لاشك فيه أنه اهتم بما سواها كمقالاته التفسيرية مثل (الأديان فى نظر القرآن- الشريعة فى نظر القرآن) ومناقشاته المنطقية مثل (الإسلام هو دين الفطرة) وأثر الرقى المادى والشكوك فى الدين ، وغيرها مما لا يتسع المجال لمناقشته أو الاستشهاد به ولكن سيرد ذكر نموذج فى مبحث الوحدة الموضوعية فى الفصل الثانى .

(٢) أ. محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره ، ص ٩١ : ٩٢ .

(٣) محمد رجب البيومى : مناقشات وردود : المقدمة ، ص ١٠ ، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥) الدار المصرية اللبنانية

(٤) أنور الجندى : محمد فريد وجدى : رائد التوفيق بين العلم والدين ، ص ٢٧ ، ط ١٩٧٤ . الهيئة المصرية العامة للكتاب

وآراء العلماء السابقة تذكرنا بما مدح به أ. محمد حسين الذهبي مدرسة محمد عبده فقد ذكر من محاسنها^(١) "أنها نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب... لم تخض في تعيين ما أبهمه القرآن... أبعدت التفسير عن التأثير باصطلاحات العلوم والفنون.. نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً فكشفت عن بلاغة للقرآن وإعجازه وأوضحت معانيه ومرامييه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم جمعت بين خيري الدنيا والآخرة، ووفقت بين القرآن وما أثبتته العلم من نظريات صحيحة وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذي يستطيع أن يساير التطور الزمني والبشري، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ودفعت ما ورد في شبه على القرآن..."^(٢)

الخلاصة :

- اهتم محمد فريد وجدي بتفسير ميسر للقرآن الكريم، على فيه العديد من الجوانب اللغوية والفقهية والتشريعية والنفسية والاجتماعية.
- جاء تفسيره على صورة حواشي حول المصحف ليسهل للقارئ الفائدة وقد تم عرض فصل تفسير القرآن على النحو التالي :-
- ١- بداية التأليف والنشر .
- ٢- منهجه في التفسير كما وضعه في المقدمة.
- ٣- الوسائل التي يستعين بها المفسر للقرآن الكريم وهي [القرآن - الحديث النبوي - أسباب النزول - القراءات - الناسخ والمنسوخ - التأويل - الفقه - البلاغة - اللغة - الاصطلاح الديني] مع نماذج من تفسير فريد وجدي.

(١) محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون: ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٣ .

(٢) أوضح أ. عبد الله محمود شحاته الأسس التي قام عليها منهج الشيخ محمد عبده :-

الأساس الأول - اعتبار السورة وحدة متناسقة.

الأساس الثاني - عموم القرآن وشموله.

الأساس الثالث - القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع.

الأساس الرابع - محاربة التقليد.

الأساس الخامس - إعمال النظر والفكر واستخدام المنهج العلمي في البحث والاستنباط.

الأساس السادس - تحكم العقل والاعتماد عليه في فهم آيات القرآن [وقد اعتبر البعض أن هذا الأساس من عيوب مدرسة محمد عبده

انظر د. فهد عبد الرحمن فهد سليمان الرومي - اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر ح ٢ ص ٧٠٣ : ٨٥٩ ط ١٤٠٧ هـ -

١٩٨٦) منهج المدرسة العقلية في التفسير ط ١٤٠٧ مؤسسة الرسالة].

الأساس السابع - ترك الإطناب في الكلام عما ورد في القرآن بصورة مبهمة.

الأساس الثامن - التحفظ في الأخذ بما سمي بالتفسير المأثور والتحذير من الإسرائيليات.

الأساس التاسع - اهتمامه بتنظيم الحياة الاجتماعية على أساس من هدى القرآن

من كتاب منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم - ص ٣٢ - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م)

- ٤- بعض الخصائص التي ميزت تفسيره وهي [المقاصد الشرعية - العلم والإعجاز العلمي - المرأة في الإسلام - التكرار] مع نماذج من تفسيره.
- ٥- الملاحظات على تفسيره من خلال النماذج السابقة واعتبار فريد وجدي جامعاً بين منهجى النقل والعقل مع الاهتمام بالجانب الاجتماعى الذى يميز مدرسة محمد عبده.
- ٦- آراء العلماء فى تفسير محمد فريد وجدي وقد وصف أحدهم منهجه بالمنهج الإجمالى ووصفه آخر بالمنهج الهدائى.

الفصل الثانى

مباحث قرآنية

فصل مباحث قرآنية

مباحث تتعلق بأى القرآن الكريم من ناحية التفسير أو الإعجاز ، تدور حول القرآن الكريم ، وترتيبها كالتالى^(١) :-

أولاً : معجزة الإسراء والمعراج

وسوف أذكر تفسير الآية ، ومناقشة المعجزة وكيفيتها ، والحكمة المستنبطة منها.

ثانياً : الإعجاز القرآنى

وسوف أشير إلى آراء العلماء فى أوجه الإعجاز بإيجاز والتركيز على التأثير الروحى والإعجاز النفسى ، وهو قول فريد وجدى فى الإعجاز.

ثالثاً : الوحدة الموضوعية

متعلق بترتيب المصحف الشريف ، واتهامات المستشرقين للقرآن بعدم التناسق والترتيب - وآراء العلماء مع توضيح رأى.فريد وجدى.

رابعاً : ترجمة القرآن

قضية دارت فى العصر الحديث ، وأثارت جدلاً عنيفاً بين العلماء ، لاختلاف آرائهم فسأشير إلى هذا التباين مع إبراز رأى فريد وجدى وأثره وما آل إليه فى النهاية من جواز الترجمة.

^(١) حاولت أن يكون ترتيب المباحث حسب ظهور القضية أى ترتيب زمنى حتى وإن أخل هذا بالترتيب الكمى للمبحث.

المبحث الأول

معجزة الإسراء والمعراج

معجزة الإسراء والمعراج

إن قضية الإسراء والمعراج من القضايا الدينية التي أثارت جدلاً ونقاشاً بين المشركين والمسلمين على حد سواء إبان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فور إعلانه النبأ ، وتكذيب قومه له لإنجازه رحلة الإسراء والمعراج في هذا الوقت الوجيز . كما تباينوا وفق كل عصر وتطوراته حول موضع الاختلاف فخرجت القضية من كونها مسألة إيمانية إلى الشكل والقشور الخارجية .

قسم أ. سعيد محمد حسن الآراء المتباينة إزاء معجزة الإسراء والمعراج إلى ثلاث مراحل ، ففي المرحلة الأولى (القرن الأول الهجري)^(١)

"كان الفكر الإسلامي إلهياً محضاً لا اعتبار فيه إلا لما جاء بكتاب الله وما ثبت عن رسول الله"^(٢) "والذين تعجبوا من الحدث أوشكوا في الخبر كانوا من المشركين ؛ فقد رأوا فيه فرصة سانحة للقضاء على محمد وتدمير دعوته، أما المسلمون فقد صدّقوا وآمنوا ، لأنهم ردوا الأمر كله لله ، فأصبح الثبوت من مصدر الخبر هو محور اهتمامهم. فلم يتطرقوا إلى بحث مضمون الحدث : ممكن هو أم مستحيل ولم يتساءلوا عن الحكمة منه ولم كان؟ ولم يشغلوا أنفسهم بكيفيته ، أكان رؤياً بالروح أم حقيقة بالجسد"^(٣)

- المرحلة الثانية^(٤) القرن الثاني والثالث الهجري :-

"كانت العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه قد نمت وترعرعت ، وإلى جانبها لاحت على استحياء العلوم العقلية من فلسفة ومنطق وفلك وهندسة... والعقل كان قد تحرر من أسر الهيبة والجمود - فالمسلمون يطرحون التساؤلات ويتدبرون الأحداث ويفسرون النصوص" إن التساؤل عن الكيفية التي تمت بها رحلة الإسراء كان متناسباً مع التدرج الفكري لعلماء المرحلة الثانية ، أما المرحلة الثالثة فيصفها أ. سعيد محمد حسن بالجمود^(٥)

"الاهتمام فيما بعد القرن الثالث الهجري - كان موجهاً في الغالب إلى دراسة العلوم العقلية مع التركيز على الفلسفة بوجه خاص ، أما العلوم الدينية التي اقتصر الأمر في شأنها على النقل ؛ فقد انتهت إلى التجمد والجمود ، لكنها مرحلة طويلة تزيد على عشرة قرون ، هي عمر المحنة التي يعيشها الفكر الإسلامي" وهي فترتان ، الفترة الأولى من المرحلة الثالثة :

^(١) سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج : ص (٥٥:٥٩). (بتصرف) ط مؤسسة روزاليوسف ، ١٩٧٧م.

^(٢) المصدر السابق : ٥٥

^(٣) المصدر السابق : ٥٧

^(٤) المصدر السابق : ص ٥٩.

^(٥) المصدر السابق : ص ٩١-٩٢.

"تبدأ الأولى من بعد القرن الثالث الهجرى وتستمر إلى منتصف القرن العشرين الميلادى وخلالها لم يشغل أحد من المسلمين نفسه بالتساؤل عن حكمة الإسراء والمعراج" ، بل ظهرت تساؤلات عن تاريخ الإسراء والمعراج والمكان الذى بدأت منه هذه الرحلة ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم سبحانه وتعالى والرأى القائل إن الإسراء بالروح والجسد بينما المعراج بالروح فقط...

الفترة الثانية من المرحلة الثالثة^(١)

"تبدأ من منتصف القرن الحالى ... اعتبروا الخلاف حول الإسراء بالروح أو بالجسد هو قطب الرعى بالنسبة لهذا الحدث الهام ، إلا أن هذه الفترة تتميز بظهور التساؤل - فى بعض الكتابات - عن الحكمة من الإسراء والمعراج" ويوضح د. عبد الحليم محمود^(٢) تأثير الإسراء والمعراج المختلف عند الناس على مر العصور.

"هذا النبأ الجليل يسمعه قوم ، فلا يصل إلا إلى الجوانب الظاهرية منهم ، فيأخذون فى الجدل الشكلى ، أكان ذلك فى اليقظة أم كان ذلك فى النوم؟ أكان ذلك بالروح والجسد أم كان بالروح فقط ؟ وهل كان ليلاً ؟ أم كان نهاراً؟

"وهذه كلها صور من الجدل الذى يثور ، حينما يخف وزن الإيمان فى النفوس ويسمع هذا النبأ قوم ، فيصل إلى أعماق قلوبهم ، فيتجهون فى صورة طبيعية إلى مغزاه العميق ، وإلى روحانيته السامية ويرون أن هذا النبأ ؛ ينطوى على توجيهات لا ينبغى أن يمر عليها الناس من الكلام ..."

... وقبل عرض رأى محمد فريد فى هذه القضية وآراء العلماء المختلفة وعلل اختلافها نلقى الضوء على الظروف التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم وسبقت الإسراء والمعراج. بعد أن يأسست قریش من بنى هاشم وبنى عبد المطلب لعدم تخليهم عن حماية محمد وكتبت صحيفة المقاطعة "ألا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم ، ولا يزجونهم ولا يتزوجون منهم"^(٣) وفرض الحصار ثلاث سنوات وانتهى بتمزيق الصحيفة بعد أن أمر الله العلى القدير أرضه الأرض فأكلتها. "ولكن هذا لم يكن النهاية ... فلم تمض شهور على تمزيق الصحيفة .. حتى فاجأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعتان فى عام واحد ... اهترت لهما نفسه الشريفة

(١) د. سعيد محمد حسن: حقائق الإسراء والمعراج : ص ٩٢.

(٢) د. عبد الحليم محمود : الإسراء والمعراج : ص ٥٩ ، ٦١ ، سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة السادسة العدد ٨٠ - رجب ١٣٩٥ هـ - يوليو ١٩٧٥ م. ط القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

(٣) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج : ص ٢١ ، مؤسسة أخبار اليوم مكتبة الشعراوى الإسلامية ١٩٩٠ م.

مات عمه أبو طالب ، وماتت زوجته خديجة ... وسمى هذا العام ، عام الحزن^(١) " ... وبعد أن فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... حماية عمه وحنان زوجته ... ازداد إيذاء الكفار للمسلمين ... كما ازداد إيذاؤهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تحمل في صبر وجلد^(٢) " ثم كانت رحلته للطائف التي أساء أهلها استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم وقذفه السفهاء منهم بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين^(٣) والتجأ إلى بستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة فيرجع وقد تقطعت في نفسه وسائل الاستعانة الأرضية. ويلقى بأثقاله كلها وبنفسه بين يدي صاحب الأمر الذي بعثه. وكلفه الدعوة إلى توحيده وتبليغ شرعه ودينه ، والذي في قدرته وحده أن يخلصه مما يبتلى به من قومه وأن يعوضه خيراً ممن فقد زوجته وعمه ، يلقي أثقاله بين يدي صاحب الأمر ، ويذوب قلبه بالضراعة وينطلق لسانه بالدعاء^(٤) "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني .. أم إلى عدو ملكته أمري. إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك^(٥) " وكان لابد من مدد من السماء يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ليؤكد له :

(١) يرفض د. سعيد محمد حسن في كتابه "حقائق الإسراء والمعراج الأنجاه" القائل بأن تلك الظروف التي سبقت الإسراء والمعراج هي الأسباب لتلك المعجزة ، وقد اشتمل كتابه من ص ١٢٧ وما يليها ، بداية هذا الاتجاه ومناقشته له وإن كان في نهاية كتابه ذكر أن هناك أسباباً أخرى تصل بنا إلى حكمة الإسراء والمعراج سر جئها إلى كتاب آخر ؟ وكنا نتمنى ألا يهدم كل ما سبق دون أن يبنى في الوقت نفسه ولعلنا اتفق معه في كونها ظروفًا سبقت الإسراء والمعراج ولاداع أن تكون للمعجزة أسباب يديها غيره أو يديها هو في كتاب لاحق.

(٢) محمد متول الشعراوي : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" : ص ٢٣، ٢٢.

(٣) في الأصل "الشريفتان".

(٤) محمود شلتوت : محمد الرسول الأعظم : ص ٣٧ ، سلسلة الأعداد الخاصة ، مختارات الإذاعة والتلفزيون ٨م ، العدد الرابع - يناير ١٩٦٥ / ملحق العدد ١٥٥٧.

(٥) اعترض د. سعيد محمد حسن على صحة هذا الحديث ويقول الألبان عنه : "قوله اللهم إليك أشكر ... بدون سند ، وكذلك رواه ابن جرير (٨٠/١-٨١) من طريق ابن إسحاق وروى هذه القصة الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر مختصراً وفيه الدعاء المذكور بنحوه ، قال الميثمي (٣٥/٦) : "وفيه ابن إسحاق ، وهو مدلس ثقة . وبقية رجاله ثقات" فالحديث ضعيف "محمد الغزالي : فقه السيرة : ص ١٣٤ ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - دار الريان للتراث.

وقد علق عليه الغزالي بقوله [قد يختلف علماء السنة في تصحيح حديث وتضعيفه] ولكنني انظر لمن الحديث فأجد معناه متفقاً كل الاتفاق مع آية من كتاب الله أو أثر من سنة صحيحه.

إنه إذا كان أهل الأرض قد تخلوا عنه ... فإنه ربى سيحتفى به فى ملكوت السماء^(١) ويستجيب الله عز وجل إلى دعاء نبيه وتمتد يد الله الرحيمة لتزيل ما علق بقلب النبي من حزن وأسى مما أصابه فى الأرض".

"وفى هذا الجو الربانى الخالص يمد الله يده إلى عبده ويضمه إليه ويسرى به من المسجد الأقصى ويريه من دلائل قدرته وآيات سلطانه ما يبده عنه نفسه الشريفة سحائب هذا الجو الأرضى الخانق ويضئ له المستقبل"^(٢) ... وكانت معجزة الإسراء والمعراج.

وقد بدء عرض فريد وجدى لقضية الإسراء والمعراج ، بتعريف المعراج^(٣) تلك الليلة "التي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم عرج فيها إلى السماء بعد الإسراء به إلى بيت المقدس" وذكر أوائل سورة النجم التي تفسر هذه المعجزة ، ثم أشار إلى الإسراء "لقد كان هذا المعراج بعد أن أسرى به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ليلاً" كما فى قوله تعالى:^(٤) "سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَنِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" ١

وكأسلوب محمد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين يأتى بآراء السابقين ثم يدلّو برأيه فاستشهد بآراء السيد أحمد زيني حول الإسراء يقول^(٥):

"إن كثرة الروايات واختلافها حملت الظن عند البعض على تعدد الإسراء ووقوعه فى اليقظة والنام .. كما أن هناك اختلافاً فى تحديد زمن الإسراء. قيل فى سنة إحدى عشر قبل الهجرة ... وقيل قبل الهجرة بسنة ، قيل فى شهر ربيع الأول وقيل فى رمضان. وقيل فى شهر رجب ، وهو المشهور وعليه عمل الناس" وأشار فريد وجدى إلى المعراج وما حدث فى السماء وتكذيب قريش لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديق أبى بكر وكل من قوى إيمانه.

وبعد أن استشهد فريد وجدى بروايات متعددة عن الإسراء والمعراج. علق عليها بقوله:^(٦) "ليس المقام هنا مقام مناقشة فى صحة هذه الروايات وإنما غرضنا أن نثبت أولاً ما قيل عن الإسراء والمعراج ثم نتبعه برأينا الخاص فى هذه المسألة الخطيرة."

^(١) محمد متول الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" ص ٢٣.

^(٢) محمود شلتوت : محمد الرسول الأعظم : ص ٣٨.

^(٣) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين والقرن الرابع عشر : ٦٠ ، ص ٣١٤ ، ط ٣١ ط الثالثة سنة ١٩٧١ ، دار المعرفة بيروت لبنان.

^(٤) سورة الإسراء : آية ١

^(٥) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٣١٤ ، ج ٦ ، نقلاً من السيرة النبوية والآثار المحمدية للسيد أحمد الزيني

^(٦) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٣٢٠:٣١٦ ، ج ٦.

ثم تلى حديثه عن المعراج بذكر روايات عدة عن شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وغسل قلبه وركوب الدابة وصعوده السماء ومقابلة الأنبياء حيث قابل نبي الله آدم في السماء الأولى والثانية يحيى وعيسى والثالثة يوسف والرابعة إدريس ، والخامسة هارون والسادسة موسى والسادسة إبراهيم ، ثم رفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى.

أشار فريد وجدى إلى رأى النيسابورى^(١) " اعلم أن الأكثرين من علماء الإسلام اتفقوا على أنه أسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم " بينما أشار القليلون إلى " أنه ما أسرى إلا بروحه أما فى المعراج فهناك جمهور يقول المعراج بالروح وحسب وله حجة ، وجمهور يقول بالجسد والروح " .

ويرد النيسابورى على حجة الأولين من خلال مناقشة آرائهم ، وأختار من هذه المناقشات بعض الأمور التى ستدور عليها آراء فريد وجدى واختلاف العلماء ... منها :-
١- "أنه لو صح ذلك - يقصد الإسراء والمعراج - لكان من أعظم معجزاته فوجب أن يكون بمحضر من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه . وما الفائدة فى إسرائه ليلاً على حين غفلة من الناس "

ويرد على هذا بقوله "إن فائدة الإسراء قد عادت إليه حيث شاهد العالم العلوى والعرش والكرسى وما فيها وعليها فحصل فى قلبه زيادة قوة وطمأنينة بها، انقطعت تعلقاته فى الكونين ولم يبق مشغول القلب بشئ من أمور الدنيا والآخرة.

٢- "إن حديث المعراج الجسماني اشتمل على أشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وغسله بماء زمزم وركوبه البراق وإيجاب خمسين صلاة ..."

الرد "إنه لا اعتراض على الله فى شئ من أفعاله وإنه على كل شئ قدير"
وبعد أن استعرض محمد فريد وجدى جملة الآراء التى تناولت الإسراء والمعراج جاء دوره ليدلو برأيه الخاص ... يقول^(٢) عن الإسراء :-

"الإسراء بالجسد والروح من مكة إلى المدينة إلى بيت المقدس ممكن غير مستحيل"
وفى تفسيره لسورة الإسراء^(٣) " إن الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة جسداً وروحاً؟ أو روحاً فقط ، فى اليقظة أم فى المنام أمر مختلف فيه. وقد شهدت إحدى زوجاته أنه لم ينتقل تلك الليلة من فراشه ، ولكن ذهب أكثر العلماء أنه أسرى به جسداً وروحاً وفى اليقظة ، وهو أمر ليس بالمستحيل من طرق الإعجاز"

^(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ج ٦ ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ نقلاً عن نظام الدين الحسن النيسابورى فى تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان.

^(٢) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٣٣٨.

^(٣) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : ص ٣٦٤ سورة الإسراء.

وفى تعليله إمكان حدوث الإسراء بالروح والجسد معاً يقول:

"العلوم الروحية بأوروبا تقرب ذلك إلى العقل" فقد^(١) أثبت من تجارب العلماء الأوروبيين فى المسائل الروحانية إن ما يسمونه بالأرواح تأتيهم بالزهور الندية الغضة من أقصى البلاد كالصين والهند مثلاً وتنتثره عليهم وهم جلوس فى الغرف الموعودة ...

ثبت هذا الأمر لجمهور العلماء الذين أمضوا عشرات السنين فى التجارب ودونوه فى مؤلفاتهم. فإذا ثبت هذا جاز أن ينتقل نبي مرسل من بلده إلى بلد قاص بطريق الإعجاز. فإن الله أقدر مما يسمونه الأرواح على نقل الأجسام ، وإن بعد ذلك عن تناول العقول

يتضح كما رأينا أن فريد وجدى يجعل تلك التجارب الروحية مثلاً يقرب به إلى الأذهان القول بأن الإسراء تم بالروح والجسد.

ويبرر عدم اقتناع العقل بتلك التجارب^(٢) "لأعبرة بعجزنا عن تعليل ذلك تعليلاً علمياً ، فقد عجز علماء أوروبا أنفسهم عن تعليل نقل الأزهار والأثاثات الثقيلة من الأماكن البعيدة إلى غرف التجارب ؛ فإتهم وإن رأوا ذلك رأى العين إلا أنهم لا يزالون حائرين فى تعليله"

ويحاول وجدى أن يوضح ويقرب الشبه بين الأرواح وقضية الإسراء^(٣) وقد ذهب بعضهم إلى أن الأرواح قبل نقل تلك الأجسام تحيلها إلى هيولها الأصلية وهى على غاية من اللطافة. بحيث تتمكن أن تخترق بها الأهواء والحوائط على تلك الصورة ثم تعيدها بقوتها إلى سيرتها الأولى بعد أن تحضرها."

ويتساءل محاولاً إقناع القارئ "فهل يبعد بعد هذا أن يرق الجسد الإنسانى ويتلطف حتى يصير ألطف من الأثير نفسه فينتقل من بلد إلى بلد ثم يعود إلى ما كان عليه بخاصة فيه أو بقدرة الحق سبحانه وتعالى"

ويشير "فريد وجدى" إلى^(٤) أمهات الكتب التى توضح تلك التجارب الروحية لتقتنع العقول:

"المسألة صعبة على العقول ، ولكن الذين شاهدوا بأعينهم التجارب الروحية أوقروا أمهات كتبها مما وضعه المجرّبون أمثال الأساتذة وإليم كركس ... وغيرهم من الإنجليز والألمان والفرنسيين ؛ لأبعد هذه المسألة من الصعوبة بمكان خطير"

وفريد وجدى يذكر القارئ أن هناك أموراً فى نواميس الطبيعة لم تكتشف بعد فلا داع أن نطيل النظر فى هذا الأمر ولنعتبره أمراً صعب التعليل وحسب.

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ج ٦ ، ص ٣٢٨.

(٢) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٣٢٨.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٢٨.

(٤) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٣٢٩.

ويختتم فريد وجدى رأيه فى الإسراء إلى عدم تحديد القرآن لكيفية الإسراء^(١) "تقول هذا وليس فى القرآن ما يدل على أن الإسراء حصل جسداً وروحاً ولو كان فيه ذلك لما اختلف العلماء فيه ، ولما قال مثل حذيفة وعائشة وغيرهما بأنه كان مناماً لا يقظة" لم ينكر فريد وجدى وجود الإسراء فهو حقيقة أثبتتها القرآن ، أما كفيته وهو موضوع الاختلاف فقد حاول تقريبه إلى العقل عن طريق العلم الحديث من خلال التجارب الروحية كما سبق .

وبعد عرض رأى فريد وجدى فى معجزة الإسراء آن لنا أن نناقش هذا الأمر :-

" سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ "

لقد بدأت الآية الكريمة التى تخبرنا بأمر الإسراء بتنزيه الله سبحانه وتعالى ونسب أمر الإسراء إليه عز وجل. وفى هذا يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى^(٢) رحمه الله : "وكلمة سبحان لم ترد فى القرآن الكريم... إلا عند ذكر الأشياء العجيبة المعجزة .. لذلك حين تسمعها فى كلام الله سبحانه وتعالى ... فلا بد أن تعرف أن هذا تنزيه لله ... بأن الفعل الذى تم لا يقدر على فعله إلا الله جل جلاله..."

... إن الله أرادنا أن نعرف أن معجزة الإسراء والمعراج من فعل الله سبحانه وتعالى .. ولم تتم بقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرية ... وأحداث الفعل تختلف بالنسبة للفاعل وتتناسب معه".

ويستنتج الشيخ الشعراوى من تفسير لفظ " سبحان " وجوب معارضتنا لأمر الإسراء كان بالروح أو بالجسد يقظة أو منام لأن الله هو الفاعل يقول : ^(٤) "ولذلك إذا فعل الله سبحانه وتعالى شيئاً .. فلا تسأل كيف ؟ لأن طاقة عقلك لا يمكن أن تدرك أسرار الفعل ... ولأن الله سبحانه وتعالى ... يفعل ما يشاء"

وأعطى الأمثلة على ذلك منها :-^(٥) "وإذا قلت^(٦) إننى سافرت إلى الإسكندرية بالقطار .. وقلت أننى سافرت إليها بالطائرة .. وقلت إننى سافرت إليها بصاروخ .. الفعل واحد ..

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ج ٦ ، ص ٣٢٩ .

(٢) سورة الإسراء : آية (١)

(٣) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج : ص ٣٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٨ .

(٥) أمثلة تتناسب مع التطور العلمى والإنجازات العلمية الحديثة فى فنون الاتصال ، وهى تشابه مع حجة "فريد وجدى" فى مسألة التجارب الروحية.

(٦) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" : ص ٣٤ .

ولكن قوة الفعل تختلف .. ولذلك فإن الرحلة بالقطار تستغرق ساعات وبالطائرة نصف ساعة .. وبالصاروخ دقيقة"

ويعود فضيلته إلى تلك النتيجة التي ذكرها آنفاً "إذن العقل يتناسب دائماً مع قدرة فاعله .. فإذا قال الله سبحانه وتعالى .. إنه هو الذي أسرى برسوله صلى الله عليه وسلم .. ويكون ما في الرحلة مما هو فوق قدرة العقول يمكن أن يحدث"

ويستمر الشيخ الشعراوي في تفسيره ليثبت أن الإسراء تم بالروح والجسد :-

"سبحان الذي أسرى بعبدته" نقول ^(١) "إن الله جل جلاله قد استخدم كلمة (عبدته) ليفتتا إلى حقيقتين هامتين : الحقيقة الأولى : أن الإسراء تم بالروح والجسد .. ولم يكن مناماً ، ولكنه كان رؤية حقيقية .. فكلمة عبد لا تطلق إلا عند التقاء الروح والجسد" .. "والله سبحانه وتعالى يريد أن نعلم .. أن هذه المنزلة الخصوصية لمحمد صلى الله عليه وسلم .. لأنه عبد .. وهذا هو أعلى مراتب الشرف والعطاء من الله .. وأن الله سبحانه وتعالى يفيض من أسرار ملكوته على عباده المخلصين"

يوضح الشيخ الشعراوي ^(٢) أن مناقشة قريش واستنكارهم لحادث الإسراء على أنه تم بالروح والجسد وإلا ما كان هناك داع للمناقشة "قلو أن الإسراء كان مناماً .. كما يدعى بعض الناس .. ما كان هناك مجال للنقاش .. وهل يناقش النائم فيما يراه؟"

"قال ابن حجر ^(٣) والذي ينبغي ألا يجرى الخلاف فيه أن الإسراء كان في اليقظة؛ لظاهر القرآن الكريم"

"ولكون قريش كذبت في ذلك ولو كان مناماً لما كذبت فيه ، ولا في أبعد منه"

وبعد تفسير آية الإسراء والمنطقية لهذه المعجزة يبقى أمران :-

الأول :- حديث عائشة ومعاوية.

والثاني : تفسير كلمة الرؤيا في قوله تعالى "وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ" ^(٤)

أولاً : حديث عائشة ومعاوية.

^(١) محمد متولى الشعراوي : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" ص ٣٦ : ٤١ "بتصرف"

^(٢) استفاد الشيخ الشعراوي في كتابه "المصدر السابق" في محاولة توفيق بين الأحاديث الغائلة باليقظة والأخرى الغائلة بالنام من ص ٢٧ : ٤٩ .

^(٣) رفعت فوزي عبد المطلب : أحاديث الإسراء والمعراج "دراسة توثيقية" : ص ٦٩ نقلاً عن فتح الباري شرح صحيح البخاري :

أحمد بن حجر العسقلاني : ص ٣٣٨ ، حـ ١ .

^(٤) سورة : الإسراء : آية : ٦٠

"أما ما يعزى إلى عائشة رضى الله عنها أنها قالت "ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أسرى بروحه" فغير صحيح ؛ لأن فى سنده انقطاع ، وقال بعض العلماء : إنه موضوع عليها ؛ وضع رداً للحديث الصحيح^(١) ومناقشة للمتن يقول د. رفعت فوزى^(٢).

"ومتن هذا الحديث أيضاً غير صحيح ؛ لأن عائشة لم يدخل بها إلا فى المدينة بالإجماع ، ولم تكن وقت الإسراء فى سن من يضبط الأمور ؛ لأنها فى سنة الهجرة كانت بنت ثمانى سنين، فعلى القول بأن الإسراء كان قبلها بسنة تكون بنت سبع ، وعلى القول أكثر من ذلك تكون أصغر ، وعلى من قال : إن الإسراء كان بعد البعث بعام لم تكن قد ولدت" ويوافق د. سعيد محمد حسن على رأى د. رفعت فوزى ، فهو يرى أن حديث عائشة موضوع ، روج له أصحاب النزعة المادية لصعوبة اقتناعهم بالإسراء بالروح والجسد معاً ، "فخالفوا"^(٣) رأى السلف ، وما عليه جمهور المسلمين وقالوا إن الإسراء كان بالروح ، وحتى يجدوا لرأيهم مكاناً ويجعلون له وزناً نسبوه إلى السيدة عائشة التى لم تكن وقت الإسراء فى سن من يضبط كما أنها لم تكن قد أصبحت بعد من أمهات المؤمنين ، وإلى معاوية وقت أن كان على دين آبائه

كما يرى^(٤) أن الاستدلال بتلك الأحاديث الموضوعية تم على يد ابن إسحاق صاحب كتاب السيرة. وحجته فى ذلك "أن ابن إسحاق كان له فى الإسراء رأى اقتنع به وهو أنه كان رؤيا كرويا إبراهيم عليه السلام فى ذبح ابنه، فهو يستدل بقوله تعالى "يَبْنِيْ اِيَّيْ اَرَى فِى الْمَنَامِ اَنِّ اَذْبَحُكَ" ^(٥)

لكنه تردد فى الاستقلال برأيه ، فمهد له بأقواله المنسوبة إلى السيدة عائشة وإلى معاوية ، إلا أن المسلمين - فيما بعد - لم ينتبهوا إلى حقيقة الأمر ، بل نظروا إلى ما نسب للسيدة عائشة ولمعاوية كقضية حقيقية قائمة بذاتها ، استحوذت على كثير من اهتمامهم" ثانياً : قوله تعالى^(٦) " وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي اَرَيْتَكَ اِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ

(١) رفعت فوزى : حديث الإسراء والمعراج : ص ٧١ نقلاً عن سبيل الهدى والرشاد. فى سيرة خير العباد : محمد يوسف الصالحى الشافعى ٩٤٢ ، ٣ ، ص ١٠٣ : ١٠٤ ، ط ١٣٤٢ - ١٩٧٢ - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وفى رواية "ما فقد" بالبناء للمجهول وعلى هذا فلا يكون الطعن شديداً فى قولها

(٢) المصدر السابق : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧١ ، ٧٣.

(٣) د. سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج : ص ٦٠.

(٤) المصدر السابق : ص ٦٦ ، ٧٧.

(٥) سورة الصافات : آية ١٠٢

(٦) سورة الإسراء : آية ٦٠.

"وليس لمحتج أن يقول : إن الإسراء كان مناماً؟ لأن الله سبحانه وتعالى هو قد عبر عما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من الآيات بكلمة "الرؤيا" التي تدل على الرؤية المنامية. ليس لمحتج أن يفعل ذلك ؟ لأن كلمة "الرؤيا" في الاستعمال العربي الصحيح تدل على الرؤية البصرية كما تدل على الرؤية المنامية ، والدليل على ذلك قول الشاعر العربي الذي يحتج بشعره ، وهو الراعي النميري :

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفساً كان قبل يلومها

وإن كان استعمال هذه الكلمة للرؤية البصرية يدل على أن المرئى شيء غريب لا يعتاد البصر رؤيته"^(١)

ويؤكد هذا ما قاله الشيخ الشعراوي^(٢) "ويقولون "الرؤيا" لا تستخدم إلا لما يرى في المنام .. أما ما يرى في اليقظة ، فإننا نقول عنه "رؤية" .. نقول إذا كان المقصود هنا رؤية منامية .. فكيف تكون فتنة للناس ؟ يصدقها بعضهم ويكذبها بعضهم. لو كانت رؤيا منامية .. فلا يمكن أن يناقشها أحد تصديقاً أو تكذيباً كما بينا.. ونحن لا يجب أن نأخذ بالشائع على ألسنة الناس" ولكننا إذا عدنا للغة العربية قبل أن ينتزل القرآن ... نجد أن كلمة "الرؤيا" وردت أيضاً للبصر .. وذكرت كذلك في كثير من قصائد الشعر لفحول الشعراء العرب .. والفرق الوحيد أنهم كانوا يستخدمون كلمة "الرؤيا" في البصر .. عندما يتحدثون عن الأشياء الغريبة التي تشبه الحلم .. فإذا استخدمنا "رؤيا" بمعنى المشاهدة بالبصر .. فهذا لا يتم إلا إذا رأينا أمامنا أمراً عجباً .. وإلا لو كانت الرؤيا منامية .. ما كانت فتنة للناس .. فلا أحد يناقش الأحلام كذباً أو صدقاً .. ولا تكون الرؤيا أبداً فتنة"^(٣)

وبهذا ننتهى من الإسراء وننتقل إلى المعراج .

معجزة المعراج

يقول محمد فريد وجدى^(٤) "أما مسألة العروج إلى السماء فإنها مستحيلة". وهو يعلل استحالة المعراج لسبب علمي : "لأنه ثبت اليوم علمياً بأن السماء ليست سقفاً مادياً ، بل هي فضاء لا نهاية له تسبح فيه أجرام علوية ، منها ما يحترق كالشمس ومنها ما هو بارد وعليه عوالم كعالمنا".

(١) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٦٩ ، ٧٠ ، نقلاً عن سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد أ. محمد يوسف الصالحى : ج ٣ ، ص ١٠٠ .

(٢) محمد متول الشعراوي : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" : ص ٤٩ .

(٣) المصدر السابق : الإسراء والمعراج : ص ٤٩ .

(٤) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٣٢٩ .

أما ما ورد في القرآن في هذه المسألة فيرى تأويله : "وما ورد في القرآن مما يوهم أنهم سقّف أو نحوه يجب تأويله عملاً بالقاعدة الإسلامية التي مؤدها وجوب تأويل النص إن خالف العقل"

ويعود للعلم مرة أخرى "وكون السماء سقفاً يخالف العقل والحس كما ثبت من علم الفلك الحديث ولا يحسن بمسلم أن يتثبت بآراء القدماء في المسائل الفلكية ليدافع عن مسألة جعل الله مندوحة من التورط فيها" .. يقصد التأويل. وهناك أسباب أخرى تجعله يرى باستحالة المعراج "ثم إن ما ورد من شق الصدر وإخراج القلب وركوب البراق وغير ذلك كله من الأمور المستحيلة عقلاً وحساً" وهو يكرر وجوب تحكيم العقل يقول^(١) "فمن كان يؤمن بالإسلام وجب عليه أن يرجع إلى تحكيم العقل في هذه الأمور لأن الكتاب جعله القسطاس الذي نوزن به المعتقدات حتى أنه قرر أن يؤول النص في كل ما يخالفه ، وقد خالف هذا الأمر "العقل والعلم" فوجب تأويل تلك النصوص.."

يعتبر فريد وجدى مناقشة القول بأن المعراج كان بالروح أو الجسد أو معاً ورطة "وقد سهل لنا الناس القائلون بأن المعراج كان مناماً سبيل التخلص من هذه الورطة إذا تقرر هذا فلا شبهة عندنا بأن الإسراء والمعراج أو أن المعراج وحده كان رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى^(٢) "وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ"

ختم محمد فريد وجدى حديثه عن الإسراء والمعراج بأن هناك أموراً يأبأها العقل فوجب على المسلم رفضها منها ، شق الصدر وركوب البراق وغيرها .. وهى كلها مسائل غيبية لن نناقشها ولا نملك على صحتها أو رفضها دليلاً ، ولكن سنورد ما قيل فى هذا الأمر.

أولاً : شق الصدر

أختلف بعض العلماء ووقفوا عند تلك القضية منهم من يصدق ويختلف فى توقيتها "أنكر القاضى عياض شق الصدر ليلة الإسراء وقال^(٣) : "إنما حدث ذلك وهو صغير عند مرضعته حليلة" ويرد عليه بعض العلماء بأن شق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع مرتين. ، وهم يرون إنه على سبيل المجاز.

"وكانت الحكمة فى المرة الأولى هى نزع العلقة التى قيل عندها : "هذا حظ الشيطان منك"

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ج ٦ ، ص ٣٢٩.

(٢) سبق التعليق على تفسير هذه الآية فى هذا المبحث ص ٤٩ - سورة الإسراء من آية ٦٠.

(٣) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧٣ ، نقلاً عن الشفاء ، ج ١ ، ص ١٣٧.

.. ومعناه نزع استعداده لغواية الشيطان أن تعرض له ، وليس هذا شيئاً مادياً بل هو من قبيل التمثيل والمجاز^(١)

والحديث عن شق الصدر مرتبط بإنفراج سقف بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم "وللمرة الثانية كانت لإعداده صلى الله عليه وسلم للرحلة التي سيقوم بها أو كما يقول ابن حجر^(٢) " ليتأهب للمناجاة" ... ويحتمل أن تكون الحكمة في انفراج بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره وأنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر منها ، وفي هذا طمأنة للرسول صلى الله عليه وسلم"

ويرى د. رفعت فوزي^(٣) أن الحكمة من شق الصدر لملئه بالحكمة والإيمان مع قدرة الله على فعل ذلك بدون شق هي "زيادة قوة يقينته صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أعطى برؤية شق صدره وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية؛ فلذلك كان أشجع الناس حالاً ومقالاتاً ، ولذلك أيضاً وصف بقوله تعالى^(٤) " مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى^(٥)

وقد رفض بعض العلماء هذا الأمر رفضاً مطلقاً وقد وردت روايات كثيرة في قضية المعراج.. تنقسم جملتها إلى أربعة أوجه .. منها : ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد ، فالأولى ألا نقبله ... فنحو ما روى أنه صلى الله عليه وسلم .. شق بطنه وغسله ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب ، وكيف يظهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء^(٥)

وفي هذا المعنى يقول محمد حسين هيكل ذاكراً قصة شق الصدر على أنها حدثت له وهو طفل رضيع عند حليلة السعدية وهو يشير إلى ضعف الحديث ورفض جماعة من المسلمين والمستشرقين له يقول^(٦) "ولعل آخرين يقولون إنه لم يكن في حاجة إلى من يشق بطنه أو صدره ما دام الله قد أعده من يوم خلقه لتلقى رسالته ، ويرى درمنجم أن هذه القصة لا تستند إلى شيء وغيرها يفهم من ظاهر الآيات^(٧)

الْمُنشَرِّحَ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۚ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ

(١) رفعت فوزي : حديث الإسراء والمعراج : ص ٧٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٤ نقلاً عن فتح الباري ، ح ٧ ، ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ٧٤ .

(٤) سورة النجم : آية ١٧ .

(٥) سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج ص ٥٠ ، ٥١ نقلاً من مجمع البيان في تفسير القرآن ح ٥ ، ص ٧ ، مكتبة الحياة - بيروت

(٦) محمد حسين هيكل : حياة محمد : ص ١٠٤ ، الهيئة العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ط الثالثة سنة ١٩٩٦ م .

(٧) سورة الشرح : آية ١ : ٣ .

لِيَمْلَأَ وَأَنْ مَا يَشِيرُ الْقُرْآنُ إِلَيْهِ إِنَّمَا عَمَلُ رُوحِي بَحْتٍ وَالْغَايَةُ مِنْهُ تَطْهِيرُ هَذَا الْقَلْبِ وَتَنْظِيفُهُ لِيَتَقَبَّلَ الرِّسَالَةَ الْقُدْسِيَّةَ خَالِصاً وَيُؤَدِّيَهَا مُخْلِصاً^(١)

ويبرر د. محمد-حسين هيكل هذا الرأي قائلاً "إنما يدعو المستشرقون ويدعو المفكرون من المسلمين إلى هذا الموقف من ذلك الحديث ؛ أن حياة محمد صلى الله عليه وسلم كانت كلها إنسانية سامية وأنه لم يلجأ في إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من أصحاب الخوارق ، وهم في هذا يجدون من المؤرخين العرب والمسلمين سنداً حين ينكرون من حياة النبي العربي كل ما لا يدخل في معروف العقل^(٢)، ويرون ما ورد من ذلك غير متفق مع مادعا القرآن إليه من النظر في خلق الله ، وأن سنة الله لن تجد لها تبديلاً، غير متفق مع تعبير القرآن للمشركون أنهم لا يفقهون أن ليست لهم قلوب يعقلون بها"^(٣)

وهناك من العلماء من لا يرفض شق الصدر ، بل لا يختلف على عدد مراتها أو ميقاتها ويرى أنها بمثابة التوبة لنا ، يقول د. عبد الحليم محمود^(٤) "هذا الحادث هو بالنسبة لنا التوبة ، فإن تطهير القلب الذي حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، عدة مرات في حياته إنما هو بالنسبة لأتباعه بمثابة التوبة"

وهو بهذا يتمثل الحكمة من شق الصدر ، فإنه برؤية الفيلسوف الصوفي يقول^(٥) "وإذا كان شق الصدر الذي سبق هذا الحادث الخطير حادث الإسراء والمعراج هو بالنسبة لنا التوبة ، فإنه أيضاً توجيه واضح لنا أن نلجأ إلى الله تعالى تائبين عند الشروع في أى أمل له قيمته ... إنه توجيه لنا أن نلجأ إلى الله تائبين عند الشروع في شراء ، وفى بيع ، فى ارتباط بزواج ، فى بناء بيت ، فى الشروع ، فى السفر .

ولبست التوبة فى مثل ذلك توبة من ذنب ، وإنما هى التجاء إلى الله .. وتشفع إليه سبحانه بتأكيد صفاء النفس وطهارة القلب من أجل أن يسد الخطأ ويمنح التوفيق ، ويحفظ من الأخطاء ، إنها توصل إلى الله بعمل صالح هو التوبة"

ونتهى الحديث عن شق الصدر برأى د. رفعت فوزى يقول^(٦) "شق الصدر من الأمور التى لا تعرف كيفيتها ؛ لأنه قد قام به من لا تعرف هيئته وحقيقة عمله ، وهم الملائكة ، ولكننا لا ننكره ؛ بل نسلم به ؛ لأن رواته - كما يقول القرطبي ، ثقافت مشاهير ؛

(١) نراه يتفق مع الرأي القائل إن شق الصدر "مجاز" فى كتاب احاديث الاسراء والمعراج د. رفعت فوزى ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) أراه يتفق مع محمد فريد وجدى فى تحكيم العقل .

(٣) محمد حسين هيكل "حياة محمد" ص ١٠٥ .

(٤) عبد الحليم محمود : الإسراء والمعراج : ص ٦٨ .

(٥) المصدر السابق : ص ٧١ ، ٧٢ .

(٦) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧٥ ، وقد ناقش د. رفعت قصة شق الصدر بالتفصيل والنقد الموجه من أحد

علماء المسلمين محمد أبو رية (ص ١٣٧ - ١٥٣) .

ولأن قدرة الله لا يستحيل عليها شيء وحكمته قد تخفى على عقولنا. يقول ابن حجر^(١) "وجميع ما ورد ؛ من شق الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة - مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصالحية القدرة - قدرة الله تعالى - ، فلا يستحيل شيء من ذلك."

ثانياً: البراق^(٢)

يقول د. رفعت فوزى^(٣) رداً على رفض البعض لركوب الرسول صلى الله عليه وسلم البراق "والحكمة في الإسراء به ، صلى الله عليه وسلم راكباً على هذه الدابة التي خلقها عز وجل ، وهي البراق مع قدرته تعالى على طي الأرض له. هي طمأنة النبي صلى الله عليه وسلم وتأسيسه بهذا الأمر العادي في مقام خرق العادة من قطع المسافة في مدة وجيزة ، ثم الصعود به إلى السموات السبع ، فيكون في الأمر شيء من العادة التي يؤتس بها ويطمأن إليها.."

الحكمة من الإسراء والمعراج

"هي الثمرة التي يجب على كل مسلم أن يقتطفها ويشغل نفسه بها" ويحاول الشيخ محمد متولى الشعراوى من خلال مناقشته العقلية أن يصل بنا إلى الحكمة من الإسراء والمعراج.

يقول في عدم حدوث المعجزة نهاراً وحدثها ليلاً^(٤) "إنك لم تفهم الحكمة من المعجزة .. فرسول الله صلى الله عليه وسلم .. يأتيه الوحي بالقرآن الكريم خفية .. أى لا يشهد أحد جبريل عليه السلام ، وهو ينزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذن المسألة المطروحة هنا مسألة إيمانية .. أى إخبار بغيب .. وليس مسألة مشاهدة"^(٥)

"ولذلك عندما طلب الكفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. معجزات حدودها .. لم يحققها لهم الله .. لأن تاريخ البشرية ومن سبقوهم كذبوا بالمعجزات الحسية ، رغم أنهم رأوها .. كما أن المعجزات الحسية مقصودة بها الذين رأوها .. فمن لم يرها غير مطالب بها ولا هو مقصود بها. وما دامت المعجزة الحسية ليست دائمة التأثير فما نحتاجه هو المعجزة الغيبية.

(١) رفعت فوزى : حديث الإسراء والمعراج : ص ٧٥ . نقلاً عن فتح الباري : ج ٧ ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) وصف الشيخ الشعراوى - في كتابه المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج ، ص ٥٠ - البراق قائلاً "البراق هو دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل فركبها حتى أتى بيت المقدس .. فربط الدابة في الحلقة التي يربط بها الأنبياء دواجم"

(٣) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧٧ .

(٤) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" : ص ٥٢ ، ٥٤ .

(٥) يشير إلى المعجزة الحسية لدى الأنبياء السابقين "ومحمد" كتيب الماء بين أصابعه.

"ولكن الحق سبحانه وتعالى أراد أن تكون معجزة الإسراء دليلاً إيمانياً يبقى إلى يوم القيامة .. لأن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم باقية إلى يوم القيامة .. فجعلها غيباً عليه دليل مادي حتى تناقش بالعقل وتكون مدخلاً للإيمان .. لأن الإيمان ليست أدواته الرؤية .. فليس بعد العين أين .. ولكن يتم بالدليل العقلي على أن ما هو غيب حدث فعلاً .. ووجود الشيء مختلف عن إدراك وجوده ، وذلك واضح بالدليل العقلي .. فنحن مثلاً لم نر الجراثيم إلا حديثاً .. ولكنها كانت موجودة منذ بداية الخلق .. وعدم علمنا بها لم يبطل مهمتها في الكون ومن هذا الدليل العقلي وغيره من الأدلة عن أشياء كانت موجودة في الكون .. ثم كشفها الله لنا فعرفناها .. مثل خصائص الغلاف الجوي .. أو الكواكب التي نكتشف منها المزيد مع مرور الزمن أو غير ذلك.."

ويخلص الشيخ الشعراوي إلى مغزاه من كل ما تقدم "من هذا أقمنا الدليل العقلي .. على أن ما هو غيب عنا .. موجود وإن لم ندركه." هذا هو القول الفصل في معجزة الإسراء والمعراج ؛ أن الإيمان بالغيب أهم حكمة نستخلصها من الإسراء والمعراج.

ويستتبط د. رفعت فوزي الحكمة من الأحاديث^(١) أحاديث الإسراء والمعراج بكل تفصيلاتها تبين بوضوح الحكمة من هذه الرحلة المباركة فالرسول صلى الله عليه وسلم يرى فيها من عالم الغيب ؛ الماضي ، والحاضر والمستقبل "لنريه من آياتنا" "لقد رأى من آيات ربه الكبرى" ولا شك في أن هذا تكريم للرسول صلى الله عليه وسلم "ولقد حاول ابن إسحاق^(٢) أن يبين الحكمة في هذا الحادث فقدم -حسبما يروى ابن هشام - لحديث الإسراء بكلمة نفيسة يقول فيها "وكان في مسراه وما ذكر منه : بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق.."

"دعم لرسالته ؛ إنه يخبر قومه بشئون الغيب عن حق يقين فهو رأى ما يخبرهم به حتى ولو كان في ضمير الغيب وفي مستقبل الأزمان"^(٣) يقول محمد الغزالي^(٤) "الله عز وجل يتيح لرسوله فرص الإطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستناداً إليه ، إذ يواجهون قوى الكفار المتألبة ويهاجمون سلطانها القائم"

(١) رفعت فوزي : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧٩.

(٢) المصدر السابق : ٥٨ ، ٥٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٨١.

(٤) محمد الغزالي : فقه السيرة : ص ١٤١.

يقول أبو القاسم القشيري^(١) "ما رآه تلك الليلة عياناً من الأمور الناقضة للعادة ، وكان ذلك كله دلالات له على كمال قدرة الله تعالى"
.. فى الإسراء والمعراج تعليم للأمة من ذلك:- (٢)

- " ١- تعلمت الكثير من علامات الساعة، كما وصفها عيسى بن مريم عليهما السلام."
- " ٢- أن الأنبياء عليهم السلام أحياء فى قبورهم وفى درجات عند ربهم وهم أخوة."
- " ٣- أن الله ناصر رسله والذين آمنوا."
- " ٤- أن الحياة الدنيا إنما هى مزرعة للأخرة التى أعدت للمؤمنين وغيرهم."
- " ٥- أنه ينبغى أن يكون فى حياتها شئ من التسليم أمام ما يخبرها به الصابق الأمين"

مَاضِلٌ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى^(٣) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى^(٤) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى^(٥) (٣)

ومن حكمة الإسراء والمعراج أيضاً^(٤) "إظهار الصلة الوثيقة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى"^(٥)

ويوضح د. عبد الحليم محمود الثمرة الكبرى من الإسراء والمعراج^(٦) "أما ثمرة الإسراء والمعراج ، وأما هدية الإسراء والمعراج ، وأما أعظم المنح الإلهية فى الإسراء والمعراج أعظمها على الإطلاق ، أما النعمة العظمى والتجلى الإلهى الأكبر فى الإسراء والمعراج فإنه: الصلاة ولا يتأتى لنا عجز أو قصور أن نتحدث عن الحمد وعن الشكر على هذه النعمة التى أنعم الله بها على الأمة الإسلامية فى هذه الليلة المباركة ، فالصلاة هى الصلة به سبحانه. وهى الكيفية ، وهى الطريقة ، وهى الوسيلة ، وهى اللحظات الجليلة التى تتم فيها الصلة وتتحقق."

(١) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٨١.

(٢) المصدر السابق : ص ٨٣ ، ٨٤.

(٣) سورة النجم : آية ٢ : ٤ .

(٤) سعيد محمد حسين : حقائق الإسراء والمعراج : ص ١٥٤ .

(٥) يقول الشيخ محمود شلتوت فى بيان الحكمة من الإسراء ص ٤٤ ، ٤٥ "فهموا منه أنه توجيه روحى لهم ولجميع المسلمين من بعلمهم إلى أن الإسراء بمبده "المسجد الحرام ومنتهاه المسجد الأقصى" يرسم لهم مهابط الروحى الأول الذى تلقاه إبراهيم وإسماعيل ومهابط الروحى الثانى الذى تلقاه موسى وعيسى وأما كلها مهابط الرسالات الإلهية التى جاء "محمد" لتكميلها والمهيمنة عليها وإحياء ما اندرس فيها ، فلا بد إذن إن يخفق على تلك المواطن كلها دائماً علم التوحيد والإيمان"

ولا يخفى ما يشير إليه الشيخ شلتوت مما آل إليه المسجد الأقصى على أيدي الإسرائيليين وما ينبغى على المسلمين من الجهاد فى هذا الأمر. وقد ذكر ذلك صراحة فى ص ٤٤-٤٥ فى كتابه.

(٦) عبد الحليم محمود : الإسراء والمعراج : ص ١٢٤-١٢٦.

"كما كان حادث الإسراء والمعراج هو حادث التصفية الكاملة^(١) وكان الفصيل بين الطائفتين : طائفة ثابتة على إيمانها ، لاتزعزها الأعاصير ، تميد الجبال ولا تميد. وطائفة مشركة قد أحكمت أمرها ، ورتبت شئونها ، وجزمت العزم على أن تقضى على الإسلام مهما طال الزمن"

ويستكر د. عبد الحليم محمود من يأخذنا عن حكمة الإسراء والمعراج بعيداً "ولكن بعض الناس ينزل بنا من هذه الآفاق العليا والسموات السامية ، ومن الرحاب الإلهي ، ينزل بنا منحدرًا فيجادل في الإسراء والمعراج أكان رؤيا ؟ أم كان يقظة ؟ استغفر الله وأتوب إليه" ويصف الشيخ الشعراوي هذا الجدل^(٢) "إن ذلك الجدل إن دل على شيء ، فإنما يدل على ضعف الإيمان في قلب المجادل المماري"

وقريب من هذا التصديق بأمر المعجزة مع المجادلة في كفيتهما ما ذكره طه حسين في كتابه على هامش السيرة ويعنى المعرفة الإيمانية التي تستعص على العقل^(٣)

كنت أؤثر أن أختتم هذا المبحث بحكمة الإسراء والمعراج ، ولكن الأمر الذي يلج على هو استخدام الكتاب (العلماء) ، للإنجازات العلمية لإثبات وجهة نظرهم . وكل فرد منهم يطوعها وفق هواه ومايمتلك من أدوات تمكنه من إثبات وجهة نظره مع أن الدليل قد يكون واحداً ، ولكن النتائج تكون متناقضة . وهذا ما أثرت أخيراً أن أختتم به المبحث لأبين أن الإنسان عندما يحاول تطوير المسائل الغيبية ليثبتها بأدلة علمية قد يجانبه الصواب ويفتح الباب لمزيد من الجدل لا الحسم .

(١) عبد الحليم محمود : الإسراء والمعراج : ص ٦٢.

(٢) محمد متولى الشعراوي : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" ص ١٥.

(٣) طه حسين : على هامش السيرة : ص ٦٢ ، ح ٢ ، ط التاسعة عشرة ، دار المعارف - ط ١٩٩٢ م. يقول طه حسين على لسان الراهب كلينيكوس والفيلسوف الحائر كلكراتيس في حوار بينهما حول العقل وتقبله للمعجزات والإيمان كغذاء روحي لا يستطيع أن يحيا الإنسان بدون.

"قال كلكراتيس في صوت هادئ وحزين ، ولكن فيه نغمة الحرص على المعرفة والشوق إلى اليقين ، والعجز مع ذلك عن بلوغ ما يريد : إن قلبى ليؤمن لك ، ولكن عقلى يأبى عليك..

قال الراهب : الأمر بينك وبين عقلك ، يا بني ، أيسر جداً مما تظن . لم تفكر قط في المعجزات ولم تقف عندها. فلما أظهرتك على أطراف منها اطمأن إليها ضميرك ، ولم يسترح لها عقلك ، فهذا مصدر ما أنت فيه من الاضطراب.

ولو قد استطعت أن تلقى في روعك أن هذه المعجزات التي تخرق العادة وتخالف مألوف العقل من قوانين الطبيعة ليست في نفسها إلا مظاهر طبيعية كغيرها من المظاهر ، إلا أن سلطان العقل لم ينسبط عليها ، لعرفت أن سلطان العقل لم ينسبط ولا يمكن أن ينسبط على كل شيء. والله يجرى هذه المعجزات على أيدي رسله وأنبيائه ليظهر العقل على أنه مازال ضعيفاً قاصراً ، وعلى أن علمه مازال بعيداً ، وسيظل بعيداً عن أن يحيط بكل شيء. فخلق أن يذكر هذا ولا ينساه ، وأن يسلك طريقاً مستقيمة متواضعة إلى ما يريد من الحق، فإنه هالك إن لم يسلك هذه الطريق .."

من ذلك اعتماد محمد فريد وجدى ثم على محمد شاكراً على التجارب الروحية مع اختلاف المقصد ، والشيخ محمد متولى الشعراوى ومحمد حسين هيكلاً فى الاعتماد على التطور العلمى ووسائل الاتصال . ونسرى كيف أن المقدمات قد تكون واحدة ولكن النتائج تختلف .

فكما رأينا محمد فريد وجدى يثبت أن الإسراء بالجسد ممكن غير مستحيل والسبب التجارب الروحية فى أوروبا فهى تقرب مسألة الإسراء إلى الذهن فى حين يرفض كون المعراج بالجسد . نجد د. على محمد شاكراً يتخذ نفس أدلة التجارب الروحية للاستدلال على أن الإسراء والمعراج معاً بالروح والجسد وليس الإسراء وحسب . يقول :- (١)

"وعلى أساس هذا العلم - علم الاسبرترزم - "علم مناجاة الأرواح " الذى أقام الأدلة العلمية على ضلال الذين يجحدون وجود الروح ، وأثبت أننا لا محالة مجزيون على جميع أفعالنا وأفكارنا ، فإن إسراء النبى صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا كان بالروح والجسد معاً ، فقد أثبت علماء فى تجاربهم أن الأرواح كانت تأتيهم بالأزهار الندية الغضة من الصين والهند ، بل وكانت تأتيهم بالخزائن الثقيلة فى لحظات من أماكنها البعيدة ، فتمررها من خلال الحوائط على مرأى منهم ومسمع ، فهل يمكن لعقل متقف بعد هذا أن يقول باسم العلم: إن من المستحيل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى أن يسرى بعبده روحاً وجسداً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى سدره المنتهى ."

ثم يكمل مناقشاته واستدلالة بالتقدم العلمى فى شتى الفروع : "على أن العلم الحديث لم يقف بنا عند هذا الحد فقط ، فإن سلسلة الاختراعات والاكتشافات العلمية فى هذا العصر ، فيها ما يؤيد معجزات الأنبياء أكبر تأييد ، وبالأخص هذه القصة فإن سهولة النقل وسرعته بالطائرات وغيرها وما أودعه الله سبحانه وتعالى من قوة الأثير والكهرباء ، والمغناطيس واللى استخدمها العلم فى الراديو والتلغراف والتليفون واللاسلكى ، وما وصل إليه علماء الفلك والطبيعة ، وغيرها من القوات المدهشة فى الكون ، كل ذلك يدلنا دلالة واضحة على أن كثيراً مما يعده العلم القديم فى عداد المستحيلات ، قد أصبح الآن حقيقة ملموسة لا يجادل فيها مجادل إن العلم بما وصل إليه من تطور واختراعات وتكنولوجيا يقرب إلى أذهاننا ماكان مستحيلاً بالأمس ."

وكما وضح لنا محمد متولى الشعراوى من أمثلة الطائرات والصواريخ فى وسائل المواصلات ، وما خفى عنا من عالم الكواكب فيما مضى وأصبح سهلاً ميسوراً الآن . إن نفس الأدلة العلمية التى يبرهن بها فضيلته عن الإيمان بالغيب ونظريته " إن ما هو غيب عنا

(١) سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج :ص ١٢٤ نقلاً عن رسالة الإسراء والمعراج لعلى محمد شاكراً : ص ٣٠ .

موجود وإن لم ندركه " ليستدل في النهاية على وجوب الإيمان بأن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً .

نرى د. محمد حسين هيكل " يأتي بالأمثلة نفسها ليستدل على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط مضيفاً إلى هذا نظرية وحدة الوجود يقول :^(١)

"والعلم في عصرنا الحاضر يقر هذا الإسراء بالروح ، ويقر المعراج بالروح ، فحيث تتقابل القوى السليمة يشع ضياء الحقيقة ، كما أن تقابل قوى الكون في صورة معينة قد طوع "لماركوني" إذ سلط تياراً كهربياً خاصاً من سفينة التي كانت راسية بالبندقية ، أن يضئ بقوة الأثير مدينة سدني في أستراليا. وفي عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الأفكار ومعرفه ما تنطوي عليه، كما يقر انتقال الأصوات على الأثير بالراديو ، وانتقال الصور والمكتوبات كذلك. مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال. وماتزال القوى الكمية في الكون تكشف لعلنا كل يوم عن جديد. فإذا بلغ روح من القوة ومن السلطان ما بلغت نفس محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأسرى به الله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي برك حوله ليريه من آياته ، كان ذلك مما يقر العلم ، وكانت حكمة ذلك هذه المعاني القوية السامية في جمالها وجلالها. والتي تصور الوحدة الروحية ووحدة الكون في نفس محمد صلى الله عليه وسلم تصويراً صريحاً ، يستطيع الإنسان أن يصل إلى إدراكه إذا هو حاول السمو بنفسه عن أوهام العاجلة في الحياة وحاول الوصول إلى كنه الحقيقة ليعرف مكانه ومكان العالم كله منه".

كما رأينا أن امتلاك أساليب الجدل العقلي لتحول الشيء إلى ضده ؛ فتتخذ الدليل الواحد كبرهان على الشيء ونقيضه.

اعتمد "فريد وجدى" على الربط بين العلم والدين ليقرب إلى العقل ما عجز عن إدراكه بالدين الصرف أو الإيمان بالقلب ، اتخذ كغيره من العلماء التطور العلمي واكتشافاته وتجاربها لتخطى حاجز الرفض وإن توصل إلى تصديق الإسراء بالروح والجسد وأبى التصديق في المعراج؛ فهو في نهاية الأمر له أجر المجتهد.^(٢)

فنحن لا ننكر أن يكون العلم وسيلة إلى تقريب المسائل الغيبية إلى الأذهان. وربما وجد في عصور تالية تطور علمي في وسائل الانتقال يجعل الأجيال القادمة تستنكر مناقشتنا في كيفية الإسراء والمعراج.

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد : ص ١٦٦ ، ١٦٧

(٢) يتبادر إلى الذهن هل لو ولد "فريد وجدى" وأولئك العلماء في عصر آخر ، غير العلم الحديث ، هل كان يؤمن بأن الإسراء تم بالروح والجسد أم كان يستبعد حدوثه ؛ لعدم وجود القرائن المادية التي تقرب ذلك إلى العقل ؟ الله أعلم ، بما كان سيدور في عقل هذا المفكر الإسلامي وإن كنت لا استبعد تغلب نزعة الإيمان على تردد العقل.

وصفوة القول إن قضية الإسراء والمعراج معجزة غيبية تعتمد على الإيمان ، خاصة الإيمان بالغيب.. الإيمان من البدء بوجود الله عزوجل وقدرته سبحانه وتعالى ، الإيمان برسله وأنبيائه وهى مسألة كما رأينا يؤمن بها القلب وقد يحتار فيها العقل. ولا يسعنى إلا أن أختتم هذا المبحث بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، الذى قال عمر ابن الخطاب فى إيمانه "لو وزن إيمان أبى بكر بأهل الأرض لرجح بهم"^(١) قال أبو بكر : حين جاءه خبر الإسراء والمعراج : لئن كان قاله ؛ فلقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك؛ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه".

الخلاصة

تمت مناقشة معجزة الإسراء والمعراج من خلال آراء بعض العلماء الأقدمين ، ثم عرض رأى محمد فريد وجدى ومناقشته من خلال آراء العلماء والكتاب المسلمين ، مع توضيح صحة أحاديث الإسراء والمعراج والحكمة منه وكيفيته بالروح أم بالجسد أم بكليهما، وانتهى المبحث بعرض بعض الآراء التى يتضح فيها وحدة المقدمات واختلاف النتائج تبعاً لاختلاف وجهات النظر.

(١) رواه عبد الله بن أحمد فى كتاب السنة عن طريق ضميره عن ابن شوذب عن محمد بن حجاجه عن سلمة بن كهيل عن الهذيل ابن شراحيل عن عمر رضى الله عنه. إسناده حسن ورواه أيضاً البيهقى فى شعب الإيمان.

المبحث الثاني

قضية الإعجاز القرآني

قضية الإعجاز القرآني

إن قضية الإعجاز القرآني كانت ومازالت موضعاً لعناية دارسي القرآن الكريم فمنذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحالي ؛ توالت الدراسات والآراء واختلفت الأقوال ما بين القول بالإعجاز بالصرفة أو الأخبار بالغيب ونظرية النظم وغيرها ، وكأى مفكر وكاتب إسلامي أدلى "فريد وجدى" برأيه فى الإعجاز وسنتوقف عند هذا الرأى والمناقشات التى دارت حوله.

يستهل "وجدى" حديثه عن الإعجاز بذكر آيات من القرآن الكريم تدل على الإعجاز ، فيذكر قوله تعالى: ^(١) **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ^(٢) **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ^(٣)

وقوله تعالى ^(٢) **قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ^(٤)
وقد ابتدأ وجدى بهذه الآيات لي طرح على القارئ تساؤلاً فيقول: ^(٥)

"هذه الآيات تنص على أن القرآن معجز فما وجه اعجازه؟"

وللإجابة على هذا يأتى برأى مفسر من القدماء وهو النيسابورى ^(٦) وقد استشهد "وجدى" بشرحه للآية الأولى .. يقول "وقد ذكر فى كون القرآن معجزاً طريقتين ^(٧) الأولى : أنه إما أن يكون مساوياً لكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين أو منفردين ثم لم يأتوا بها مع أنهم كانوا متهاككين فى أبطال أمره..."

الطريق الثانى : "أن يقال إنه بلغت السورة المتحدى بها فى الفصاحة إلى حد الإعجاز ؛ فقد حصل المقصود وإلا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجز . فعلى التقديرين يحصل الإعجاز"

وفى الإعجاز بالصرفة والأخبار بالغيب يقول ^(٨) النيسابورى "ومن قال الإعجاز

(١) سورة البقرة آية ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٨ .

(٣) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٦٩ ، م ٧ .

(٤) العلاصة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى . فى تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) نقلاً عن دائرة معارف القرن

العشرين : ص ٦٦٩ ، م ٧ .

(٥) فى الأصل "طريقان"

(٦) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٠ .

بأنه صرف الله تعالى البشر عن معارضته أو بأنه هو كون أسلوبه مخالفاً. لأساليب الكلام ، أو بأنه هو كونه مبرراً على التناقض ، أو لكونه مشتملاً على الأخبار بالغيوب وبما ينخرط في سلك هذا الأراء فقد كذب ...".

وهنا يذكر النيسابورى رأيه وفي اعتقاده أن السبب الرئيسى لاستشهاد وجدى بآرائه هو "تأثير القرآن على القلوب" وسيظهر هذا بوضوح عند عرض رأى وجدى فى الإعجاز.

فيقول النيسابورى موضعاً رأيه "فإننا نقطع أن الاستغراب من سماع القرآن ، إنما هو من أسلوبه ونظمه المؤثر فى القلوب تأثيراً لا يمكن إنكاره لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الإتيان بمثله ...".

ويستشهد وجدى برأى أحد المعاصرين وهو الشيخ^(١) محمد عبده.

يقول "محمد عبده" عن عصر نزول القرآن إنه "أرقى الأعصار عند العرب وأغزرها مادة فى الفصاحة وإنه الممتاز بين جميع ما تقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطاب ... وتواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبى صلى الله عليه وسلم والتماسهم الوسائل قريبتها وبعيدها لإبطال دعواه .. وتحداهم القرآن أنا يأتوا بمثل أقصر سورة فلم يستطيعوا ...".

ثم يتساءل "أليس فى ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمى أعظم وأدل برهان على أنه ليس من صنع البشر ..".

ويذكر وجهاً من وجوه إعجاز القرآن ألا وهو الأخبار بالغيوب ويوضحه بإعطاء أمثلة قائلاً "هذا وقد جاء فى الكتاب من أخبار الغيب ما صدقته حوادث الكون كالخبر فى قوله

تعالى^(٢): **الْم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ**

غَلَبَهُمْ سَيَغْلِبُونَ ۝

ومن الكلام عن الغيب .. ما جاء فى تحدى العرب به واكتفائه فى الرجوع عن دعواه بأن يأتوا بسورة من مثله ولم يستطيعوا رغم سعة البلاد العربية .. واتقان أهلها اللغة العربية .. لم يستطيعوا أن يتحدوا القرآن.

ثم يسترسل محمد عبده فى مناقشة عقلية ليصل بنا فى النهاية إلى أن "إعجاز القرآن برهن على أمر واقعى وهو تقاصر القوى البشرية دون مكانته من البلاغة"^(٣)

وينتهى كلام محمد عبده ليأتى رأى محمد فريد وجدى ولا يتسنى لى أن أشير إلى آرائه دون

(١) محمد عبده : رسالة التوحيد : نقلاً عن دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٤ - ٦٧٥ .

(٢) سورة الروم : آية ١ : ٣

(٣) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٦ .

تضمنها بتعليقات عبد الكريم الخطيب (١) و"محمد رجب البيومي" (٢) وخير ما نقدم به لرأى "محمد فريد وجدى" فى الإعجاز ما قاله "عبد الكريم الخطيب" (٣) مقدماً لهذا الموضوع :-

"الذى نريد أن نقوله هنا هو أن "محمد فريد وجدى" فى كتاباته الإسلامية لم يبحث هذا البحث التقليدى فى إعجاز القرآن ، وإفراده بدراسة خاصة مستقلة به ... ومع هذا فقد كان له رأيه فى الإعجاز .. وهو رأى واضح صريح جريئ .. قد كان يخرج على مألوف الآراء التى وقف عندها الباحثون فى أمر الإعجاز وعرض وجوهه .. فالرأى الغالب عند العلماء فى الإعجاز .. هو النظم القرآنى .. وهو الوجه الظاهر عند الناظرين فى الإعجاز وإن قامت إلى جانبه وجوه أخرى ولكن (فريد وجدى) جعل أمر "النظم" هذا فى موضع غير موضع الصدارة أو "البؤرة" فى مقام الإعجاز ، بل إنه كاد يحليه عن هذا المقام ، ويخرجه من هذه القضية كلها..." (٤)

وقد ابتدأ وجدى بالإشارة إلى حصر المتكلمين لقضية الإعجاز من جهة بلاغته وهو لا ينكر هذا ، ولكنه يرفض أن تكون البلاغة الجهة الوحيدة للإعجاز يقول (٥) "حصر المتكلمون فى إعجاز القرآن كل عنايتهم فى بيان ذلك الإعجاز من جهة بلاغته ، .. وإنا وإن كنا نعتقد أن القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوجهة إلا إننا نرى أنها ليست هى الناحية الوحيدة لإعجازه بل ولا هى أكثر نواحي إعجازه سلطاناً على النفس ؛ فإن للبلاغة على الشعور الإنسانى تسلطاً محدوداً لا يتعدى حد الإعجاب بالكلام والإقبال عليه ثم يأخذ هذا الإعجاب والإقبال فى الضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه حتى تستأنس به النفس فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدثه فى مبدأ توارده عليها ، وليس هذا شأن القرآن ؛ فإنه قد ثبت أن تكرار تلاوته تزيده تأثيراً ، ولكنه معجز لتسلطه على النفس والمدارك .."

وبعد أن دعا وجدى للبحث عن علة لذلك السلطان فى مجال آخر غير البلاغة يؤكد فى ثقة أنها واضحة فيقول: "علة فى نظرنا واضحة لا تحتاج لكثير تأمل وهى أن القرآن روح من أمر الله تعالى

(١) عبد الكريم الخطيب : إعجاز القرآن والإعجاز فى دراسات السابقين "دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها الأولى ١٩٧٤ ، - دار الفكر العربى.

(٢) محمد رجب البيومي : البيان القرآنى : ط ١٩٧١ ، دار النصر

(٣) عبد الكريم الخطيب : إعجاز القرآن : ص ٣٤٢ - ٣٤٣ (بتصرف)

(٤) هذا الرأى الأخير سنناقشه فى موضعه.

(٥) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٧.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ

قوله تعالى !..

(١)

وَلَا إِلِيمَنُ

"فهو يؤثر بهذا الاعتبار تأثير الروح فى الأجساد فيحركها ويتسلط على أهوائها ، وأما تأثير الكلام فى الشعور فلا يتعدى سلطانه حد إطرابها ، والحصول على إعجابها فقوله تعالى " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا يكفى وحده فى إرشادنا إلى جهة إعجاز القرآن وقصور الإنس والجن عن الإتيان بمثله ، وبقائه إلى اليوم معجزة خالدة تتلأل فى نورها الإلهى ، وتتألق فى جمالها القدسى."

ثم يقول موضعاً رأيته فى الإعجاز^(٢)

"ذلك لما كان القرآن روح من أمر الله فلا جرم كانت له (روحانية) خاصة هى عندنا جهة إعجازه والسبب الأكبر فى انقطاع الأنس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سوره .. نعم إن جهة إعجاز هذا الكتاب الإلهى الأقدس هى تلك (الروحانية العالية) التى قلبت شكل العالم واكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله فى أرضه ..."

لقد اتفق "عبد الكريم الخطيب" مع وجدى فى تأثير القرآن على النفوس والعقول وأن الروح من أمر الله هى السر فى ذلك ، ولكن "عبد الكريم الخطيب" اعترض قائلاً^(٣) "إلا أننا نرى أن هذا الروح لابد أن يلبس تلك الألفاظ التى نظمت قرآنا ، كما تلبس الأرواح الأجساد. فتبعث فيها الحياة وتخلع عليها خلع الحسن والجمال ... إن أجمل جمال وأكملها فيما يراه العين هو هذا الجمال الحى الذى تموج فيه تيارات الروح ..."

واستطرد "الخطيب" فى عرض الأمثلة التى تؤيد رأيه ..

"وكما يستطيع الإنسان أن يطلق من روحه شرارات تبعث فى الجماد وجوداً له على النفوس والقلوب ؛ تأثير وسلطان حين يقيم من الحجر تمثالاً معجباً .. فإنه كذلك يستطيع أن يقيم من الكلام بياناً أخذاً ساحراً .."

ثم يلخص (الخطيب) وجه اتفاقه واختلافه مع وجدى .. فيقول

"توافقه فى أن فى القرآن روحاً ، هى التى تطلع منه على الناس فيعجبون ويدهشون ... ويعجزون ..

ونخالفه فى أن هذا الروح شئ منفصل عن كلمات القرآن ، قائم بين يديها أو من خلفها ، وإنما يسرى هذا الروح فى كلمات القرآن ويشعل فيها وقدة مشرقة ، يرى الناس منها آيات الإعجاز فى ذلك النظم الرائع المعجز الذى نظمته القدرة وأحكمت نظمه .."

(١) سورة الشورى : من آية ٥٢.

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٧.

(٣) عبد الكريم الخطيب : إعجاز القرآن : ص ٣٤٥.

وهنا أقول إنه "وجدى" لم يقل إن البلاغة ليست وجهاً من وجوه الإعجاز ، ولكنه يرى أن هناك وجهاً آخر له تأثير أكبر ، شيئاً بديهيّاً أن تلك الروح لن تصل للقارئ أو السامع إلا من خلال الكلمات !؟

ويوافقنى فى هذا "محمد رجب البيومى" ولكن ليس فى رده على "الخطيب" بل فى تعقيبه على "وجدى" يقول ^(١): "ونحن نتساءل فى الرد على ذلك أيمكن أن تظهر روحانية القرآن دون الظهور : دون كلام يقال؟"

ويفترض "البيومى" رأياً يحاول به التوفيق بين رأى وجدى ورأى القائلين بالإعجاز البلاغى. "وإذ ثبت أن الأسلوب القرآنى هو موضع هذه الروحانية النافذة فقد صارت الشقة قريبة بين من يقولون بالإعجاز البلاغى وبين الأستاذ الكبير إن لم تكن هناك شقة على الإطلاق وإذا كانت بلاغة البشر تفقد تأثيرها باستمرار التلاوة دون بلاغة القرآن فلأن الأسلوب القرآنى يحمل من وسائل إعجازه ما يرتفع به عن بلاغة البشر".

ونرى "وجدى" يدافع عن آرائه حين نجده يؤكد عدم إنكاره أن تكون البلاغة وجهاً من وجوه الإعجاز يقول: ^(٢)

"لا مشاحة فى أن القرآن فصيح قد أخرج بفصاحته فرسان البلاغة ... وهو حكيم بهر سماسرة الحكمة والفلسفة ... وهو حق ألزم كل عال الحجة ... وهو هدى ورحمة ونور وشفاء لما فى الصدور".

ولكن وجدى يرى شيئاً آخر : "ولكنه فوق ذلك كله (روح من أمر الله) تصل من روح الإنسان إلى حيث لا تصل إليه أشعة البلاغة والبيان ، ولا سيالات الحكمة والعرفان ... هذه الروحانية تنفذ إلى سر سريرة الإنسان وسويداء ضميره ، وتستولى منها على أصل حياته ومهب عواطفه وإحساساته ، وتخلقه خلقاً جديداً وتصوره بصورة لا يتخيلها". ويتساءل متعجباً :

"ألا ترى كيف فعلت بأولئك العرب الذين لبثوا ألوفاً من السنين على حالة واحدة لا يتحولون عنها ... فنفتحهم بروح عالية قاموا بواسطتها يحملون الملوك سلطانهم ... ولم يتموا جولتهم هذه حتى دانت لهم المعمورة من أقصا إلى أقصاها". وبعد أن استطرد فى مناقشته وطرح الأمثلة يقول ^(٣)

(١) محمد رجب البيومى : البيان القرآن : ص ٢٥١ .

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٧٩ .

"أى حجة أكبر من هذه الحجة على أن القرآن روح إلهي وأمر سماوي وأى حجة من وجوه إعجازه بعد مشاهدة هذا الأثر الفخم أوقع في النفس ، وأنفى للشك وأولى بالقبول من وجه روحانيته"

ولا يلبث وجدى أن يعود ليؤكد وجهة نظره قائلاً :-

"إن للقرآن فوق البلاغة والعذوبة والحكمة والبيان (روحانية) يدركها من لاحظ له في فهم الكلام وتقدير الحكمة وإدراك البلاغة" ويعطى وجدى الأمثلة على رأيه:-

"ألا ترى أن الطفل والعامي كيف يعتريهما تهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن حتى أنهما ليكادا يفرقان بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن فيما لو أراد التالي أن يغشهما ومثال آخر أن تلك الروحانية تظهر بوضوح لوجاء بين كلام منظوم مهما بلغت درجته من البيان وجمال الأسلوب وجزالة الألفاظ.

ويتفق "الخطيب" مع رأى "فريد وجدى" حين يقول :-

"وحق ما يقول به "وجدى" هنا من إن الطفل والعامي يعتريهما تهيب عند تلاوة القرآن ... ولو بغير صوت حسن وذلك مما يؤيد ما ذهبنا إليه من أن روحانية القرآن ممسكة بألفاظه ، سارية في نظمه ، وأنه إذا كان الطفل والعامي يقع لهما من ذلك الروح القرآني شيء يبعث في نفسيهما تهيباً وخشية ، فإنهما كذلك يكون شأنهما إزاء كل رائعة من راعات الحسن والجمال." وإن فليست شهادة لإعجاز القرآن تأثر الطفل والعامي بكلماته ، وتهيبها عند تلاوته"

والخطيب مع ذلك لا يرفض تأثير الروحانية التي يراها وجدى فإنها إن كانت ليست إعجازاً وحدها ، فهي مدخل لذلك .. فيقول^(١)

"إن كان ذلك مدخلاً إلى الإعجاز حين يقف منه العالمون موقف النظر والتأمل !"

ورأى "محمد رجب البيومي" قريب من "الخطيب" حيث يقول الأول:-^(٢)

"وكون القرآن روحاً من أمر الله لا يحصر إعجازه البياني في معنى كلى كما يريد الأستاذ (يقصد محمد فريد وجدى) ، بل يدفع الدارس إلى استشفاف هذا الروح فيما يتراءى من قوة أسرته ودقة تدليله وبلاغة تصويره ، مما يسيطر على النفوس سيطرة تدفع إلى الإذعان المؤمن والاستسلام البصير"

(١) عبد الكريم الخطيب : الإعجاز القرآني : ص ٣٤٩ .

(٢) محمد رجب البيومي : البيان القرآني : ص ٢٥١ .

ويستمر "وجدى" فى حديثه عن الروحانية .

"هذه الروحانية تظهر للعارف باللغة وللجاهل بها. أما ظهورها للعارف فبين لا يحتاج

ليبيان ، وأما ظهورها للجاهل بها من الأمم الأعجمية فببأنثيرها ونتيجتها"

ثم يذكر "وجدى" مستدلاً على صدق رأيه إن الإنسان الأعجمى الذى يرى حال العربى الذى تبدل حاله ، وسيطرته على الممالك والأمم ، ونشره العدل والإحسان بين أرجاءها لابد أنه قد اكتسب روحاً جديداً ويتساءل^(١)

"كيف لا يستدل هذا الإنسان بالحس على تلك (الروحانية) وقد أصبح يرجو من كان يخافه ، ويتعلم ممن كان لا يرى أجهل منه ، ويتخلق بأخلاق من كان لا بعده إلا وحشياً ضارياً - يقصد العربى -"^(٢)

وعن الروحانية التى يشعر بها العالم باللغة والجاهل بها يعلق الخطيب^(٣)

"إن وجدى فيما يخيّل إلينا - يعدل عن هذا الطريق الذى لا تقوم به حجة الإعجاز إلا على العرب وحدهم ، ومن يحسنون اللسان العربى ، ويدركون أسرار البيان العربى إلى طريق آخر تقوم به الحجة على العرب وغير العرب ... إذ الروحانية التى يقول بها - لا تحمل على لغة ولا تؤدى ببيان أو بلاغة ، وإنما هى سر يتبع القرآن فى كل حال ويغشى كل قلب .."

ويحكم "الخطيب" على هذا رأى بأنه قد جانبه الصواب :-

"ولا شك أن هذا حكم فيه تحكم وغلو إذ لو كان من شأن القرآن أن يجعل روحانيته معجزة

يقيمها حجة على العرب وغير العرب لما جاءت تلك المعجزة باللسان العربى ولجاءت فى صورة مشتركة الفهم عند الناس جميعاً ... ولما كانت الكلمة هى محمل هذه المعجزة .."^(٤)

ويدلل الخطيب على صحته رأيه من أن القرآن معجزة تحدّ للعرب خاصة بقوله :

"والذى نراه هو أن الإعجاز القرآنى إنما هو تحدّ للعرب ، وحجة عليهم وحدهم ... حجة قهر وإلزام .. ولهذا لم يقبل الإسلام من العرب إلا الدخول فى الإسلام أو القتل ، على حين قبل من غير العرب الجزية دون القتل ... فالحجة عليهم ضمنية ، إذ أن عجز أرباب البيان عن لقاء هذا البيان السماوى يشهد للمعجزة شهادة قاطعة عند من لا يحسن العربية .."

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٩ .

(٢) ونحن نقول أليس هذا هو تأثير الإسلام كدين بما يشتمل على ما أنزل الله فى القرآن من أحكام وعبادات ومعاملات ومن سنة رسوله ونحن هنا لا ننكر أثر تلك الروحانية ، ولكن تأثيرها منفرد لتصنع كل تلك التغيرات أمراً يحتاج إلى تساؤل .

(٣) عبد الكريم الخطيب : الإعجاز القرآن : ص ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٤) أن تكون الكلمة غير المفهومة لما تأثير السحر على السامع ألا يعد هذا وحده إعجازاً ؟ نقرأ ونسمع عن كثير من الأجانب ، جندهم ترتيل القرآن دون فهم كلماته ، واعتنقوا الإسلام بعد فهم تشريعاته .

ويختتم "وجدى" رأيه فى الإعجاز مؤكداً أنه الحل للخلاف حول أوجه الإعجاز المتعددة. "فى حدود علمه"^(١):-

"هذا رأينا فى جهة إعجاز القرآن ، وهو فيما نعلم يحل مشاكل هذا البحث ويمكن الاستدلال عليه بالحس والواقع. أما ما ولع به الناس من أن القرآن معجز لبلاغته وتجاوزه حدود الإمكان حتى وقف ذلك الإعجاز ببلاغته دون وجوه إعجازه الأخرى فلم نقف له على أثر فى ذات القرآن مع أنه قد ورد ذكر القرآن فى القرآن فى آيات عديدة فلم ترفى واحدة منها ما يوافق ما يذهب إليه الآن الكثيرون"

واستشهد "وجدى" بعدة آيات منها

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ^(٢) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ^(٣)
 " إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ^(٤) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ^(٥) "

ثم يقول " وصف الله كتابه فى هذه الآيات الكريمة بأوصاف كثيرة وليس من بينها واحدة تشير إلى بلاغته اللفظية ذلك لأن البلاغة من الصفات الثانوية التى لا يصح أن يمتدح بها الله فى كتابه . ولو كانت البلاغة هى أساس تحديه للكفار بالإتيان بسورة من سور أما كان يشير إلى تلك البلاغة ولو فى آية واحدة وقد أتى بعشرات منها فى التنويه بحقيقته وحكمته وروحانيته ؟ أليس فى هذا إشارة إلى أن وجه إعجازه غير البلاغة اللفظية ؟ "

ويوضح "عبد الكريم الخطيب" أن رأى "وجدى" واستشهاده بتلك الآيات لفه قصور لأنه لم يتناول الآيات التى وصف فيها القرآن بالبلاغة والبيان واستدل على هذا القصور بآيات أغفلها وجدى منها.

الرَّيْلَكَ آيَةُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ^(١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ^(٢) ^(٦)

" فالبيان هنا ، هو صفة هذا القرآن ، و"المبين" مبالغة فى البيان .. والبيان إنما يجىء من إحكام النظم وبلاغته ، ولهذا ذكر بعده " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " أى نزل بلسانكم وجرى على أساليب بيانكم تعقلون أسرارهِ وإعجازه .. "

واستدل الخطيب بأحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم

"ومن ذلك قول الرسول الكريم "إنه أفصح العرب بيدا أنى من قريش"

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٩ - ٦٨٠ .

(٢) سورة البقرة : من آية ٩٩ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٣٨ .

(٤) سورة الإسراء : من آية ٩ .

(٥) سورة الشورى : من آية ٥٢ .

(٦) سورة يوسف : آية ١ : ٢ - عبد الكريم الخطيب : الإعجاز القرآن : ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

"وقوله : " إن من البيان لسحراً " فإن في هذا ما يدل على أن "الكلمة" يمكن أن تحمل المعجزة ، وأن يتعلق بها مناط الإعجاز .. إذا بلغت في البلاغة حداً تقصر عنه بلاغة البلغاء ... وذلك لا يكون إلا بنظم كلامي ، تنظمه يد القدرة ، وتحكمه حكمة الحكيم العليم .. ذلكم الله رب العالمين"

أما "البيومي" فهو يحلل الأمر على فرضية افتتاع وجدى بوجهة نظر هي :-
"ولعل الأستاذ وجدى لا يريد أن يحصر الإعجاز القرآني في بلاغته التعبيرية موافقة لمن يرى أن حصر الإعجاز في البلاغة التركيبية يدفعنا لطول النظر إلى اكتناه أسرارهِ والوقوف على دقائقهِ ، ومتى عرفت هذه الأسرار وجلبت تلك الدقائق أمكنت محاكاته .. فلم يبق وجه لإعجازه .."

ويرفض البيومي من وجدى هذا الافتراض الذي هو واضعه^(١)

"وهذا كلام براق في ظاهره ، ولكنه لدى التدقيق لا ينهض على ساق"
ويعلل هذا الرفض قائلاً "لأن إدراك السر البلاغي في قول معجز لا يجعل المدرك قادراً على الإتيان بمثل ما أدرك سره ... فلو كان الولوج إلى أسرار الجمال في البيان الأدبي داعياً إلى محاكاته لكان ناقد كبير ، شاعراً كبيراً أو قصاصاً شهيراً ولكن التدنق النقدي شئ ومملكة الإبداع الفني شئ سواه .."

وبعد هذه المناقشة ، يصل "محمد رجب البيومي" إلى رأيه ، فهو ليس رافضاً لتلك الروحانية ، ولكنه يرفض كونها جهاً للإعجاز يقول :-^(٢)

"فليكن القرآن ذا روح قوية غالبية ولكن هذه الروح تستكن في كلمات وآيات وسور وهي موضع الإعجاز."

وهذا الرأي هو ما ختم به "عبد الكريم الخطيب" نقاشه حيث قال ^(٣)

"وكون القرآن روحاً من أمر الله لا يحصر إعجازه البياني في معنى كلي كما يريد الأستاذ بل يدفع الدراس إلى استشفاف هذا الروح فيما يتراءى من قوة أسرهِ ودقة تدليلهِ وبلاغة تصويرهِ ، مما يسيطر على النفوس سيطرة تدفع إلى الإذعان والاستسلام البصير"

(١) محمد رجب البيومي : البيان القرآني : ص ٢٥١

(٢) المصدر السابق : ص ٢٥٢ .

(٣) عبد الكريم الخطيب : الإعجاز القرآني : ص ٣٥٣ .

"وكما رأينا فكل من "عبد الكريم الخطيب" ومحمد رجب البيومي" لم يرفضاً رأى "محمد فريد وجدى" مطلقاً ، بل أرادا أن يوفقا بين رأى "وجدى" القائل بروحانية القرآن وتسلطها على النفس ورأى أغلب العلماء القائلين بالنظم^(١)

وبعد أن انتهينا من عرض رأى "فريد وجدى" ومناقشة "عبد الكريم الخطيب" ومحمد رجب البيومي" لأرائه نقول إن القول بسر روحانية القرآن وتسلطها على النفوس وكون هذا الأثر النفسى هو وجه الإعجاز مع عدم رفض تأثير البلاغة فى القرآن وإن كان ثانوياً لم يكن محمد فريد وجدى فيه مبتدعاً ، بل قال بهذا رأى بعض الأقدمين والمعاصرين ورفض "الخطيب" و"البيومي" لهذا رأى إنما هو وجهة نظر فى الإعجاز قالها غيرهما من العلماء .. ولأن نتبع الآراء فى الإعجاز ليس قضيتنا ولا يتسع له بحثنا فسنكتفى بالإشارة إلى من اعتنق هذا رأى .. القائل بالإعجاز النفسى للقرآن . وفى هذا برهنة على أنه لم يكن مبتدعاً حين نادى بأن سر الإعجاز فى روحانية القرآن وتأثيره على القلوب ، وكما رأينا سابقاً كيف استشهد هو نفسه بآراء "النيسابورى" فى قوله "فإننا نقطع أن الاستغراب من سماع القرآن إنما هو أسلوبه ونظمه المؤثر فى القلوب"^(٢)

وإن كان "النيسابورى" أقرب إلى آراء "الخطيب" و"البيومي" أن يكون النظم مقترباً بروحانية القرآن وهذا رأى أيضاً له معتقبه وهذا ما سنوضحه. وخير معين لنا فى تتبع آراء القائلين بالتأثير النفسى للقرآن هو ما كتبه الأستاذ الدكتور "مصطفى الصاوى الجوينى"^(٣)

وقبل أن نعرض لآراء القدماء نذكر أن وجدى يرى أن وجه الإعجاز هو الأثر الروحى للقرآن مع وجود أثر البلاغة وإن كان ثانوياً من وجهة نظره إلا أنه لا يرفضه كلية. ونبدأ مع بيان^(٤) تأثير القرآن على نفوس العامة وأهل البيان خاصة ، فخشى المشركون هذا وحذروا منه الشعراء يقول د. "الجوينى"

"وحين عرفوا استيلاء القرآن على النفوس ، وخاصة تلك التى تقدر جمال البيان قدره ، منعوا

(١) أرى أن هناك خلطاً فى المفاهيم ؟ فقد نفى "وجدى" أن يكون إعجاز القرآن من الناحية البلاغية اللفظية ، فهل القائلين بإعجاز القرآن من جهة بلاغته يقصدون البلاغة اللفظية ؟ الإجابة : كلا ؛ فالبلاغة بأقسامها الثلاثة (البيان - البديع - المعاني) ، وما هذه التقسيمات الحديثة إلا لتسهيل الدراسة ولا يسعنى إلا أن أتساءل ؛ هل التمس على "وجدى" الأمر ؟ أم أنه قصر؟ كما قال "الخطيب" ولم يتحرر الدقة؟ فقد كرر أن البلاغة لمى وجه ثانوى من وجوه الإعجاز فما باله ينكر شقاً منها ، وهى البلاغة اللفظية !

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٠ .

(٣) مصطفى الصاوى الجوينى : منهج الزمخشري فى تفسير القرآن وبيان إعجازه : ط ٣ دار المعارف رقم ايداع ١٩٨٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٠ .

عنه الشعراء وحالوا - جهدهم - بين الفصحاء وبينه. قال تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ (١)

ثم يشير إلى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من تأثير القرآن :-

"أما الرسول والصحابة فكانوا إذا خلوا إلى القرآن يقرعون اندمجوا في جوه الروحي

: عاشوا في نصه وانعقدت الصلة بين نفوسهم وبين معانيه فخشعوا وبكوا."

"يحيى (٢) مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه يقول : رأيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء"

"وأبو بكر كان رجلاً بكاء لا يملك دموعه إذا قرأ القرآن"

ويشير د. "الجويني" إلى أن الرعيل الإسلامي الأول اهتموا بأثر القرآن في النفس يقول (٣)

"والكل يشير إلى الأثر النفسى العميق الذى يتركه القرآن فى نفس تاليه. لقد شغل

القرآن الصحابة والرعيال الإسلامى فى الأول فانتبعوه ديناً ودنيا ، قرعوه بقلوبهم وعاشوا فى

معناه ، وكان همهم أن يسيروا إلى أثر معانيه فى النفس ؛ فالطبرى (٤) يروى أن عائشة قالت :

قلت يا رسول الله إنى لأعلم أشد آية فى القرآن . فقال ما هى يا عائشة ؟ قلت هى هذه الآية يا

رسول الله : " **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**

(٥) فقال هو ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة ينكبه"

ومن العلماء القائلين بإعجاز القرآن من الوجهة البلاغية مع الأخذ فى الاعتبار تأثيره فى

القلوب هو "الرماني".

"الرماني (٦) المتوفى سنة ٣٨٤ هـ. قال : إن القرآن معجز ببلاغته وحد البلاغة بأنها

إيصال المعنى إلى القلب فى حسن صورة من اللفظ فأعلاها طبقة فى الحسن بلاغة القرآن

وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم"

وكذلك "الخطابى" يرى أن إعجاز القرآن هو من الوجهة النفسية مع النظم حيث يقول د.

"الجويني" (٧)

(١) سورة فصلت : آية ٢٦.

(٢) التذكار فى أفضل الأذكار القرطبي ص ١٤٠. نقلاً من د. مصطفى الصاوى الجويني : منهج الزمخشري : ص ٢٠١.

(٣) د. مصطفى الصاوى الجويني : منهج الزمخشري : ص ٢٠١.

(٤) تفسير الطبرى ح ٥ ص ١٨٩ ط : ١٣٢٣ نقلاً من د. مصطفى الصاوى الجويني : منهج الزمخشري : ص ٢٠١.

(٥) سورة النساء : من آية ١٢٣.

(٦) مخطوط النكت الرمان ورقنا ١ ، ٢ نقلاً من د. مصطفى الصاوى الجويني : منهج الزمخشري : ص ٢٠٧.

(٧) إعجاز القرآن : للخطابى : ص ٢٧ - ٢٩ ، ط دار التأليف ١٣٧٢ هـ. - نقلاً من د. مصطفى الصاوى الجويني : منهج

الزمخشري : ص ٢٠٧ ، ٢٠٨.

"ورأى الخطابي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ أن الوجه الأول في الإعجاز القرآني هو الإحاطة الإلهية بأسرار اللغة حتى جاء القرآن معجزاً لفظاً ومعنى ونظماً .."
 "والوجه الثاني في الإعجاز عنده هو ما للقرآن من أثر نفسي يقول : "قلت في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم"
 وهذا القول يدل على وجود القول بالإعجاز النفسي للقرآن في القرون الأولى للهجرة ، ولكن على استحياء أو قلة .

"وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ، ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس وتتشريح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظها منه ، عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشعر منه الجلود وتتزعج له القلوب يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة منها^(١) .

"وقريب من هذا رأى "الزمخشري" في الإعجاز ، فهو عنده على أمرين أولاً الإخبار بالغيب يقول^(٢) "صدق الإخبار عن الغيوب معجزة"
 والثاني النظم "النظم ... هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدى ومراعاته أهم ما يجب على المفسر"

ومن الأساليب المندرجة عنده في مسألة النظم "أسلوب التكرار" الذي يقف الزمخشري كثيراً عنده ليوضح الآثار النفسية المترتبة عليه يقول د. "الجويني" "أسلوب التكرار من صور البيان القرآني التي يطيل الزمخشري وقفته الجمالية المستقصية عندها : ويقرر الزمخشري المعاني النفسية الكامنة وراء التكرير في القرآن يقول^(٣) "مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره"

ويسفر عن الغاية النفسية في تكرير القصص يقول^(٤) "ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم"

(١) وأن لأرى أن كلام الخطابي أقرب ما يكون إلى كلام محمد فريد وجدي حين تحدث عن روحانية القرآن "هذه الروحانية تنفذ إلى سر سريرة الإنسان وسويداء ضميره وتستول منها على أصل حياته ووهب عواطفه وإحساساته ، وتخلقه خلقاً جديداً وتصوره لا يتخيلها .. ألا ترى أن الطفل والعامي كيف يعتريهما هيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن حتى ألهما ليكادا يفرقان بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن .." محمد فريد وجدي "دائرة معرف القرن العشرين : ص ٦٧٨ ، ٦٧٩ .

(٢) الزمخشري : الكشف : ص ٣٨٥ ، ح ٢ نقلاً من مصطفى الصاوي الجويني : منهج الزمخشري : ص ٢١٧ ، ٢١٩ .

(٣) الكشف : ح ١ : ص ١٤ ، نقلاً منهج الزمخشري : مصطفى الصاوي الجويني : ص ٢٢٩ .

(٤) المصدر السابق : الكشف ح ٢ : ص ١٣١ ، ١٣٢ .

ويلخص د. الجوينى غاية التكرير عنده

"فجماع غاية التكرير عنده : تمكين المعانى فى النفوس ، وبسطها بالإيضاح والتفسير لتوقظ الغافل أو تثير الفكر الراكد"

ويوافق رأى "الزمخشري" فى التكرار ودرءه للملل وأثره النفسى على القارىء. الشيخ "محمد الغزالي" يقول^(١) "قد تجد القرآن حقيقة علمية مفردة ، ولكن هذه الحقيقة تظهر فى ألف ثوب ، وتتنوع تحت عناوين شتى ، كما تنوع السكر فى عشرات من الطعوم والفواكه. وهذا التكرار مقصود ، وإن لم ترد به الحقيقة العلمية فى مفهومها. ذلك أن الغرض ليس تقرير فقط ، بل بناء الأفكار والمشاعر عليها والتقاط آخر ما تختلعه اللجاجة من شبهات وتعلات ، ثم الكر عليها بالحجج الدامغة حتى تبقى النفس وليس أمامها مفر من الخضوع للحق والاستكانة لله."

"وفى أغلب الآفاق المادية والمعنوية يحسب لملا الإنسان وكلالة حساب دقيق ، وتتخذ الحيلة له كى لا يقف بالمرء فى بدايات الطريق !!.. والقرآن الكريم فى تحدته للنفس الإنسانية حارب هذا الملل ، وأقصاه عنها إقصاء ، وعمل على تجديد حياتها بين الحين والحين حتى إنه يمكنها أن تستقبل فى كل يوم ميلاداً جديداً :

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾^(٢) وإحداث الذكر هو تجديد معنويات الإنسان كلما صدئت على طول التعب ومس الذهول . وأسلوب القرآن فى هذا المجال يربى على كل تقدير. إنه يخترق أسوار الغفلة ويصل إلى صميم القلب ، ثم يقفه راغباً أوراهاً بإزاء ما يريد.

والهدف الأهم من وراء هذا السرد المتكرر ، ليس بيان الحق فقط ، بل هو — إلى جانب ذلك — تعميق مجراه فى القلوب تعميقاً ينفى ما طبع عليه الإنسان من جدل وملل..". ومن العلماء المعاصرين الشيخ محمد عبده يتحدث عن الهدف من تفسير القرآن والغرض الأول والأهم من القرآن يقول :^(٤)

"أن الغرض الأول والأهم فى التفسير ، أن يكون محققاً لهداية القرآن ورحمته مبيناً لحكمة التشريع فى العقائد والأخلاق ، والأحكام على الوجه الذى يجذب الأرواح..."

(١) محمد الغزالي : نظرات فى القرآن : ص ١٢٧. ط الثالثة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ، دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق العفيفى القاهرة .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٢.

(٣) سورة طه : آية ١١٣.

(٤) مصطفى الصاوى الجوينى - التفسير الأدبى للنص القرآنى . دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨ م. ص ١٣٤ .

يقول د. الجويني "معلقاً^(١)" فالمقصد الحقيقي عنده هو الاهتداء بالقرآن وهو قصد جليل ولا شك ... يحتاج المسلمون إلى تحقيقه."

ويوضح الشيخ "أمين الخولي" في كلامه عن الإعجاز النفسي الآراء المتعددة في الإعجاز وصلة البلاغة بعلم النفس موضعاً فائدة تلك الوجهة النفسية.

يقول^(٢) "إذا كان وصل البلاغة بعلم النفس ، وإقامتها على ذلك الأساس الذي يمضي العلم قدماً في الكشف عنه والتجلية له ، سيهدينا إلى قول بالمعنى التام ، فذلك فضيلة لهذا الرأي في حل قضية الإعجاز الكبرى ، أو إدنائها من الحل . وتقريبها من التفكير الحديث." ثم يقول في إجمالي فكرة الإعجاز النفسي^(٣)

"قبالأمور النفسية لاغير يعلل إيجازه وإطنابه وتوكيده وإشارته ، وإجماله وتفصيله ، وتكراره وإطالته ، وتقسيمه وتفصيله ، وترتيبه ومناسباته ، وما قام من تحليل هذه الأشياء وغيرها على ذلك الأصل فهو الدقيق المنضبط وما جاوز ذلك فهو الادعاء والتحمل .. وهذا وجه من الرأي لا يثار عليه خلاف .. أن القرآن قد راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ، ومسارب الانفعال ، ونواحي التأثير ، وجوانب الاطمئنان وأثار من هذا ما أيد به حجته ، وأظهر دعوته ، وكان مثل ذلك من معرفة شئون النفس الإنسانية ، لم يهتد إليه العلم بعد ، فوق أن يهتدى إليه هذا الأملى البادى ، فقد جاء القرآن نسيجاً على قوالب دقيقة وأنوال نفسية ، لا بد لمنقنن بها ولا سبيل ... في عهد نزوله على الأقل إلى التزامها ورعايتها ... فهذا صنع فوق قدرة البشر ، وقوى الناس وذاك قول في الإعجاز وعلمته النفسية ... منته إلى علم ما لم يكن وضبط ما كان مجهولاً بعيد المنال ، مما هو أساس الفن الأبي ودعامته ."

ونرى د. الجويني^(٤) "يوافق أستاذه في تأثير (صلة) البلاغة بعلم النفس في قضية الإعجاز القرآني. يقول : -

"لأن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل إلى القول بالإعجاز النفسي للقرآن كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفساني للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعاوى القرآن الدينية وجدله الاعتقادي ورياضته للوجدانات والقلوب"

ويبين د. مصطفى الصاوي الجويني "حاجة التفسير إلى الملحظ النفسي .

(١) مصطفى الصاوي الجويني - التفسير الأدبي للنص القرآن ص ٣٤.

(٢) أمين الخولي مناهج التحديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٩٥ م الأعمال الكاملة جـ ١٠ ص ١٥٢.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٤ ، ١٥٥ بتصرف.

(٤) مصطفى الصاوي الجويني - التفسير الأدبي للنص القرآني ص ٤٣ ، ٤٤.

"ولا نقول الآن أكثر من أن اللمحة النفسية في المعنى القرآنى ، ربما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور كثير الشغب بين المفسرين .. فالملاحظة النفسية حين تعلل الآية وصياغتها ، وتعرف بجو الآية وعالمها ، ترفع المعنى الذى يفهم منها إلى أفق باهر السناء ؛ وبدون هذه الملاحظة يريد المعنى ضئيلاً ساذجاً لا تكاد النفس تطمئن إليه ، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن ."

ونختم الشواهد برأى الشيخ "محمد الغزالي" موضحاً أثر القرآن المعجز يقول :^(١) "إننا نقرأ القرآن فيحجبنا ابتداء عن رؤية إعجازه إنه كلام من جنس ما نعرف ، وحروف من جنس ما نلتقط ، فنمضى في القراءة دون حس كامل بالحقيقة الكبيرة. إلا أن طبيعة هذا القرآن لا تلبث أن تقهر برودة الإلف ، وطول المعرفة ، فإذا كتّاب تتعري أمامه النفوس ، وتتسلخ من تكلفها وتصنعها ، وتتزعج من ذهولها وركودها ، وتجد نفسها أمام الله جل شأنه ويحيط بها ويناقشها ويعلمها ويؤدبها ، فما تستطيع أمام صوت الحق المستعلن العميق إلا أن تخشع وتصيح".

وبعد ...

لقد ركزنا في الاستدلال بالشواهد في قضية الإعجاز القرآنى بما يتفق مع رأى محمد فريد وجدى في قوله بالتأثير الروحى للقرآن والإعجاز النفسى أو ما يجمع بين الأمرين النظم مع التأثير النفسى. ولم أكن فى هذا متحيزاً لرأى دون آخر ، ولكن حين تذكر قضية الإعجاز القرآنى يتبادر إلى الذهن فكرة النظم أو الصرفة أو الإخبار بالغيب. تلك الأمور التى استقرت فى الذهن وقليل ما ننتبه إلى الرأى القائل بالإعجاز النفسى. فصنعت ما رأيته محاولة إنصاف لأفكار وآراء قد تتوارى عن دون قصد أو عن قصد.

وفى النهاية أقول إننا لا نؤيد رأى ولا نخالف آخر ، إننا نؤمن بأن القرآن معجز سواء أكان لكل تلك العلل والأسباب أم لعل أخرى مازالت خافية على الإنسان بعقله القاصر مهما حاول ، وكثرة الآراء وتعددتها - فى نظرنا - حول الإعجاز لهو دليل وحده على الإعجاز ونحن وإن تعرضنا لها فى بحثنا فلأن هذا إشارة إلى آراء وأفكار وجدى وآراء مناقشيه ونحاول أن نكون موضوعيين قدر الاستطاعة البشرية "وما كلف الله نفساً إلا وسعها"

(١) محمد الغزالي : نظرت فى القرآن : ص ١٣١.

الخلاصة

تم عرض قضية الإعجاز القرآني بداية بعرض "محمد فريد وجدي" لآراء القدماء "النيسابوري" ثم "محمد عبده" في العصر الحديث.

ثم مناقشة رأي "فريد وجدي" القائل بروحانية القرآن مع الوجود الثانوي للبلاغة وتمت مناقشة رأيه من خلال تعقيب "د. عبد الكريم الخطيب" و "د. محمد رجب البيومي" اللذين يوافقانه على الأثر الروحي للقرآن ولكن من خلال النظم.

وتتبعاً لفائدة تم عرض مزيد من آراء العلماء القائلين بالإعجاز النفسي أمثال "الرماني"، و"الخطابي"، و"الزمخشري"، وأخيراً "محمد عبده"، و"محمد الغزالي" و"أمين الخولي".

المبحث الثالث

الوحدة الموضوعية

الوحدة الموضوعية

آثار المستشرقون الشبهات حول ترتيب القرآن ، وكانت اتهاماتهم سبباً للجدال بين الأوساط الدينية ، فانبرت الأقلام تدافع عن كتاب المسلمين المقدس ، كل بأسلحته فاختلفت في الحجج واتفقت في الهدف.

وسأعرض لبعض هذه الآراء موضحة دفاع محمد فريد وجدى في هذه القضية. يقرر د. "محمد محمود حجازى" في كتابه الوحدة الموضوعية^(١) "أن القرآن نزل منجماً حسب الحوادث ، ولكنه رتب توقيفاً من عند الله " ثم يتساءل "إذا كان الأمر كذلك فهل هناك اتصال ومناسبة بين آيات القرآن على هذا الترتيب فى المصحف ، بمعنى هل هناك سر فى اتصال الآية بأختها فى السورة ؟!!" ويجب قائلًا :-

"الحقيقة أن هناك سرّاً ومناسبة بين الآيات فى السورة ، لكن ليس إدراك هذا الأمر بالسهل الميسور خاصة إذا عرفنا أن الآيات أنزلت فى أوقات متعددة ... ثم جمعت هذا الجمع الموجود فى المصحف ... ولقد كانت هذه الظاهرة القرآنية التى تعتبر من دلائل الإعجاز - كما ستعرف - عند ذوى الأبصار - سبباً فى أن يدعى بعض الناس على القرآن جهلاً واستكباراً إنه كتاب لم يأت على نسق الكتب الموضوعية .. إذ ليست له مقدمة ، وليست فيه مباحث موضوعية مرتبة. لها مقاصد وأغراض فى فصول وأبواب ..."

ويذكر "محمد محمود حجازى" رأى "العز بن عبد السلام" - وهو رجل فقهى - ويقرر أنه عن حسن قصد رأى بعدم الوحدة الموضوعية فى القرآن. ثم يذكر رأى "محمد فريد وجدى" الذى يرى أنه قريباً من رأى العز بن عبد السلام. ويستشهد بقول فريد وجدى^(٢) " إنه لا شئ فى عدم مراعاة القرآن قاعدة الكتابة البشرية ؛ لأنه لو كان على مثال الكتب الوضعية فى الترتيب والتبويب لكان كتاباً وضعياً لا سماوياً ، فالترتيب يقتصر سلطانه على كلام البشر ويجل عنه كلام الله. كما يجل البحر عن أن يحد بما تحديه الجداول"

ويعلق "د. حجازى" على هذا الرأى قائلًا "وهذا جواب خطابى بالتسليم للاعتراض ومنع أن يكون هذا عيباً فى كلام الله كراى العز بن عبد السلام .. والحق كما سترى واضحاً على خلاف ذلك."

(١) د. محمد محمود حجازى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم : ص ١٢ ، ١٣ ، ط ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م مطبعة المدن :

القاهرة - دار الكتب الحديثة عابدين القاهرة.

(٢) محمد محمود حجازى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم : ص ١٣

ويؤكد "حجازي" أن القرآن نزل على نسق الكتب الوضعية يقول "إن القرآن الكريم وإن كان يجل عن مشابهته لكتب البشر ، مع هذا نجد فيه ما يشبه المقدمة ؟ إذ فاتحة الكتاب بالنسبة للقرآن تعتبر كالمقدمة ، بل أروع المقدمات؟ حيث اشتملت على أغراض القرآن الكريم جملة ... ثم تعال بنا إلى السور وآياتها أليست أشبه بالفصول والأبواب. وإذا ثبت أن ترتيب المصحف على خلاف ترتيب النزول قطعاً ، فإذا خلا من الحكمة كان عبثاً والعبث على الله محال"

وما رآه "محمد محمود حجازي" يتفق إلى حد كبير مع ما قاله "د. عبد المتعال الصعيدي" في كتابه "النظم الفني في القرآن"^(١) فقد عاب على رأي "محمد فريد وجدي"^(٢) بقوله "إن هذا جواب خطابي لا يقنع طلاب اليقين ، وهو في الحقيقة تسليم للاعتراض لا جواب عنه والحق أن القرآن لم يخل من الترتيب الذي ذكر الأستاذ أنه يجل عنه لأنه نزل مفرقاً في المدة السابقة ، ثم رتب على هذا الشكل الذي نقرؤه. وله فاتحة كمقدمة الكتب ، وهي سورة الفاتحة المذكورة في أوله ، وله سور كأبواب الكتب ، ولو لم يكن ترتيب القرآن على خلاف أزمنة نزوله لأجل وضع الآية بجانب ما يناسبها من الآيات ، لكان العدول عن ترتيبه على أزمنة نزوله إلى هذا الترتيب خالياً عن الحكمة ، وهذا محال على الله تعالى".

ويواصل "الصعيدي" مؤكداً كما أن الفاتحة مقدمة والسور أبواب ، فالآيات فصول "ولقد عني المنقدمون بتقسيم السور القرآنية إلى أرباع وأجزاء متساوية تقريباً في عدد الآيات ، تسهيلاً للتلاوة والحفظ ، ولم يعنوا بجمع الآيات الواردة في غرض واحد تحت اسم يجمعها ، وتدرج به في السورة كما تدرج الفصول في أبواب الكتاب.."

هذا ما قاله محمد محمود حجازي . وعبد المتعال الصعيدي مدافع عن الوحدة الموضوعية في القرآن إنه مرتب على غرار الكتب الوضعية "له مقدمة ، وهي الفاتحة ، ثم الناظر للآيات والسور يجدها أشبه بالفصول والأبواب" ومن هذا المنطلق فهما يرفضان أي قول بأن هذا الكتاب السماوي ليس مرتباً كما في كتب البشر. ويعدا هذا خطأ كبيراً فيقول "حجازي" "لقد شجع هذا الكلام بعض المستشرقين وغيرهم فتبجحوا وعدوا هذا عيباً في القرآن الكريم ، واضطراباً في التأليف"^(٣)

(١) عبد المتعال الصعيدي : النظم الفني في القرآن : ص ٣ ، ٤ ، المطبعة النموذجية - مكتبة الآداب بالجواميز ١٩٧٥ .

(٢) نفس المصدر السابق لوجدي

(٣) محمد محمود حجازي : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم : ص ١٤ ، ١٥ ويوضح "حجازي" ضرر اتهام المستشرقين وصلة الإعجاز القرآن بترتيبه يقول: "هذا شبهة لهم في أن يقولوا إن القرآن معجزاً - وليس من عند الله ، بل هو من وضع النبي محمد. وما يدل على إعجاز القرآن واقتناع العرب بهذا رغم عدم إيمانهم فلم يتهموا القرآن بعدم ترتيبه أو مفككة ، بل قالوا يفعل فعل السحر. إن ترتيب المصحف على خلاف ترتيب النزول ، وتلك معجزة من المعجزات وصدق الله العظيم "كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير" (سورة هود) ، وفصل الخطاب "إنما على حسب الوقائع ترتيباً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً"

ومثل هذا ما قاله الصعیدی ^(١) "إن المتقدمين لم يعنوا بجمع الآيات الواردة في غرض واحد ... ولو أنهم عنوا بهذا لأظهروا السور القرآنية أمام الناس متصلة الأجزاء ، واضحة الأغراض ولم يكن لدوزي وغيره أن يرميها بأنها مفككة الأجزاء غير محكمة النظم ولا واضحة الأغراض ."

وتأييداً لوجهة نظر "محمد محمد حجازي و عبد المتعال الصعیدی " في أن هناك سرّاً وحكمة في الترتيب هو الوحدة الموضوعية . يقول " محمد قطب " :- ^(٢)

، "والذي يلفت نظرنا في هذه الظاهرة أن مكان نزول الآية ، لم يكن هو الذي حدد موضعها في المصحف ، ولا زمان نزولها كذلك ! فقد تنزل آية في المدينة ، ثم تلحق بسورة مكية قبل ذلك بعشر سنوات ، أو أكثر ، كآية الأخيرة من سورة المزمل المكية : ^(٣)

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ مَوْلًىٰ وَطَافُةً مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
عِلْمًا أَن لَّنْ تَحْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ
يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِسُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ

"هناك شيء آخر إذن غير مكان نزول الآية وزمان نزولها هو الذي حدد موضعها في المصحف ... وأول ما يخطر في البال إزاء هذه الظاهرة أن هناك وحدة موضوعية لكل سورة من سور القرآن . وإلا فلو كان القرآن مختلط الموضوعات بلا رابطة كما يقول الذين لا يتدبرون القرآن ولا يفهمونه من المستشرقين وتلامذتهم من المسلمين ! ما كان هناك معنى لإلحاق آية مدنية بسورة مكية ، ولا آية مكية بسورة مدنية ، ولكان الأولى أن توضع حيث نزلت في آية سورة متجانسة معها في الزمان والمكان !"^(٤)

ويوضح د. محمد رجب البيومي "قيمة كتاب الله السماوى مقارناً بينه وبين الكتب الوضعية يقول : ^(٥) " عهدنا بالمؤلف البشرى تختل أبوابه ، وتتفكك عراه ، إذا كانت موضوعات الباب الواحد متناثرة لا تجمعها وحدة تامة ، فما بالنا نقرأ السورة الطويلة فنجدها

(١) عبد المتعال الصعیدی : النظم الفني في القرآن : ص ٤

(٢) محمد قطب : دراسات قرآنية : ص ١٨ ، ١٩ ، دار الشروق بيروت

(٣) سورة المزمل : آية ٢٠

(٤) محمد قطب : الدراسات القرآنية : ص ١٩ وقد أشار إلى أن سيد قطب صاحب الظلال قد عني بهذه الوحدة الموضوعية في كل

سورة بلداتها .

(٥) د. محمد رجب البيومي : البيان القرآني : ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ط ١٩٧١ ، دار النصر

ذات موضوعات عدة ، وهى على تعدد موضوعاتها ملتئمة ملتحمة تنتقل بك من غرض إلى غرض ، ومن معنى إلى معنى دون أن تحس فجوة أو ظلاً ... ذلك لأن روح القرآن الأسر بروعته ، الناصع بقوته قد سيطر على الأسلوب سيطرة كانت من المعانى مكان السلك من الدرر ، بجمع نظامها ، وبضم لألاءها فتبدو ساطعة فاتنة متناسقة على النحو الوضى .
 "وهذه الروح - وقد سماها الرافعى روح التركيب^(١) - لم تعرف قط فى كلام عربى غير القرآن ، وبها انفر د نظمه وخرج مما يطيقه الناس ... "

" وخرج فى معنى تلك الروح صفة واحدة ؛ هى صفة إعجازه فى جملة التركيب ..
 ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعانى ومواقعها فى النفوس وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التى تؤديها حقيقة ومجازا .. "

هذا عن الروح التركيبى أما عن الاجتهاد فى إيجاد رابط بين الآيات . فيرى د. محمد رجب البيومى أن فيه تكلف يقول :-^(٢) "نحن نعرف أن فريقاً من المفسرين - وأظهرهم فى ذلك الفخر الرازى - قد أخذوا على أنفسهم إيضاح الصلات بين الآيات القرآنية وكتبوا فى ذلك كتابة واعية ، تدل على فطنة واجتهاد ، ولكننا نخالف هؤلاء حين نقول إن محاولة الربط الوثيق بين أغراض السورة الواحدة مهارة عقلية فائقة وهى وإن ظهرت بين الآيتين المتجاورتين على نحو من التأويل فى بعض ما تختلف به وجوه القول من آيات الذكر الحكيم ، فإن بعض السور الكريمة لا تكاد تدور على فكرة خاصة بما يساق من هذه المعانى ، لأن الربط الذى برع فيه بعض المفسرين كان ربطاً جزئياً ينظر إلى الآية المجاورة دون أن يحدد هدفاً واحداً للسورة إلا بتكلف خاض فيه الخائضون عن اجتهاد يخطئ ويصيب ."

"ونحن لا ننكر الجهود المخلصة التى دفعت بعض الكبار فى القديم والحديث إلى التماس الوحدة فى السورة القرآنية ، لأن كل محاولة من هذه المحاولات الكريمة تدل على إخلاص حى وتفكير طامح ، وتصدر عن اعتقاد تام بإعجاز القرآن وروعه^(٣)

ويعمل "محمد رجب البيومى" السبب فى القول بعدم ترتيب القرآن هو^(٤) "إن انتشار الترجمات الأوروبية للقرآن الكريم وخاصة ممن لا يعرفون براعة النظم فى العربية فعمدوا إلى

(١) هو يشير إلى "الوحدة العضوية بين الآيات - إن جاز لنا استخدام هذا المصطلح النقدي .

(٢) محمد رجب البيومى : البيان القرآن : ص ١٧٨

(٣) وقد عرض د. محمد رجب البيومى لنماذج حاولت إيجاد وحدة موضوعية فى بعض سور القرآن من ذلك أ. محمد عبد الله دراز " فقد قسم سورة البقرة إلى أربعة أقسام ومحمد وخاتمة ، ولكنه أغفل أشياء فى سورة البقرة . وهذا من وجهة نظر "البيومى" يفتح الباب لغيره من المبتدئين أن يأخذ سورة متشابهة الأغراض ويغفل منها ما يتعارض مع التشابه فيها . وإن كان جهده مشكوراً لمبدأ مقتنع به . كما ذكر "د. البيومى" نموذج آخر هو "لعبد المتعال الصعدي" ؛ فقد حاول نفس المحاولة فى إثبات الوحدة الموضوعية فى سورة البقرة وإن اختلف فى طريقة التطبيق ويصل "البيومى" فى النهاية إلى عدم وجود أساس موضوعى على آرائهما بقدر ما هو استنتاجى . وهذا أمر فيه من التكلف الذكى والجهد والاجتهاد الكثير .

(٤) محمد رجب البيومى : البيان القرآن : ص ١٨١ - ١٨٢ .

الترجمة الحرفية التي تجعل كلام الله بعيداً عن روحه البلاغى الأسر .. بحيث تصبح الترجمة أمشاجاً من المعانى منبئة الصلة ، حائرة المكان وتكون نتيجة هذا هو قول بعض الغلاة والمتعصبين بضعف ترتيب القرآن. حتى إنه دفع بعض المنصفين منهم أمثال "جوستاف لوبون" فى كتابه الخاص بحضارة العرب يقول (إن عدم الترتيب فى القرآن جعل مواده وأحكامه المتماثلة تساق متفرقة مبتورة دون أن تجمع فى موضوع كما نعهد فى الكتب العلمية) واعتقاد جوستاف لوبون بأن طريقة القرآن ليست المثلى لبعدها عن الكتب الوضعية البشرية.. هذا الاعتقاد قد دفعه إلى نقد مجحف ينأى عن الصواب ، إذ أن القرآن الكريم وهو هدية السماء إلى الأرض لم ولن يسلك سبيل التأليف العلمى فيما يقدم من خير للناس ، فالكتب العلمية كتب للخاصة تخاطب العقل وحده ، أما كتب السماء فللخاصة والعامة معاً. حيث إنها "تجمع إلى مخاطبة العقل ، مخاطبة الشعور .. وتفتح الإدراك كما توقظ الوجدان ، ولذلك ابتعدت عن المنهج البشرى فى التأليف العلمى ... وسلكت سبيلاً خاصاً يجذب القارئ ويشغله ويستحوذ عليه."

ومن ثم أرى أن د. "محمد رجب البيومى" يتفق فى هذا رأى مع "محمد فريد وجدى" (١) الذى يقول "غاب عنهم أن القرآن ليس بكتاب منشئ أو بحث فيلسوف ، فيحسب عليه تعديه لقانون الكتابة البشرية وإنما هو وحى إلهى نزل بحسب الحوادث على صدر رسول لا أثر له فى تأليفه ، ولا دخل لقوته فى وضعه ، ولو كان هذا الكتاب على مثال الكتب الوضعية فى الترتيب والتبويب ، لكان كتاباً وضعياً وهو ليس كذلك ، ولكان حظه مثل حظ كل كتاب، فيطالع مرة أو مرتين ثم يسأم ، بخلاف القرآن فإنه قد يطالع مئات من المرات ، ولا يزال يحلو مع تكراره ، حتى لا يكاد يسألوه تاليه طرفة عين"

ويعمل "وجدى" اتهامات المستشرقين للقرآن لجهلهم العربية "ولو نهل دوزى وكارليل ، ومن نحا نحوهما من مؤلفى الفرنج من فرات اللغة العربية لعرفوا أن القرآن الكريم كتاب لا كالكتب فيه كلام لا كالكلام ، لا يستطيع تاليه أن يزعم أن لا ترتيب فيه ، بل يرى أن الترتيب مهما كان فسلطانه قاصر على الكلام البشرى ، يجلب عنه هذا الكلام الإلهى ، كما يجلب البحر عن أن يحد بما تحد به الجداول ، وكما أن كمال البحر فى أن يكون رهواً متلاطم الأمواج ، متقابل التيارات ، فكذلك هذا الكلام العالى كماله وجماله أن يتنزه عن قبول القيود ، وأن يكون هو محيط معان عالية يعجب عابها وتتصادم أواذيتها ، لا تنتهى من المعانى إلى غاية ، ولا تقف عند نهاية ، إن واجهته واجهت اقيانوساً مغنواً ، لا يشبه كلاماً إنسانياً ، ولا يشاكل كتاباً وضعياً ، يفرق بين المرء وأهوائه ، ويجمع بين القلب وشفائه ، ويسرى بين

(١) محمد فريد وجدى : مقدمه تفسر المصحف المفسر : ص ٩٤ ، ٩٥ .

واتفق معهما فى كون القرآن كتاباً إلهياً لا يشبه الكتب الوضعية فهو فى حد ذاته تشريعاً لهم وإعجازاً

أطواء الفؤاد ، وأحناء السرائر ، كما تسرى الكهرباء بين ذرات المعادن ، فيفعل بالنفس فعلاً لا يغنى وصفى له عن أن تراه فى نفسك".

يعترض "البيومى" على النقد الموجه للقرآن باعتباره كتاباً سماوياً ليس وضعياً مدافعاً عن الروح التركيبية للنص موضحاً رأيه بالأمثلة يقول: ^(١) "ولو أنك أدغمت آيات من سورة كريمة إلى آيات من سورة أخرى لوجدت حتى مع اتحاد الموضوع ، نشازاً منكراً لا يقبله ذوق أو يستسيغه منطق ، واقرأ إن شئت سورة القمر وسورة هود وميدانها معاً عن أنبياء الله السابقين كنوح وهود وصالح وموسى ثم حاول أن تلحق نصاً من هذه بنص من تلك فستجد من الانفصام والتخاذل ما يمنعك أن تقوم جاداً بهذه المحاولة ، هذا والموضوع هو الموضوع. والعبرة هي العبرة ، ولكن الروح التركيبية للبلاغة القرآنية تمنع هذا الخلط الكريه ، وتهتف بأصحاب الموضوع الواحد متعجبة لنظرهم القاصر ، ولتفكيرهم المحدود". كما وضح "البيومى" أن القرآن رسالة ودعوة إنسانية لا بد أن تشمل الوعد والوعيد ، الترغيب والترهيب معتمداً على الشعور الإنساني لا الأسلوب العلمى الجاف.

يقول ^(٢) السيد محمد رشيد رضا فى هذا "لو أن عقائد الإسلام المنزلة فى القرآن من الإيمان بالله وصفاته .. جمعت مرتبة فى ثلاث سور أو أربع .. ولو أن عباداته وآدابه وحكمه وقواعده التشريعية .. لو أن كل ما ذكر وما لم يذكر من مقاصد القرآن جمع كل نوع منها وحده لفقد القرآن بذلك أعظم مزايا هويته المقصودة بالقصد الأول من التشريع وحكمة التنزيل وهو التعبد به واستفادة كل حافظ للكثير أو القليل من سوره من مسائل الإيمان ... وفقد أعظم مزايا هديته وهو مزج مقاصده بعضها ببعض وتفريقها فى السور الكثيرة بالمناسبات المختلفة ، وتكرارها بالعبارات البليغة المؤثرة فى القلوب ، المحركة للشعور النافية للسامية والملل .. وفواصله المتعددة القابلة لأنواع من التغنى والنغم المحرك فى القلب وجدان الخشوع.."

وكما اعترض "محمد محمود حجازى" و"عبد المتعال الصعيدى" على رد "محمد فريد وجدى" على المستشرقين زاعمين أنه أسلوب خطابى من وجهة نظرهم. فها هو "د. محمد رجب البيومى" يعترض عليه أيضاً فى جانب ويوافقه من جانب آخر يقول "محمد فريد وجدى" ^(٣)

"إن القرآن لو كان مختلفاً لتوخى فيه مؤلفه الترتيب المطلوب ؛ فقد جرت العادة أن يجلس من يريد تأليف كتاب إلى ناحية فيفكر فى مواد الكتاب وأغراضه ليجعل لكل طائفة من المواد

(١) محمد رجب البيومى: البيان القرآن : ص ١٨٣.

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٥ ، ١٨٦ نقلاً عن محمد رشيد رضا : كتاب الرضى الحمدي ، ص ١٢٣.

(٣) محمد فريد وجدى : "الإسلام دين الهداية والإصلاح" : ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، ط ١٣٨٩ - ١٩٦٩ م. مكتبة الكليات الأزهرية

- محمد رجب البيومى : البيان القرآن : ص ١٨٨.

أصلاً ، ولكن القرآن ليس بكتاب وضعى ، إنه وحى نزل عند حدوث الحوادث وطروء الطوارئ فمنه آيات نزلت لدعوة الدين ، وأخرى للرد على المنكرين ، وغيرها للإجابة عن السائلين ، وسواها للفصل بين المتنازعين ، وطائفة للحث على الجهاد ومثلها للحض على مكارم الأخلاق ، وكلها نزلت نجوما ومرتبة على الحوادث الوقتية إذ كان الوحي لدى الطائفة التى أخذت بالإسلام لأول عهدها بمنزلة العقل المدبر لها تستهدى به فى المشكلات ، وتسترشد به فى تدليل العقبات. فهو مجموع إشراقات من الوحي اقتضتها الحوادث التى تستكرر فى كل جيل وفى كل مجتمع ، وهذا لمجموع من إشراقات الوحي متى قرئ أو سمع استولى على مأخذ النفوس ، وتسلب على كل مآرب العقول فلا يجد تاليه محيصاً من الإذعان إليه والاستخاء له لأنه يحرك جميع الأوتار فى الروح الإنسانى دفعة واحدة فيؤخذ سامعه به أخذاً كأنه قد غمرته موجة من السحر فلم تدع له متنفساً فى غيره من الأمور ولم تترك له متمصاً إلى سواه من الشئون

ويوضح "محمد رجب البيومى" وجه الاختلاف^(١) وهذا الكلام يحتاج إلى نظر ، لأن قول الأستاذ محمد فريد وجدى فى علة عدم الترتيب "إنه وحى نزل عند حدوث الحوادث وطروء الطوارئ وآياته نزلت نجوماً على الحوادث الوقتية" هذا القول لا ينهض تعليلاً لعدم الوحدة الموضوعية لأن الثابت الأكيد أن ترتيب الآيات فى السورة ترتيب توقيفى من السماء إذ كانت تنزل الآية فى شأن من الشئون فيأمر الرسول كاتبه بوضعها فى المكان الذى اختاره الله لها ، وكان جبريل عليه السلام يعارض رسول الله بقراءة القرآن كما رتب فى كل رمضان .. ثم استشهد "البيومى" بما يؤيد ذلك من الحديث النبوى.

ولكننى لا أجد تعارضاً بين ما يقوله "وجدى" وقول "البيومى" . فقد أورد "وجدى" فى دائرة معارف القرن العشرين تحت الحديث عن القرآن ما يقر برأى "البيومى" وبوافقه. يقول "وجدى"^(٢) "بدأ نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وأول ما نزل

منه عندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد وحده فى غار حراء أقرأ ياسميريك الذى خلق^(٣) خلق الإنسان من علق^(٤) أقرأ وربك الأكرم^(٥) ثم توالى نزوله على حسب الحوادث وكان رسول الله قد اتخذ كتاباً يكتبون ما ينزل منه أولاً بأول^(٦)، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير ابن العوام وخالد وأبان ابن سعيد بن العاص وعلاء بن الخضرمى

(٦) محمد رجب البيومى : البيان القرآن : ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : م ٧ : ص ٦٦٦ .

(٣) سورة العلق : آية ١ ، ٢

(٤) الأصل "فأولاً"

وأبى بن كعب وغيرهم وهم كثيرون وكان جبريل يعلم رسول الله أن يضع آية كذا فى موضع كذا على الترتيب الذى عليه آيات السور الآن".

أليس فى قول "وجدى" أن جبريل كان يعلم رسول الله أن يضع آية كذا فى موضوع كذا يوافق رأى "الببومى" هذا عن وجه الخلاف أما عن وجه الاتفاق يقول "الببومى" (١)
"وقد أحسن الأستاذ فريد وجدى حين فرغ عاجلاً من هذا القول المتسرع - يقصد كون القرآن مرتباً توقيفياً - ليعلن أن إشراقات الوحي تتسلط على كل مسارب العقول فلا يجد تاليه محيصاً من الإذعان له. وهو بعض ما عاناه الرافعى رحمه الله حين تحدث عن روحانية التركيب."

أرى أن محمد فريد وجدى لم يكف بما ذكره عن الوحدة الموضوعية فى مقدمة تفسيره أو دائرة معارف القرن العشرين أو حتى كتابه الإسلام دين الهداية والإصلاح ، بل صنع ما يقترب مما أراده "عبد المتعال الصعدي" حين قال (٢) "إن المتقدمين لم يعنوا بجمع الآيات الواردة فى غرض واحد .. ولو أنهم عنوا بهذا ، لأظهروا السور القرآنية أمام الناس متصلة الأجزاء" فقد أورد "وجدى" فى المقدمة المستقلة لتفسيره بعض الموضوعات ؛ تدور حول موضوع واحد كالإنسان ، الملائكة ، والقدر ، ويناقشها من خلال الآيات القرآنية التى وردت فى هذا الموضوع ويدعم تفسيره بالأحاديث النبوية وبعض أقوال العلماء. (٣) من ذلك موضوع "العبادات فى القرآن" وسنعرضه كاملاً لتوضيح أسلوب "وجدى" وهدفه.

العبادات فى نظر القرآن (٤)

"يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر" (٥)

يتخذ الذين لا حظ لهم من الإسلام إلا التبعيد بظاهر الألفاظ آية : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ " (٦) دليلاً على صحة طريقتهم فى الخمول والكسل ، والابتعاد عن الجد والعمل. ونحن هنا لا نحتاج فى الدلالة على بطلان مزاعمهم إلى صرف الآية عن ظاهرها ، ولكننا فقط نطرح عليهم سؤالاً واحداً . ونتخذ جوابه حجة عليهم فنقول : أليست العبادة هى طاعة الله فيما أمر والانتهاز عما نهى عنه وزجر ؟ إن قالوا نعم : قلنا وما معنى قوله تعالى : " وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا " (٧) يقولون ليس فى هذه الآية ما يدل على

(١) محمد رجب الببومى : البيان القرآن : ص ١٩٠ .

(٢) عبد المتعال الصعدي : النظم الفنى فى القرآن : ص ٤ .

(٣) سبق وأشرنا فى الفصل السابق "تفسير القرآن" إلى "المقالات التفسيرية" التى يميزها "فريد وجدى" من وجهة نظر "محمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد.

(٤) محمد فريد وجدى : مقدمة تفسيره : ص ١٣٠ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٨٥ .

(٦) سورة الذريات : ٥٦ .

(٧) القصص : آية ٧٧ .

لزوم الخروج عن حد الحاجة الضرورية من مأكّل ومشرب ومسكن وملبس. نقول نعم ونحن لا ننصح بالإفراط فى شئ من ذلك ، ولكن أليس من ضرورات الحياة الإنسانية نشر العلوم والفضائل ؟ الأمر الذى هو أول فرض من فروض الإسلام. أليس منها تسهيل المواصلات بين البلاد الإسلامية لتوثيق عرى التواصل والتحاب للذين هما أس من أسس الإيمان ؟ هل من علو الهمة وإباء النفس أن يقتصر الإنسان على حفظ شخصه بالمأكّل والملبس تاركاً أمته فى أخريات الأمم علماً وصناعةً وعمراناً ، مع أن الله تعالى يقول : " وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " ^(١) إن الذين يزعمون أن تلك الآية تدل على محض العبادة الجسمية لضالون مضلون أقعدهم شيطان الكسل عن العمل فظنوا أنهم ينجون بعبادتهم من عقوبة تفریطهم فى جنب خصائصهم الفطرية ، وملكاتهم العلوية ، التى وأدوها فى تراب الخمول . كتاب الله بجمليته وتفصيله ؛ يشهد بأن الإسلام أنزل لسعادة الحياتين ، والاعتدال فى مطالب الطبيعتين الإنسانيةين ، فوفق وأخى بين حاجات الجثمان والنفس وفى مثل قوله تعالى : " رَبَّنَا إِنَّا أَفْتُونُ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ وَكَفَرُونَا بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ " ^(٢) أكبر حجة على صدق هذه الدعوى البسيطة . وعلى هذا فيكون كل مغلب مطالب أحد جوهريه عن مطالب الآخر غير متبع إلا شقاً واحداً من شقى الإسلام ، ويكون محشوراً فى زمرة الذين يبيكهم الله فى هذه الآية الكريمة " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ " ^(٣) لم يبح لنا الإسلام فقط السعى فى إصلاح دنيانا ، بل صرح لنا كتابنا الكريم بأن الله سخر لنا كل هذه الطبيعة لنستغل خيراتها ، ونستخدم قواها ، ونأخذ منها كل طبيعتها على شرط الاعتدال والتوسط : " وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ " ^(٤) هل يصح لإنسان بعد هذا التصريح البين أن يغمط حق الإسلام فى السوق إلى السعادة المادية فى هذه الحياة الدنيا ؟ هل يصح لأمة يخولها كتابها هذه السلطة الواسعة أن تكون أقل أمم الأرض استفادة من خيرات الطبيعة ؟ رحم الله تلك الأرواح الطاهرة التى تلقت روح هذا الدين من سماء الحكمة الإلهية فشربتها بلا تأويل ، فنالت من المعالى الحقيقية ما لو وصفها أوسع الشعراء تخيلاً لرأى عباراته دون الحقيقة بمراحل لم يمض على تلك النفوس العزيزة بعض قرن بعد انتعاشها بهذه الروح السماوية وحتى رأيناها مدت نفوذها العادل المحبوب على أمم كانت أبعد من عقاب الجو منالاً ، وأوسع فى ميدان الثراء منها مجالاً ، وبلغت من سعة السلطان ما لم تبلغه أمة فى هذا المعمور ، لا تسئل عما استلزمه ذلك الامتداد الهائل من علوم صناعية واكتشافات علمية ، ورحلات جغرافية ، وغير ذلك مما جعل عواصم

(١) آل عمران : ١٣٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠١ .

(٣) سورة البقرة : ٨٥ .

(٤) سورة الجاثية : ١٣ .

الدول الإسلامية منبعث أشعة النور العلمى والصناعى فى آن واحد . إلى هذا يشير العلامة "سديو" المؤرخ بقوله : "إن العرب هم أساتيننا ومعلمونا".

كل هذا الجد وراء الرفعة الدنيوية ، كان يعده آباؤنا الأول عبادة الله تعالى لأنه أمر بها وحث عليها ، فكان العامل منهم ، لإقامة الجسور لا يفترق فى نظرهم عن المنهمك فى تشييد المساجد "إن المؤمن ليؤجر فى كل شئ حتى فى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته" فهل من يبلغ عنى أنصار الديانة الطبيعية أن الإسلام قد سبقهم بثلاثة عشر قرناً إلى تقرير حقيقة العبادة ، وأرانا أنها ليست إلا السعى فى تحسين حال الإنسان من ناحية جثمانه ومعناه " وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ" (١)

.... إن قضية عدم ترتيب القرآن لها أثر سلبي بنفى الإعجاز عن القرآن وهذا ما جعل "الصعيدى" و"حجازى" وغيرهما يحاولون إثبات الوحدة الموضوعية وإثبات إعجاز القرآن ؟ بجانب الوحدة العضوية التى تتضح فى الروح الأسر للتركيب الذى حرص على تأكيدها "الرافعى" ، "وجدى" ، و"الببومى" وغيرهم. وكما نرى كل دافع عن القرآن وقديسيته وإعجازه بوجهة نظره الخاصة (٢) قد نؤيد هذا ونرفض ذلك ، ولكننا نحترم جميع الآراء فالاجتهاد وسيلة - ثوابها عند الله. وغايتها رفعة الدين وإجلاء الشبهات عن الإسلام.

الخلاصة

لقد تم عرض قضية الوحدة الموضوعية من خلال آراء "محمد فريد وجدى" ومناقشاتها من وجهة نظر "محمد محمود حجازى" و "عبد المتعال الصعيدى" وكذلك أوردنا رأى "محمد رجب الببومى" الذى اتفق مع "محمد فريد وجدى" فى جانب واختلف معه فى جانب آخر ، وكذلك رأى "الببومى" فيما صنعه الباحثون عن الوحدة الموضوعية فى القرآن. كما ذكرنا رأى "محمد قطب" عن سر الترتيب فى القرآن. وأنتهى المبحث بعرض نموذج من المقالات التفسيرية "لمحمد فريد وجدى" رأيت أنها توضح حرصه على إظهار الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم من خلال هذه المقالات.

(١) سورة العنكبوت : آية ٦.

(٢) لا يسعنى أن انتهى من المبحث إلا بعد إبداء هذه الملاحظة . فقد لاحظت أن أولئك العلماء الذين ناقشوا رأى "محمد فريد وجدى" فى الوحدة الموضوعية اعتمدوا على مصدر وأغفلوا آخر مثل "د. محمد رجب الببومى" اعتمد على قراءته "للإسلام دين الهداية والإصلاح وأغفل مقدمة التفسير ، و"محمد محمود حجازى" و"عبد المتعال الصعيدى" اعتمد على مقدمة التفسير وأغفلوا "الإسلام دين الهداية والإصلاح والجميع أغفلوا ما ذكر فى "دائرة معارف القرن العشرين" ، إن الجزء لا يبنى عن الكل ؛ حين نقيم رأى فلان أو نوجه له نقداً ، فالمصادر التى قيلت فيها آراؤه تكمل بعضها . والاعتماد على إحداها دون سواها قد يأتى بنتائج خاطئة. أرى أن أولئك العلماء يخلون عنها ، وما هو إلا سهر ، تقع فيه جميعاً أحياناً.

المبحث الرابع

ترجمة معانى القرآن الكريم

ترجمة معانى القرآن الكريم

إن هذه القضية من الأمور القديمة الحديثة - فى آن واحد - فى الإسلام ؛ وهو أمر طبيعى ؛ فالقرآن نزل بلغة العرب وآمن به العرب وغير العرب من العجم الذين لهم لغات مختلفة فضلاً عن لهجات العرب المختلفة المتباينة ، وكان من الأمور البديهية ، حتى يستوعبوا ويفهموا هذا الدين الجديد أن يترجم إلى لغتهم تعالىمهم ؛ أوامره ونواهيه. ويسعون إلى تعلم العربية أو تعلم القدر الذى يجعلهم يقيمون دينهم على أساس صحيح فنشأت فى القرون الأولى قضية اللغة كعائق ضد فهم العجم للإسلام. وقد اعتمد أبو حنيفة على الحديث المشهور عن سلمان الفارسي بشأن ترجمته للفاصلة. وشارت قضية الصلاة بالترجمة^(١)، هل تجوز ؟ أم لمن لا يحسن العربية ؟ أم الصمت أفضل كمذهب المالكية؟

.. ثم توالى القرون ، واتسعت الرقعة الإسلامية ، فكانت الحاجة إلى الترجمة أشد ؛ خاصة بعد ضعف الخلافة وضعف العربية.

وفى هذا يقول "محمد رشيد رضا" فى منشأ فكرة ترجمة القرآن وسببها: ^(٢) "لقد كان ضعف الخلافة القرشية بجهل الخلفاء وترفعهم وفسقهم سبباً لتفريق المسلمين ، فتخاذلهم ، فضعفهم إذا كان سبباً لتأسيس عدة دول إسلامية تتنازع السلطة ولضعف اللغة العربية وترك الأعاجم لها فاضطرارهم إلى ترجمة بعض الكتب الدينية وتدريس اللغة العربية منها بالترجمة. فالشعور بالحاجة إلى ترجمة القرآن نفسه بلغاتهم لأجل فهمه بالإجمال ، ثم بالحاجة إلى ترجمته بسائر اللغات لأجل الدعوة بترجمته إلى الإسلام... ثم تجدد لدعاة العصبية الجنسية التركية سبب آخر لترجمة القرآن ، وهو التمهيد به إلى المروق به من الإسلام..."

ويتفق إلى حد ما رأى "محمد رشيد رضا" مع رأى "أمانى الرمادى" عن نشأة الترجمة تقول ^(٣) "إن ترجمة القرآن الكريم قد سبقت بكثير التأليف عنه ، فالبعض يحتمل كما أشارت مقدمة "البللوجرافية العالمية لترجمات القرآن الكريم" أن ترجمة بعض آياته قد بدأت فى عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأن ترجمته إلى اللغات الغربية على وجه الخصوص قد

(١) سيتم ذكر هذه القضية بشئ من التفصيل فيما بعد.

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٢٠ ، ح ٩ بتصرف ، ط الأولى ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م . مطبعة المنار

(٣) أمانى الرمادى : الإنتاج الفكرى حول القرآن الكريم بالإنجليزية والفرنسية فى القرن العشرين : دراسة ببللوجرافية ط ١٩٩٣م ص

٢٦ "مخطوط"

بدأت قبل التأليف عنه بأربعة قرون . وبالرغم من ذلك فإن بداية نشر المؤلفات - للصدفة الغربية - قد اتفق مع بداية نشر الترجمات على عام واحد هو عام ١٥٤١ ميلادية " ولكن هذا - الرأى يخالف قول د. "عفاف شكرى" تقول^(١) " ومع تشعب الدراسات حول القرآن واشتمالها لكل زاوية من زوايا البحث ، فهناك ناحية خاصة لم يشغل المسلمون أنفسهم بها إلا فى وقت متأخر ، بدأ فى القرن الثالث عشر من تاريخهم (التاسع عشر الميلادى) تلك هى ترجمة القرآن الكريم ' إلى اللغات الأجنبية . "

وبعد أن أصبحت النوايا ليست خالصة ؛ فالترجمين لكتب الإسلام وكتابه الأكبر القرآن قاصدين به تشويه الإسلام بعد أن طعنوا فى السنة النبوية ، وأغرقوها بالشبهات والمفتريات . فكان من البدهة أن نسمع أصواتاً ، ونقرأ لأقلام تتادى بترجمة صحيحة لحماية هذا الدين ، ومن البديهي أيضاً أن تجتهد أقلام أخرى فتخاف على هذا الدين من المساس بكتابه المقدس ، المعجز .

وبيّن الفريق المؤيد والمعارض دارت خلافات ومساجلات ، ولظهور هذا الأمر فى مصر ظروف وملابسات .

مضت أعوام والعلماء يختلفون ويدورون حول مصطلح غير محدد وقضية ليست واحدة فاختلف الأمر بين ما يقصدون بالترجمة ، أهى حرفية لفظية ؟ أم تفسيرية ؟ وهل الثانية تغنى عن الأولى ؟

وامتد الخلاف إلى نوايا المؤيدين والمعارضين ، هل من يؤيد يكون عن بينة واجتهاد دينى أم عن نوازع تجر إليها السياسة ، ويدفع إليها أعداء الدين ؟ ومن يعارض هل دفاع عن الدين وقضية القرآن أم عن جمود وعدم تبصرة بالواقع المحيط من تداعيات جديدة ؟ . ولأن هذا الأمر قد طال الجدل فيه ، ومازال فسنحاول عرضه باختصار وقدّر وفى فى آن واحد ما وسعنا الحيلة . والله الموفق .

متى أثير موضوع ترجمة القرآن فى مصر ؟

* أثيرت قضية ترجمة القرآن فى مصر فى العشرينيات ، وعاودت الظهور بشكل أكبر حسماً فى الثلاثينيات .

ففى العشرينات ، ظهرت فى المرة الأولى فى عام ١٩٢٥م " عندما منعت مشيخة الأزهر إدخال نسخة من ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية إلى مصر ، بل طلبت من مصلحة الجمارك إحراقها " والمرة الثانية فى عام ١٩٢٧م "عندما قررت حكومة تركيا ترجمة

(١) عفاف على شكرى : ترجمة معان القرآن : ص ٨٢ ، مجلة الزهراء كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، جامعة الأزهر - فرع البنات - العدد الحادى عشر ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

القرآن إلى اللغة التركية" وظهرت في الثلاثينيات "عندما قررت مشيخة الأزهر الشروع في ترجمة معاني القرآن الكريم"^(١) وتم البحث في هذا عام ١٩٣٦م.

وعن تلك الترجمة الإنجليزية يقول^(٢) "محمد رشيد رضا" "أما عن الترجمة الإنجليزية الحديثة لبعض الهنود المطبوعة مع الصحف الشريف ، فقد جاءت نسخ منها إلى مصر ، فسألت الحكومة مشيخة الأزهر عنها فأفتى شيخ الأزهر بما ذكر [يقصد منع الترجمة ومصادرة المصحف المشتمل على الترجمة الحرفية وإن كان معها ترجمة تفسيرية] فمنعت الحكومة إدخال الترجمة إلى الديار المصرية. وسبق مثل هذا في بيروت فقد أرسل إليها بعض النسخ من هذه المصاحف المطبوعة من الترجمة الإنكليزية ، فأرسلتها إدارة الجمرک إلى مفتى بيروت حسب النظام المتبع ، فأفتى بمنعها فمنعت" وهكذا رأينا موافقة مفتى بيروت في صنيعة مع مفتى مصر في شأن الترجمة الإنجليزية.

ووضح الشيخ "محمد شاکر"^(٣) السبب في حرق الترجمة الإنجليزية. معروفاً بمتزجيمها "فصاحب هذه الترجمة هو محمد على من أتباع المتنبى (ميرزا غلام أحمد القادياني) ، وهو غير مولانا "محمد على شوکت علی" الزعيم الهندي المشهور. أما عن اتباعه - اختلفوا بعد موته وانقسموا إلى حزبين ... وكلاهما حرف"^(٤) معاني القرآن في تلك الحواشي تحريفاً فاحشاً وفق ديانتهم الجديدة وعقيدتهم الباطلة.

ولهذا السبب يصل الشيخ "محمد شاکر" إلى النتيجة التالية :

"أن فقهاء الإسلام وأئمة الدين المجتهدين قد أجمعوا :-"

- ١- على تحريم قراءة القرآن بغير اللغة العربية وبغير النظم العربي المبين الذي نزل به الروح الأمين على قلب محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم).
- ٢- وعلى تحريم ترجمة القرآن الكريم إلى أية لغة أعجمية.
- ٣- تحريم كتابة المصاحف بهذه التراجم.
- ٤- تحريم تداول هذه التراجم بين من يحسن العربية ومن لا يحسنها من عامة المسلمين في أقطار المعمورة.^(٥)

(١) عفاف على شكرى : ترجمة معاني القرآن : ص ٨٥.

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : على هامش التفسير ، ص ٣٣٧ ، ج ٩ .

(٣) محمد شاکر : القول الفصل في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية : ص ٣ وما بعدها نقلاً عن عفاف على شكرى : ترجمة معاني القرآن : ص ٨٨ . وقد أصدر الشيخ محمد شاکر كتاباً صدر عام ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م وقد كتب أربع مقالات حول هذا الموضوع.

(٤) الأصل ((حرفاً))

(٥) ذكرت د. عفاف على شكرى معقبة "أما ترجمة معاني القرآن ، فإنه لا يعارضها" ولم توضح لنا الدليل على صحة هذا القول هل هو استنتاج من مقالاته الأربعة ؟ وللأسف لم تصل تلك المقالات إلى أيدينا.

ومن المعاصرين للشيخ "محمد شاكِر" الشيخ "محمد حسنين العدوى" يوضح رأيه في الترجمة مقسماً لها .. "يقسم الشيخ رحمه الله - الترجمة بالنسبة للقرآن الكريم إلى أنواع ثلاثة فيقول:-(^١)"وجملة القول أن ترجمة القرآن ترجمة حرفية بالمثل غير معقولة ، ولا مقدورة ، وليست محل اختلاف ، بل محل اتفاق على عدم إمكانها فضلاً عن وقوعها.

- وإنما محل البحث هو ترجمة القرآن الكريم ، ترجمة حرفية بدون المثل فهي المراد من قول العلماء (لا تجوز ترجمة القرآن الكريم وقراءته وكتابته بغير العربية). وهو يخرج الترجمة التفسيرية من محل النزاع دون الترجمة التفسيرية ، فإنها جائزة قطعاً بالشرط الآتى بيانه : وهى أن تكون مستمدة من الأحاديث النبوية الصحيحة وعلوم اللغة العربية والأصول المقررة فى كتب الشريعة الإسلامية" ومما سبق تستخلص د. عفاف شكرى (أن الشيخ "محمد حسنين مخلوف العدوى" قد أجاز الترجمة التفسيرية للقرآن ، وقال : بعدم معقولية الترجمة الحرفية المثلية للقرآن الكريم بأية لغة).

وقد أفنى فضيلة المغفور له المفتى الأسبق "الشيخ محمد بخيت"^(٢)، بوجوب ترجمة القرآن وجاء فيما كتبه سنة ١٩٢٥م "أن ترجمة القرآن للتعليم والتفهيم والإنذار والتبليغ قد أجازها الحنفية والحنابلة والشافعية فى قول بلا تفصيل واستحسنها الحنابلة وقد علمت ما يشهد للجواز من الكتاب والسنة ... ولا تجوز مصادرة مصحف كتب فيه القرآن بالعربية وترجمته معه إلا بعد التحقيق من خلال الترجمة وتغيير لمعنى القرآن ... والذى آراه أن الترجمة على الكفاية حفظاً للقرآن من تحريف معناه وترجمته على غير الصحيح ، وبغير المراد منه ، وبحفظ القرآن يحفظ أساس الدين المتين"

وفى تعقيب د. "عفاف شكرى" لنا وقفة حيث قالت^(٣)"وكان يرى أن ترجمة تفسير القرآن ترجمة صحيحة وتبعاً لما بين العلماء حفظاً للقرآن من تحريف معناه .. ولهذا قال إنها أصبحت واجباً على الكفاية وهو فى هذا يخالف الشيخ (محمد حسنين مخلوف العدوى) الذى قال إنها من شر المحدثات ورحم الله الشيخين فكل منهما نظر إلى القضية من زوايا تختلف عن زميله وعلى هذا الاختلاف بين الشيخين فى تعليل كل منهما ما يشرح وجهة نظره"

(١) محمد حسنين مخلوف العدوى : رسالة فى حكم ترجمة القرآن الكريم وقراءته وكتابته بغير العربية : نقلاً من د. عفاف على شكرى

: ترجمة معاني القرآن : ص ٨٩ - ٩٠

(٢) عفاف على شكرى : ترجمة معاني القرآن : ص ٩٢.

(٣) المصدر السابق : ص ٩٢.

ولا أرى ما تراه د. "عفاف" من وجود خلاف بين رأى الشيخ "محمد بخيت" والشيخ "العدوى"؛ فالشيخ "محمد بخيت" قال إنه واجب على الكفاية والشيخ "العدوى" وافق على الترجمة التفسيرية لكن بشروط وقد استخلصت د. "عفاف" نفسها هذا الرأى حين قالت "قد أجاز الترجمة التفسيرية للقرآن" (١) وقال بعدم معقولية الترجمة الحرفية .. "هذا من حيث الرفض والقبول ، ولا أعتقد أنها تقصد الدرجة أى الجواز أو الوجوب ، أما قوله "إنها شر المحدثات" فلم لم تكمل د. "عفاف" قول الشيخ "العدوى" الذى أتت به كاملاً من قبل وهو (٢) وكذلك ترجمته التفسيرية فإنها جائزة قطعاً إذ لم تستمد من الأحاديث النبوية الصحيحة ، وعلوم اللغة العربية ، والأصول المقررة فى كتب الشريعة الإسلامية".

أى أنه يوافق على الترجمة التفسيرية إذا تحققت فيها الشروط السابقة ، ولا أظن أحداً يخالفه فى هذا (٣)

وتتجدد الدعوة إلى ترجمة القرآن "عندما قررت حكومة تركيا برئاسة "مصطفى كمال أتاتورك" ترجمة القرآن إلى اللغة التركية .. قد كان لهذا الحدث صدى غير طيب فى البلاد الإسلامية وإنه جاء بعد إلغاء الخلافة ، وصاحبه تشريعات ؛ يبدو فيها العداء الصريح لكل الظواهر التى تربط الشعب التركى بدينه" (٤)

"إن ملاحدة الترك .. دعاة العصبية الجنسية منهم قد بثوا فى قومهم فكرة الاستغناء عن القرآن المنزل من الله تعالى باللسان العربى بترجمته باللسان التركى" (٥) وقد أدت الدعوة إلى الترجمة التركية إلى انقسام المسلمين ، ويرى "محمد رشيد رضا" أن هذا هو الهدف من تلك الترجمة "فهم يريدون ترجمته ليكون عرضة لتحريف المحرفين ، واختلاف المتفكرين ، اللهم إنك أنزلته لتجمعهم عليه ، وهم يحاولون ترجمته لكل شعب من المسلمين ليتفرقوا فيه" (٦)

وقد انقسم المسلمون إلى فريقين :

الفريق الأول : "يرى فيه كارثة دينية ، لأنها حلقة من سلسلة من أعمال تلك الحكومة تهدف من ورائها إلى القضاء على الإسلام من مصدره الأول ، (٧)"

(١) د. عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩١ .

(٣) أقول أن د. عفاف فى هذا الأمر كانت متناقضة فى أقوالها واستنتاجاتها وما أظهرها قصدت إلى ذلك وإنما هو سهو من غير عمد .

(٤) د. عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٣ .

(٥) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٢٠ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٢٢ .

(٧) د. عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٢ .

ويرى د. "عفت الشرقاوى" أنه "لم يكن من حسن التوفيق أن يتصدى المسؤولون فى تركيا الحديثة خاصة للترويج للترجمة ، فقد عد هذا منهم محاولة لإضعاف الأمة العربية ولمعاداتها، ولتفضيل لغة أبناء جنسهم على لغة كتاب ربهم وسنة رسوله ، ثم التمهيد بذلك للمروق من الإسلام"^(١)

ويلفت الشيخ "محمد سليمان" الأنظار لهذا الربط بين دعوة الترجمة وتركيا "إلا أنى ألقت الأنظار إلى ذلك التلاقى العجيب بين ما تم فى الترك والعجم وما يريدون أن يتم فى مصر. فإن "أتاتورك" طرد العربية من لغة الأتراك شر طردة ، ونفاه فى العام الماضى "شاه العجم" فأخذ ينفى لغته أيضاً من ألفاظ العرب ولغة العرب ويقصد لسانه على عجمة كسرى وרטانة أبرويز"^(٢)

على حين رأى بعض الباحثين فيها بدعة يدفع إليها التهور الشديد. والفريق الآخر : "غابت عنه أهداف الحكومة التركية ، وأحسن الظن بها ، ودافع عن الترجمة باعتبار أنها وسيلة لفهم الدين وتعاليمه فى شعب لا يعرف اللغة العربية ولا يفهم كتاب الله إذا نلى بها"^(٣)

وببصيرة هادئة يوضح "محمد رشيد رضا"^(٤)، الجهل الذى وقع فيه هذا الفريق الثانى ، حين أغفل عن الأهداف السياسية من وراء الترجمة التركية "وكان بعض المسلمين الجاهلين بحال الدولة التركية وتأثير التفرنج فيها ينكرون علينا ما نقوله عن علم وخبرة وغيره على الإسلام ظناً منهم أنه إضعاف للدولة حامية الإسلام ، وإنما كان حرصاً على تقوية الدولة بالإسلام وتقوية الإسلام بالدولة ، لأننا نعلم ما لا يعلمون من إفشاء هذه الضلالات والعصبية الجنسية إلى إضاعة هؤلاء المتعصبين المفتونين للإسلام وللدولة معاً".

ومن الفريق الثانى الذى ظهرت دعوته لترجمة القرآن مترجمة مع الترجمة التركية الشيخ "محمد مصطفى المراغى" ولم يكن شيخاً للأزهر بعد "ومحمد فريد وجدى" الذى كان عليه عباً الدعوة إلى الترجمة خاصة وقد أنصب عليه غضب الفريق الأول الرافض للترجمة ، فمنهم من ربط بين دعوة "فريد وجدى" لترجمة القرآن وإلغاء الخلافة الإسلامية واستقلال تركيا ، فنظر للأمر بمنظور سياسى وربطه بالدين.

(١) د. عفت محمد الشرقاوى : الفكر الدينى فى مواجهة العصر دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير فى العصر الحديث : ص ١٧٥ رقم

الأيدياع ١٩٧٦ - مطبعة قاصد خير. مكتبة الشباب. ص ٢٢.

(٢) الشيخ محمد سليمان : حدث الأحداث فى الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن : ص ٢٢ ، ط الثانية.

(٣) عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٣.

(٤) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٢٤.

وها هو "مصطفى صبرى" (شيخ الإسلام فى تركيا سابقاً) فى حين يبرر دعوة الشيخ المراعى للترجمة ، يكيل التهم لوجدى ، بمناصرة تركيا العلمانية فيما تنتويه ، وإن كانت إلى هذا الحين لم تكن أعلنت علمانيته ، لكن الأمور تتبأ بذلك ولا مناص.^(١)

يقول "مصطفى صبرى"^(٢) صادفت فى صحف مصر دعايتين تذكيران لترويج مسألة الترجمة ، دعاية أولى للأستاذ (فريد وجدى) منشورة على صفحات الأهرام ثم المقطم ، وهى دعاية ظاهرة مع التصريح باسم البلاد التى أحدثت فيها هذه المسألة ، بل ومع كل الرعاية والتهاتف والتشجيع لمحدثيها فيها.^(٣) ودعاية ثانية على طراز قول الشاعر

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا صاحب منها وضنت بحاجب

وهى منشورة فى السياسة الأسبوعية ، وفى الأهرام لفضيلة الأستاذ الجليل "محمد مصطفى المراعى" وفى نظرة مصطفى صبرى لدعوة وجدى تقول د. عفاف "كان يرى أن الأستاذ فريد وجدى ، حمل لواء الدفاع الصريح عن رجال تركيا الحديثة فكاتبته حول ترجمة القرآن ، جزء من هذا الدفاع"

ومن أقوال "مصطفى صبرى" نفسه "إن الأستاذ لم يكتب ما كتبه فى مسألة ترجمة القرآن وأقامتها مقامه فى الصلاة وغيرها أبداً لما وصل إليه نظره فى درس مسألة فقهية ، بل كتبه دفاعاً عن رجال الترك الحديث باسم الدفاع عن أمة الترك المسلمة.

والأستاذ عندما كتب عن الفقهاء فى مسألة ترجمة القرآن وأراد به تأييد الفتنة المحدثه فى تركيا فهو يعلم قطعاً أن أقوالهم لا تنطبق على تلك الحادثة اللادينية"^(٤)

ويؤكد هذا المعنى مرة أخرى حين يقول^(٥) "... فالذى كتبه كاتب الإسلام الجليل (محب الدين الخطيب) فى مجلته الغراء (الفتح) عن محابة الأستاذ (فريد) لملاحدة الترك وحملها

(١) يقول "مصطفى حلمى" فى كتابه (نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى) ، ص ٣٨٨ "ألغيت الخلافة فى مارس عام ١٩٢٤م وتحققت توقعات المعارضين لقرار الإلغاء ، إذا استتبع ذلك خطوات متتالية فى الاتجاه نحو الفصل بين الإسلام والحكم ، وتحول الدولة إلى علمانية لا دينية ، فقد ألغيت على إثر إلغاء الخلافة ، الشريعة الإسلامية من المحاكم ، ورفع التعليم الدينى من الكتاتيب والمدارس ، وإجبار النساء على السفور ، وخلط الإناث والذكور فى دور العلم ، ولبس القبة والكتابة بالحروف اللاتينية ، كل ذلك بعد أن حذف من دستور تركيا المادة التى فيها "إن الإسلام هو دين الجمهورية التركية" نقلاً من حاضرم العالم الإسلامى : حـ ٢ ، تعليق الأمير شكيب أرسلان ، ص ٣٥١ ، ٣٥٣.

(٢) د. عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٤ نقلاً عن مسألة ترجمة القرآن : مصطفى صبرى : ١٠٦ المطبعة السلفية.

(٣) يرى مصطفى صبرى أن الترجمة التركية ، أثارت مسألة الترجمة فى مصر.

(٤) عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٥ نقلاً عن مسألة ترجمة القرآن : مصطفى صبرى : ص ٩٨.

(٥) المصدر السابق : ص ٩٥ نقلاً عن مسألة ترجمة القرآن : مصطفى صبرى : ص ١٠٦ . ولا تخفى أقامات مصطفى صبرى

لوجدى فى حين إنه ليس الوحيد الذى دعا للترجمة. وربما لأن وجدى قد أغفل الجانب السياسى فى دعوة تركيا للترجمة ، وما اهتم به هو الهدف الدينى من وراء الترجمة بديل رفضه للمشاركة أو التحدث باسم جريدة تركيا الفتاة ، كما ورد فى المقدمة

على النزعة القومية فإنني لا أوافق على هذا الرأي ، فلو كان الأستاذ تركياً وعمل بالنزعة القومية ، لجرى على مرضاة أمة الترك وما انحاز إلى ملاحدة الخارجين على الأمة ، وإنما هي نزعة لا دينية بررت في زماننا كل النزاعات واستتبعت قلوباً تستنقزها الرياح."

ويوضح "محمد رشيد رضا"^(١) هذا البعد السياسي لتركيا في ترجمة القرآن ، وما تخفيه من سعيها إلى العلمانية ، وهو معول من معاول الهدم ، لم يلتفت إليه البعض ومنهم "قريد وجدى" يقول : "وقد راحت دعوة ملاحدة الترك إلى الاستغناء عن كتاب الله المنزل بعد قبض ملاحدة جمعية الاتحاد والترقى على أعنة الدول العثمانية تمهيداً لما نفذه أندادهم الكماليون من بعدهم من نبذ الدولة التركية لأحكام الإسلام ، وسعيها لسل الشعب التركى منه أيضاً."

... ويرون أن هذا الدين ولغته مما يعيق تكوين أمة تركية محضة على الطراز الأفرنجى الفرنسى فاجتهدوا فى إزالة هذا المانع بمزيلين :- (إحداهما) ترجمة القرآن بالتركيا ودعوة الترك إلى الاستغناء عن القرآن العربى بما سموه القرآن التركى ، وإذا استغنوا عن القرآن يستغنون بالأولى عن غيره من كتب الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم والفنون العربية.

الأخرى : نشر الكتب والرسائل التى تجعل الجنسية التركية أعلى وأسمى فى النفوس من رابطة الدين تمهيداً للثانية بالأولى."

وعلى الرغم من الهجوم الذى لقيه "قريد وجدى" لم يتخل عن دعوته للترجمة ، خاصة بعد أن تقدم الشيخ "محمد المراغى" - شيخ الأزهر - آنذاك - بمشروع لترجمة معانى القرآن ، بين فيه حاجة الأمة الإسلامية للترجمة والهدف المرجو من ذلك ، وكتوثيق لهذه المرحلة - سنرد الوثائق كاملة^(٢)

١- (كتاب الشيخ الجامع الأزهر إلى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء) اشغل الناس قديماً وحديثاً بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة ، وتولى ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم ، ولكنهم لا يجيدون اللغة العربية ، ولا يفهمون الاصطلاحات الإسلامية الفهم الذى يمكنهم من أداء معانى القرآن على وجه صحيح ، لذلك حدث فى التراجم ، ولم يجد الناس غيرها ؛ فاعتمدوا عليها فى فهم أغراض القرآن الكريم ، وفهم قواعد الشريعة الإسلامية. فأصبح لزاماً على أمة الإسلام كالأمة المصرية لها المكان الرفيع فى العالم

(١) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن : ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ح ٩ .

(٢) عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٦ : ١٠٢ .

- محمد سليمان : حدث الأحداث : ص ٤٣ : ٤٩ .

الإسلامى أن تبادر إلى إزاحة هذه الأخطاء وإلى إظهار معانى القرآن الكريم نقية فى اللغات الحية لدى العالم.

ولهذا العمل أثر بعيد فى نشر هداية الإسلام بين الأمم التى لا تدين بالإسلام ذلك أن أساس الدعوة إلى الدين الإسلامى إنما هو الإدلاء بالحجة الناصعة والبرهان المستقيم ، وفى القرآن الكريم من الحجج الباهرة والأدلة الدامغة ما يدعو الرجل المنصف إلى التسليم بالدين والإذعان له.

وفائدة أخرى للأمم الإسلامية التى لا تعرف العربية وتشرئب أعناقها إلى اقتطاف ثمرات الدين من مصدرها الرفيع فلا تجد أمامها إلا تراجم قد ملئت بالأخطاء. فإذا ما قدمت لها ترجمة صحيحة تصدرها هيئة لها مكانتها الدينية فى العالم اطمأنت إليها ، وركنت إلى أنها تعبر عن الوحي الإلهى تعبيراً دقيقاً. ونرى أن عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الذى تمت فيه أعمال جليلة لخير الإسلام والمسلمين خليق بأن يتم فيه هذا المشروع الجليل. أطال الله بقاء جلالتة نصيراً للعلم والدين.

لذلك اقترح أن يقرر مجلس الوزراء ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية على أن تقوم بذلك مشيخة الأزهر بمساعدة وزراء المعارف وأن يقرر مجلس الوزراء الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل فأرجو النظر فى هذا .
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

محمد مصطفى المراغى

شيخ الجامع الأزهر

٢- كتاب وزير المعارف

إلى حضرة صاحب الحولة رئيس مجلس الوزراء

أتشرف بإبلاغ دولتكم أننا أطلعنا على كتاب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، المقدم لدولتكم بطلب استصدار قرار من مجلس الوزراء بترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية وطلب دولتكم رأينا فى الموضوع.

وإنى أرى أن وضع ترجمة رسمية لمعانى القرآن الكريم أمر واجب تقتضيه ضرورة العمل على نشر هداية الإسلام بين الأمم التى لا تتكلم العربية ، وللقضاء على الأثر السئ الذى أحدثته الترجمة الخاطئة التى انتشرت وقام بها أفراد لا يحيطون بأسرار اللغة العربية ولا يفهمون الروح الإسلامية على حقيقتها ، كما أرى أن تكون ترجمة معانى القرآن مبدئياً إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، على أن تبدأ الترجمة إلى اللغة الإنجليزية لأنها الأكثر انتشاراً وعلى الأخص فى أمريكا والهند والصين واليابان. ولما كان هذا المشروع يستلزم مشيخة الأزهر ، ووزراء المعارف على تنفيذه ؛ فإن تفاصيل التنفيذ عندما يقر مجلس

الوزراء اقتراح الترجمة توضع بالاتفاق مع مشيخة الأزهر ، على أننا نرى مبدئياً أن تكون خطة التنفيذ على الوجه الآتى :

أولاً : تأليف لجنة من كبار العلماء ، برياسة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، يعهد إليها تحديد معانى القرآن الكريم التى يراد نقلها إلى اللغة الأجنبية بحسب ترتيب سورته وآياته وبأسلوب موجز واضح يمكن المترجم من نقله إلى اللغة الأجنبية بالتدقيق الواجب توخيه فى ترجمة رسمية .

ثانياً : تأليف لجنة تتكون من عنصرين ، أحدهما : يشمل جماعة من الأساتذة المتفهمين فى الدين واللغة العربية ، ممن أتموا دراستهم فى الأزهر أو دار العلوم أو مدرسة القضاء الشرعى . وأكملوها فى معاهد أوربا وثبتت إجادتهم للغة الأجنبية المراد النقل إليها . والعنصر الثانى : ويشمل جماعة من المستشرقين وغيرهم من الأجانب الذين عرفوا بإجادتهم فهم اللغة العربية ، ويكونون من ذوى المكانة الممتازة فى اللغة التى يترجمون إليها ، وتزود هذه اللجنة بالأشخاص الممتازين فى فن الترجمة .

ثالثاً : يختار كاتبان كبيران ، أحدهما : مصرى يجيد اللغتين العربية والإنجليزية . والآخر : إنجليزى من العلماء البارزين ، ليقوم الثانى بمعاونة الأول فى مراجعة الترجمة مراجعة نهائية تكفل إجابة الصقل وحسن تنسيق الأسلوب ، وإنا نقدر لإتمام هذه الترجمة إلى اللغة الإنجليزية من سنتين إلى ثلاث ، ونرى أن يكون مقر الهيئة التى تقوم بالترجمة فى دار الكتب المصرية . حيث تتوفر لها المراجع والبيئة الصالحة للتفرغ لهذا العمل . أما من حيث النفقات ؛ فقد يكون من الصعب تقديرها وقتياً قبل مواجهة التنفيذ .

غير أننا نرى أن وضع ترجمة إلى اللغة الإنجليزية يتكلف من النفقات ما يقرب من عشرة آلاف جنيه .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؛؛؛

محمد على علوبة

٣- توفى العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قول السادة حضرات أصحاب الفضيلة العلماء فى السؤال الآتى ، بعد ملاحظة المقدمات الآتية :

١- لا شبهة فى أن القرآن الكريم اسم للنظم العربى الذى نزل على سيدنا محمد ابن عبد الله - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

ولا شبهة أيضا في أنه إذا عبر عن معاني القرآن الكريم بعد فهمها من النص العربي بأية لغة من اللغات لا تسمى هذه المعاني ولا العبارات التي تؤدي هذه المعاني قرآنا .

٢- ومما لا محل للخلاف فيه أيضا أن الترجمة اللفظية بمعنى نقل المعاني مع خصائص النظم العربي المعجز مستحيلة .

٣- وضع الناس تراجم للقرآن الكريم بلغات مختلفة اشتملت على أخطاء كثيرة واعتمد على هذه التراجم بعض المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية وبعض العلماء من غير المسلمين ممن يريد الوقوف على معاني القرآن الكريم

٤- وقد دعا هذا إلى التفكير في نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى على الوجه الآتي :

يراد أولا : فهم معاني القرآن الكريم بواسطة رجال من خيرة علماء الأزهر الشريف بعد الرجوع لأراء أئمة المفسرين وصوغ هذه المعاني بعبارات دقيقة محدودة ، ثم نقل المعاني التي فهمها العلماء إلى اللغات الأخرى بواسطة رجال موثوق بأماناتهم واقتدارهم في تلك اللغات بحيث يكون ما يفهم في تلك اللغات من المعاني هو ما تؤديه العبارات العربية التي يضعها العلماء . فهل الإقدام على هذا العمل جائز شرعاً أو غير جائز ؟

هذا مع العلم بأنه سيوضع تعريف شامل يتضمن أن الترجمة ليست قرآنا ؛ وليس لها خصائص القرآن ، وليست هي ترجمة كل المعاني التي فهمها العلماء ، وأنه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النص العربي للقرآن الكريم .

الفتوى :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ...

وبعد فقد أطلعنا على جميع ما ذكر الاستفتاء المدون بباطن هذا ونفيد بأن الإقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلاً في السؤال جائز شرعاً . والله سبحانه وتعالى أعلم .

- ١- محمود الديناري : عضو جامعة كبار العلماء وشيخ معهد طنطا .
- ٢- عبد المجيد اللبان : شيخ كلية أصول الدين وعضو جماعة كبار العلماء .
- ٣- ابراهيم حمروش : شيخ كلية اللغة العربية ، وعضو جماعة كبار العلماء .
- ٤- محمد مأمون الشناوى : شيخ كلية الشريعة ، وعضو جماعة كبار العلماء .
- ٥- عبد المجيد سليم : مفتي الديار المصرية ، وعضو جماعة كبار العلماء .
- ٦- محمد عبد اللطيف الفحام : وكيل الجامع الأزهر ، وعضو جماعة كبار العلماء .
- ٧- دسوقي عبد الله البدوي : عضو جماعة كبار العلماء .
- ٨- أحمد الدلبشاني : عضو جماعة كبار العلماء .

- ٩- يوسف الدجوى : عضو جماعة كبار العلماء .
- ١٠- محمد سبيع الذهبى : شيخ الحنابلة ، وعضو جماعة كبار العلماء .
- ١١- عبد المعطى الشرشيمى : عضو جماعة كبار العلماء .
- ١٢- عبد الرحمن قراة : عضو جماعة كبار العلماء .
- ١٣- أحمد نصر : عضو جماعة كبار العلماء .
- ١٤- محمد الشافعى الطواهرى : عضو جماعة كبار العلماء .
- حيث أن الترجمة المرادة هى ترجمة لمعانى التفسير التى يضعها العلماء فهى جائزة شرعا بشرط طبع التفسير المذكور بجوار الترجمة المذكورة والله أعلم .

كتبه بخط يده الفانية
عبد الرحمن عليش الحنفى
من جماعة كبار العلماء

رأى فضيلة الأستاذ الأکبر

بسم الله الرحمن الرحيم

وجهت هذا السؤال إلى حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء وإنى أوافقهم على ما رأوه ، ولا أرى داعياً للتحفظ الذى أبداه فضيلة الشيخ عبد الرحمن عليش ، وهو طبع التفسير مع الترجمة لعدم الحاجة إلى ذلك بعد مراعاة الشروط المدونة فى السؤال .

رئيس جماعة كبار العلماء
محمد مصطفى المراغى

٤- قرار مجلس الوزراء

بعد الإطلاع على كتاب فضيلة شيخ الجامع الأزهر ، وكتاب سعادة وزير المعارف العمومية بشأن ترجمة القرآن الكريم ، ومع تقدير مجلس الوزراء لمشقة هذا العمل وصعوبته، ومنعاً لأضرار التراجم المنتشرة الآن .

رأى بجلسته المنعقدة فى ١٦ أبريل سنة ١٩٣٦م الموافقة على ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر بمساعدة وزارة المعارف العمومية ، وفقاً لفتوى جماعة كبار العلماء وأساتذة كلية الشريعة .

هذه هى الوثائق فى مشروع ترجمة معانى القرآن فى مصر .

ولم ينته الجدل بعد قبول المشروع كما كان يظن ، بل زاد وأثار حمية كثير من العلماء ، بل عامة الشعب. ولم يرض البعض كون الأزهر جهة للاختصاص فى مشروع

الترجمة "يقول الشيخ محمد سليمان^(١) "ونريد أن نقرر من جانبنا أن هذا العمل ليس من اختصاص الأزهر لا طلباً ولا تعهداً بل لا يمكن قانوناً أن يتصل به ، بل على الأزهر أن يناهضه لأنه يناقض الغرض الذي من أجله أنشئ الأزهر ودام له الأزهر."

ولسنا نقرر هذا الكلام من عندنا بل هاك نص المادة الأولى من القانون رقم ٢٦ سنة

١٩٣٦ الصادر يوم ٢٦/٣/١٩٣٦ م .. أى قبل تاريخ هذا القرار بعشرين يوماً فقط؟"

المادة الأولى - الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر - والغرض منه :

١- القيام على حفظ الشريعة الغراء أصولها وفروعها واللغة العربية وعلى نشرهما.

٢- وتخرج علماء يوكل إليهم تعليم علوم الدين ، واللغة فى مختلف المعاهد والمدارس. ويلون

الوظائف الشرعية فى الدولة ... فالقيام على حفظه لا يكون إلا بحفظه على ما هو ،

والعمل على نشره لا يكون إلا بنشره كما هو وعلى ما هو."

"ومجلس الوزراء غير مختص بما أصدره أيضاً ؛ فإن المسائل المتعلقة بالأديان لا

تختص به بحسب الدستور."

وقد أفرد الشيخ محمد مصطفى المراغى بحثاً للرد على بعض الشبهات المثارة حول

ترجمة معانى القرآن الكريم وخلاصة رأيه والحجج التى اعتمد عليها ، وقد أصدر هذا البحث

فى ١٩٣٢ م ، ثم أعاد طبعه كملحق لمجلة الأزهر فى سنة ١٩٣٦ م^(٢) مضيفاً إليه بعض

الاستدلالات الجديدة من آراء الفقهاء والأئمة .

ويقدم "المراغى" بحثه قائلاً "وبعد فهذه فصول فى ترجمة القرآن الكريم وأحكام قراءاتها

فى الصلاة وغيرها ، أثبت فيها النصوص . ووازنت بعضها ببعض ، وبينت مداركها .."

ويبدأ برأى الشاطبى :- "اللغة العرب من حيث هى ألفاظ دالة على معان ؛ نظران :

أحدهما من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة ، وهى الدلالة الأصلية.

والثانى : من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة ، وهى الدلالة التابعة.

فالجهة الأولى يشترك فيها جميع الألسنة ... وأما الجهة الثانية فهى التى يختص بها لسان

العرب فى تلك الحكاية وذلك الأخبار ..."^(٣)

ويستدل برأى ابن قتيبة فى هذه القضية "وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة فى القرآن ،

يعنى على هذا الوجه الثانى ، فأما على الوجه الأول فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير

(١) محمد سليمان : حدث الأحداث فى الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن : ص ١٤٣ ، ١٤٥ بتصرف

(٢) وقد أثار هذا البعض ، فعادوا صدور البحث مرة أخرى افتقاراً للحجج والمناقشة لدى المراغى انظر - محمد سليمان - حدث الأحداث.

(٣) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ملحق بمجلة الأزهر - ربيع الثانى ١٣٥٥ هـ. يونيو سنة ١٩٣٦

ح- ٢ ، ص ٣ ، ٤ مطبعة الرغائب . ط الثانية.

القرآن وبيان معناه للامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وذلك جائز باتفاق أهل الإسلام ، فصار هذا الإتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى^(٢) اثبت الشاطبى فى هذا الفصل جواز الترجمة وإمكانها ، حيث قال^(٣) : "إن أهل الإسلام أجمعوا على جواز تفسيره ، وهذا إجماع منهم على جواز ترجمته". ومن الشبهات التى أثارها الناس حول الترجمة ورد عليها "المراغى" منها.

١- أنه معجز فلا يمكن أن يترجم.

ورد المراغى^(٤) "إن قراءة الأعاجم للنظم العربى نفسه لا يدلهم على الإعجاز ، وليس فى استطاعتهم فهمه ، والامم العربية الآن ومن أزمان خلت لا يفقهون الإعجاز من النظم العربى ، وقد انقضى عصر الذين أدركوا الإعجاز عن طريق الذوق ، وآمنوا بالقرآن بسبب هذا الإدراك.

ونحن الآن نقيم على الإعجاز أدلة عقلية فنقول : "إن القرآن تحدى العرب ، وإنهم عجزوا ، وهذا يدل على أنه من عند الله ... وإذا كان الإعجاز من طريق الإخبار بما هو غيب ، فإن الترجمة تحمل معها هذا الدليل".

الشبهة الثانية:^(٥) أن ترجمة القرآن ترجمة حرفية غير ميسورة ، فيضطر المترجم إلى نقل المعانى التى يفهمها غيره من العلماء ، وهذا لا يسمى قرآناً ولا يمكن أن يسمى نصاً شرعياً ، تستخرج منه الأحكام

رد المراغى :- "التراجم لا يصح أن تسمى القرآن ، ولكن سلب هذه التسمية ، لا يستلزم سلب جواز استخراج الأحكام منها ، بل يجب أن يصح استخراج الأحكام منها ، لأن الأحكام تستفاد من المعانى التى هى مدلولات الألفاظ العربية ، والمعانى يصح نقلها إلى اللغات الأخرى.

وقد علمت من قبل أن العلماء على إتفاق فى أن الأحكام ، تستفاد من الدلالة الأصلية التى لا تختلف فيها اللغات ، وعلمت أن الراجح عدم استفادة الأحكام من الدلالات التابعة".

الشبهة الثالثة:^(٥) أن النظم العربى من الروعة والطلاوة واللذة والتأثير فى النفوس ما لا يمكن أن يوجد فى التراجم

(١) الشيخ محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ص ٥.

(٢) المصدر السابق : ص ٥ ، ٧.

(٣) المصدر السابق : ص ١٠.

(٤) المصدر السابق : ص ١٢.

(٥) المصدر السابق : ص ٧.

رد المراغى :^(١) "إنه لا ينكر أحد ممن يتنوق طعم العربية ، مسلماً كان أو نصرانياً أو يهودياً ، فالنظم القرآن العربى من الطلاوة واللذة والتأثير فى النفوس ، ولذلك نقول : إنه يجب على كل مسلم يعرف العربية ويفهمها ألا يحيد عن قراءة النظم العربى إلى قراءة إحدى التراجم ، فإن ذلك عبث واستهزاء. ولكن من لنا بأن نعرب الأمم الأعجمية الإسلامية ، لتتال هذه اللذة وتقع تحت هذا التأثير؟ ولا يمكن الإدعاء بأن النظم العربى يؤثر وتكون له لذة وطلاوة عند جاوى أو فارسى أو تركى أو يابانى أو صينى لا يفهم العربية."

"وفى شرح مسلم الثبوت^(٢) : "وقد صح رجوع الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه - عن القول بجواز الصلاة بغير عذر .. وفيه إشارة إلى أنه يجوز القرآن بالفارسية للعذر ؛ وهو عدم العلم بالعربية ، وعدم انطلاق اللسان بها ؟ وقد سمعت من بعض الثقات أن تاج العرفاء والأولياء الحبيب العجمى صاحب تاج المحدثين وإمام المجتهدين الحسن البصرى ، قدس الله سرهما ، كان يقرأ القرآن فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية^(٣) فالأمم الإسلامية التى لا تفقه العربية. ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوة النظم العربى حتى تكون قراءة التراجم مانعة عنهم هذه الطلاوة وهذا التأثير ، وعلى العكس فإن قراءة التراجم تجعلهم يحصلون على طلاوة المعانى ولنتها وتأثيرها."

ومن الأدلة التى اعتمد عليها المراغى وردها من بعده "وجدى" هى جواز الصلاة بالترجمة اعتماداً على رأى أبى حنيفة.^(٤)

"قال شمس الأئمة السرخس فى كتاب المبسوط "واصل هذه المسألة إذا قرأ فى صلاته بالفارسية جاز عند أبى حنيفة رحمه الله ويكره ، وعندهما لا يجوز إذا كان يحسن العربية. وأبو حنيفة رحمه الله استدلل بما روى أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقرعون ذلك فى صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية" ثم

(١) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ص ١٤.

(٢) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ص ١٧.

(٣) عندما ردد هذا رأى "فريد وجدى" اعترض عليه الشيخ محمد سليمان وكانت أوجه الاعتراض على هذا الأمر ينقسم إلى :-

١ - اختلاف المذاهب الأربعة حول جواز الصلاة بالترجمة.

٢ - الطعن فى صحة حديث "سلمان الفارسى".

٣ - التشكيك فى المقولة الخاصة بالحسن البصرى يقول الشيخ محمد سليمان فى هذا

كذلك يوسف أن أرد على صديقى (يقصد فريد وجدى) كلامه فى الحسن البصرى الذى تربى فى مهد أم سلمة زوج النبی صلى الله عليه وسلم ونشأ بوادى القرى ، وقال فيه أبو عمرو بن العلاء: "ما رأيت أفصح من الحسن البصرى ومن الحجاج بن يوسف الثقفى. فقيل له : أيهما كان أفصح؟ قال الحسن. وقال ابن عون : ما شبهت لهجة الحسن البصرى إلا بلهجة روبة بن العجاج وهو من هو.

وقال ابن حزم : "كان لا يلحن أبداً (محمد سليمان : حدث الأحداث : ص ٣٣)

(٤) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧.

عند أبي حنيفة إنما يجوز إذا قرأ بالفارسية إذا كان يتيقن بأنه معنى العربية ، فأما إذا صلى بتفسير القرآن لا يجوز لأنه غير مقطوع.

"وفى النسخة القدسية للشرنبلالي : "وروى أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب لهم "بسم الله الرحمن الرحيم بنام يزدان بخشانيد" (١) فكانوا يقرأون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم. وبعد ما كتب عرض على النبى صلى الله عليه وسلم. كذا فى المبسوط : قال فى النهاية والراية

"وكما اعتمد الفريق الداعى للترجمة على آراء المذاهب الأربعة ؛ وغيرهم من الفقهاء اعتمد كذلك الفريق المعارض ، فقد استشهد محمد رشيد رضا بعدد من الفقهاء - من ذلك:- (٢) "قال الإمام الزاهدى فى الجامع الصغير : إن ما نقل عن أبي حنيفة وصاحبيه من أن القراءة بالفارسية تفسد الصلاة لمن قدر على العربية ، أما عند العجز فلا فساد (محله) إذا قرأ بالفارسية كل لفظ بما هو فى معناه من غير أن يزيد فيه شيئاً. أما إذا قرأ على سبيل التفسير ، فتفسد صلاته بالإجماع"

"رأى الحنفية" (٣)

"فظهر أن قول الثلاثة بجواز قراءة القرآن بغير العربية فى الصلاة لمن لا يحسنها ليس مبناه أن الترجمة تصير قرآناً عند العجز عن أدائه بالعربية ، فيفرض عليه ذلك فى هذه الحالة ، بل المفروض عليه حينئذ تعلم العربى ، لأنه القرآن المأمور به فى الصلاة."

"وقد نقل أن الإمام رجع عن هذا القول فى الصلاة أيضاً إلى القول بعدم جواز الصلاة بالفارسية مطلقاً ... وقد صح رجوعه عن القول بجواز القراءة بغير العربية مطلقاً جمع من الثقات المحققين لضعف الاستدلالات بهذه الآية عليه ... ومن هذا يعلم ما فى استدلال بعضهم بقول الإمام على جواز ترجمة القرآن"

"رأى الحنابلة" (٤)

"ومذهب الحنابلة أن الصلاة تفسد بالقراءة بالفارسية ونحوها عند العجز وعدمه وهو يدل على منع قراءة القرآن وكتابه بغير العربية مطلقاً."

(١) ترجمة البسملة بالفارسية "بنام خداوند بخشنده مهربان" أو بنام يزدان بخشنده مهربان

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٣٢. نقلاً عن رسالة للشيخ محمد حسين العدوى.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٣٣.

(٤) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٣٦.

"رأى المالكية"^(١)

"ومذهب المالكية أنه لا تجوز قراءة القرآن وكتابته بغير العربية ، ولذلك أوجبوا تعلم الفاتحة على من لا يحسن قراءتها في الصلاة بالعربية إن أمكن وإلا أُنْتَم بمن يحسنها ؛ فإن لم يمكن فالمختار سقوطها وسقوط القيام لها ، وقيل يجب قيامه بقدر ما تيسر من الذكر .

"وكذلك استدل "محمد سليمان" بعدد من الفقهاء منهم ابن تيمية

"قال ابن تيمية^(٢) : اللسان العربى شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التى بها يتميزون ، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون فى الأدعية التى فى الصلاة والذكر أن يدعى الله أو يذكر بغير العربية.

ثم قال : فأما القرآن فلا يقرأ بغير العربية سواء قدر عليها أو لم يقدر عند الجمهور وهو الصواب الذى لا ريب فيه ، بل قد قال غير واحد إنه يمتنع أن يترجم سورة أو ما يقوم به الإعجاز". ولم يمنع ما قال محمد رشيد رضا وغيره من اعتماد "محمد فريد وجدى" على آراء المذاهب الأربعة فى قضية جواز الصلاة بالترجمة معتمداً كذلك على رأى العلماء المحدثين مثل : الشيخ محمد بخيت يقول:^(٣) "وقد أفتى الأستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت ، وهو مفتى الديار المصرية ، الترانسفالين ، وقد سألوه إمكان الصلاة بترجمة القرآن ، بجواز الصلاة بها فإليك نص كلامه ننقله من مجلد سنة ١٩٠٣ لمجلة المنار قال : "وفى النهاية والدراية أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان الفارسى أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب ، فكانوا يقرعون ما كتب فى الصلاة حتى لانت أسنتهم ن وقد عرض ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه."

وزاد المرحوم الشيخ محمد بخيب فى بيانه فى تلك الفتوى فقال : "ولا تجوز القراءة والكتابة للعاجز عنها بشرط أن لا يختل اللفظ ولا المعنى ، فقد كان تاج المحدثين الحسن البصرى يقرأ فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية . والحسن البصرى من أهل القرن الأول ومن أشهر أئمة المسلمين."

(١) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٣٤.

(٢) محمد سليمان : حدث الإحداث : ص ٤٠ .

(٣) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٣٤٣ نقلاً عن مجلة الأزهر ، م ١٥ ، ١٣٦٣ هـ وهو جانب من مناقشات دارت بين الشيخ محمد الزرقان وفريد وجدى.

ويوضح "فريد وجدى" خلاصة لآراء بعض المذاهب :-^(١)

"ولم تكن جمهرة الأئمة الأولين يحرمون ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية ، وإنما كانوا يحرمون القراءة بها فى الصلاة ، على اختلاف بينهم فى حظر ذلك.

فأما الحنابلة فقد منعوا الصلاة بترجمته بته .. وقد نقل فضيلة الأستاذ الشيخ الزرقانى عن ابن حزم قوله : "من قرأ أم القرآن أو شيئاً من القرآن فى صلاته مترجماً بغير العربية بطلت صلاته" وعلل رحمه الله ذلك بقوله : "لأن الله تعالى قال : قرآناً عربياً ، وغير العربى ليس عربياً ، فليس قرآناً" وليس حتى فى هذا القول تحريم للترجمة كما نرى.

وقد أورد عن الشافعية^(٢) كتاب الأم تحت عنوان (إمامة الأعجمى) : "وإذا أتموا به ، فإن أقاموا معاً أم القرآن ، ولحن أو نطق أحدهما بالأعجمية ، أو لسان أعجمى فى شئ، من القرآن غيرها ، أجزأته ومن خلفه صلاتهم"

ولا يخفى أن الإمام لو كان يذهب إلى أن ترجمة القرآن محظورة كل الحظر ، لما أجازها فى الصلاة غير الفاتحة ، والصلاة أرفع أركان الإسلام بعد الشهادتين.

مذهب المالكية هو إمكان ترجمة القرآن على الوجه المعروف عند أهل هذا العصر أى فى عباراته المطلقة الدالة على معان مطلقة."

ويقول "فريد" "إن هذا الوجه هو المقصود فى ترجمة القرآن ويوضح ذلك إن المترجم المعاصر ، يقرأ ما يترجمه مثل قوله تعالى^(٣)"

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " ويفهمها بالرجوع إلى ما قاله المفسرون ثم يضعها فى قالب أية لغة من لغات العالم ، فتجئ مطابقة من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية بألفاظ وعبارات مطلقة مثلها ، ولو فعل غير ذلك اعتبر محرفاً. والمعاصرون لا يعرفون غير هذا الوجه من الترجمة وإذا كانت فى نظر مثل الشاطبى وابن قتيبة وسائر علماء المالكية ممكنة ، فمسألة ترجمة القرآن لا تعتبر بدعة سيئة ، ونكون فى نظر الأمم خالسين من الشذوذ الذى يلاحظونه علينا من تجادلنا حول هذه المسألة" وهو لا يهمله إلا استخلاص هذه النتيجة وهى "حصلنا من وراء ذلك على رخصة شرعية بترجمته

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢) هذا يعارض رأى أورده د. عفاف شكرى ذكرت فى مقالها ترجمة معانى القرآن : ص ٨٣ ، ٨٤ "يرى الإمام الشافعى - رضى الله عنه - أنه لا تجوز القراءة بالفارسية بحال ، ولكنه إن كان يحسن العربية ، وهو أسمى يصلى بغير قراءة ، وكذلك الخلاف فيما إذا تشهد بالفارسية أو خطب الإمام يوم الجمعة بالفارسية ، فالشافعى رحمه الله - يقول (إن الفارسية غير القرآن) قال الله تعالى : "إننا جعلناه قرآناً عربياً" الزعرنف : ٣ وقال الله تعالى "ولو جعلناه قرآناً أعجمياً" فصلت : ٤٤ . فالواجب قراءة القرآن فلا يتأدى بغيره بالفارسية ، والفارسية من كلام الناس فتفسد الصلاة."

(٣) سورة الروم : آية ٢٨.

ترجمة رسمية؛ ولم يقتصر الخلاف حول الصلاة بالترجمة ، بل امتد ليشمل أموراً كثيرة منها ما ورد ذكرها في مشروع الترجمة ، وقد تكفل بالرد عليها محمد فريد وجدي في كثير من الأمور منها:-

أولاً (مهمة نشر الإسلام)

فقد قامت مناقشات بين محمد فريد وجدي ومحمد عبد العظيم الزرقاني - المدرس بكلية أصول الدين آنذاك - حول نشر الإسلام عن طريق ترجمة القرآن. فيعلق الشيخ الزرقاني على هذا^(١) "نحن نقول بما يقول به الأستاذ من عموم دعوة الإسلام ووجوب نشره ، ونحن لا نستطيع أن نوافق على انحصار وسائل النشر والدعوة في ترجمة القرآن ترجمة صحيحة ، وإلا فأين تلك الترجمة التي قام عليها نشر الإسلام من لدن عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعه وعهود ازدهار الإسلام إلى يوم الناس هذا ؟ وإذا كانت هذه الترجمة التي ينوه بها الأستاذ لا وجود لها وهي واجبة كما يقول ، فهل تقتصر سلف الأمة وخلفها في هذا الواجب ؛ وهل تجمع الأمة على ضلالة ؟!"

ويعقب وجدي^(٢) "(أولاً) لا محل لذكر الإجماع هنا ، لأنه لا يصدق إلا على عمل إيجابى أو سلبى اتفق عليه بعد إجالة النظر فيه ، لا على كل عمل أو وسيلة لم تتخذها الأمة لعدم توافر دواعيه أو لعدم اقتضاء الأحوال إياه ، كالأمر الذي نحن بسبيله ، ولو كان إجماع الأمة ينعقد على كل ما لم يفعله أوائلها ، لما كان هنالك معنى للسنة الحسنة التي يقول عنها النبي صلى الله عليه وسلم : "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"

(ثانياً) إن انتشار الإسلام في عهده الأول بين الأجانب لم يقد على ترجمة القرآن ، ولو كانت له ترجمة إذ ذاك لما أفادت بشيء، لأن نسبة الأمية في الأمم كانت كنسبة تسعة وتسعين إلى واحد."

"وفي مثل هذه البيانات لا يفيد نشر الأديان بواسطة الكتب. زد على ذلك أن الحرية الدينية كانت مقيدة ، فلا يسمح رجال الدين للناس بأن يقرأوا ما يناقض كتبهم المقدسة .. أما قرأنا في تاريخ أوروبا أن القائمين على الدين هنالك كانوا قد أقاموا هيئات سموها محاكم التفتيش مهمتها مراقبة الحركة العقلية في الناس.."

"وهناك عقبة تجعل ترجمته كأن لم تكن وهي عدم وجود أداة النشر وهي المطبعة. أما ما يستحسنه فضيلة الأستاذ من الاقتصار على نشر تعاليمه وهداياته فلا يفيد ، ولو كان

(١) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٢٤ - ٢٤٩ - حول كتاب مناهل العرفان ومبحث ترجمة القرآن نقلاً عن المجلد

الخامس عشر : مجلة الأزهر ١٣٦٣ ، ص ٣١٣ وما بعدها.

(٢) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

ويوضح وجدى سبب عنايته بالرد على هذه الرسالة^(١) "وقد ضمنها بحثاً وبيانات لا نرى بداً من مناقشته فيها ، لأن بقاءها مسكوتاً عنها بعد وقوعها فى أيدى الدهماء يؤهم أن ما جاء فيها مسلم به ، من جميع الوجوه وقد قدم فى رسالته أربعة عشر وجهاً معنياً ، لفت إليها نظر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر."

ومن بعض هذه الوجوه : "إن المفسرين مازالوا قاصرين مقصرين فى معرفة معانى القرآن ، فإنه لا تنقضى عجائبه ولا يدرك غوره . وقد يكون لواحد رأى فى آية ولغيره رأى آخر فيها ولكليهما وجه صحيح ، فعلى أى معنى تختار اللجنة واحداً من هذه المعانى وبأى قانون ترجحه على غيره ! وإذا رجحنا رأياً وترجمناه ، ثم ظهر لنا أن رأياً آخر أصح منه أفنغير الترجمة ، فيقول الناس إننا نغير فى قراءتنا ، أم نترك الخطأ على حاله "

وأعطى سبع آيات مثلاً على ذلك منها قوله تعالى : (٢) " وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ

ثم قال : فسر بعضهم الزوجين بالصنفين ، ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى ، فإذا ترجم القرآن بالمعنى الأول ألا يكون هذا المعنى قد أضاع علينا هذه المعجزة ."

ورد عليه وجدى قائلاً : (٣) "قال المفسرون : زوجين هنا بمعنى صنفين ، أى حلو وحامض أو كبير وصغير أو أبيض وأسود . وهذا التفسير أوجه وأصح من تفسير الأستاذ ، لأن الذكورة والأنوثة هما من أعضاء الأزهار لا الثمار . فقد يكون هذان العضوان فى زهرة واحدة ، وقد يكونان فى زهرتين مختلفتين من شجرة واحدة ، وقد يكونان فى زهور شجرتين مستقلتين . أما الثمار فليس فيها ذكر ولا أنثى على الإطلاق."

ويستشهد وجدى بما ورد فى السنة النبوية "وقد كان هذا الازدواج النباتى معروفاً من أقدم العهود . حتى أن عرب الجاهلية كانوا يعرفونه ، فكانوا يلحقون إناث النخل بالطلع المستخرج من ذكورها ، فرأى النبی صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه يلحقون نخلهم ، فقال لهم : "لو تركتموه لأثمر ، فتركوه فلم يثمر ، فأمرهم أن يعودوا لما كانوا عليه قائلاً لهم : "أنتم أعلم بأمور دنياكم" وكذلك يستشهد بالقرآن "والذى يدل دلالة قاطعة على أن المراد بالزوجين الصنفان ، لا الذكر والأنثى . قوله تعالى عند ذكر الجنيتين اللتين وعد بها المتقون :

(١) محمد فريد وجدى : الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية : ص ٢٢ ، ٣٨ .

(٢) سورة الرعد : آية ٣

(٣) محمد فريد وجدى : الأدلة العلمية على جواز ترجمة القرآن : ص ٣١ ، ٣٢

"فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾" (١) أى من كل نوع من الفاكهة صنفان ، ولا يمكن صرفه بحال من الأحوال إلى المعنى الذى يريده الأستاذ ، لأن المقام مقام تشويق للذات الأخرى ، لا مقام استدلال على وجود القدرة الإلهية ، بلفت الأنظار إلى الحكمة التكوينية . ولا يعقل أن الله تعالى يعزو ما هو خاص بالأزهار إلى الثمار ، لأن ذلك فضلاً عن مناقضته للبلاغة التعبيرية ، يتنافى والحقائق العلمية

ثم يوضح رأيه فى المعجزات العلمية (٢) "إننا مع اعتقادنا الحازم بأن القرآن حافل بالمعجزات العلمية ورغم عن أننا سبقنا جميع المتكلمين فى الإسلام فأثبتنا عدداً عظيماً منها فى عشرات من المقالات نشرناها ، إلا أننا نجوز لأنفسنا أن نعالجها علاجاً عفيفاً ، وأن نستقصر الكلام لها استقصاراً فإن ذلك يعد إخلالاً بالأدب. الواجب للكلام الإلهي ، ويفضى إلى كثرة الجدل فيه بين المثبتين والنافيين وليس هذا من مصلحة الإسلام فى شيء "

وقريب من هذا ما ذكره شيخ الأزهر "محمد المراغى" (٣) وقولهم : "إن فى الكتب السماوية إشارات و أحكاماً تستخرج بطريق الحساب ، ومعارف يستخرجها أهل التصوف بالذوق ، وعلوماً طبيعية ورياضية ، وإن ذلك يضيع بالترجمة"

وقد تولى رده الشاطبى بقوله "ليس المقصود من القرآن إلا الهداية وأحكام الدنيا والآخرة ، وأن السلف الصالح لم يخض فى القرآن على هذا النحو الذى فعلوه على أنه إذا فانت هذه الأشياء فى الترجمة فلن تفوت فى النص العربى ، وهى باقية فيه"

وعلق المراغى "ولكن من حقهم أن يفهموا أن المعارف البشرية غير مستقرة ، وأنها تتغير وتتجدد بدلها معارف أخرى تختلف عنها أو تتناقضها ، وأنه ليس من الحكمة أن نربط هذه المعارف غير القارة بكتاب الله الثابت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" ومن القضايا التى ناقشها أيضاً الشيخ محمد الشاطر هى : هل المقصود بالترجمة ؛ الترجمة الحرفية أم ترجمة معانى القرآن ؟ يقول (٤)

"إن جمهور المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن وهم حين أجمعوا على ذلك لم يقصدوا ترجمته لفظة لفظة ، لأن ذلك محال ، ولكنهم قصدوا ترجمة معناه.

(١) سورة : الرحمن : آية ٥٢ .

(٢) محمد فريد وحيدى : الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية : ص ٣٨ .

(٣) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ص ١٢ .

(٤) محمد فريد وحيدى : الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية : ص ٤٠ : ٤٥ .

فإضافة المقترح كلمة (معنى) ما هي إلا للتفادى من أن يقال هذا خروج عما أجمع على عدم جوازه المسلمون

ورد "وجدى" أن الإجماع خطأ لأن مذهب الحنفية أجاز الترجمة ، يقول "وتقولون إن من المحال ترجمة القرآن لفظاً بلفظ ، فكيف تقولون ذلك. وقد شرط الحنفية ذلك لصحة الصلاة بالترجمة ، وهم حين شرطوا ذلك عرفوا أن ذلك ليس بمحال ، لأن الإمام كان فارسياً وفي أتباعه فرس كثيرون ، كانوا يعرفون أن ذلك ممكن ولو فى الفاتحة وبعض الآيات الضرورية للصلاة. وكل عارف بلغة أجنبية يعرف أن الفاتحة ، وغيرها من بعض قصار السور يمكن ترجمتها كلمة إزاء كلمة.

... ومن أين علم إن إضافة كلمة معنى إلى الترجمة يقصد به التمويه دون الحقيقة ؟ أن مشيخة الأزهر أتت بهذه الكلمة لتحل من مصاعب الترجمة الحرفية لتستطيع تصوير المعانى الحقيقية للآيات غير مقيدة ، بتقابل الألفاظ ؛ وهى إنما تريد تفهيم معانى الكتاب الكريم للأجانب عن اللغة لا إيتاءهم بترجمة يقيمون بها الصلاة على شرط الأحناف ، ولم تعلنهم بذلك. لو استفتيت فيه لمنعته بتأتاً جرياً على مذهب الإمام. فلم يسئ الأستاذ القاضى الظن بأئمة الدين المعاصرين إلى هذا الحد؟

ورأى "وجدى" يقودنا إلى قضية جوهرية هو عدم تحديد مصطلح الترجمة ، هل المقصود به ترجمة حرفية ، أم ترجمة تفسيرية ؟ وما المراد بأى من الترجمتين؟ وقد ظل هذا الأمر موضعاً للنقاش.

فلنتعرف على معنى الترجمة والمراد بها^(١) "تطلق الترجمة فى اللغة العربية على أحد معان أربعة :

الأول : تبليغ الكلام لمن لم يبلغه ومنه قول الشاعر.

أن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان.

ثانيها : تفسير الكلام بنفس لغته ومنه سمي ابن عباس رضى الله عنه "ترجمان القرآن" .

ثالثها : تفسير الكلام بغير لغته جاء فى لسان العرب وفى القاموس أن الترجمان هو المفسر للكلام وقال شارح القاموس "وقد ترجمه وترجم عنه إذا فسر كلامه بلسان آخر. قاله الجوهري"

رابعها : نقل الكلام من لغة إلى أخرى قال فى اللسان "الترجمان بالضم والفتح هو الذى يترجم أى ينقله من لغة إلى لغة أخرى والجمع تراجم"

(١) د. فهد عبد الرحمن سليمان الرومى : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير : ص ٤١٧ - ٤١٨ - ح ١ مؤسسة الرسالة نقلاً عن مناهل العرفان فى علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقانى : ح ٢ ، ص ٥ ، ٧.

"وهذا المعنى هو ما يراد بالترجمة فى عرف التّخاطب العام وهى التعبير عن معنى كلام فى لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء ، بجميع معانيه ومقاصده."
 "وتنقسم الترجمة إلى قسمين^(١):"

الأول : الترجمة الحرفية. وهى نقل الكلام من لغة إلى أخرى مع مراعاة الموافقة فى النظم والترتيب والمحافظة على جميع معانى الأصل المترجم.

الثانى : الترجمة التفسيرية أو المعنوية وهى شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه وبدون المحافظة على جميع معانيه المراد منه."

"ويبدو أن الذين خاضوا فى قضية الترجمة ، مؤيدين ومعارضين لم يتفقوا على تعريف موحد للترجمة المقصودة ، فبينما نسمع من مؤيدى الترجمة من يقول : "يصح أن تسمى الترجمة ترجمة التفسير ، ولا مانع عندي من ذلك مطلقاً .. وبعد التحديد لم يبق محل للشبهة ولا موضع لأن يقول الناس إن الغرض ترجمة القرآن الكريم ، وليس هناك شئ فيما نرى أحسن من ترجمة معانى تفسير القرآن ، فلا محل للخلاف الذى رآه الناس فى الغرض من هذه الترجمة وأنها ترجمة القرآن" ... فى حين نسمع بين المعارضين من يصر على أن المقصود الحقيقى هو ترجمة القرآن."^(٢)

"وبينما يوضح كتاب وزير المعارف .. أن المقصود هو تحديد معانى القرآن الكريم التى يراد نقلها إلى اللغة الأجنبية بحسب ترتيب سور وآياته ، وبأسلوب موجز واضح يمكن المترجم من نقله إلى اللغة الأجنبية بالتدقيق الواجب توخيه فى ترجمة رسمية^(٣) ... نرى من يرد عليه بأن التفسير علم قائم بذاته يشرح معناه ويوضح غريبه ويبين محكمه ومثابه ، وناسخه ومنسوخه ... ثم يذكر سبب نزول الآيات والحكمة فى ترتيبها ... وما دام المطلوب فى الترجمة ، لا يتضمن كل هذا فى رأى المعارضين فإن المقصود حينئذ ترجمة القرآن لا ترجمة معانيه ، مهما يزعم المؤيدون بأنهم إنما يقصدون إلى ترجمة معانى القرآن."

ويقول د. "عفت الشرقاوى" موضعاً رأييه فى هذه القضية^(٤) فى اعتقاده أنه لم يكن ثمة ما يدعوا إليه ، لو التزم الجانبان الحد الواضح ، الذى وضعته لجنة كبار العلماء فى فتاها السابقة ، وهى الفتوى التى لا اعتقد أن أحداً من الجانبين يزعم الخروج عليها ، حيث تكون الترجمة ترجمة للتفسير ، وينص فيها على أنها ليست قرآناً وليست لها خصائص القرآن ؛ وإنما هى ترجمة لبعض المعانى التى فهمها العلماء ، وفى مثل هذا التحديد الحاسم الذى

(١) محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون : ص ٢٣ ، ٢٤ ، حـ ١.

(٢) د. عفت الشرقاوى : الفكر الدينى فى مواجهة العصر : ص ١٧٦ نقلاً من مقالة محمد مصطفى المراغى : الأهرام ١٩٣٦/٤/٢٢ م.

(٣) المصدر السابق : ص ١٧٧ نقلاً عن كتاب وزير المعارف محمد على علوبة - ص ٣٦.

(٤) المصدر السابق : ص ١٨١.

قررت لجنة الإفتاء ، لا تقوم قضية الصلاة بالترجمة ، ولا ينشأ الجدل حول الكلام اللفظي والكلام النفسي ، فإن ترجمة التفسير ، لا يختلف عليها أحد ، ولا هي مما يثير كل هذا الجدل الفقهي والكلامي.

وفي أهمية مشروع ترجمة معاني القرآن يقرر د. "عفت الشرقاوى"^(١) "إن ترجمة تفسير القرآن أو ما يفهمه المفسر من معانيه ضرورة واجبة ، لأن المسلمين إذا أهملوا ذلك أصبحوا في كثير من بقاع الأرض قوماً لا سند لهم ، ولا مرجع ، يجدون بين أيديهم مصحفاً يتبركون بورقه ويلثمون غلافه ، ويضعونه على الرأس والعين ، احتراماً له ، ولكنهم لا يفهمون ما فيه ، والكتاب الذي غير مجرى التاريخ ، وعرف العالم بمبادئ الخير والصلاح ، ستصبح معانيه مغلقة على كثير من الأمم ، وهذا إسرار في الجور ، لا يتفق وسماحة الدين الإسلامي الذي جاء به محمد رسول رب المشرقين والمغربين صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس.

ومن جهة أخرى فإن التوقف عن ترجمة تفسير معاني القرآن ، سوف يتيح الفرصة لانتشار ترجمات فاسدة كتبها حانقون على الإسلام .. وربما دل سكوتنا عن تقديم مثل هذه الترجمة على اقتناعنا بصحة هذه الترجمات في نظر كثير من الأوروبيين.

وتتفق معه في هذا الرأي د. "عفاف شكرى" "يجب ألا يفوتنا أن هناك بعض التراجم يجب إعادها حتى لا تسئ إلى القرآن الكريم ، لكونها ترجمة مشوهة مغرضة بعيدة كل البعد عن تعاليم ومفاهيم الإسلام تهدف إلى النيل من الإسلام والمسلمين وحتى تصل معاني القرآن الكريم إلى غير المسلمين سهلة ميسورة ، وتكون حافزاً لهم على الدخول في الإسلام"

وفي اعتقادي أن بتحديد المعنى المقصود من الترجمة يتحول رأى "محمد رشيد رضا" من المعارضين للترجمة إلى الموافقين يقول^(٢) : "إن من تقصير المسلمين في نشر دينهم أن لا يبينوا معاني القرآن لأهل كل لغة بلغتهم ولو بترجمة بعضه"^(٣) لأجل دعوة من ليس من أهله إليه ، وإرشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة.

وكما رأينا فرأى المعاصرين أمثال د. "عفت الشرقاوى" ود. "عفاف شكرى" يتفق مع رأى "محمد فريد وجدي" حامل لواء الدعوة إلى ترجمة معاني القرآن.

(١) د. عفت الشرقاوى : الفكر الديني في مواجهة العصر : ١٨٧ نقلاً من عبد الله عباس الندوى : ترجمات معاني القرآن ، ص ٢٣.
(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٢٥ رداً على رسالة الشيخ أحسن شاه أفندي أحمد من روسيا يستفتي محمد رشيد رضا في ترجمة القرآن عام ١٣٢٦هـ.

وملخص هذه الفتوى من ص ٣٢٤ : ٣٣٠. إن ترجمة القرآن حرفية متعلدة ، ويترتب عليه مفساد كثيرة لأنه جناية عليه وعلى أهله. وأما الترجمة المعنوية التي هي عبارة عن تفسير ما يحتاج إلى تفسيره منه بلغة أخرى غير محرم ، وإنما تنبع فيه المصلحة الشرعية بقدرها.
(٣) يوضح في الهامش أن الترجمة هنا المعنوية التفسيرية لا اللفظية الحرفية.

وقريباً من هذا الرأي قول د. "فهد الرومي"^(١) "وخلاصة ما نراه في ترجمة القرآن الكريم أنه كما يباح بإجماع المسلمين كافة تفسير القرآن الكريم وتداوله بين المسلمين ؛ فإنه لا ضير أن يفسر القرآن عربى أو يفسره غير عربى متمكن من العربية بلغته ما دام ما يقوله لا يتجاوز وصفه بـ"التفسير" فكما يصح أن يقال هذا تفسير القرآن بالعربية ؛ فإنه يجوز أن يقال وهذا تفسيره بالفارسية - ولكنه له تحفظ - وأرى أن لا تورد كلمة ترجمة إطلاقاً كما لم نرها في أى تفسير للقرآن بالعربية وحتى لا يشعر الأعجمى بحال من الأحوال عند قراءته للترجمة بما يوهمه أن ما يقرأه هو القرآن الكريم."

لقد دارت مساجلات ومناقشات عديدة حول الترجمة ، ظهرت نماذج شتى ؛ هناك من تحلى بآداب المناقشة ، وحسن الجدل حول الموضوع ، وهناك من خرج عن هذا إلى الطعن الشخصى فى ذات الداعين إلى الترجمة ووصل الأمر إلى القدح وترصد الأخطاء وكيّل التهم. ولو التزم كل فريق بالجانب الموضوعى لكان فى هذا مندوح عما تورط فيه من المآخذ. من ذلك بعض المواقف للشيخ "محمد سليمان" فى كتابه حدث الأحداث.

يصف الداعين إلى الترجمة^(٢) "فكل من يحاول ترجمته ، أو تغييره فإنما هى محاولة لتغيير التفصيل الإلهى ، وهجوم على هذا الرسم الربانى ، أقطع يقيناً وأتحدى علناً كل محاول لهدم ما بنى الله ، أو مغير لرسم ما نصل الله. أتحداه بأن يقدم ، وأقطع بأنه عاجز وابن عاجز وذو نسب فى العاجزين عريق"

وفى أحد اعتراضاته - يستخدم مثل عربى^(٣) "ذهب الحمار إلى السوق ليشتري له قرنين فعاد بلا أذنين"

وفى ترصد الأخطاء للشيخ المراغى^(٤) "وأما ألغت الأنظار إلى ما سمعه المسلمون فى أول هذا العام الهجرى وقد أذيعت عليهم من صحن الأزهر خطبة شيخه واحتوت فى آخرها ثلاث آيات من القرآن الحكيم ، تليت إحداها غلطاً ، كما سمع فى الخطبة خطئان نحويان وهى لم تطل أكثر من عشرين دقيقة ، مما يؤيد مخاوفنا على هذا الكتاب الإلهى إذا تطاولت إليه يد المخلوق الضعيف ، بالترجمة والتحريف" أى فالغلط فى التلاوة بمعدل الثلث والخطأ فى النحو لكل عشر دقائق خطأه."

(١) فهد عبد الرحمن الرومي : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير : ج ١ ص ٤٤١.

(٢) محمد سليمان : حدث الأحداث فى الإسلام : ص ٢٠.

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٤.

(٤) المصدر السابق : ص ٣٥.

ولم يسلم "محمد فريد وجدى" من انتقاداته اللاذعة ، فهو فى نظره محامى الأزهر ، وهو فى نظره غير جدير بأن يتولى هذا الدفاع ، وأسبابه فى ذلك^(١) لم يقعد محامى الأزهر إلى شيخ ، ولا انتظم فى حلقة درس ، ولا نال شهادة تؤهله إلى أن يتكلم فى أمثال هذه المسائل الشرعية ، وكل ما له من علم يفخر به ما ذكره فى صفحة ٦١ من رسالته أن عشرات الكتب من مذهب الأحناف طبعت وانتشرت بين الناس فى لكثرة العلماء أمثال هذا المحامى الذين يقولون إنهم علماء لأن كثيراً من كتب العلم طبع وانتشر بين الناس؟ لو كان علمك هذا ما تقوله به فطابع الكتب فى علم ابن عباس" هذا وما ذكره من فقد الثقة فيه وفى مؤلفاته.

وأحقاً للحق. فقد التزم فريق آخر من المعارضين الجانب الموضوعى فى المناقشة ، بل أشاد بصنيع "وجدى" وهو الشيخ "عبد العليم الزرقانى" يقول:^(٢) "تفضل الباحثة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى بك مدير مجلة الأزهر الغراء ورئيس تحريرها ، فقرظ فيها الجزء الرابع من المجلد الخامس عشر ، الجزء الثانى من كتابى مناهل العرفان فى علوم القرآن. كما تفضل من قبل فقرظ الجزء الأول من هذا الكتاب ، وقُرظ كتاب المنهل الحديث فى علوم الحديث ، وإنى لأشعر بدين فادح يتقل كاهلى بالشكر والتقدير لهذه التقاريط العالية ، التى هى صورة من نفس مقرظها وإنى سأسلك مسلك صاحبى فى أسلوبه العف الوجيز الذى اختاره للنقد"

وللذكور "محمد رجب البيومى" رأى فى تقويم دفاع "فريد وجدى" فى هذه القضية: يقول^(٣) "لقد وقف فى معركة الترجمة لمعانى القرآن . أمام نفر من المتعمقين فى النصوص الفقهية من قارئى الحواشى ودارسى الأصول ، وفى أيديهم أسلحتهم المهيئة من النصوص والقواعد والتفريعات ، وكان الظن بهم أن يكونوا فى هذا المضمار أطول منه يداً ، وأعمق نظراً ، لأن الموضوع موضوعهم والميدان ميدانهم ، ولكن الرجل المناضل قد أخذ للأمر عدته ، فقرأ وأمعن ، وواجه النصوص بالنصوص ، وعارض الأقوال ، بالأقوال ، ثم فلج بالحجة الدامغة ، وجهر بالرأى الساطع يسجل ذلك فى كتاب علمى يحمل طابع الاستدلال المتعمق والنظر البصير ...!

والمسألة بعد ليست فى حاجة إلى تعداد أوجه الرأى إذا خلصت الضمائر وصدقت النيات ، لأن ترجمة المعانى غير ترجمة النص ، ولم يقل أحد بجواز ترجمة النص حتى يشتغل الخلاف."

(١) محمد سليمان : حدث الأحداث فى الإسلام : ص ٢١٠ .

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٢٣٩ .

(٣) محمد فريد وجدى : فصول من سيرة الرسول : تقديم ومراجعة محمد رجب البيومى ، ص ٢٢ . الدار المصرية اللبنانية.

وبعد فقد انتصرت دعوة الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وكللت جهود محمد فريد وجدى بالنجاح فتم تنفيذ مشروع الترجمة بعد سنوات من الجدل ، فما فترت فى تلك المدة همة فريد وجدى ولا تخلى الشيخ المراغى عن ثباته. وإليك صورة من مشروع الترجمة فى التسعينيات تنطق بالحال الذى وصلت إليه هذه القضية.

أولاً : فى نشر التراجم

"ترجمة معانى القرآن إلى الأندونيسية"^(١)

"وافق الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف خلال لقائه أمس بالدكتور محمد قریش شهاب عضو لجنة القرآن بوزارة الشؤون الدينية الأندونيسية وسفير أندونيسيا لدى القاهرة على تشكيل لجنة من الطلبة الأندونيسيين خريجي جامعة الأزهر لترجمة معانى القرآن الكريم إلى عمليات الترجمة على كتاب "المنتخب" فى تفسير معانى القرآن الصادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية باعتباره تفسيراً جاء بأسلوب عصرى مبسط بعيداً عن الخلافات المذهبية."^(٢)

ثانياً : فى الرد على التراجم المشوهة

شيخ الأزهر يحيل لمجمع البحوث الإسلامية^(٣)

لدراسة : ترجمة محرفة بالعبرية للقرآن الكريم

"القرآن الكريم ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حفظه الله الذى أنزله هدى ورحمة للعالمين وحتى تقوم الساعة " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"^(٤) والآن يتعرض كتاب الله العزيز - وكما حدث مراراً - لمحاولات تشويه وتحريف من أحد المترجمين اليهود الذى قام بترجمته دون الالتزام بالمعانى الدقيقة لأياته وكلماته.

"ويكشف عن هذه المغالطة الكبيرة فى حق القرآن الكريم الأستاذ محفوظ عبد العال الذى كان يعمل مستشاراً إعلامياً بإسرائيل مدة سبع سنوات فيقول : كنت أخضر أحد المؤتمرات برودس فى العام الماضى الذى حضره ممثلون عن الاتحاد الأوروبي واليونانى والإسرائيلى وفى أثناء الاجتماعات تقدم لى أحد الإسرائيليين المشاركين فى المؤتمر وأعطانى كتاباً بالعبرية وعند عودتى إلى القاهرة وتصفحه ، فوجئت بأنه ترجمة بالعبرية للقرآن للمترجم الإسرائيلى المعروف د. أهرون بن شمس وهو أستاذ جامعى.

(١) مقالة فى الأخبار ، ص ٩ ، العدد ١٤٧٥٨ ، السنة ٤١ ، الأربعاء ، ٨ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٠ هـ ، ١٨ من أغسطس سنة ١٩٩٩ م.

(٢) كان المعترضون على الترجمة يخشون من سوء اختيار التفسير المترجم ، فلعلها قد تبددت هذه المخاوف الآن.

(٣) مقالة لـ اقبال حسنى : الأهرام : ص ٢ - الجمعة ١٦ من جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ ، ٢٧ من أغسطس ١٩٩٩ م.

(٤) سورة الحجر : آية ٩

وبعد تفحص الترجمة ومقارنتها . ببعض التفاسير وجدت أن المترجم قد جانبه الصواب ولم
يقم بالترجمة الأمينة لكتاب الله بالرغم من إجادته اللغتين العربية والعبرية ، كما أن اللغة
العبرية تحتوى على مفردات ومرادفات كثيرة مثل اللغة العربية ولأن المترجم لم يتعمق في
الدين الإسلامى ولم يدرس علوم القرآن جيداً . فكل حرف وكلمة فى آيات الله لها دلالتها
ومعناها العميق ولا تترجم بظاهرها ، فقد جاءت ترجمته مغلوطة تماماً . وأضاف أنه مما لفت
نظري أن المترجم قام بتلخيص كثير من الآيات القرآنية مثل الآيات من ٢٤-٤٠ من سورة
المائدة. وقال بلغة عبرية ركيكة وكأنها فقرة جاءت فى كتاب عادى : يا أيها المؤمنون خافوا
الله ، واطلبوا الطريق إليه وحاربوا من أجل ذلك ، وإذا كان الكفار ضعف ما فى الأرض
كلها فإنهم لن يقبل منهم أى فداء وينتظرهم عذاب مؤلم فى جهنم ، والعقاب على السرقة
للرجل والمرأة قطع اليد وهو عقاب من الله ولكن من يندم بعد أن أخطأ وعاد إلى الصواب ؛
فإن الله سيصفح عنه ويعاقب كل من يريد ويغفر لمن يريد لأنه هو كل شيء... وجاءت
أيضاً مخالفة كبيرة فى ترجمة سورة يوسف خاصة الآيات من ٢٠ - ٢٥ حيث جاء فيها أن
واحدة نادت مريم وقالت لها إن الله فتح عين ماء تحت قدميك وأن هزى بجزع النخلة يتساقط
عليك رطباً طازجاً ، فكلى واشربى وقرى عيناً.

.. وطالبا بضرورة تشكيل لجنة من علماء الأزهر الشريف ومترجمي اللغة العبرية لبحث
ودراسة هذه الترجمة للقرآن الكريم وتصويب كل الأخطاء التى حوتها.

وقد تم عرض هذه الترجمة على فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر يوم الأحد الماضى^(١) مع الملاحظات على ما جاء فيها فأحالها فضيلته إلى مجمع
البحوث الإسلامية وكلف إدارة البحوث والتأليف والترجمة ببحثها ، وطلب من الشيخ سامى
الشعراوى الأمين العام للمجمع موافاته بنتيجة البحث.

(١) أى يوم الأحد الموافق ٥ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٠ هـ - ١٥ من أغسطس سنة ١٩٩٩ م.

(الخلاصة)

بدأت ظهور الدعوة إلى الترجمة في مصر في العشرينيات وتصادف ظهورها في الثلاثينيات وقد اتخذت الشكل السياسي مع دعوة تركيا إلى الترجمة ، وقد جانب الصواب كل من ناصر هذه الدعوة لأنه لم يدرك الهدف من الدعوة إلى العلمانية ، ومن بينهم "فريد وجدى" ، فقد نظر إلى الأمر ، مجرداً من الملابسات والظروف ، وربما اغتر بالدعوة إلى التجديد ، وربما كان يعنيه الهدف الأسمى من الترجمة وهذا لا يمنع أن إعلانه موافقته للثورة التركية بكل ما تتخذ من خطوات في بداياتها قد ألحق به التهم خاصة بعد أن صدقت الظنون ، وأعلنت العلمانية في تركيا بعد ذلك.

وقد تقدم الشيخ "محمد مصطفى المراغى" بمشروع ترجمة معانى القرآن ، وقد قبل المشروع ، ولكن أثار حوله كثير من الجدل ؛ منها اعتماده على رأى أبى حنيفة فى جواز الصلاة بالترجمة ، وعدم نقل أوجه إعجاز القرآن عن طريق الترجمة ،

- عدم تحديد المصطلح ، هل هو ترجمة القرآن الحرفية أم التفسيرية؟

وقد تولى الدفاع عن هذه القضية الشيخ "المراغى" و"محمد فريد وجدى" الذى تحمل العبأ الأكبر فى الدفاع بل وفى تلقى التهم فقد اكتفى الشيخ "المراغى" برسائلته حول الترجمة وبعض المقالات المتناثرة ، فى حين أفرد "وجدى" كتاب خاص حول ترجمة معانى القرآن ، رد فيها على الشيخ محمد سليمان والشيخ محمد الشاطر ، هذا غير المقالات فى مجلة الأزهر ، وغيرها مما كان جدالاً ونقاشاً مستمراً بينه وبين العلماء.

وأيا كانت الأخطاء التى وقع فيها الشيخ المراغى وفريد وجدى فى الدعوة للترجمة، فقد نجحت ونفذت ، ولا يعيبهما خطئهما ، فالمجتهد يخطئ ويصيب ، وإن جانبهما الصواب فى بعض الجوانب ؛ فقد رجحت كفت دعوتهما للترجمة ، وانتشرت فى العصر الحديث وتعددت الترجمات المنتشرة فى البلاد الغربية بموافقة الأزهر ومراجعته لها:

حتى أن المعترضين والرافضين لآراء فريد وجدى والشيخ المراغى اقتنعوا بكون الترجمة ترجمة لمعانى القرآن.

الفصل الثالث

السيرة الحمديّة

المبحث الأول

السيرة الحميدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

السيرة المحمدية

السيرة المحمدية كثيراً ما تناولتها الأقلام بالدراسة والتأليف ما بين منصف ومجحف ، مجامل ومتعصب ، وتتوعدت الواجهات والمقاصد ، واختلفت المناهج ؛ فهناك من كتبها تاريخاً كسيرة ابن هشام وابن إسحاق في القديم ، ومنهم من لون السيرة بالون الأدبي كمسرحية محمد لتوفيق الحكيم ، وعلى هامش السيرة لطله حسين ، وهناك من اتبع في تمحيصها العقل كمحمد حسين هيكل "حياة محمد" .

وظهر في بداية النصف الأول من القرن العشرين "محمد فريد وجدي" يطل علينا بسلسلة من المقالات تتناول السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة .

"عمل على تنفيذ الطعون التي تتجه إلى نبي الإسلام بغياً دون حق ، فقد عمل الأستاذ على تفنيد هذه الطعون على مدى حياته ، في فترات متعاقبة ، ثم رأى أن يخص السيرة النبوية المطهرة بكتاب خاص تحت عنوان [السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة] أخذ ينشره تباعاً في مجلة الأزهر على مدى سبع سنوات .^(١)

ويوضح د. محمد رجب البيومي قيمة الكتاب :^(٢) " فجاء ما كتبه تحت هذا العنوان نهجاً فريداً في بابيه ، وقد رأينا أكثر من كتبوا في السيرة من بعده قد نقلوا عنه دون أن يشيروا إليه وكأنهم رأوا أن عدم جمع هذه الفصول الرائعة في كتاب مستقل يبيح لهم أن ينهبوا أفكارها دون الإشارة إليها ، وإذا فعل ذلك من يتصدر لكتابة سيرة الرسول فقد جانب الأمانة التي هي من أبرز صفات من يتحدث عنه ، وكان المنتظر أن يقتضى بنى آمن به ، وبذل جهده لدراسة حياته ، وتمجيد أخلاقه ."

التأريخ لكتابة "السيرة المحمدية"^(٣)

" شرع الأستاذ يكتب فصول السيرة النبوية ابتداءً من المجلد العاشر من مجلة الأزهر وقد صدر في سنة ١٣٥٨هـ حتى المجلد السابع عشر وقد صدر في سنة ١٣٦٥هـ ، ولكن السيرة النبوية صميمها قد وقفت عند نهاية المجلد الرابع عشر الذي صدر سنة ١٣٦٣هـ . وما كتبه الأستاذ بعد ذلك قد جاء خاصاً بتعاليم الإسلام وهدية العالمى ، وإن جعله تحت عنوان (السيرة المحمدية) .^(٤)

(١) محمد فريد وجدي : جمع ومراجعة وتقديم د. محمد رجب البيومي : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٣ - المقدمة ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م الدار المصرية اللبنانية .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٤ المقدمة لد. محمد رجب البيومي .

(٤) يقول د. محمد رجب البيومي :- ص ١٤ : السيرة المحمدية . " ولو كنت مكان الكاتب ، لجعلت تعاليم الإسلام -

وقبل أن أخوض في السيرة التي كتبها فريد وجدي أعرض في عجالة؛ ما المقصود بالسيرة؟ وكيف نشأت؟ وما الصفات الواجب توافرها في كاتب السيرة؟ لنتعرف إلى أي مدى وفق فريد وجدي في كتابته للسيرة، ولندرك القيمة الحقيقية لصنيعه.

تعريف السيرة :

السيرة : " هي الترجمة المأثورة لحياة النبي محمد عليه السلام ؛ ويظهر أن هذه الكلمة قد استعملت أول ما استعملت للدلالة على باب قائم بذاته في عنوان مؤلف ابن هشام . ثم أن كلمة سيرة كانت تستعمل في تلك الأيام حقاً للدلالة على ترجمة الحياة بصفة عامة .

ومعنى السيرة متسلسل من المسلك أو " طريقة الحياة " للذين تدل عليهما هذه الكلمة ، والذين يعدان تطوراً طبيعياً للأصل س ي ر أى " سلك " أو ذهب في الأرض ، وقد وردت كلمة سيرة في القرآن سورة طه آية ٢٠ بمعنى " السنة " أو " الهيئة " . (١)

السيرة في نظر بعض العلماء والكتاب .

يقول عنها محمد عبد الغنى حسن : " التراجم هي ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر تعريفاً يطول أو يقصر ويتعمق أو يبدو على السطح تبعاً لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة ، وتبعاً لثقافة المترجم - أي الترجمة - ومدى قدرته على رسم صورة كاملة .. واضحة .. دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له " . (٢)

= خاصة بموضوع مستقل عن سيرة الرسول ، وهي كذلك أيضاً فيما كتب ، ولكنه تمسك بعنوان السيرة المحمدية فشمل هذه الفصول جميعاً ، وماذا عليه لو جعل السيرة مستقلة بأحداث الرسول ؛ فامتد بالعنوان إلى نهاية المجلد الرابع عشر ، ثم بحث عن عنوان جديد لهذه القوانين الهادية والإصلاحات المفيدة التي أتى بها الإسلام ! ولو كان بـ أن أقترح شيئاً بالنسبة لجمع هذه الفصول لاقتربت أن تصدر في جزئين متوالين ، يخص كل الأول سيرة رسول الله واقفاً عند نهاية المجلد الرابع عشر ، ويخص كل الثاني في الحديث عن هداية الإسلام .

- (١) دائرة المعارف الإسلامية : ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ : المجلد الثاني عشر ، الرئاسة العامة لتعليم البنات كلية التربية بنات جدة .
(٢) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية " في أدب طه حسين " : ص ٩ - رسالة ماجستير - ١٩٧٥ نقلًا عن محمد عبد الغنى حسن : التراجم والسير . دار المعارف ط ١٩٦٩ م .

تقول "فرجينيا وولف"^(١) "إنها ليست فناً .. ولا علماً ؛ إنما هي نوع من الصنعة الراقية، وهي خادم للحقبة والصراحة والنزاهة ، وهي الآلهة الثلاثة التي ترعى السيرة وتقف عندها " .

نشأة السيرة عند العرب :

"وقد عرف فن السيرة عند العرب .. وأول ما عرفوه كان عن طريق السيرة النبوية. كان ظهور الرسول بين العرب وتطور حياته فيهم ؛ من الطفولة إلى الشباب .. إلى أن تلقى الوحي وبداية الدعوة وكفاحه في سبيل نشر هذه الدعوة .. وغزواته .. كل هذا كان له أكبر الأثر في توجيه العلماء إلى كتابة السيرة النبوية ، حباً و حفاظاً على تاريخ نبيهم الكريم باعتباره قدوة حسنة كما وجه القرآن إلى ذلك في قوله تعالى : ^(٢) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

كما عنوا عناية فائقة بتدوين حديثه صلى الله عليه وسلم باعتباره جزءاً من حياته وتعليماته " .^(٣)

"تأثير القرآن في كتابة السيرة"^(٤)

ولم تكن الغاية الخلقية معدومة في نشأة التاريخ والسيرة عند المسلمين ؛ فإن القرآن الكريم وهو الذى عمق الإحساس التاريخي عند العرب حين قص عليهم قصص الأمم الخالية ، وحين وصلهم بالأمم وجعل تاريخ الخليقة مجالاً لنظرهم ، إن القرآن حين فعل ذلك كله ، كان يهدف إلى إثارة العبرة في نفوسهم ؛ ولكن من المدهش حقاً أن هذه الغاية الخلقية كانت أضعف المظاهر حين بدأ المسلمون بكتابة السيرة وقد بدأوا بكتابة سيرة الرسول ، وكان هذا البدء يشير إلى درس أخلاق عميق في حياتهم ، لو شاعوا أن يتخذوا سيرة الرسول لتلك الغاية ولكنهم لم يفعلوا ، بل كتبوا سيرته تحت مؤثرات أخرى ، نفرد منها بالتميز عاملين كبيرين: الأول : أن سيرة الرسول جزء من السنة ، فهي والحديث مصدران هامان من مصادر التشريع ، ومنهما تستفاد الأحكام "

والثاني : إن المسلمين كانوا قد ورثوا نظرة الجاهليين إلى التاريخ ، وهي نظرة قائمة على "الأيام" وطبيعة الحرب وشئون القتال ، .. ولم يكن هذا محض تقليد لنظرة الجاهليين ؛ بل كان في مستلزمات الجماعة الإسلامية ما يؤيده ويدعوا إليه ذلك لأن الفتوحات الإسلامية التي

(١) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية في أدب طه حسين : ص ١٥ نقلاً عن ليون أدل ترجمة صدقي خطاب من السيرة الأدبية ، ص ١٦٣ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

(٣) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية في أدب طه حسين ، ص ٢١ .

(٤) إحسان عباس : فن السيرة : ص ١٢ ، ١٣ ، دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٥٦ م .

انبعثت من سنة الرسول في هذا المجال ؛ مثال ؛ كيف يعامل الرسول الأسرى:- ويقسم الفئء؟ وهل تتيح الأعمال الحربية قطع الشجر وتخريب الزروع وقطع المؤن ليلجأ العدو إلى التسليم ؟ "

" المراحل التي مرت بها السيرة في العصر القديم " (١)

" وهذه النظرة المحدودة الدينية لهذا العلم لم تجاوز ذلك المنهج الذي كانت تعيش في إطاره إلا متأخرة ؛ فقد بدأت رواية ثم جمعاً وتبويباً وأخذ هذا الجمع والتبويب يصور صوراً مختلفة وعاش في ظله شراح ومعلقون . "

" تطورها في العصر الحديث " (٢)

ولكنها في العصر الحديث بدأت تأخذ مساراً آخر أكثر تطوراً باتصال الأدباء بفنون السيرة الأدبية في الآداب الغربية . "

وتبارت الأقلام في الكتابة عن الصحابة والخلفاء والملوك والقادة والأدباء والمشاهير ، تكتب عن حياتهم مصورة عصورهم تستقي من مصادر قديمة ومعلومات مجموعة لكن بأسلوب جديد ، ونهج جديد . تتبع مدارس علم النفس وتستند إلى أحدث النظريات التي تأخذ في الاعتبار تأثير البيئة والمجتمع والجنس ، فخرجت الدراسات الحديثة بشكل مكتمل يفيد القارئ ويرويه بكم كبير من المعلومات والنتائج عن الشخص المترجم له وعصره وبيئته ومجتمعه وتفاعل ذلك كله مع بعضه بعضاً "

" واتجهت في ظل النهضة الحديثة اتجاهات مقارنة لما في الغرب ، فتأثرت بالدراسات النقدية للنصوص ، والنظريات النفسية والبيولوجية : وأصبح أكثرها أقرب إلى المظهر العلمي منه إلى المظهر الأدبي .. " (٣)

" صفات كاتب السيرة " (٤)

أهم صفاته المميزة : العدل والاعتدال . فيذكر ما لصاحب السيرة وما عليه . فلا يندفع في إصدار أحكام تعظم من أمره .. أو تضعه في مكان من حقيقته . أو أحكام تنقص من قدره أو تحط من شأنه - أي يكون منزهاً عن الهوى . متجرداً من ميوله الشخصية . اصف إلى هذه الميزات الذوق الراقى والقدرة على الانتقاء . وهنا يحتاج إلى حاسة الناقد الناقدة ليقوم بعملية الاختيار .

(١) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية في أدب طه حسين ، ص ٢٣ . نقلاً عن طه حسين كما يعرفه أدباء عصره : إبراهيم الأبياري .

(٢) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية في أدب طه حسين : ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) إحسان عباس : فن السيرة : ص ٢٥٩ .

(٤) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية في أدب طه حسين : ص ١٢ .

لابد أن يكون كاتب السيرة صاحب طبيعة وحساسية خاصتين ، فهو كاتب وناقد محقق وذواقه فى نفس الوقت ."

"والحقيقة الأهمية الكبرى ؛ فإن كاتب السيرة الذى يحاول أن يستغل الشخصية التى يتناولها للإعلان عن عقيدة أو عن حزب .. حتى ولو كان ذلك بقصد الهداية ؛ إنما هو مدلس وغير أهل للثقة .. ويجب ألا يؤثر تجاوبه مع الشخصية على حياده ويجب أن تترك الحقائق وحدها تتكلم عن نفسها ، على أن يكون نقده مذكوراً ضمن هذه الحقائق وليس مؤكداً لها"^(١) يقول "أنيس المقدسى"^(٢) "لا يكتسب العمل الأدبى صفة السيرة بمعناها الحقيقى إلا إذا كان تفسيراً للحياة الشخصية فى جوهرها التاريخى .. أو كما يقول ناقد عصرى : أن يكون فيها ملتقى الحق الفنى بالحق التاريخى ؛ فهى ليست مجرد أخبار تاريخية ولا هى مجرد تحليلات نفسية أو اجتماعية ، بل هى كل ذلك مسبوكة فى قالب فنى ذى طلاوة ورواء" ويقول "إحسان عباس"^(٣) "كاتب السيرة ؛ أديب فنان كالشاعر والقصى فى طريقة العرض والبناء ، إلا أنه لا يخلق الشخصيات من خياله ، ولا يعتمد الشخصية الأسطورية ، ككاتب المسرحية .. ومن ثم كان فى طريقته أقرب إلى المعمارى ؛ وهو كالمؤرخ فى قوة النقد ، وكالعالم فى القدرة على التصنيف والتقسيم"

"إن كاتب السيرة أديب يخوض الصعب وهو الذى ربما نظر الناس إليه على أنه صاحب صنعة سهلة باعتبار أن مادته جاهزة وميسرة بين يديه سواء كتب عن نفسه أو عن غيره ، ولكن الواقع غير ذلك فالحقيقة أن كاتب السيرة أديب من نوعية مختلفة عن باقى الأدباء. فلا بد أن تجتمع له مواهب ربما فاقت مواهب الأديب الذى يتناول فروعاً أخرى من الأدب. فهو مطالب بأن يجعل من كتابته للسيرة هدفاً كبيراً ويفتح أفقاً جديدة للناس مستمدة من التجارب يخوضها بقلمه .. عليه أن يصور هذه التجارب بصورة تجذب القارئ وتجعله يعيشها."^(٤)

وبعد آن لنا أن نعرض السيرة المحمدية من خلال مقالات فريد وجدى.^(٥) ويبدأ فريد وجدى "بالتمهيد للسيرة موضعاً الصعوبات التى أجلت بحثه"^(٦)

(١) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين ج ١ : ص ٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٣ نقلاً عن الفنون الأدبية وأعلامها ص ٥٤٧ ، ٥٥١.

(٣) إحسان عباس : فن السيرة : ص ٨٥.

(٤) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين : ص ٩.

(٥) جمع هذه المقالات وعلق عليها فى المقدمة د. محمد رجب البيومى - تحت عنوان السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة - بقلم محمد فريد وجدى.

(٦) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٣٧ ، ٣٨ - نقلاً عن مجلة الأزهر أول المحرم سنة ١٣٥٨ هـ.

"تبدأ في نشر دراسات متتابعة في حياة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم على أسلوب جديد تحت ضوء العلم والفلسفة كانت هذه أمنيته منذ سنين ، ولكنى كنت أرجئ تحقيقها ، لا إثارة لغيرها عليها ، ولكن لما كنت أشعر به من المشقة العظيمة في توفيتها حقها من الناحيتين العلمية والفلسفية على ما ينبغي أن تكون عليه في بيئة أصبحت مطامعها لا تقف عند حدّ. فالناس اليوم - وخاصة متعلميهم - لا يقتنعهم سرد الحوادث التاريخية دون معرفة عللها الأولية ، سواء أكنت من طبيعة البيئة ، أم من مقتضيات الاجتماع ، أم من مستلزمات العاطفة الدينية التي جلبت عليها النفوس البشرية."

"ولا يكفيهم سرد أطوار النبوة وحالاتها دون معرفة ماهية النبوة في ذاتها ، وهل هي حاجة من حاجات الروح الإنسانية كما يقول الدينيون ، أم هي مجرد ظواهر اجتماعية. والميل إلى تأييد أحد هذين التيارين الفكريين يستدعي إقامة الأدلة القاطعة عليه ، ولا يمكن أن يؤخذ كقضية مسلمة ، وخاصة في هذا الدور من تنازع المذاهب الفلسفية."

ثم إن الكلام عن الوحي وأساليبه ، والاتصالات الروحانية بالملأ الأعلى ، وإمكان استمداد العلم عن العالم العلوي مباشرة بواسطة الملك ، خلافاً للسنة المعروفة بين البشر ، كل هذا لا يتأتى للعقل الراهن أن يسلمه بغير أدلة تناسب خطورته الاعتقادية ، فالتزام كتابة السيرة النبوية تحت ضوء العلم والفلسفة يوجب إيراد هذه الأدلة ، ويوجب أن تكون من القوة ، وصحة الدلالة بحيث تصلح أن تتلج عليها الصدور ، وتطمئن إليها العقول ، لا أن تكون مسلمات تحكيمية في صورة أدلة علمية.

لا أنكر أن هذا كله من أشق الأعمال الكتابية ، وأن المتكلف له بسبيل فتح طرائق جديدة للتدليل على أمور روحية يعتبرها أكثر الناس أجنبية عن المحاولات العلمية.

ولست تنحصر صعوبة هذا البحث في هذه الناحية الروحية ، ولكنها تمتد إلى نواح أخرى علمية باحتة يصعب تعليلها بالأسباب المادية على مقتضى الدستور العلمي ، وسنضطر إلى تلمس علل لها من عالم ما فوق الطبيعة ، وهذا موضوع نزاع سيكون بيننا وبين العلم الاجتماعي نفسه^(١) لأنه لا يعترف بذلك العالم العلوي ، ويهون عليه أن يلتمس للحوادث عللاً واهية أو يتركها بدون تعليل تحاشياً من نسبتها إلى علل غير طبيعية"

ويوضح "فريد وجدى" السبب الذي دعاه لكتابة السيرة ؛ محاولة لتثبيت المؤمن وزيادة اليقين في نفسه.

(١) يشير إلى قضية ناقشنا مفصلة فيما بعد وهي قبول العرب بعثة محمد لأنهم كانوا مستعدين لذلك ، ص ٣٨ ، ٤٠ من السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة - وسنشير إلى هذا في مبحث الأدب الجاهلي .

يقول^(١) "أراني من ناحية مضطراً لأن أقول : إن الكثيرين ممن تناولوا منا السيرة المحمدية بالكتابة جعلوا معتمدتهم الأساليب الخطابية ، والأفانين البيانية ، ولم يغنوا أقل عناية بحاجة القول القوية المجبولة على التشكك والتثبت ، فأسرفوا في إهمال الناحية الإقناعية ، وتهافتوا على الناحية التسلمية ، فجرهم هذا الموقف إلى قبول كل ما وضعه الخراصون من المبالغات التي ضاهأوا بها ما ورد من أمثالها عن الأمم المختلفة ، معاصين بذلك كل ما ورد في الكتاب من وجوب مجانبة الغلو في القول ، وضرورة التثبت في النقل ، والتمحيص في الرواية ، فجاءت السيرة المحمدية زاخرة بالأقاصيص الخرافية والروايات الموضوعة.."

"وقد تناول التأليف في السيرة في العهد الأخير رجال من أهل الثقافة الحديثة ، فوفوا بحاجات في نفوس الناس وبقيت حاجات أخرى ... ولا يجوز أن تكون سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على هذا النحو من النقص ، وخاصة في هذا العهد الذي بلغت الشكوك فيه أبعد مدى يمكن أن تصل إليه ، ووصل الاستخفاف فيه بأمر النبوات إلى حد لم يبلغه حتى في أظلم عهود الجاهلية."^(٢)

ويرى "وجدى" أن الحل في الدفاع عن الإسلام باستخدام العلم الذي يرفض التشكك يقول^(٣) "لقد أصبح القول الفصل اليوم للعلم وقد رفض هذا العلم كل ما عرض عليه من أساطير الأولين حتى العقائد التي بادت في سبيل الدفاع عنها أمم برمتها ، وهذا العلم اليوم واقف لنا بالمرصاد ، ليفعل بعقائدنا مثل ما فعل بعقائد الذين سبقونا إليه ، والأمم الإسلامية اليوم محفوزة إليهم بحكم التربية العصرية ، فوجب على القادرين منا على حمايته من الخطر العلمي أن يعملوا على شاكلتهم في هذه السبيل."

وأول قضية تناولها فريد وجدى هي النبوة وإثباتها ، وتدرج في إثباتها من خلال معنى الإلهام لدى الحيوانات والعبقرية لدى الإنسان. فلنستعين هنا بعرض موجز وافٍ للدكتور محمد رجب البيومي^(٤) مع تعليقه.

يقول .. "البيومي"^(٤) "إن أول موضوع بدأ به الباحث هو موضوع عالجه الباحثون من قبل ، ولكن معالجة الأستاذ محمد فريد وجدى كانت جديدة من وحيه الخاص ، وقد قال إن الأدلة المنطقية على صحة النبوة كثيرة ، ولكن العقول المعاصرة تتطلع إلى الأدلة العلمية

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤١ .

(٤) المصدر السابق : المقدمة ص ١٥ .

الملموسة لا إلى الأدلة المنطقية المعقولة ، وعلى من يريد أن يتقدم بالدليل العلمي الشاهد في رأى الباحث أن يتساءل عن أمور ثلاثة :-

١- "هل في الوجود المحسوس ما يدل على حدوث معرفة الكائنات نفثاً في الروح من غير طريق الحواس".

٢- "هل توجد حوادث إنسانية يقرأها العلم نفسه تثبت وجود اتصال باطنى بين النفس وبين عالم أرقى منها".

٣- "هل يمكن أن يعترف العلم بوجود عالم روحانى فوق عالم المادة يسوغ اعتبار الوحي أمراً ممكناً؟

هذه هي الأسئلة التى تصدر الأستاذ للإجابة عنها بما يملك من جهد فكرى. فقال عن السؤال الأول وهو الخاص بمعرفة بعض الكائنات لأشياء كثيرة نفث في الروح من غير طريق الحواس ، قال إلهام الحيوان أمر ظاهر لا شك فيه فالفراش متى وصل إلى الطور الثالث من حياته يضع بيضة على أوراق خضراء ، وهذا البيض لا يفقس إلا فى الفصل الثانى بعد وفاة الأم فيتهدى الوليد الجديد ليأكل من الورق الأخضر ، ويتسائل الكاتب من الذى علم إناث الفراش أن صغارها تحتاج إلى الغذاء ، هل هديتها الأمهات إلى ذلك ، وهى لم تر أمّاً فى حياتها ، هل هديت إليها بعقولها ؟ إنها ليست ذات عقول فلم يبق إلا القول بالإلهام.

ثم استعرض الأستاذ^(١) حشرات وحيوانات شتى مثل : (النيكروفو) التى تموت بعد أن تببيض مباشرة وتجمع جثثاً حيوانية لأولادها الصغار قبل أن تموت ، ومثل : (البومبيل) من أكلة الحشائش ، وقد هيات لها الأم ما تتغذى به من الحيوانات لأنها فى الفترة الأولى من حياتها لا تستسيغ الحشائش ؟ فمن أدراها أن صغارها ستخرج من أكلة الحيوانات ؟ أمثلة شتى استعرضها الأستاذ ليثبت أن الإلهام يأتى نفثاً فى الروح لدى الحيوان ، فلا يستبعد لدى الإنسان ، ولم ينس أن يذكر ما قاله الطبيعيون فى الرد على ذلك بأن هذا الإلهام عادة موروثة فهى داخلية إذن ، فقال مفنداً هذا الرد كيف يعقل أن تتفق عليها هذه الحيوانات فى كل زمان ومكان ؟ وكيف تورثها لأحلافها ؟ وقد ثبت علمياً أن الوراثة للصفات والعادات غير ممكنة؟ ويعقب^(٢) د. محمد رجب البيومى مؤكداً له وموضحاً "وأنا أزيد على الأستاذ فريد وجدى فأتساءل ؟ إذا كانت هذه الاحتياطات عادات موروثة ؟ فكيف اهتدى إليها الموروث الأول ومن دله على أن يكتشف غيباً لا يكتشفه إنسان مفكر فضلاً عن حشرة صغيرة! إن الإلهام الخارجى ثابت إذن"

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٦ المقدمة.

(٢) المصدر السابق : ص ١٦ المقدمة

"وفى الإجابة على السؤال الثانى الذى يتساءل عن حوادث إنسانية يقرها العلم نفسه تثبت وجود اتصال باطنى بين النفس وبين عالم أرقى منها؟ ذكر الأستاذ ما عرف عن عقليات تتصف بالعبقريّة تأتى بقفزات مدهشة!"

ويحلل د. "رجب البيومى" اعتماد وجدى على العبقريّة "والأستاذ لا يستشهد بالعبقريّة لاثبتها لمحمد صلى الله عليه وسلم فهو يرى أنه نبي موحى إليه^(١)

"ولكن مظاهر العبقريّة لدى بعض البشر ، وهى الأمر الخارق للعادة ، والصفة التى لا تخضع لقانون ، هذه العبقريّة قد وجدت فعلاً ، فرأينا من الناس - وقد شاهدنا ذلك عياناً فى مصر - من يضرب رقماً حسابياً مكوناً من خمسة أعداد فى رقم مماثل ويأتى بالنتيجة صحيحة فى سرعة عجيبة! فكيف اهتدى ذلك الشخص إلى الجواب ، وقد يكون أمياً ، لا شك أن اتصالاً راقياً كان يمدّه بما لا يستطيع أن يقوم به كبار النابغين بديهية دون عدّ ، ومتى ثبت أن هناك اتصالاً للعبقري ! فالأولى أن يكون هذا الاتصال العلوى للنبي !"

ويكرر "البيومى" تعقيبته^(٢) " مرة أخرى ، أقول إن الأستاذ وجدى لا يثبت العبقريّة لمحمد لجعلها أساس النبوة ، ولكنه يقول إذا تصورنا العبقريّة فى الحياة بأعماله الخارقة !

(١) وللاستاذ فريد وجدى مقالات حول موضوع العبقريّة نشرت فى مجلة الهلال سنة ١٩٣٥ ، وكانت على هيئة حوار ونقاش بين فريد وجدى وأمير بقطر ؛ تناول فيها نشأة العبقريّة ، وهل هى وراثية أم مكتسبة ، مع ذكر نماذج لأشهر العباقرة وكان وجدى يرى بأن العبقريّة إلهام إلهى من عند الله عز وجل.

(٢) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة / ص ١٦ ، ١٧.

يبدو أن الأستاذ محمد رجب البيومى قد خشى أن ينسب إلى فريد وجدى ما نسب إلى بعض أتباع مدرسة محمد عبده من إنكار النبوة والمعجزات.

وقد اتهم الشيخ مصطفى صبرى فى كتابه القول الفصل - محمد فريد وجدى - بهذه التهمة وذلك حين علق على منهج فريد وجدى فى السيرة حين قال وجدى "وقد لاحظ قراؤنا أننا نحرص فيما نكتبه فى هذه السيرة على أن لا نسرف فى صرف كل ناحية إلى ناحية الإعجاز ، ما دام يمكن تحليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشيء من التكلف. مسابقة للمذهب المبالغين. فى التثبت والمحافظين على إقامة الدستور العلمى ، ثقة بأن بحثنا لا تحترمه النخبة المثقفة ولا تجد فيه صورة صحيحة لمثلها الأعلى فى عرض المسائل وتحليلها لا يمكن أن يودى إلى ما قصد منه من الخدمة العامة .

- ويعلق الشيخ مصطفى صبرى قائلاً " يصرف مواطن الإعجاز عن الإعجاز ليرضى النخبة المثقفة ويؤول الأمور العادية لجعلها معجزة .. فظهر أن الأستاذ بعد أن تولى الوظيفة الأزهرية كالأستاذ قبله فى عقلية المناوئة للمعجزات ومذهبه مذهب المحافظين على إقامة الدستور العلمى الذى لا يقبل ما لا يمكن إثباته بدليل محسوس كالأمور الغيبية التى تؤمن بها الأديان ، وليس هذا إلا مذهب ملاحة الماديين والإثباتيين أو الوضعيين .."

القول الفصل : مصطفى صبرى : ص ٣٧٣ ، القاهرة سنة ١٣٦١هـ - مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه .

وتساءل لمّ هذا المحجوم ، فمنهج وجدى فى السيرة هو تحليل الأمور من خلال العلم ونسبها فى النهاية إلى القدرة الإلهية ، أليس هذا هو الإعجاز وكونه يلجأ إلى الأسلوب الأصعب على الكاتب والأسير فى إقناع الناس ؛ أن يناقش ويحاور ليصل إلى الاقتناع والإيمان بهذه المعجزات يكون هذا هو الجزء ؟ حتى لو جانب وجدى الصواب فى اتباع المنهج ، فلا يليق رمية بالإلحاد .

علماً أن المؤلف (مصطفى صبرى) سبق ونقد العنوان " السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة " متهماً وجدى بإنكار الخوارق ضمناً لما يستحيل به الجمع بين النقيضين " العلم والفلسفة " المصدر السابق ص ١٠ ، ١١ .

فمن المعقول أن نتصور النبي بإلهاماته الصادقة ؟ فما العبرى حينئذ إلا مثل مقرب فقط .
وقد استعرض الأستاذ أمثلة شتى لأناس من الغرب أدهشوا العالم بخوارقهم الحسابية والرياضية والموسيقية والشعرية ناقلاً قوله عن الشهود لهم من كبار الأكاديميين في إنجلترا وفرنسا لينتهى إلى وجود اتصالات روحانية باطنية تمد الإنسان عن طريق العقل العادى . "

أما السؤال الثالث عن اعتراف العلم بعالم روحانى فوق المادة ، فقد تحدث عنه الأستاذ وجدى بإشباع مستفيض فى كتاب على أطلال المذهب المادى ، ثم أوجز حديثه فى مقال مركز لينتبت ما قاله الروحانيون من أساتذة الجامعات الأوروبية عن القوى المجهولة التى تظهر آثارها أمامهم ، ويحارون فى تحليلها ، ولكنهم على تحيرهم فى التعليل لا يستطيعون أن ينكروا وجودها ، وهى تأخذ عليهم كل سبيل !

وقد قال الأستاذ وجدى فى خاتمة حديثه ^(١) " ولسنا نريد أن نثبت إمكان الوحي بالاستناد إلى هؤلاء العلماء فيما وراء الطبيعة ، فقد أثبتنا وجوده بالحس من الغرائز التى طبعت عليها الحيوانات ، ومن حوادث العبريات ، ولكننا نستأنس بها فى بحثنا هذا دلالة على أن الإنسانية قد اجتازت دور الافتتان بالماديات ، وبدأت تدخل إلى عهد من الحياة تنفق فيه فتوحات الروح من طريق النبوة وفتوحات العقل من طريق العلم . "

وهنا يعلق د. محمد رجب البيومى ^(٢) " على أننا إذا تأملنا ما أورده الأستاذ فى هذه النواحي الثلاث فإننا نجد الناحية الأولى ثابتة بنص القرآن إذ قال الله عز وجل : ^(٣)

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٣٨﴾

أما اختلاف العقول قوة ونبوغاً وابتكاراً - وهى الناحية الثانية - فمن المشاهد الملموس الذى لا ينكره أحد . فإذا نظرنا ثالثاً إلى تمسكه بما انتهت إليه الدوائر الروحية فى جامعات الغرب من شواهد دالة على وجود العالم العلوى ، فإننا نجد هذه الشواهد ، مما يستأنس بها فحسب ، كما قرر ذلك بنفسه ، أما حقيقة الروح فهى من أمر الله !

وقد قال الله عز وجل : ^(٤) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

" وإذا انتهى الأستاذ من التدليل العلمى على ثبوت الوحي ، انتقل إلى التدليل على ثبوت النبوة ، فينكر أشد الإنكار أن يذهب الماديون إلى أن النبوة أثر من آثار السداجة

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٧

(٢) المصدر السابق : ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) سورة النحل : آية ٦٨ .

(٤) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

الإنسانية الأولى ، ويرى أن الحاجة إلى النبوة أصيلة في النفس البشرية ، لأن المجتمع الإنساني كالجسم الحى ينفى بقواه الذاتية كل ما لا حاجة إليه فيه ، ولم يستطع فى أى طور من أطوار حياته أن ينفى رغبته فى العزاء النفسى أمام ما يصيب الإنسان من الكوارث ، وهو عزاء لابد منه أمام الكوارث المتتالية ، والخطوب المستمرة ، فقد يستحوذ الإنسان على المال والجاه والسلطان ثم يعوزه العزاء حين يقعده المرض أو يصيبه الموت فى أعز الناس لديه ، فما يغنى عنه الثراء أو السلطان شيئاً ؛ ولكن عزاءه يكمن فيما جاءت به النبوة من وجود ملتقى نهائى فى عالم الغيب به يجتمع الشمل ، ويهون الفقد ، هذه الحاجة الماسة إلى العزاء وجدها الإنسان فى تعاليم النبوات - كما يقول الأستاذ وجدى - فهى التى تتولاه وهو أشد ما يكون احتياجاً إلى كلمة طيبة تشرق عليه بالأمل ، كيلا يظل يائساً تصطدع فى نفسه الهموم فيحاول صرفها بالشراب والرحلة والاندماج فى الملهى دون جدوى لأنها لا تبرح نفسه أنى سار ! ولولا ما جاءت به النبوة من العزاء ما وجد السلوان . " (١)

انتهى عرض د. محمد رجب البيومى" ، وأبدأ عرض لبعض المواقف فى السيرة المحمدية قام بتحليلها محمد فريد وجدى معتمداً كما ذكر على العلم والفلسفة ملزماً نفسه بمبدأ لا يحيد عنه يقول (٢) "التزمت فى هذه السيرة أن لا أتجاوز أصول الدستور العلمى ، فلا ألجأ إلى الظن فى موطن يمكن تفسيره بالعلل الطبيعية وحياة النبی حافلة بالآيات الدامغة فلا حاجة إلى ما يمكن الخصوم من تجريحه ..."

أولاً : نصيب العالم من رسالة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم : (٣)
يفتح "وجدى" قوله بتأكيد عمومية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى المكان : " لو كانت الحركة التى أحدثها الإسلام انحصرت فى بيئتها التى نشأت فيها ، لما ساغ لنا أن نذكر نصيب العالم منها . " (٤) كما ينفى وجدى شبهة ذات ظلال استعمارية على دعوة محمد صلى الله عليه وسلم " لو كانت هذه الحركة ذات صبغة استعمارية باحتة ، لانحصرت بعد بلوغ شوطها الأقصى ، تاركة وراءها أحاديث الفظائع التى ارتكبت لتدويخ الأمم ، ولسلبها ما بأيديها من المال والعتاد ، ككل حركة من هذا النوع حدثت فى خلال العصور . " (٥)

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٥٣ .

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٧٣ : ٧٧ نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد العاشر ، الجزء

الخامس ، جمادى الأولى سنة ١٣٥٨هـ .

(٤) المصدر السابق : ٧٣ .

(٥) المصدر السابق : ٧٣ .

ويعود وجدى ليؤكد عمومية الزمان والمكان معاً لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن هذه الحركة لم تسكن حتى بعد وصول الفتوحات التي اقتضتها إلى نهايتها التي قدرت لها ، بل حتى بعد طروء الضعف والفتور على بنية الدولة الإسلامية التي تمثلها ، ويجب أن أقول حتى بعد أن ضاع استقلال

أكثر الممالك الإسلامية ، واشتد كَلْب الدعاة على أهلها في جميع البلاد الشرقية .^(١)

ويصل "وجدى" بالقارئ إلى مرماه وهو قوام تلك الدعوة المحمدية التي بقيت إلى الآن :يقول^(٢) " وهو يدل دلالة لا تقبل النقض على أن قوامها عنصر أدبي له وقع عظيم في النفوس ، لسبقائه مؤدياً مهمته في أثناء دور الفتور الذي أصاب جماعته ، وقد شوهد أنه اشتد وازداد سلطاناً على العقول عندما بلغ هذا الفتور أقصى درجاته في القرن الأخير .
هذا موضوع دراسة علمية لا يجوز إغفالها ، بل هو موطن القصد الرئيسي من الرسالة المحمدية ، إذا لم تكشف حقيقته ، وبقيت تحت حجب الإغفال ، استحالت السيرة المحمدية إلى مثل سير رجال التاريخ العاديين ، وبقي معنى الإسلام الذي استوعب كل حياة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده ، مجهولاً حتى أهله الأقربين ."

وحتى يحقق هذا الهدف يوضح لنا وجدى ما كان يفهمه المسلمون الأولون عن الدين:^(٣) "أنه ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الأول الذي أوحاه الله إلى جميع رسله في خلال القرون ..وأفسده القادة بالزيادة فيه والنقص منه .."

ويشير "وجدى" إلى ما نشأ على جزيرة العرب من حوارى أهل الأديان الثلاثة ؛ اليهودية والنصرانية والإسلامية ، ورد القرآن لدحض شبهات اليهود وشكوكهم في الإسلام . وقد نشأ من هذا كله حوار استخلص منه الأصول التي يقوم عليها الإسلام ، وقد وضع فريد وجدى اثنتي عشر أصلاً بعضها يكرر نفس المعنى وكأنه يؤكد أو يزيده وضوحاً ، من هذه الأصول :-^(٤)

" شرع الدين لتربية الإنسان وتكميله ، لا لتسخيره وتذليله .

قوام الدين العقل ، ومادته العلم ، وميزاته الدليل ، العقل المطلق عن أسرار الأوهام التقليدية ، والعلم القائم على الأعلام الوجودية ، والدليل الخالص من مؤثرات الأهواء النفسية.

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ٧٣ .

(٢) المصدر السابق : ٧٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٧٤ .

(٤) المصدر السابق : ص ٧٤ ، ٧٥ .

ومن الأصول التى تحمل التكرار فى معناها:- التكاليف الدينية ، المقيسة على الاستطاعة البشرية ، وللعاجز عن أدائها المعذرة."

- "الدين لا يحرم على الإنسان إلا ما يضره ، ولا ينهيه إلا عما يفسده ، ولا يعاقبه على الخطأ والنسيان ، ولكن على العمد والإصرار."

- "دين الله واحد لا يتعدد ، وإنما تعددت الأديان بسبب ما أدخله عليه زعماءها من آرائهم ، وما حملوها من تأويلاتهم."

- "خلق العالم الإنسانى كله من أب وأم ، فجميع أفراده إخوان ، وقد انقسموا بسبب كثرتهم إلى شعوب وقبائل ، فيجب أن يتعارفوا ويتآلفوا ، لا أن يتناكروا ويتناحروا."

- "المثل الأعلى للاجتماع أن يكون الناس أمة واحدة ، يدينون بدين واحد ، هو دين البشرية الأول الذى نزل على أسلافهم ، ولكن بعد تجريده من زيادات المتزيدين ، وأهواء المتحكمين ، وأضاليل المؤولين ، وأن يكونوا أمة عالية خاضعة لأحكام العقل ، ومتمشية مع فتوحات العلم ، وماضية قدماً فى تحقيق المثل العليا من العدل والإنصاف والمساواة والحرية والاستقلال ، والتطهر من بقايا الوحشية والصفات الحيوانية"

وبين "فريد وجدى" أن تلك الأصول مأخوذة من دفتى المصحف الشريف ، بينما الأديان الأخرى ملأها أصحابها بالعيوب من ذلك^(١)

١- "كان الناس يعتقدون ، كما أوهمهم بذلك قادتهم أن الدين لا يتناول بالعقل ، ولا يتحكم فيه بالنظر ، وإنما هو إيمان تقليدى لا يجوز أن يتردد عقل فى قبوله."

٢- "أما الوساطة بين الله وعباده ، فكانت فى نظرهم ضرورية."

٣- "أما المسؤولية الشخصية فلم يكونوا يقولون بها ، لأن القائمين على الدين هم الذين يجيبون عنهم فى الآخرة ، وهم الذين يتولون عند الله الشفاعة لهم."

٤- "أما تفاضل النفوس فكان من الأمور المقررة عندهم (فهم يفضلون القادة والزعماء)."

٥- "أما المثل الأعلى للاجتماع فكان فى نظرهم ما هم عليه ، وإن كانوا أسرى للتقاليد ، وعباداً للخيالات."

وبعد أن عرض وجدى لتلك المفاهيم الخاطئة التى شاعت فى الأديان الأخرى ، يقرر قيمة ما جاء به القرآن من أصول "هذه الأصول التى تولى نشرها القرآن ، ويصلح كل منها أن يكون ثمرة لثورة اجتماعية ، اجتمعت بين دفتى كتاب ، فتألفت منها روح إلهية قامت بها أمة .. وإذا شوهد أن هذه الروح تزداد على مدى الأيام فتاء وقوة ، فلأن كل ترق

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٧٦ ، ٧٧.

للإنسانية يظهرها ، ويجلى حقيقتها ، ويتولى إذاعتها ، فهي مما لا يعقل أن يضعف أو يزول بتمادى الأيام ، وكرّ الأعوام.^(١)

ثانياً : تعليل سرعة انتشار الإسلام :^(٢)

"إن السرعة التى انتشر بها الإسلام فى بيئات لا تعرف العربية وبدون دعوة منظمة ، قد حيرت مؤرخى العالم الغربى ، وهو حدث فى حد ذاته يوجب الحيرة ، لم يدون التاريخ له نظيراً فى حياة العالم كله."^(٣)

ويشير "وجدى" إلى انتشار الدين اليهودى المحدود وانتشار الدين المسيحى بالجبر أحياناً وخاصة عندما اكتشفت أمريكا فى القرن الخامس عشر فخالفت بذلك سماحة المسيحية.

ويوضح عمق هذه القضية سرعة انتشار الإسلام يقول^(٤) "ولكن الإسلام الذى يحرم مثل هذا الإجبار فى نصوص صريحة من كتابه :

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّسُلُ مِنَ الْغَيِّ

»^(٥)

.. ولم تكن له قط إدارة دعائية منظمة .. وبلغ عدد أتباعه فى نحو قرن واحد أكثر من مائة مليون نسمة ، ثم استمر تياره فى السرعة ، حتى بلغ إلى ما هو عليه الآن ، مقاوماً كل الدعايات السيئة التى تحاط بها سمعته."

ويوضح "وجدى" العلة الطبيعية لكل ما سبق "هذه الظواهر الغريبة لا يمكن تعليلها إلا بما ذكرناه ، من أن هذا الدين قد حمل إلى الناس روحاً إلهياً ، فيه من قوة السريان ، وعظم السلطان ، ما لجميع الحقائق الخالدة."^(٦)

ويذكر مثلاً من الأمم التى كانت تخالف العرب فى لغتها ولها مكانة مثل الأمة الفارسية العريقة فى السؤدد والمدنية بعد هزيمتها فى وقعة القادسية تحت قيادة سعد ابن أبى وقاص ،بذل أن تشتغل بدس الدسائس، وتدبير المكائد .. لإجلاء العرب عن بلادها إرضاء لأنفثتها القومية ، أخذت تشتغل بالدخول فى الإسلام .. وتعلم لغة المغير عليها و حذقها ، والتبحر فى علوم القرآن وفروعها .. حتى سأل السائلون : ماذا كان يحدث لو لم يقول الفرس والديلم والأجانب عن العربية هذه العلوم الإسلامية؟^(٧)

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ٧٧.

(٢) المصدر السابق : ٧٧ : ٨٣ نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد العاشر ، الجزء الخامس ، جمادى الأولى سنة ١٣٥٨.

(٣) المصدر السابق : ٧٧.

(٤) المصدر السابق : ٧٨.

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٦.

(٦) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٧٨.

(٧) المصدر السابق : ٧٨ .

ويناقش "وجدى" سبب تهاافت الأمم على الدخول فى الإسلام يقول^(١) "ألفت نظرهم لهذه الظاهرة النفسية المدهشة ، التى تدل دلالة قاطعة على أن هؤلاء الأقوام تلقفوا مبادئ هذا الدين لما آنسوا فيها أنها منزلة للإنسانية عامة ، لا لأمة خاصة .. فلم يقل مرة واحدة : يأيها العرب ، ولكنه قال عشرات المرات : يأيها الناس ، ويأيها المؤمنون . ولما رأوا أيضاً أن فى الإسلام غذاء أرواحهم ، وشفاء قلوبهم ، وسكن عقولهم ، ومطمأن نفوسهم." وأعطى وجدى فريد من الأمثلة^(٢)، مثال "أن دعاية الإسلام تنجح حيث تخيب جميع الدعايات الأخرى."

ويقصد بذلك أن البعثات البشرية بكل إمكاناتها لا تلاقى النجاح الذى يلاقيه بعض التجار وال دراويش الذين يدعون الإسلام . وذكر حال بعض البلاد والأمم التى علا شأنها فى الإسلام كالفرس ومصر وأفريقيا وبلاد العرب وأوروبا وإسبانيا .

ويتساءل "فريد وجدى" "لم يصل الإسلام إلى بعض الأمم ، وأم أخرى ضللت فيه؟" وهو لا ييأس من غلبة الحق يوماً وتغلب الدين الإسلامى ولكنه يعال ذلك قائلاً^(٣) "ربما استغرب باحث أن لا تؤثر أصول الإسلام على سموها هذا فى العالم المتمدن ، كما أثرت فيما عداه ، والواقع أن العالم المتمدن الذى استعصى على الإسلام ، هو أعصى ما يكون على العلم نفسه الذى كان ثمرة من ثمرات رجاله ، فلا يزال الناس فيه يعيشون على الضد بما يوصى به قاتون الصحة، وما يتطلبه ناموس الأخلاق ، وما يتقاضاهم إياه علم الاجتماع ، وتصيبهم على ذلك المثالات فلا يرفعون ... فهل يصح أن يقال اعتماداً على هذا : إنهم سيتسمرون على معصاة الحقائق؟ اللهم لا ، فلا بد لهم من متاب ، يوم يحدث تطور أدبى جديد ، فيتغلب العقل على الهوى ومتى حدث ذلك ظهرت أصول الإسلام هنا لك على أكمل ما هى عليه فى آية بقعة من بقاع الأرض وتم له الأمر"

وَلَعَلَّكُمْ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

"(٤)"

ويقرر أن ذلك الأمر نتيجة طبيعية للأصول التى تشتمل عليها الإسلام.

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة: ص ٧٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٨٢ .

(٤) سورة ص : آية ٨٨ .

ثالثاً : نفسية محمد صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها^(١)

ومن أفضل ما كتبه فريد وجدى "ما تحدث عن نفسية الرسول صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها ، ليرد على من يذهبون إلى أنه ادّعاها إدعاءً دون وحى منزل! بدأ فى سرد نشأة محمد إلى أن تزوج السيدة خديجة رضى الله عنها. ثم استعرض ما تمتع به محمد من صفات خلقية حميدة.

لم يظهر على محمد بن عبد الله كما يدل على ماسيثول إليه ، غير ميل كان فيه إلى السكنية والتفكير وهو يعظم تلك الصفة قائلاً^(٢) "وهى صفة لا يجوز أن تغفل أو أن يمر بها مرأ ، لأنها مظهر ما استتر فى سويداء نفسيته من النزوع إلى أفق الروح ، والاتصال بعالم الملائ الأعلى. وما لازمت هذه الصفة نفساً بشرياً إلا وجهتها هذا التوجيه الروحي على قدر ما فيها من قوة" وبعد ذكره لصفات الرسول صلى الله عليه وسلم من كثرة الصمت ، وانتصاره للحق وحبه للعزلة.

وهنا يقف محلاً هذا الأمر بالمنظور الفلسفى مرة وبالمنظور النفسى مرة أخرى فيتساءل^(٣) إلى ماذا كان يتطلع من وراء هذا التزهد؟ وللإجابة على هذا السؤال احتمالين؛ أولهما "زيادة موارده المادية. وثانيهما تحقيق مطامعه الاجتماعية؟ ولكنه يرفض هذه الإجابة ويناقشها يقول : "إن تحقيق هذين المطلبين لا يكون إلا فى الأسواق العامة .. لا كسر غار على رأس جبل لا يرقى إليه الطير ، لم تكن البيئة العربية التى تحفل بالمسائل الروحية وتعظم مدعى تمثيلها بين الناس ... وما كان لهم من كبير شأن عند العرب حتى يطمع امرؤ فى أن يعد من زمريتهم"

هنا يحار الفيلسوف^(٤) .. ولا تجد الفلسفة إلا جواباً واحداً وهو أنه كان نافرماً مما عليه قومه من الضلال البعيد ، كارهاً أن يشاطرهم هذه الحياة الحيوانية ، فلم ير إلا أن يلجأ للتفكير طلباً للهداية إلى سواء السبيل ...

هذه كانت بداية كل نابغة كبير ، وكل مصلح عظيم. ولكن فليسوفنا لا يكاد ينتهى إلى هذه الحقيقة ويفرح بها حتى يعترضه أمر خطير . وهو أن محمداً لم يخرج من غاره نابغة

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٨٤ : ٩٥ : نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد العاشر ، الجزء

السادس ، جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ هـ.

(٢) المصدر السابق : ص ٨٦ ، ٨٧.

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٨٩.

(٤) المصدر السابق : ص ٨٩ ، ٩٠.

كبيراً ، ولا مصلحاً عظيماً ، ولكنه خرج خائفاً ترتعد فرائصه ! .. هنا يعترف الفيلسوف بالعجز عن فهم ما حدث لمحمد ، ويترك مكانه للبسيكولوجى الخبير^(١) "وهذا البسيكولوجى كل ما يعنيه هو أن يتحقق ذلك الشخص الذى كان يظهر لمحمد ويكلمه

يقصد الوحى -أهو صورة ذهنية أم حقيقة لها وجود فى الخارج ، لأنه يعلم أن ضرورياً من الأمراض العصبية وخصوصاً الهستيريا تظهر للمريض بها أشباحاً لا حقيقة لها. وينهى "وجدى" تحليل البسيكولوجى لهذا المرض^(٢) "إن الصور الهستيرية لانتيجة لها غير إزعاج المريض وإقلاق راحته والتأدى به إلى الجنون أو ما يشبهه ، ولكن الصورة التى كانت تظهر لمحمد كانت تهديه للخير . "فيلجأ الى تحليل آخر "فيذهب فكره الى الشبح الروحاني الذى كان يظهر لسقراط ... أولاً: لانتفاء أعراض الهستيريا فى خاتم النبين كما تقدم."

"ثانياً: لثبوت تحقق أمور غيبية كثيرة أفضى بها الملك الى محمد."

أعطى وجدى أمثلة كثيرة من القرآن منها قوله تعالى " **أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعُ مُنْصِرٍ** " **سَبِّحْمُ الْجَمْعِ وَيُولُونَ الذُّبُرِ** " ^(٣) ولكن البسيكولوجى يعود ليشكك فى هذا الملك^(٤) " لا يزال يشك فى كنهه هل كانه وجود خارجى أم هو صورة ذهنية لمحمد أوجدها عقله الباطنى ؟ لذلك تراه يعمل على استيعاب جميع مراتب الوحى فى أثناء نزول القرآن ، فأولها : الرؤيا الصادقة فى النوم . وثانيها : ما كان يلقيه الملك فى صورة من غير أن يراه

وثالثها : خطاب الملك له عندما كان يتمثل له بشراً سوياً . ورابعها: رؤيته جبريل فى صورته الروحانية فيأخذ عنه . خامسها: ماكان يلقي إليه بصوت مثل صلصلة الجرس ، وكان هذا النوع أشده عليه ؛ فإن جبينه صلى الله عليه وسلم كان يتفصد فى أثناء عرقاً فى اليوم الشديد البرد "

ولكن البسيكولوجى العصرى كما يصفه وجدى لا يقتنع باستقلال جبريل عن شخصية محمد الباطنية فيستعرض متأماً الأعراض عند نزول الوحى عليه محمد صلى الله عليه وسلم . منها^(٥) " - أن ما ينسب للهستيريا من الهذيان يحدث فى أثناء النوبة فإذا أفاق المريض

(١) يقصد به عالم النفس.

(٢) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة: ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) سور القمر الآيات (٤٤ ، ٤٥)

(٤) المصدر السابق: ص ٩٢ .

(٥) المصدر السابق : ٩٢ ، ٩٣ .

لم يذكر شيئاً مما قاله . وهذا على عكس حالة محمد فقد كان لا ينطق فى أثناء الوحي بشيء حتى يتم ، فيعيد

كل ما ألقى إليه ويأمر بتدوينه " وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ

يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

"أن موضوعات الهذيان الهستيرية ، لا تخرج عادة عن تصورات وهمية تناسب الأعصاب المتعبة المريضة ، كتخيل المريض رؤية روح شرير يتوعد بالآذى أو يتقصده بالقتل ، أو يقلقه بالاستهزاء والتحقير ، ولم يشاهد هذيان هستيرى قط موضوعه نشر فضيلة ... وأنت خبير بأن موضوع الوحي الذى كان يتلقاه محمد صلى الله عليه وسلم كان أكبر شأناً من كل ما اشتغل به العالم الإنسانى وهو إذاعة الدين الأول الذى أوحاه الله إلى المرسلين الأولين ، خالصاً من جميع الأوهام البشرية.. وقد أثرت هذه الدعوة فسرت بين الأمم سريان البرق ومهدت الطريق لأصحابها للحصول على زعامة الأرض حتى قرر أهل البصر أن مآل الناس قاطبة الى حظيرتها."

ويتساءل "وجدى" مندهشاً (٢) فإذا كان هذا كله أثر هذيان هستيرية ، ونوب مرضية، فماذا أبقيت بعد هذا للوحي السماوى والفيض الإلهى.."

هنا لا يتمالك البسيكولوجى نفسه فيخرساجداً لله وهو يقول (٣) اللهم ما أقوى سلطانك وأسطع برهانك ، أمى فى أقصى بيئة عن العمران، وأبعد مكان عن معترك العقول...وبين ظهرائى أقوام لم يألفوا النظام... ينتدب أن يكون رسولاً للناس كافة فيدعوهم للكلمة الجامعة بينهم... وضارباً لهم المثل العملى بالقيام بتأليف أمة عالمية ليس فيها ظل من نعة القومية، ولا عصبية جنسية ، أمة كل ما فيها حق للكافة على السواء ، يسودها قانون أصوله الحقوق الطبيعية...أمة رأس مالها المعرفة ، وأصل دينها العقل ،وسلاحها العلم ووجهتها الحكمة، وغايتها المثل الأعلى فى الحياة ."

ويختتم "وجدى" هذه المناقشات والجدل بين الفيلسوف والبسيكولوجى متساءلاً (٢) " لا يعقل أن يكون كل هذا من عنده ، ولا بد أن يكون قد تلقاه من عالم علوى لا من هذا العالم الأرضى. لأن هذه التعاليم التى أتى بها محمد خاصة بالأفراد والجماعات والنظم والدستور ، أرقى من أية فلسفة نقلت لنا عن الأقدمين ، وأرقى من مجموعها متضافرة ، متساندة ، وكثير من أصولها سبقت زمانها الطبيعى بعدة قرون ، .. ومن العجيب أن موحى هذه

(١) سورة طه : من الآية ١١٤ .

(٢) محمد فريد وجدى السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ص ٩٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٤ .

(٤) المصدر السابق : ص ٩٤ ، ٩٥ .

الستعاليم يقرر أنها قد سبقت أوانها وأنها ستوجد من طريق النظر بعد زمان طويل ، فيعرف فضل الكتاب الذى أتى بها فقال "

سَرِيهِمْ عَايَتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (١)"
 أى دليل على الوحي أقوى من هذا الدليل؟"

وقد تكرر فى فصول السيرة لوجدى مناقشته للرسالة محمد الخاتمة وتأثيرها فى العالم كافة ، منها.

رابعة : مهمة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم (٢)

تدرج فى إثبات نبوة محمد والرسالة الإسلامية ؛ بأن ناقش أولاً تنازع أصحاب الأديان لقب الدين العام ؛ ناقش أولاً الديانة اليهودية وسماها (الإسرائيلية) "فلا نص فيها على أنها هى الديانة العامة التى شرعها الله للناس كافة ... وكتابهم حافل أنها ديانة أسرة بشرية واحدة هم بنو إسرائيل دون سواهم". (٣)

أما الديانة المسيحية "فإن أهلها يعتبرونها الديانة الأخيرة العامة مستنديين فى ذلك إلى اشتمالها على البشرى. بخلاص العالم من اللغة التى أصابتهم بسبب عصيان أبيهم آدم لله.. (٤) وقد استعرض "جدى" مبررات استبعاد تلك الديانة أن تكون عامة للبشر من تلك الأسباب:- (٥)

- ١- "قيامها على مبدأ الزهد والتخلص من علائق الدنيا ؛ والحياة الاجتماعية تأبى ذلك ، ولا أدل عليه من أن الأمم الآخذة بهذا الدين تقوم على المبالغة فى الاستكثار من المال ، وفى التورط فى علائق الدنيا خلافاً لما يوصيهم به."
 - ٢- "إبطالها أهم أركان التشريع ، وهو منع الاعتداء بالقوة ، والضرب على أيدي الجناة لكف أذاهم عن الناس ، وإصلاحاً لنفوسهم ..."
- ووجدى يعلق بأنه لا ينكر سمو هذه المبادئ ، ولكنها لا تتناسب مع كونها ديناً للعامة. ثم انتهى إلى سؤاله ؛ هل يصلح الدين الإسلامى أن يكون هو الدين العام. وأتى بالأدلة التى تؤيد هذا الصلاح :- (٦)

(١) سورة فصلت : من الآية ٥٣.

(٢) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٩٦ : ١٠٧ نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد العاشر الجزء السابع ، رجب ١٣٥٨ هـ.

(٣) المصدر السابق : ص ٩٨ بتصرف

(٤) المصدر السابق : ص ٩٩ بتصرف.

(٥) المصدر السابق : ص ١٠٠.

(٦) المصدر السابق : ص ١٠١.

أولاً : الآيات القرآنية وسبق أن أشار إليها وهى قوله تعالى " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ

بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ " (١)

وقوله تعالى " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ " (٢)

فبهذه الآيات لم يعد هناك شك فى أن الدين الإسلامى هو الدين الخاتم ، لكن وجدى استعرض المقدمات البديهية من وجهة نظره لهذا الدين . يقول (٣) " وهو لأجل أن يقيم هذا التطور الدينى الجلل على المسلمات العظمى وهى باختصار :- منها

- أن الله لا يخل أية أمة فى الأرض من الهداية بواسطة رسول ، فقال تعالى :- (٤)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾

- إن الأمم كانت تقابل هذه الهداية بالاستعصاء ، إلا أفراداً قليلين .

- إن الأمم التى كانت تأخذ بالأديان ، كانت تعتمد إلى تحريفها لتتفق وما هى عليه من وثنياتها . وكان لزعمائها مصلحة فى ذلك التحريف وهى استغلال جهالات تلك الأمم

لحفظ مكاناتهم

" (٥) أَفَنُظْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ

مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

" أن هذا الدين الحق الفطرى الذى أرسله الله إلى الأمة كافة بلسان رسوله ، قد أعاد الله إنزاله محمد صلى الله عليه وسلم رفعا للخلاف الذريع بين الأديان مع وحدة أصلها ..

- دين البشرية وحدة لا تتجزأ تشمل الإيمان بجميع من أرسلهم الله من رسل (٦) " فُؤَلُوا أَمْ كَافَرُوا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ

وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

" (٧) إِنْ أَلَيْكَ إِلَّا الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا إِلَّا كِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَفَيَّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١﴾

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ

أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٠﴾

(١) سورة سبأ : آية ٢٨ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٤٠ .

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٠١ ، ١٠٣ بتصرف .

(٤) سورة فاطر : آية ٢٤ .

(٥) سورة البقرة : آية ٧٥ .

(٦) سورة البقرة : آية ١٣٦ .

(٧) سورة آل عمران : آية (١٩ : ٢٠)

يريد أن ينهى قوله بأن ما صنعه محمد دليلاً قاطعاً على نبوته وأن ما يصنعه وحيّاً إلهياً لأنه لا يستطيع بشر صنعه ، خاصةً ونشأة محمد لا تساعد على ذلك .

خامساً : نظرة فى مناهضة المشركين للدعوة الإسلامية وما تنم عنه من العوامل .^(١)

أمر الح عليه "فريد وجدى" هو محاربة المذهب المادى الذى لا يعترف بالرسالات وهى قوة روحية إلهية تنطق بإعجاز الله وإرادته. يقول^(٢) "فقد اشتدت وطأة المذهب المادى عليهم حتى أنكروا المحسوسات ، فإن لم يستطيعوا إنكارها أولوها تأويلات شتى ، وذهبوا يتلمسون لها عللاً طبيعية ، للتوصل إلى إثبات أنها أمور إنسانية بحثة ، لا أثر لعالم الروح فيها ، إذ ليس لهذا العالم وجود حقيقى فى نظرهم."

ولكنهم على الرغم من ذلك فإنهم يعترفون بأمور خمسة يناقشها "وجدى" تباعاً ويوضح السبب فى مناقشتها قائلاً^(٣) "نحن نعالج كل هذه الأمور لإثبات صحتها ، وبذلك نقضى على أمهات الشبهات التى يكثر من ترديدتها خصوم الإسلام للإدلال على أنه دين بشرى" الأمر الأول^(٤) : إن شدة مقاومة الجاهليين للدعوة الإسلامية دلت دلالة قاطعة على فساد ما زعمه خصوم الإسلام من أن العرب كانوا قبل البعثة المحمدية فى دور نهوض

ويناقش "وجدى" هذا الأمر ؛ فقد فر المسلمون بدينهم إلى أرض الحبشة رغم تعصب المسيحية فيها "فلو كان لدى القرشيين نزوع إلى النهوض لوجدت هذه الدعوة إقبالا منهم ، فإن لم يكن إقبالا فتسامحاً يهيئ النفوس للتطور الجديد المنتظر.

ولكن الذى رأيناه أن ما قوبلت به هذه الدعوة من النفور والاستيحاش ، يقتلع فكرة النهوض من جذورها ويرمي بها إلى مكان سحيق ."^(٥)

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾

"مم عجبوا؟ ألم يسمعو قط أن الله أرسل فى جميع العصور إلى الأمم منذرين حذروهم ، مما تورطوا فيه من الآثام ، فأى عجيب فى أن يرسل الله إليهم منبراً منهم ، لا جرم أن التعجب من هذا الأمر يدل على أنهم كانوا مطمئنين إلى حالتهم إلى حد أنهم ما كانوا ينتظرون أن يسمعو من جراء التمداد فيها نذيراً ، ومن جسر على ذلك منهم اعتبروه ساحراً كذاباً!

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٢٨ : ١٣٨ نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد العاشر ، الجزء

العاشر ، شوال ١٣٥٨ هـ (بتصرف).

(٢) المصدر السابق : ص ١٢٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق : ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٥) سورة ص : من الآية (٤)

و الأدل من ذلك على أنهم كانوا مجردين من بواعث النهوض ودواعيه الأولية ، قولهم كما حكاه الكتاب الكريم عنها : " مَسْمَعَنَا بِهَذَا فِي أَلَمَلَةٍ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْخَلِقُ ^(١) " يريد بالملة الآخرة الديانة التي كان عليها آبائهم. وهذا يسجل عليهم أنهم كانوا شديدي المحافظة على تقاليدهم لا يبيعون عنها حولاً ، حتى إن كل ما جد من الأمور لا يقيمون له وزناً ما دام لم يرد إليهم عن طريق ديانة آبائهم. ويجرى هذا المجرى في الدلالة على تجردهم من جميع الحوافز للنهوض قولهم كما حكاه القرآن الكريم عنها ^(٢) " إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ^(٣) " الأمر الثاني : ^(٣) رسوخ المسلمين في عقائدهم إلى حد صبرهم على الاضطهاد والاستشهاد في سبيلها.

"إن تاريخ العالم حافل بصنوف الاضطهادات التي عومل بها المبتدعة والمخالفون ، سواء أكان مثارها خلافاً دينية أم سياسية ، تكشف لنا مبلغ ما تستطيع العقيدة أن تمد صاحبها به من الصبر والثبات ، حتى تصل به إلى أقصى حدود البطولة ، ولكننا في كل ما رأيناه لم نشهده في طبقة العبدان والإمام ، كما شهدناه إبّان الدعوة الإسلامية ... أن عدداً لا يستهان به من الأرقاء ذكوراً وإناثاً ، دخلوا في الإسلام ، فحمل ذلك ساداتهم على تعذيبهم بالحديد ، فلم يرجع منهم واحداً أو واحدة إلى ملتها"

"وهذه الحالة من الاستهانة بالحياة في سبيل العقيدة في أمة كالأمة العربية التي لا يحفظ عنها تاريخها كبير عناية بالدين ، تعتبر ظاهرة عجيبة ، ويزيدها قيمة أنها وقعت في شعب غير متطور في الناحية الدينية كغيره من الشعوب الكبيرة ، فلم يسمع في تاريخ العرب كله أن قبيلتين اقتتلتا لنصر وثن على وثن ، أو لتأييد فهم جديد لأمر من أمور الدين". الأمر الثالث : ^(٤) "حدوث انقلاب لا نظير له في النفسية العربية بسبب الإسلام وحده ، إذ أيقظ فيها العاطفة الدينية.

"هذه علة للأمر السابق ، فلولا أن الإسلام أيقظ العاطفة الدينية في نفس الأمة العربية ، لما كان يعقل أن يتعصب له ناس فيقيمونه في وسط ملة معادلة له ذات كثرة ونخوة جاهلية ، ويقفون به وقفة بطولة راضيين بأن يتأملهم أشد ضروب الإيذاء في سبيله

(١) سورة ص : الآية (٧).

(٢) سورة الزخرف : من الآية (٢٣)

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٣١ : ١٣٣ .

نعم إن النفوس البشرية لا تتجرد من العاطفة الدينية ، وكان للعرب الجاهليين قسط منها ، بدليل ما ورد من أخبار أصنامهم وأساطيرهم ، ولكن هذه العاطفة عندهم كانت ضعيفة إلى حد بعيد جداً."

ويؤيد "وجدى" هذا بقوله^(١) .. "لم يكن ببلاد العرب رجال راسميون للقيام بالخدمة الدينية ، عدم وجود كتاب مقدس لدى عرب الجاهلية ، يجمع بين دفتيه ما كانت تدين به من العقائد ، فبعث هذه العاطفة القوية في قلوب أمة هي أعصى أمم الأرض قياداً ، وأشدّها عناداً ، يعتبر من الأمور التي لا يعقل حدوثها في سنين معدودة ، فأى عقل لا يحار عندما يلقي بنظرة على الأمة العربية قبل البعثة المحمدية فلا يجد فيها غير حروب تشب نيرانها ، وغارات يثور عجاجها .. فإذا ألقى عليها بنظرة بعد البعثة وجد فيها سلاحاً ضارباً سرادقه فوق الكافة ، وأخوة محقت ما كان من آثار الجاهلية"

ويكرر تساؤله^(٢) أى عقل يحار إذا شهد هذا الانقلاب الذريع وتدبره ، هذا المنظر وحده يشهد برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويؤيد أن هذا الدين روح من أمر الله أنزلها على العرب ، كما أنزلها على غيرهم من الأمم ، فقامت تنفذ ما أراد الله أن يتم على يديها من الأحداث العالمية الخطيرة."

الأمر الرابع :^(٣) غلبة الدعوة الإسلامية على أمة برمتها في حياة صاحبها ، حادث لم يعهده الناس في تاريخ وجودهم.

يزعمون أن الدعوة تمت بالإجبار لا الإقناع ، والدليل على زعمهم ، الحروب الطاحنة في تاريخ الأمة العربية.

ويدافع "وجدى" رافضاً هذا الزعم مذكراً القارئ بأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام وحيداً ، فأول من لباه زوجته ، ثم أفراد من أسرته ، ثم بعض معارفه .. ثم بين كيف عانوا من العذاب حتى فروا بدينهم ، فأى إكراه فى هذا ؟ !

"إن كل دعوة فى الأرض متى تحصلت من طريق الإقناع على أنصار يكفون لحمايتها وإذا اعتها آمنت أن تتهم بأنها انتشرت بالإكراه وإن سلكت طريق الإكراه فى حمل بعض الجماعات على مشايعتها. فقد يكون فى بقاء تلك الجماعات مشاقة لها خطر على كيانها ، فيكون من حقها الاستيثاق لوجودها... أرأيت إن كانت حكومة ملكية تقوم بإزائها جماعة

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٣٢.

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٣.

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٣ : ١٣٦.

ترمى إلى قلبها جمهورية ، وقامت هذه الحكومة تأميناً لسلامتها بإجبار خصومها على الخضوع لها".^(١)

"وهذا ما فعله الإسلام ؛ فإنه بعد أن حصل من طريق الإقناع على جماعة تؤيده ، ودافع عن نفسه بها ضد الغارات التي تواترت عليه من خصومه ، رأى أن وجوده سالماً وأدائه للرسالة التي شرع من أجلها لا يمكن أن يكون إلا بعد تطهير بيعة الإسلام من الوثنية التي لا تفتأ تهدد بالانتقاض عليه في كل وقت ترجى فيه أن تتغلب عليه. وقد حدث ذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إذا ارتدت قبائل العرب ، وندت كما تند الإبل غفل عنها قائدها ، فأعاد أبو بكر رضي الله عنه الأمر إلى نصابه ، وأجبر هذه العناصر الجاهلية على لزوم الطاعة".^(٢)

وبعد مناقشته العقلية المنطقية يقول^(٣) "ثم لو نظرت فرأيت أنها بقيت بعد موت صاحبها ، ونمت نمواً عظيماً ، وتفرعت شجرتها إلى كل اتجاه ، وأثمرت ثمرات لفتت بها نظر العالم إليها ، ولم تزل تثمر حتى شهد بخصبها جميع أهل الأرض ، كل هذا يدل على أن هذه الدعوة روح إلهية من نوع الأرواح التي يرسلها الحق لإحداث الانقلابات الكبيرة في الأرض ، ولكنها في هذه المرة دعيت لإحداث أكبر حدث عرفه البشر تغير له وجه الأرض ، ولما تفرغ من مهمتها بعد."

الأمر الخامس^(٤) : تحقق كل ما أنبأ به صاحب الدعوة من الحوادث الجسام قبل حدوثها ، يدل على اتصاله بالعالم العلوي ، وهذا من أقوى الأدلة على نبوته !

"من أعجب ما لازم الدعوة الإسلامية من علامات النبوة .. تأكيدات الحق جل وعز بأن الله سينصر أهلها على أعدائهم ، ويجعل كلمتهم العليا وكلمة الجاهليين السفلى فلا مشاحة في أن هذه التأكيدات تعتبر من أعلام النبوة".

وقد ذكر "جدي" أمثلة من القرآن ؛ يوضح سبب النزول أولاً ليهي القارئ لوجه الإعجاز. من ذلك يقول "مثل تبشير المؤمنين بأنهم سيخولون خلافة الله في الأرض ، نزلت هذه الآية حين كانوا بعد هجرتهم يبيتون ويصبحون في سلاحهم ، قائلين : هل يأتي علينا حين من الدهر نؤدى فيه شعائرنا آمين في سربنا ، مطمئنين على وجودنا ؟ وهو قوله تعالى^(٥) : وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

(١) محمد فريد وجدي : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٥٣ - ١٣٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٣٦ : ١٣٨ .

(٥) سورة النور : آية ٥٥ .

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

وقد تحقق مؤدى هذه الآية ، فألت إلى الأمة الإسلامية خلافة الله فى الأرض والمراد بالخلافة كما هى فى الآية الكريمة زعامة العالم ، لا الخلافة فى الحكم ، بدليل قوله تعالى فى تلك الآية: "وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ

سادساً : موقف الأوس والخزرج^(١)

من القضايا التى أرقّت "وجدى" فأطال فى تحليلها ، كلما دعت الحاجة ، وسنحت الفرصة ؛ إسلام العرب وقبولهم الدخول فى الإسلام بسرعة تثير التساؤلات.

يقول-^(٢) "وجدى" فى دخول الأوس والخزرج فى الإسلام "رأينا أن نقف فى هذا الموطن هنيهة للنظر فى التعليقات التى أبدت لتفسير الإسلام الفجائى لقبيلتين لا تمتان بسبب إلى أية دعوة دينية ، لا يعنىها من أمر النهوض الاجتماعى للأمة العربية مالا يعنى غيرها"

وهنا يرفض محمد فريد وجدى "التعليقات الإسلامية وغير الإسلامية فى هذا الأمر ويبرر ذلك قائلاً^(٣) : "لأنها لا تقنع الخبيرين بعوامل التطورات النفسية والاجتماعية ، ولا تبين من حقيقة هذا الأمر الجلل ما يجب أن يعرف ؛ وخاصة فى هذا العصر الذى لا يندفع أهله بالخلابات الكلامية"

"إنى أرى فى هذا الأمر حادثاً اجتماعياً لم يسجل تاريخ التطورات النفسية والاجتماعية له مشبها ، فإن كل ما لا يمكن تعليقه بعلة طبيعية يعتبر آية ، فهو آية يزيدها من الأيام جلالاً وعظماً."

ولكن "وجدى" يحيل الأمر لمناقشة علمية يقول^(٤) "ولكن المدار على وضع هذه المسألة موضعاً علمياً تصلح معه لأن تحلل إلى عناصرها الأولية."

وهو يبرر هذا الأمر "من قوة السريان فى الديانة الإسلامية .. يكشف من أسرار هذا الروح الإلهى ، وهو الإسلام ، ومن صحة رسالة الداعى إليه وهو محمد ، مالا تكشفه أية ناحية أخرى."

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٤٣ : ١٤٨ نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد الحادى عشر ، الجزء الأول ، المحرم ١٣٥٩ هـ.

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٣.

(٣) المصدر السابق : ص ١٤٣ : ١٤٤

(٤) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٤٤ ، ١٤٥.

وقد ناقش التعليقات في هذا الأمر بادئاً بكتاب السيرة يقول^(١) "إنه تعليل يفرح به الذين لا يرون في حوادث الدعوة الإسلامية إلا أموراً عادية يمكن تعليلها بعلة طبيعية". أما تعليلهم بدخول الأوس والخزرج في الإسلام فهو كثرة الخلافات بينهم وسيادة اليهود في المدينة وقولهم بأن هناك نبياً سيتبعونه لتتم لهم السيادة للأبد .. وقد رفض "وجدى" هذه العلة وأسباب ذلك :-

أولاً : لأن الأوس والخزرج أسلموا بعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة فأين كانوا منذ بدايتها. ثانياً : لم لم يسبقهم اليهود بالإسلام إن كان هذا لأمر صحيحاً ، وكيف يصرح اليهود بهذا الأمر الذي سيحقق لهم السيادة لأعداءهم الأوس والخزرج. ثالثاً : أن الأوس والخزرج كانوا بحاجة لمن ينصرهم لا أن ينصروا قوم مستضعفين مثل المسلمين في بداية الدعوة .

ويبين "وجدى" هذا التناقض في قول كتاب السيرة^(٢) "أجمع كتاب السيرة على أن الأوس كانوا أوفدوا رجالاً منهم لطلب معونة قريش ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قابلهم ودعاهم للإسلام للاستئصال بالنبي صلى الله عليه وسلم على أعدائهم ؟" كما يرفض "وجدى" القول بأنهم كانوا على ثقة بنصر الله لنبيه فهو خارج عن العقل لأنهم لا يعرفون من أمر النبوات إلا ما ينتقل إليهم بالسمع وكيف يتمكن الإيمان داخل نفوسهم طرفة هكذا؟

أما تعليقات غير المسلمين "أن الأوس والخزرج أرادت أن تتخلص من الحروب المزمنة فيما بينهما فلجأت إلى الدين الجديد" وهو أمر مرفوض لأن هذا سيعرضهم لعداء قريش ، أي أن الحروب لن تنقطع بل ستكون أشد ضراوة لأن قريش تريد الحفاظ على مكانتها وسلطانها.

ومن الأسباب المتخيلة أن الأوس والخزرج طمعت في المغانم التي قد تحصل عليها من اشتراكها في الدين الجديد ، ويستتكر "وجدى" هذا الرأي متساءلاً هل بلغت الأوس والخزرج من التطور العقلي والتهذيب النفسى ما يجعلها تنضم إلى الدين الجديد حباً في التآلف وهو أمر غير مقبول ؛ لأن هذا لم يكن معروفاً عنهم.

ويظل "وجدى" يفند العلة والأسباب ليصل بنا في النهاية إلى رأيه الخاص :^(٣)

"فلم يبق أمامنا إلا تعليل واحد ، وهو أن قيم الوجود تعلقت إرادته أن يحدث في العالم الإنساني انتقالاً جديداً ، بإرسال خاتم المرسلين اصطفاه من بلاد العرب ، أبعد بيئات

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٤٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٤٨ .

العالم عن توليد الانقلابات الاجتماعية ، ليكون أمره كله إعجازاً في إعجاز فبث في روع قبيلتين فيها هداية إجماعية ، هو أمر بعيد الحصول في عالم التطورات العقلية وفي نهاية إثباته لهذه العلة التي يسلم بها تماماً ينهى مناقشته لهذا الأمر قائلاً "اللهم إنى عجزت عن تعليل هذا الأمر الجلل بالعلل الطبيعية ولا أراه إلا آية إلهية ، وكم فى الأرض والسموات من آيات يتخيلها الجاهلون أموراً عادية"^(١)

نظرة علمية تحليلية فيما سبق.

توقف "وجدى" أثناء سرد أحداث الهجرة تحت العنوان السابق ، تعجباً من صبر النبي على إيذاء المشركين يقول : "إن صبر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة على هذا الاضطهاد البالغ أقصى حدود الوحشية ، إذا لم يكن فوق الطاقة البشرية ، فإنه يشف عن عقيدة راسخة فى رسالته"^(٢)

"فوجدى" يتعجب من شدة تحمل محمد صلى الله عليه وسلم وصبره رغم تولى أيام الشباب ووصوله إلى الخمسين ثم الستين ، رغم قسوة الكفار وشدة اضطهادهم حتى دفع إلى أشد المسلمين إيماناً وأحبهم له يستأذنه فى الهجرة "الصديق أبى بكر".

ويرجع "وجدى" هذا كله إلى ثقة محمد بربه ونصره بقول^(٣) "فهذا الثبات المحير للعقل فى وسط هذه المخاوف الموجبة لليأس لا يمكن أن يعزى لفضيلة الشجاعة فحسب ، لأنها جاءت مصاحبة لثقة تامة بالخلاص والفلج ، وهذا لا يكون بغير وحى".

كما ناقش "وجدى" فى تحليله عدم تتبع قريش الكافى للنبي كخصم وعدو لدود "ولسنا نكتفى بهذا ، ولكننا نقول : كان يجب عليهم أن يقيموا فى كل الطرق التى يمكن أن يتسرب منها إلى يثرب ككببة من الفرسان ، تقطع الطرق على خصمهم كما هى عادة من يهجمهم القبض على خصم فإذا لم يفعلوا مع تحليلهم بأرفع صفات الحيلة الحربية"^(٤)

"فإن تفسير "وجدى" للموقف يقول^(٥) "فإن إغفالهم له قد فسر بأن الله قد صرفهم عنه ، ولو كان لدى دليل على هذا الصرف لقلت به. "ويعود "وجدى" ليذكر نفسه ويذكرنا بمنهجه

(١) لم أقرأ لأحد مثل تحليلاته وكان كتاب السيرة أرادوا أن يجعلوا كل الأمور عادية طبيعية ظناً منهم أن هذا أقرب إلى العقل والمنطق ونرى وجدى الذى يحاول الوصول بالعقل لتصديق وقبول معجزة الإسراء والمعراج ، وكأنه يحلل الأمور ليصل بنا هنا إلى ألها آية إلهية فى حين يرفض استخدام المنطق والعقل. ورغم ظاهر التناقض فأنا لا أرى تناقضاً فى الإسراء والمعراج مظاهر توصل إليها العلم فأراد وجدى تطويع الأمر الأقرب إلى العقل وإن كنت لا أعلم بوضوح مبرراً لوجدى فى نظرى كل الأمور واحدة .

(٢) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٥١ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٥٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٥٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٥٣ .

الذى وعد الالتزام به من اتباع أصول الدستور العلمى فيقول^(١) "ولكنى التزمت فى هذه السيرة أن لا أتجاوز أصول الدستور العلمى ، فلا ألجأ إلى الظن فى موطن يمكن تفسيره بالعلل الطبيعية ، وحياة النبو صلى الله عليه وسلم حافلة بالآيات الدامغة ، فلا حاجة بها إلى ما يمكن الخصوم من تجريحه. لذلك فأنا أفسره بأنه تغاب من قریش عما هم بصدده ، كما تغابوا عن هجرة كبار الصحابة إلى يثرب ، كأنهم اكتفوا بأن يبعد عنهم النبو إلى حيث لا يراه العرب فى مواسم الحج فيفتتن بعضهم ببيانه وشدة عارضته."

سابعاً : دفاع وجدى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى محاربتة لقریش. (٢)

"ولما كان القرشيون قد صارحوا النبو صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحرب ، ولو كان تركهم وشأنهم بعد شخوصه إلى المدينة لما تركوه وشأنه ، فقد اعتبرهم فى حالة حرب وعاملهم على موجب هذا الاعتبار.

هنا لابد لنا من نفى شبهة كثيراً ما أثارها خصوم الإسلام ضده ، إذ قالوا : إن الإسلام دين شرعت فيه الحرب ، والدين يجب أن يتنزه عن ذلك فلا يدعو إلا إلى السلام ، لأن الحرب من بقايا الوحشية الأولى ولا يجوز أن يعتمد عليها دين إلهى أنزل ليكون رحمة للعالمين".^(٣)

وبوضح "جدى" جهل من يثير هذه الشبهة بعلمى الاجتماع وتاريخ الأديان يقول^(٤) "لا جرم أن الذين يدلون بهذه الشبهة لا يعرفون من طبيعة العالم الأرضى ومن عوامل الاجتماع الإنسانى ، ولا من تاريخ الأديان السماوية ، ما يجب أن يعرف ليضى حكمهم عادلاً ، ورأيهم مسدداً . إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب ، ليس فيما بين الناس فحسب ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم ، وفيما بين كل فرد والعوامل المتسلطة عليه من نفسه ولا تشذ عن هذه القاعدة العامة الحيوانات ولا النباتات أيضاً " ..

ولا أظن أن قارئاً من قرائنا يجهل الناموس الذى اكتشفه دارون وروسل ولاس ودعواه ناموس تنازع البقاء ...

وقد أشار الله إلى خطر هذا الأصل العظيم بقوله تعالى فيما يتصل بالإنسان "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَعْلَمِينَ" (٥)

وحتى تتضح الأمور يبين وجدى هذا ببعض الأمثلة يقول عن المسيحية "العداء الذى تلقته

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٥٣

(٢) المصدر السابق : نقلاً عن مجلة الأزهر : المجلد الحادى عشر ، الجزء الرابع ، شهر ربيع الثانى ٣٥٩ هـ. ص ١٦٤ - ١٦٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٦٤ .

(٤) المصدر السابق : ١٦٤ .

(٥) سورة البقرة : من الآية : (٢٥١) .

واضطهاد أهلها ثلاثة قرون يقول^(١) " إلى أن حماهم من أعدائهم السيف على يد الأمبراطور قسطنطين الروماني ، واتفق أنه كان يدين بالنصرانية ، فلما ولى الملك أعمال السيف في الوثنيين .. وأجبرهم على قبول المسيحية ديناً لهم ..
وأفادهم هذا الدرس القاسى فى ضرورة استخدام السيف لنشر الدعوة حتى دانت لهم أوربا كلها."

أما عن الجاهليين يقول^(٢) "أو لم تر أيضاً كيف تصدى الجاهليون لمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعوه عن نشر الدين الذى أوحاه الله إليه ، وانتهى أمرهم بالتألب عليه لقتله .. هذا عن الحرب أما عن السلم فيواجه الاتهامات^(٣) يقول المعترضون : وماذا أعددتكم من حجة حين تجمع الأمم على إبطل الحروب وحسم منازعتها من طريق التحكيم ، وهذا قرآنكم يدعوكم للجهاد ويحثكم على الاستبسال فيه؟

نقول : أعددتنا لهذا العهد قوله تعالى :

وَلَا تَجْنَحُوا
لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(٤)

هذه حكمة بالغة من القرآن ، بل هذه معجزة من معجزاته الخالدة ، وهى أدل دليل على أنه لم يشرع الحرب لذاتها ، ولكن لأنها من عوامل الاجتماع التى لابد منها ما دام الإنسان فى عقلية ونفسية المأثورتين عنه ، غير أنه لم ينف أن يحدث تطور عالمى يتفق فيه على إبطل الحرب ويزيد هذا الأمر اتضاحاً أن الإسلام إنما سمح بالحرب لإيجاد السلام ، لا لتأييد مبدأ التناحر بين الأمم " فقال تعالى^(٥) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ثُمَّ يَشِيرْ " وجدى" إلى الحروب الدائرة فى القرن العشرين للضرورة وهى نفس الضرورة التى كان فيها المسلمون فى القديم. هو تحطيم مبدأ التناحر وإن كان هناك ضرورة تدفعها إلى ذلك ، فالضرورة التى دفعت المسلمين فى دور التكون لتحتمى وجودها أولى.

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٤) سورة الأنفال : آية (٦١) .

(٥) سورة الأنفال : آية (٣٩) .

ثامناً : الأمور الخارقة للنواميس الطبيعية فى وقعة بدر^(١)

قد أفرّد "وجدى" صفحات وصفحات لغزوة بدر ؛ عرض وحل وناقش جزئياتها ، من هذا تحليله لانتصار المسلمين .

"قد يقول معترض^(٢) : ليس فى انتصار محمد فى وقعة بدر ما يصح أن يجعل فى عداد المعجزات النبوية . فإذا كانت جميع عوامل الغلب تنقص المسلمين فى تلك الموقعة ، فهنا لك عامل خطير جداً كان متوافراً لديهم وهو الثقة المطلقة فى نبوة قائدهم ... وخاصة إذا كانوا يعتقدون أنهم إذا ماتوا انتهوا إلى جنة عرضها السموات والأرض"

ولكن "وجدى" لا يقتنع بهذه العلة ولا يرضى بهذا التحليل ، ولذا أخذ يفند الأسباب المرجحة لانتصار المشركين . يقول^(٣) : "إن هذه الشبهة فى ظاهرها قوية ، لاستنادها إلى أصول بيسيكولوجية ، ولكنها فى الواقع شعرية خيالية ، ... لا سيما وقد كان معظمهم قريبى عهد بالإسلام ، ولم يظهر لهم بعد من مظاهر تأييد الله لرسوله فى المآزم ، ما يتخذونه مثلاً لهم فيما هم بسبيله .. فعناصر الاستماتة فى القتال التى يفترض المشتبه وجودها فى جيش الصحابة إن وجدت فيه ، فلا توجد بالقدر الذى يوجب لهم التغلب على عدو لا ينقصه من عوامل التغلب شئ ، حتى عامل النعرة القومية ، فإن الجاهلين كان قد أمضهم تسفيه أحلامهم وتحقير آبائهم ، ولو أضفت إلى هذا عامل تنازع البقاء ، وهو ما لا بد من أن يكون قد تيقظ فيهم بسبب قيام المسلمين على طريق تجارتهم ، يتصدون لها كلما قرب بهم ، ... وإذا أضفت إلى ذلك فى العدد والعدد .."

"سأهيك أن تلك البيئة التى كانت لا تنقطع سلسلة الغارات فيها بسبب تنازع البقاء ، لم تنشأ فيها حرب واحدة فى مدى تاريخها الطويل ، لنصرة دين ، أو مذهب على مذهب ، فكانت وقعة بدر أول ما حدث من نوعها فى هذا الركن المنعزل من الأرض ."

ثم يوجه "وجدى" تساؤلاً للمحلل البيسيكولوجى^(٤) "فإن أصر المعترض على شبهته ، قلنا له : إن نضج العاطفة الدينية طفره إلى حد تضحية النفس فى سبيلها ، لدى قوم

كعرب الجاهلية لم تؤثر عنهم حماسة دينية طوال عهدهم بالوجود ، يعتبر أكبر من المعجزة الحربية التى نحن بصدددها ، وأدل على المدد الإلهى منها ، فعلى أى أساس صحيح يستطيع

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٨٤ : ١٩١ نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد الحادى عشر ،

الجزء السابع ، رجب ١٣٥٩ هـ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٩١ .

البيسيكولوجى أن يعلل انتصار المسلمين على عدوهم فى بدر بأسباب طبيعية محضة لا أثر للإعجاز فيها"

وعلى الرغم من التحليل العلمى الذى رأيناه من فريد وجدى ودفاعه عن معجزة النبوة ؛ فإن مصطفى صبرى "مفتى تركيا الأسبق" يرى وجدى منكراً للإعجاز ، من ذلك ما قاله تعقيباً على تحليل وجدى السابق لغزو بدر يقول مصطفى صبرى^(١) " ثم إن الأستاذ الذى لعب دوراً ولفتننا إليه من اللف والدوران المنتهى فى إنكار المعجزات المحمدية أيضاً ، يعود فيحاول أن يستخرج من الأمور الواقعة فى بدر الخارقة للنواميس الطبيعية خوارق لتلك النواميس ، مثل غلبة العدد القليل من المؤمنين على العدد الكثير من المشركين .الحاصل أن الأستاذ يصير على إهمال المعجزات الحقيقية وعدم الاعتداد بها من الأساطير مستنداً فى إصراره إلى دعوى التماشى مع العلم ، ثم يسعى فى اعتبار الحادثات التى لا يصح عدها من المعجزات ، معجزات ! حتى إنه يغمض عينيه عن ألف من الملائكة مردفين أمد الله بهم المؤمنين فى وقعة بدر ، كما قال الله تعالى^(٢) "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١﴾" يغمض عينيه عنهم مع كونهم

منصوصاً عليهم فى كتاب الله ، ومع كون نص الكتاب هذا مذكوراً فى مقالة الأستاذ عن السيرة النبوية مع كون الإمداد بالملائكة معجزة حقيقية غير قابلة للتأويل بالأسباب العادية ، وأصل العلة التى منكروه الأستاذ معتلة بها مع منكرة نخبته المتقففة العصرية كونه لا يؤمن بالمعجزات ، فلهذا تراه يتلاعب بها نفيًا وإثباتًا. وغير خاف على الفطن أن فى اعتبار ما ليس بمعجزة معجزة ، علاوة على إلغاء المعجزات التى تكون خارقات للعادات والنواميس الطبيعية والتى هى المعجزات الحقيقية ، استهانة مضاعفة بالمعجزات وإنكاراً لها مضاعفاً

ولن أدافع عن وجدى بل سأدعه يدافع عن نفسه بنص حديثه الذى ذكره فى السيرة وفى وقعة بدر يقول^(٣) "الذى يتأمل فى هذه الآيات يدرك منها أموراً لا يمكن التردد فيها ، أنهم كانوا ، وهم رجال حرب وجلاد ، لا يتوقعون النصر يوم بدر إلا إذا جاءهم من طريق الإعجاز ، ويدل عليه قوله تعالى : إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ولو كان الأمر ذلك اليوم عادياً لا يتطلب . العون الإلهى المباشر كان فى ذكر المدد الملكى هنا ، توهين الدعوة الإسلامية عند أهلها وعند خصومهم."

(١) مصطفى صبرى : القول الفصل : ص ٣٧٧.

(٢) سورة الأنفال : آية ٩

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٨٦.

تاسعاً : الفشل الذى لحق المسلمين فى بعض الغزوات والسرايا (١)

"لعل بعض الناظرين فى السيرة المحمدية يلاحظون أنه كما فيها شئون لا يمكن تعليلها إلا بافتراض وجود تأييد إلهى عظيم لأحداث حصولها مناقضة للسنن الاجتماعية والنفسية المعروفة ، فيها شئون أخرى يبدو عليها طاقة القدرة الإنسانية ، ويجرى عليها ما يجرى على سائر الشئون البشرية من النجاح أحياناً ، ومن القصور والضعف والخيبة أحياناً أخرى ، كما حدث لسرية بشير بن سعد الأنصارى التى قتل فيها أكثر جنودها ، وسرية كعب ابن عمير الغفارى التى قتل جميع آحادها إلا قائدهم ، وغزوة مؤتة التى قتل فيها ثلاثة قواد وكان قصارى رابعهم أن عاد بمن بقى من الجيش دون أن يجنى أية فائدة ، وسرية أبى عبيدة عامر بن الجراح التى جاع فيها الجنود واضطروا لأكل ورق الشجر حتى تقرحت أشداقهم ، ولم يجدو القوم الذين ذهبوا لقتالهم" (٢)

ولكن المعترضين لا يقتنعون بهذه العلة البشرية ، بل ينفون بها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم "يلاحظ بعض الناظرين كل هذا ويقولون : أليس لو كان محمد نبياً لكان أوحى إليه ما سيصيب أصحابه من هذه المحن فلا يعرضهم لها ، حتى لا تحدث اضطراباً فى جماعته ، أو شكاً فى نبوته؟" (٣)

ويدافع "جدى" عن هذه الشبهة بقوله : (٤) "أراد الله سبحانه أن يجعل للعالم كافة مثلاً أعلى للدين فأوحى الإسلام ، ... فأما الدين فقد تولى الله وحيه جملة وتفصيلاً ، وأما الأمة فلا يمكن أن تجعل كل حركاتها وسكناتها صادرة عن الوحي ، لأن الوحي متى انقطع بوفاء النبي المرسل ، تجد الأمة نفسها قاصرة عن الاستقلال بنفسها ، لأنها لم تعتمد على قواها الذاتية قط ، ولم تكتسب بمجالدته الحوادث ، والوقوع فى المآزم ما يربى فى نفسها عناصر الرشيد ، ويستكمل لها ميزات النضج ، لذلك ألقى الله حبلها على غاربها لتفتح لنفسها ، بمحض جهودها الذاتية ، وقواها المعنوية ، مكاناً تحت الشمس"

ويوضح "فريد جدى" أن هذا يعد درساً إلهياً تقرره أصول علم التربية يقول (٥) "ومن أصول علم التربية أن الطفل لى يستكمل صفات الرجولة ، ويشب صالحاً لمكافحة حوادث الحياة وحوائجها ، يجب أن لا يحاط ، بعد أن يشب ويتزعزع ، بكثير من العناية ، خشية أن

(١) محمد فريد جدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٢٦٢ : ٢٦٤ نقلاً من مجلة الأزهر المجلد الرابع عشر ، الجزء

الرابع ، شهر ربيع الثانى ١٣٦٢ هـ .

(٢) المصدر السابق : ٢٦٠ ، ٢٦٣ .

(٣) المصدر السابق : ٢٦٣ .

(٤) المصدر السابق : ٢٦٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

يصاب بجرح فى يده أو بشجة فى رأسه ، أو بكدمة فى جسمه ، ولكن يجب أن يعرض لذلك فى حد محدود ليتعود تحمل الآلام ، ومكابدة العوائق."

وبعد أن استمد "جدى" تأييد رأييه بعلم أصول التربية يؤكد بقول الله عز وجل "لا يصح أن يكون مثار شبهة على النبوة ، ولا مصدر شك فى الرسالة ؟ ولو كان يصح لتأثر به قبل غيرهم أولئك الذين ابتلو به (يقصد المسلمين المنهزمين) كيف وقد أخبروا به قبل أن يصيبهم قوله تعالى^(١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾

(٢) وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَابِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

فالذين دخلوا الإسلام فى أول عهده ؛ قبلوه على أنه دين تمحيص وابتلاء " بعد عرض "فريد و جدى" للوفود واستسلام القبائل للدولة الإسلامية أشار إلى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى بعداً لصفاته صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى بعداً لصفاته صلى الله عليه وسلم الحسية والمعنوية .. ولكن لم يفت "فريد و جدى" الرجل الذى أخذ يحلل المواقف ليستدل على صحة نبوة محمد درءً للشبهات المثارة حوله من المعترضين . أن يمر على خطبته الأخيرة قبل الموت - عندما ذهب ليطمئن الناس عليه - لم يشأ أن يمر عليها دون أن يستنبط منها الأدلة على نبوة النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك يقول^(٣) "إن من يتأمل فى أقوال محمد صلى الله عليه وسلم وهو وجود بنفسه - وهذه حالة يفضى فيها بين الإنسان وأهول ساعة قدرت له فى حياته - يتحقق أنها صادرة عن قلب نبى ، لا عن قلب رجل عادى ، فإن تلك الساعة التى يرى الإنسان نفسه على وشك ترك أهله وذويه ، وكل ما كان بملأ صدره ، ويستوعب فكره من لذاته وعاداته ، يشغله من أمر نفسه شاغل هائل ؛ فإن فكر فى شئ يخرج عن دائرة خصوصياته ، فلا يمكن أن يكون ذلك الشئ، مما كان يخادع فيه الناس ليتسلط على عقولهم ، ويسخرهم لسلطانه ، بل شوهد أن بعض الذين كانوا من هذا القبيل ، اعترفوا فى تلك الساعة الرهيبة

(١) سورة العنكبوت : الآيتان (٢ ، ٣)

(٢) سورة البقرة : الآيات (١٥٥ - ١٥٧).

(٣) محمد فريد و جدى : السيرة المحمدية تحت العلم والفلسفة : ص ٣٢٢ ، نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد الخامس عشر ، الجزء الثانى ،

صفر ١٣٦٣ هـ.

بجريرتهم ، وتسبرأوا من ضلالتهم. والذي رآه الناس من محمد خلاف ما عهده الناس في أولئك . فإنه لما تحقق أنه لا محالة ميت ، قال للذين احتفوا به من صحبه : "أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبي فيمن بعث الله فأخلد فيكم ؟"

ثم أوصاهم بالحق ، والصبر ، وعدم الفساد فى الأرض ، وبالتحاب والتواصل ، تالياً عليهم قوله تعالى^(١) "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ" وقوله تعالى^(٢) : "وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُفْرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣" " إن رجلاً يذكر الحق والصبر وهو يرى الموت بعينه ، ويذكر الجماعة ، وينهى عن الفساد فى الأرض ، لهو رجل خلق روحاً وجسداً لأداء مهمة عالية قد استوعبت شعوره كله ، ولم تزيله حتى تلك الآونة التى يذهل الإنسان فيها عن نفسه وبنيه وكل ما يملك."

"أما الناحية الأدبية من عمل محمد وهى جملة ما أتى به من تعاليم ، وما أصله من أصول ، وما أحاطها به من حوافظ ، وما متعها به من مناعات فما لا سبيل إلى بيان جلالاته إلا فى فصول متوالية ، ليمكن أن نختبر بجميع ضروب الآلات الدراسية ، والتحليلات العلمية."

هذا ما أراد "وجدى" نهجه فى مقالاته بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣) وسنكتفى بالإشارة إلى أهم الموضوعات التى تناولها دون الخوض فى تفاصيل لأن هذا لا يتسع له البحث فهو بحاجة وحده إلى عشرات الصفحات .

- يبدأ بالخلاف الذى حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار الخليفة ويحلل المواقف من وجهتى نظر علم النفس والاجتماع ليبين الترابط القوى بين المسلمين والمهاجرين والأنصار بعد وفاة محمد .
- دحض العقائد الوثنية .
- تقييم الشخصية الإسلامية .
- الأصول القرآنية .
- الحكمة الإسلامية ومذهبها فى الحياة والأخلاق ، وروابط الاجتماع ، وما وراء الطبيعة .
- فلسفة أفلاطون وأرسطو مقارنة بالإسلام .
- توفية التعاليم الإسلامية بحاجات الناس .
- النبوة حاجة روحية لا معدى للإنسانية عنها .

(١) سورة محمد : آية ٢٢

(٢) سورة العصر

(٣) قام بجمع هذه المقالات د. محمد رجب البيومى فى كتاب تحت عنوان "سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومباحث أخرى"

”الخلاصة”

لقد تناولت في هذا المبحث بعض المواقف والجوانب التي استرعت انتباه فريد وجدى ، فعنى بتحليلها وبيان قيمة أوجه التأييد الإلهي والإعجاز فيها. واعتمد في تحليله على الجانب العلمى الفلسفى فى المناقشة كما لم يغفل علمى النفس والاجتماع والجوانب التى عرضت لها فى المبحث هى بالترتيب :-

- ١- نبذة عن السيرة وتشمل ؛ تعريف السيرة
- نشأتها - تأثير القرآن فى كتابتها وتطورها عبر العصور - صفات كاتب السيرة.
- ٢- التمهيد عن ماهية النبوة وأطوارها مع تعليق د. محمد رجب البيومى.
- ٣- جوانب من السيرة وهى :- ١- نصيب العالم من رسالة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٢- تعليل سرعة انتشار الإسلام .
- ٣- نفسية محمد صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها.
- ٤- مهمة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٥- نظرة فى مناهضة المشركين للدعوة الإسلامية.
- ٦- موقف الأوس والخزرج فى مناهضة المشركين للدعوة الإسلامية.
- ٧- دفاع وجدى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى محاربته لقريش.
- ٨- الأمور الخارقة للنواميس الطبيعية فى وقعة بدر.
- ٩- الفشل الذى لحق المسلمين فى بعض الغزوات.
- ثم أشرت إلى استنباط وجدى لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من خلال كلمته لأصحابه قبل الوفاة.

ثم ختمت المبحث بعرض لأهم النقاط التى تناولها وجدى فى مقالاته اللاحقة والتى تبعد عن صميم السيرة ؛ من سرد لحياة النبى صلى الله عليه وسلم وتحليل لمواقفها.

المبحث الثاني

رد على بعض شبهات المستشرقين
حول محمد صلى الله عليه وسلم

رد على بعض شبهات المستشرقين حول محمد صلى الله عليه وسلم

وكما ناقش "وجدى" كل ما تعرض له (محمد صلى الله عليه وسلم) من شبهات أثناء مناقشته لأحداث السيرة ، كذلك أفرد لهذه الشبهات مقالات في مجلة الأزهر ، فى أعداد متفرقة كما أفرد لها فصولاً فى بعض كتبه ، بل أصدر كتاباً خاصة رداً على هذه الشبهات^(١) وسنختار منها ما يمس السيرة من قريب أو بعيد وهى كلها تفضى فى نهاية الأمر إلى الدفاع عن نبي الإسلام والإسلام.

وقد تناول "فريد وجدى" هذه الشبهات تناول الناقد الممحص للآراء ، معتمداً على الأسس العلمية فى المناقشة والتحليل ، واضعاً أمامه علمى النفس والاجتماع وأثرهما ، راداً كل علة لأصولها ، مفصلاً فى الرد حيناً دون ملل ، موجزاً حيناً دون تقصير.

أولاً : شبهة أن محمداً وأتباعه مهمتهم السيطرة على العالم ولو بالقوة^(٢)

وفى ذلك يقول أسياه بومان "قد وحد محمد القبائل العربية التى كانت فى حالة تنازع مستمر وأقنعها بأن تجتمع على غرض مشترك هو إعلان الحرب على العالم غير الإسلامى وتوسيع سلطان المسلمين .. ثم يتساءل هل فى تاريخ الإسلام أو فى الموقف الحالى للعالم الإسلامى ما يعزز الخوف من أنه فى مملكته الواسعة قد يعمل للقضاء على المدنية الغربية الراهنة؟"

"ويحلل "وجدى" عبارة أسياه بومان قائلاً^(٣) "إن الذى يتلو العبارة .. يخيّل إليه أن الدعوة المحمدية كان مرامها الوحيد غاية حربية ، هى الإغارة على العالم غير الإسلامى وإخضاع أممه وشعوبه لحكم المسلمين ... وهذه تهمة تنفر من الإسلام كل من يطلع عليها"

ويستنكر "وجدى" هذه الشبهة مستنداً بقوله تعالى^(٤) "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا

لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (٨٣)

"ويرى أن ما أحدثه الإسلام هو من تأثير الأصول التى قررها وليس تأثير الفتوحات - ومن تلك الأصول^(٥) ما يوصى به الإسلام كل آخذ به هى "١- دعوة الناس كافة إلى تعارف عام ما داموا إخواناً"

(١) محمد فريد وجدى كتاب الإسلام دين الهداية والإصلاح رداً على كتاب "مسائل فى الدين" لكاتب "فرنسى" .

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود ص ١٤٧ : ١٥٣ نقلاً من المجلد السادس من مجلة الأزهر - ١٣٥٤ هـ ص ٣٧٧ وما

بعدها ، رداً من فريد وجدى على ما كتبه "أسياه بومان" فى كتابه "العالم الجديد تحت عنوان "العالم الإسلامى" .

(٣) المصدر السابق : ص ١٤٨ .

(٤) سورة القصص : آية ٨٣ .

(٥) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ١٤٩ .

٢- "الدعوة إلى وحدة الدين . فإن الإسلام يقرر أن الله أوحى إلى أنبيائه جميعاً ديناً واحداً هو ما يتفق والفطرة التي فطر الناس عليها ، ويتلاءم والعقل الذى غرس فى نفوسهم احترام أحكامه."

٣- "فكان الله يتدارك الإنسانية بالرسول يبعثهم إلى الأمم فى فترات من الزمان ليهدوا إلى ما كانوا يختلفون فيه من الحق ، وختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم للناس كافة حقائق أولية ، صرفهم عنها قادة الأديان ؟ استغلالاً لجهالتهم .."

- " وأن الإسلام هو ذلك الدين الفطرى الأول فى نقائه ... ومؤداه لا يخرج عما يجدونه منقوشاً فى صميم قلوبهم بالفطرة وما يدركونه ببداهة العقل وهو أن يوحدوا خالق هذا الكون ولا يتناولوا ذاته بأفكارهم ، فإنه يتعالى عن متناول العقول كما تعالى عن متناول الأبصار ، وأن يعتقدوا بجميع من أرسلهم إلى الناس من رسل ، وما أنزل إليهم من كتب ، فلا يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض ، وأن يقيموا سلطان العقل ، فلا يستسلموا للأوهام ، ولا يعتقدوا شيئاً إلا بدليل ... وأن يتخلقوا بجميل الخلال .. وأن يطمحوا إلى معالى الأمور .. وأن يطلبوا العلم والحكمة حيث وجدوها ، ويعلموها الناس ، وأن يستعمروا الأرض ويحيوا مواتها"

ويؤكد "جدى" أن كل ما سبق ، هو هدف عام لكل علوم الأرض يقول^(١) "هذه مرامى الإسلام وهى عينها مرامى كل فلسفة وعلم فى الأرض ، فمن أية النواحي يعاب أهل دين على تمسكهم بهذه الأصول التى تعتبر عالمية عامة لا قومية خاصة ؟ وأى اتفاق جنائى يمكن أن يلحظ فيها حتى يقوم مثل الأستاذ (أسياه) فى القرن العشرين فيعلن أن المسلمين يتربصون السوء بالإنسانية؟"

ويتعجب أسياه من ثبات حال المسلمين ، وعدم تأثرهم بما طرأ على الأمم المجاورة من الحالات المتعاقبة ، ولم يتأثروا حتى من نتائج الحرب العامة.

ويعقب "جدى" : أن الأصول الاجتماعية والأدبية التى يوصى الإسلام أهلها بها تثبت عقيدتهم وكان الأجدر به ألا يتساعل ، بل يبحث عن العلل مثلما فعله كثيرون منهم جوت أكبر عباقرة ألمان فقال^(٢) : "إذا كان الإسلام هو هذا فنحن إذن فيه"

وبرنارد شو وقد بزهم جميعاً بقوله^(٣) : إنه لو تولى العالم الأوروبى رجل كمحمد لشفاه من علله كافة ، وإن العالم بدأ يفهم ما هو الإسلام ، وإنه سيتم إسلام أوروبا عامة فى قرنين من الزمان"

(١) محمد فريد جدوى : مناقشات وردود : ص ١٥٠.

(٢) المصدر السابق : ص ١٥١.

(٣) المصدر السابق : ص ١٥١.

أما عن خوف "أسياء" من المسلمين على المدنية الغربية ، فيذكره وجدى ، بأنه قد نسي أثر البعثة المحمدية وما فعلته من تبديد الجهل الذى كانت فيه أوروبا وإنها زودت العالم آنذاك بعلوم شتى جمعت فيها بين مدنية اليونان والفرس والهند والرومان.

"فلا يخافن الأستاذ (أسياء) من المسلمين على هذه المدنية ، فإنهم كانوا السبب الأول فى ازدهارها بعد ذبول طال عليها الأمد فيه ، بما أمدوها به من معارفهم ، وما زودوها به من صنائعهم ، فلئن كان يخشى منهم على شىء منها فعلى العوج الذى بها وهذا يعتبر إصلاحاً فيها لا إفساداً لها." (١)

ثانياً : إنكار النبوة (٢)

"لا يدهشنا أن يكون فى الناس من لا يزال يكذب برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن يدهشنا أن نقرأ عن رجال ينزلون أنفسهم منازل الهداة والمرشدين ، أنهم يعتقدون على أبسط قواعد الدستور العلمى فى بحوث فلسفية على أعظم جانب من الخطورة ذلك أن المستر فرانك يخوض فى نفسية أعظم رجل فى التاريخ ، بشهادة الأجانب أنفسهم ، معتمداً على أصل اعتقادى مورث ، وهو أنه كان نبياً كاذباً." (٣)

"فوجدى يرى أنه كان لابد أن يقيم المستر فرانك الدليل القاطع على أن محمداً كان كاذباً فى دعواه النبوة ، فإن نجح فى ذلك من طريق علمى مستقل لا أثر للورثة الاعتقادية فيه ، ساغ له أن يبحث فى نفسيته من ذلك الطريق العلمى نفسه ؛ ولكنه لم يفعل.

يقول (٤) "يظهر لنا أن المستر فرانك لم يقرأ سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد قال : إنه كان فى مبدأ ظهوره يجمع الناس حوله فى مسجد مكة أو فى الطرقات ويخطبهم بأنه نبى ، فكذبه الناس ولم يؤمنوا به ... أغفل المستر أن فى البداية آمن به العشرات إلى أن جهر بالدعوة فانتشر الإسلام تباعاً حتى عم جزيرة العرب كلها ، ثم تجاوزها حتى وصل إلى أقصى حدود الصين شرقاً ، وأقصى حدود أوروبا غرباً ، فى عشرات معدودة من السنين ، مما لم يحدث مثله لدين من الأديان ، فأعفى المستر فرانك نفسه من ذكر هذه النتيجة التى تعتبر من أجل الآيات الإلهية ، واكتفى بأن قال : فكذبه الناس ولم يؤمنوا به" ويتمادى المستر فرانك فى إنكار نبوة محمد ومعجزات القرآن ؛ فهو يعتبر محمد كاتبه يقول

(١) محمد فريد وجدى: مناقشات وردود

(٢) المصدر السابق : ص ٦٧ : ٧٠ نقلاً عن المجلد السابع من مجلة الأزهر ١٣٥٥ هـ - ص ٣٥١ وما بعدها رداً على "تاريخ حياة

محمد" بقلم المستر فرانك هـ . فوستر.

(٣) المصدر السابق : ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦٩ .

مستر فرانك ^(١) "ولقد تركنا محمد في جهل من ناحيته ، فلم يخبرنا بشئ عن مولده ، ولا عن أسرته ، ولا عن حياته في صغره ، غير ما قاله من أنه كان يتيماً ، وأن الله عصمه من الذلل ، وأغناه بعد عيلته."

ويعقب "وجدى" في سخرية "هذا طراز طريف في بحث النبوات ، ولكنها طرافة لا يغبط عليها المستر فرانك ، والسبب لأن القرآن قدم إلى الناس باعتبار إنه كتاب جامع لتعاليم الإسلام ، لا باعتبار إنه كتاب تاريخ لحياة محمد ، حتى يسوغ للمستر فرانك أن يحصى عليه إغفالات ليست من موضوعه" ^(٢)

ثم يقرر "وجدى" أن القرآن في عدم ذكر تاريخ محمد كالتوراة في عدم ذكر موسى وحياته التفصيلية ، وكذلك الإنجيل وعيسى ، بل يطلب من مستر فرانك أن يأتيه بكتاب ديني يذكر حياة الرسول الذي جاء به ؟! والسبب في هذا الشطط كمنا يقول وجدى هو "مضيه مع عقيدته الموروثة ، وهى أن محمداً كان مدعياً ولم يكن نبياً. فإذا سلمنا له هذا جدلاً ، فلا يكون لما أحصاه على القرآن محل أيضاً ، فإن الادعاء يقتضى المحاكاة لا الشذوذ. فلا ندرى بعد هذا حكمة ما سجله المستر فرانك على القرآن من هذه الناحية ! " ^(٣)

ثالثاً : عدم أمية محمد صلى الله عليه وسلم ^(٤)

تهمة ألقاها بعض المستشرقين انتقاصاً من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يقول مستر "فرانك" ^(٥) "وفي الجملة قد أثار محمد على نفسه الازدراء بدعواه الرسالة عند ظهوره ، وقد دعا نفسه النبي الأمى ، وهذا ما لا يمكن قبوله لأنه كان في حاجة لأن يكرر قراءة كتابه أحياناً يستظهره ومع ذلك فلسنا نستنتج من عدم أميته أنه كان ذا إطلاع واسع ، فإنه لم يظهر شيئاً من سمات المتعلمين الأدبية"

ويرد "وجدى" قائلاً ^(٦) "أما التشكيك في أمية النبي صلى الله عليه وسلم فمحاولة محكوم عليها بالفشل من أول صدمة ، لأن هذه الأمية ، كانت إحدى الآيات التي تحدى الله

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٧٠ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦٨ : ٧٣ نقلاً من مجلة الأزهر ، المجلد السابع ، ١٣٥٥ ردأ على "تاريخ حياة محمد" بقلم المستر فرانك

هـ. فوستر

(٥) المصدر السابق : ص ٦٨ .

(٦) المصدر السابق : ص ٧٠ .

بها الشاكين في صدق نبوته ، فلو كان غير أمي في الواقع ، لأصبح تأثيرها معكوساً ، كما هو الحال في كل معلوم يتحدى الناس بضده .

ثم يتساءل "وجدى" هل تعلم محمد الكتابة والقراءة سبباً ليأتى بمعجزة القرآن دستور الأمة ؟ ويرجح أن الهدف من محاولة مستر فرانك .. " رجاء أن يكون في إثارة الشك في أمية محمد ، باب يفتح إلى التكذيب بنبوته ، متذرعاً بذلك إلى إثبات أنه ما دام يقرأ ويكتب فيكون هو الذي وضع القرآن ونسبه إلى الله" (١)

ويقرر وجدى (٢) " إذا كانت القراءة والكتابة وسيلة للتشكيك في كتب الله وصدق رسله ؛ فهذان موسى وعيسى كانا يقرءان ويكتبان ، فهل قولاً الله ما لم يقل ، وهل قالاً إنهما رسولان وهما كاذبان؟ لكن أمية محمد صلى الله عليه وسلم ثبتت بإجماع أمة برمتها كانت مطلعة على أحواله وأطواره من يوم ميلاده إلى يوم وفاته .."

وعن ثقافة محمد صلى الله عليه وسلم وإطلاعه يرد "وجدى" (٣) "لم يقل محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه ولا قال أحد من المسلمين عنه : إنه كان ذا إطلاع واسع ، وإنه فعل ما فعل بعلمه ، وغزارة مادته ، ولكنه قال ، وردده المسلمون معه ، بأن كل ما يأتى به وحى من ربه. وهذا لا ينافي سمو فطرته ، ووفور عقله ، وصفاء ذهنه ، فإن الله لا يصطفى لرسالته إلا أكمل خلقه"

وينفى "وجدى" التهمة عن القرآن يقول : (٤)

فإن كان المستر فرانك يستدل من القرآن على ما يقوله باعتباره أنه من كلام محمد ، وأنه في جملته لا يدل على سعة إطلاع كاتبه فهو لم يقرأ القرآن ، وإن كان قرأه فقد سدل على عقله حجاباً من تعصبه .. لقد تبين للذين درسوا القرآن تحت ضوء الفلسفة الحديثة ، أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يقوم عوج النفوس ، ويعدل أود العقول ، ويوقظ أشرف غرائز الشخصية الإنسانية، ويدفعها في طريق السمو الروحاني ، إلا أحجهاها على أكمل الوجوه ، راسماً لها أقوم الطرق، ومتخيراً لها أقرب الوسائل."

ويؤكد "وجدى" دفاعه بعلماء من الغرب (٥) " وقد شهد بهذا كله رجال من الأقطاب ليسوا من أهل هذه الملة ، لا يحصون كثرة ، من أمثال جوت الألمانى ولا مرتين الفرنسى ،

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٧١ .

(٤) المصدر السابق : ص ٧١ ، ٧٢ .

(٥) المصدر السابق : ص ٧٢ .

وبرناردشو الإنجليزي ، وليس في هؤلاء إلا عبقرى طبقت الأرض شهرته وعمت الأقطار فلسفته "

وعلى فرض أن محمداً ليس بنبي يقول^(١) " فإذا لم يكن محمد أمياً ، ولكنه كان أستاذاً جامعياً ، وافترض أنه كتب هذا القرآن ، لعد بهذا وحده آية من آيات الله في خلقه ، ولنبحث له عن درجة عقلية فوق العبقرية ، لأن العبقرية إنما تظهر في الفرع الواحد من العلم أو الفن ، لا في كل ما يختص بإصلاح الإنسانية جملة . "

رابعاً : تعلم النبي الكتابة بعد النبوة^(٢)

ذكر أحد الكتاب في إطار مدحه لأمة الإسلام ونبيها " إذا ذكرنا أن الإسلام من وجوده رفع من قدر الكتابة إلى حد أن عدها من العبادة ، وأنه عظم الكتاب والأمر التي لها كتاب كالنصارى واليهود ، وإذا ذكرنا أيضاً أن نبي المؤمنين كان هو نفسه كاتباً مبدعاً sTyliste ، وعالماً مكملاً scribeaccompli يلقي الناس الشريعة ، وأن الشعوب العربية قد اشتهرت بحبها الشديد لتذوق الآداب الرائعة ، إذا ذكرنا هذا كله كان من حقنا أن نحكم بأن بقاء هذا العدد العديد من الأميين بين ظهرائي فلاحى النيل ، من التقصير الذي لا يغتفر " وبعد أن شكر "وجدى" إنصاف الكاتب للنبي والمسلمين يحلل القول بأن الكاتب أخذ هذا الرأي عن بعض علماء المسلمين كالشعبي ومجاهد ، والقاضي عياض .

يقول عندما عورضوا بقوله تعالى : (٣) " وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ

وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَزَّكَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ "

ويوضح حجة هؤلاء^(٤) " وقد استند هؤلاء القائلون بأن الله علمه أن يقرأ ويكتب على حديث رواه البخاري والنسائي وأحمد بن حنبل ، مؤداه أن النبي لما كان يملئ على علي بن أبي طالب شروط صلح الحديبية ، وسفير المشركين حاضر ، وأملئ هذه العبارة وهي ، إن هذا ما قاضى عليه رسول الله " ، اعترض السفير قائلاً : لو نعم أنك رسول ما منعناك شيئاً .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي : امح رسول الله . فتخرج علي من ذلك فأخذ رسول الله الكتاب . وليس يحسن يكتب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله .. الخ "

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٧٢ .

(٢) مجلة الأزهر : المجلد الثاني عشر ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ، رد محمد فريد وجدى على مقالة في جريدة البورص اجيسين التي تنشر بالفرنسية في القاهرة قد كتبت تحت عنوان الفيمير يدى Eché, mérides "كلمة في موضوع الأمية"

(٣) سورة العنكبوت : آية ٤٨ .

(٤) محمد فريد وجدى : مجلة الأزهر ، المجلد الثاني عشر ، ص ١٩٧ - القائلون في الأصل القائلين .

أما الفريق القائل بأمية النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن دفاعهم ^(١) "لكن أكثر علماء المسلمين لا يرون هذا مستندياً إلى رواية مسلم ، وفيها أن سفير المشركين لما اعترض على عبارة (رسول الله) وتأتى على من محوها ، فقال صلى الله عليه وسلم لعلى : أرني مكانها ، فأراه مكاناً فمحاها."

وقد أخذ جمهور العلماء بهذا الرأي الأخير ، ولذلك للأسباب الآتية :

أولاً : موافقتها نص الكتاب . ثانياً : لأن حديث البخارى والترمذى ليس بمتواتر .

ويقرر "وجدى" أن هذا الأمر ؛ تعلم محمد صلى الله عليه وسلم الكتابة لا يقلل من شأن محمد ومعجزاته يقول ^(٢) " فإذا كان النزاع بين الطرفين فى أن النبى كان قارئاً كاتباً أم أمياً ، هو لأجل حماية معجزاته من الشبهات ، فإن هذه المعجزة لا تمس بسوء ؛ لكثرة الأدلة عليها ، ولتضافرها على إثباتها."

ثم يوضح العلة فى إدعاء عدم أمية النبي صلى الله عليه وسلم يقول ^(٣) "يحرص خصوم الإسلام على إثبات أن النبى كان قارئاً كاتباً ليتوسلوا بذلك إلى أنه قرأ التوراة والإنجيل وألف منهما القرآن وأدعى أنه تنزيل من حكيم حميد. والذى يقرأ القرآن الكريم يعرف أنه اتفق وهذين الكتابين فيما هو حق ، وخالفهما فى أمهات من المسائل ، ورد على ما تقتضى الرد منهما ، فهل يريد الخصوم أن يقولوا إن هذين الكتابين ليس فيهما حق يمكن الاتفاق وإياهما عليه ؟

إن الذى يجب أن يستوقف النظر فى القرآن الكريم ، هو النقد المنطقى الذى وجهه إلى أهل الكتاب ، والتعديل العلمى المعجز الذى دعاهم إليه ؛ هذا هو الذى يجب أن يتأمله العاقلون ليدركوا بدليل جديد أن القرآن أنزل لإصلاح عالمى عام ؟ وأنه بهذا الوصف سيبقى أبد الأبدىين ."

خامساً : نقد القرآن على أنه كلام محمد^(٤)

"يقول المستر فرانك^(٥) كان محمد رجلاً شديد الشكيمة قد كان يندفع فى الكلام ، كما فعل فى سورة العلق ، وقد يقطع المحاجة بنداء مدهش وينوه بخلق خلقوا للجحيم ، كما فعل فى الآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة الأعراف.."

(١) محمد فريد وجدى : مجلة الأزهر ، المجلد الثانى عشر : ص ١٩٧ .

(٢) محمد فريد وجدى : مجلة الأزهر ، المجلد الثانى عشر ، ص ١٩٨ .

(٣) المصدر السابق : ١٩٨ .

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود ص ٧٧ ، ٧٨ : نقلاً عن الأزهر ، المجلد السابع ١٣٥٥ ، ص ٣٩٢ وما بعدها .

(٥) المصدر السابق : ص ٧٨ .

ويناقش وجدى هذا الأمر^(١) " بحثاً فى سورة الأعراف عن الآية الثامنة والسبعين فإذا بها قوله تعالى : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٨٨﴾

ووجدى " يقرر عدم وجود مبرر للدهش فيفسر الآيات بتفسير مبسط "فإن الله يقول : إنه خلق لجنهم كثيراً من الأنس والجن ، وصفهم بأنهم الذين يعطلون مواهبهم عن القيام بما خلقت له ، فلهم قلوب ولكنهم لا يستفيدون منها فى التمييز بين الحق والباطل ، ولهم أعين ولكنهم لا يستخدمونها فى رؤية ما خلق الله من شئ للاعتبارية ، ولهم آذان ولكنهم لا يصغون إلى الهداة للانتفاع بالعمل . بما يفضون به إليهم ، أفترى أن هذه الكائنات المتحجرة يوقظ إنسانيتها النائمة أقل من أن يقال لهم إن الله خلق لجنهم خلقاً كثيراً أنتم منهم أيها الغافلون ؟"

ويعلل وجدى " رأى مستر فرانك لجهله بعلم النفس يقول^(٢) "يظهر لنا أن المستر فرانك يجهل كثيراً من مقررات علم النفس ، وكثيراً من ضروب العلاجات التى تؤثر فيها . فالنفوس الخاملة الهامدة التى أمانتها المادة لا توقظها من سباتها إلا عبارات قوية الفعل ، شديدة التأثير ، من قبيل هذه الآية الكريمة . وفى الكتاب الكريم من ألوان التعبيرات ما يصلح لعلاج كل نفس ، لذلك كان تأثيره فى تلك القلوب الجاهلية المتحجرة أبلغ تأثير لم ير له مثيل فى حياة جماعة من الجماعات .

هذا ما نذكره فيما يتعلق بالآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة البقرة^(٣) وقد رأيت أن ليس فيها ما يدهش ، إلا إذا أراد ما يدهش ، من شدة الروعة ، وعمق التأثير ، وسمو التعبير .

سادساً : اعتماد محمد فى نبوته على صلته باليهود والنصارى^(٤)

يقول مستر فرانك^(٥) "إن محمداً وإن كان قد أعلن عن نبوته مفاجأة ، فإنه كان قد استعد لها استعداداً عظيماً من اتصاله باليهود والنصارى ."

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٧٨ .

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٧٨ .

(٣) يقصد سورة الأعراف . وقد قارنتها بالمصحف فوجدتها الآية التاسعة والسبعين بعد المائة ، وليس الثامنة والسبعين بعد المائة فهى قوله تعالى "من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون" ١٧٨ الأعراف .

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٨٣ ، نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد السابع ١٣٥٥ هـ - ص ٥٣٢ وما بعدها .

(٥) المصدر السابق : ص ٨٣ .

يرد وجدى^(١) " لا مشاحة فى أنه يريد بالنبوة ، النبوة الكاذبة ، ويريد بالاستعداد لها أن يتعلم مدعيها المسائل التى تعنى بها الأديان ، والأساليب التى تتبعها فى بث تعاليمها ، والفلسفة التى تدعمها بها ."

ويوضح "وجدى" ما يقصده بهذه المسائل يقول^(٢) "وهى لا تعدو سبع مسائل رئيسة ، وهى العقيدة فى الله وفى الروح والخلود فى حياة بعد هذه الحياة ، وفى وجود العالم الروحاني ، وفى الأنبياء والمرسلين والكتب الإلهية ، وفى صحة العقاب والثواب الأخرويين ، وما يتبع ذلك من الدعوة إلى عقائل الأخلاق ، وكرائم الآداب أما الأساليب والفلسفة فهو ما يطلق عليه علم اللاهوت وهذا هو الذى يحتاج لدراسة طويلة وتفكير عميق."

فهل هذا العلم الذى استعد محمد صلى الله عليه وسلم بتلقيه لدور النبوة الذى قام به ؟
ويجيب "وجدى" بالنفى فقد ذكر فرانك "أن محمداً لم يقابل إلا العامة والسذج الأميين من اليهود والنصارى ، فلم يحصل منهم إلا ما هم أهل للإفضاء به من الأوهام والكاذيب ، حتى إنهم لم يستطيعوا أن يفهموه حقيقة المسيح."

ويتساءل "وجدى" إذا نجح محمد بهذه المعلومات الناقصة فى دعوته فلم لم ينجح مدعو النبوة من المخادعين المثقفين ثقافة عالية ؟ أما الإجابة فلأن "دعوى النبوة على القليل ككل دعوى لا تقوم على قدميها حتى يسندها دليل عملى " كمن ادعى الشعر أو الكتابة أو الفلسفة وغيرها .. "والنجاح فيها لا يكفى فيه الدليل القاطع فحسب ولكن يجب أن يصحبه سمو خلقى عظيم ، وتأثير روحانى كبير ، وليس فى تاريخ العالم من الناحية الدينية ما يشبه النجاح الباهر الذى أصابه محمد صلى الله عليه وسلم عقب دعواه النبوة. فالمسألة كما يقول العبرى الإنجليزى الكبير "كارليل" ، ماذا تطلب من الأدلة على صدق من يدعى لك أنه بناء أكثر من أن يبنى لك صرحاً يبقى أكثر من ألف ومائتى عام ، ويؤوى أكثر من مائتى مليون نسمة ؟"^(٣)

سابعاً : تعدد الزوجات^(٤)

يقول "ويلز" عن النبى "إنه تزوج بعدد من الزوجات فى شيخوخته . وإذا قيس حياته على العموم بالمقاييس الحديثة ، كانت حياة لا تأخذ الأبصار ، ويظهر أنه كان مركباً من كثير من الغرور والطمع والمكر وخداع النفس ، كما كان مخلصاً فى شدة عاطفته الدينية وقد أملى

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود: ص ٨٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٨٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٨٩ ، ٩٠ ، نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد العاشر ١٣٥٨ ، ص ٣٠٥ وما بعدها رد على كتاب (مختصر

تاريخ العالم) بقلم هـ . جـ ويلز .

كتاباً من الأوامر والقصص اسمه القرآن ، قال إنه أوحى إليه من عند الله ، إذا نظر فيه من الناحية الأدبية أو الفلسفية كان غير جدير بنسبته إلى الله" (١) ويأخذ "وجدى" فى تفنيد الاتهامات اتهاماً يلو الآخر .

* تعدد الزوجات

هل تعدد الزوجات يقدح فى النبوة ؟

"يكثر خصوم الإسلام من ذكر تعدد النبی صلى الله عليه وسلم للزوجات ، ويعتبرونه دليلاً على توفره على الشهوات. وقد صرح كثير منهم بأن من كان هذا شأنه لا يصلح أن يكون نبياً ولو تأملوا لرأوا أنه تزوج أكثر هذه الزوجات لأغراض اجتماعية ، إما لإيواء ذات رحم ، أو لإحداث صلة من الصهارة تفيد فيما هو بصدده من تمكين ربط المجتمع الإسلامى الحديث ، أو لإبطال عادة جاهلية من طريق عملى مؤثر..." (٢)

وحتى لو ترك هذه الأغراض الجلية جانباً ، فإن فى بيئة العرب كانت النساء تكاد تزيد على عدد الرجال بسبب الحروب والغارات مما يعطل عدداً من النساء دون زواج ، ويرى "وجدى" أن الأمر تدعو إليه الحاجة الاجتماعية فيحيل الأمر إلى كتاب علم الاجتماع لسبنسر. كما يقول "وجدى" فى كتابه الإسلام دين الهداية والإصلاح (٣) " وهو ما يناقش عموم أمر التعدد".

"كان العرب فى جاهليتهم من أكثر الأمم تعدداً للزوجات ، فرأى الإسلام أن يتوسط فى الأمر فجعل للتعدد حداً لا يتعداه ، وقرر أن من أقدم على هذا الأمر لزمه العدل بين الزوجات ، حتى قال الله تعالى (٤) "فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً" وقال النبی صلى الله عليه وسلم . من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما ، بعث يوم القيامة وشقه مائل. على أن للإسلام من إقراره مبدأ ، غرضاً بعيد الغور فى الإصلاح الاجتماعى ، لا يدركه إلا نافذ البصر فى العلم. وهو أنه علم أن من الرجال من لا يمكن أن يردعهم من المضى فى شهواتهم رادع ... لأن العقوبات المشددة والنصائح المؤكدة لا تكفى ... فأباح

(١) يقول فريد وجدى فى تقرير اهتمامه بالرد على مستر ويلز :

هذا ما قاله المستر ويلز ، وهو لغو كنا نستطيع أن نمر به من الكلام لأن فى الأرض ألوفاً من الكتب تحيط النبی صلى الله عليه وسلم بمنزل هذا السقط والكلام ، وفيما نكتبه كل يوم دحض موجه لها جملة ، .. لولا أن هذا الكتاب وقع لبعض نجباء طلبة كلية الشريعة ، فرفعوه لحضرة صاحب الفضيلة شيخها الموقر ، وطلبوا إليه أن يعمل على دفع هذه الفرى حفظاً لكرامة الإسلام . فكان حقاً علينا ، وقد انتشر هذا اللغو بين أيدي الطلبة وغيرهم ، أن نخصه برد حاسم

محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٨٩ .

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) محمد فريد وجدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح : ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٤) سورة النساء : من آية ٣.

لهم التعدد ، لا ليجد هؤلاء لهم مخرجاً من الحرج فقط ، ولكن ليحمى المرأة من شر مستطير وقعت فيه المرأة الغربية لأن أمثال أولئك الرجال فى البيئات الغربية حيث لا يسمح بتعدد الزوجات يتخذونه صاحبات يسمو نهن "متريسات" والإسلام لم يرض للمرأة بهذه الدركة الساقطة فهو يحمى المرأة من الوقوع فى حالة بؤس تتجرد فيها من جميع الضمانات الاجتماعية ، وتبرز للمجتمع فى عداد النسوة الساقطات .. فأى الحالتين أجدى على المرأة وأحفظ لكرامتها ، أن تصبح زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة لرجل تستطيع أن تطالبه بنفقتها ونفقة أولادها ، وترثه إذا مات ويرثه أولادها منه أو تضحي فى عداد المبتدلات لاحقاً لها ضده "

ونعود لمناقشة "جدى" لمستر ويلز يقول (١) " إن المؤلف يدين بالمسيحية ، ويعتد بالتوراة وهى تشهد بأن من كبار الأنبياء من عدد الزوجات حتى بلغ بعضهم بهن مائة زوجة ، فلم لم يشهر بهم المستر ويلز كما شهر بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ؟ ثم يدافع عن النبى صلى الله عليه قائلاً (٢) " والحوادث والتاريخ يشهد بأن محمد لم يكن مشغولاً بشهوته بل كان كثير التهجذ والتعبد حتى أن القرآن أمر نساء النبى بالتعبد "

يَلِيسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ﴿٣٤﴾

فهل هذه بيوت رجل شهوانى ؟ وإن لم تكن البيوت التى يقر نساؤها فيها مشتغلات بالصلاة والزكاة والطاعة ، وتالياً آيات الله والحكمة إن لم تكن هذه البيوت بيوت نبى فبيوت أى صنف من الناس تكون ؟

وهو يأبى بعد ذلك أن يستطرد فى الرد يقول " خل هذا جانباً ، فالملاحظة فيه لا تساوى قيمة المداد الذى تكتب به . "

ثامناً : " اتهام محمد بالغرور والطمع والمكر وخداع النفس "

يقول مستر ويلز (٤) "إذا قيست حياة محمد بالمقاييس الحديثة ، كانت حياة لا تأخذ بالأبصار ويظهر أنه كان مركباً من كثير من الغرور والطمع وخداع النفس ، كما كان مخلصاً ..

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٣٢ : ٣٤ .

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩١ .

فى شدة عاطفته الدينية "

ويرد فريد وحدى " أما أن حياة محمد الشخصية قبل النبوة ، كانت لا تستلقت الأنظار ، فصحيح لأنه عاش أربعين سنة ، فلم يشتهر بشيء أكثر من أنه كان يمضى قويم السيرة أميناً ، وهذا من أقوى أدلة المسلمين على نبوته ؛ لأنه ظل فترة الشباب والطموح ساكناً وحتى إذا شارف سن الكهولة .. نهض بالدعوة وحقق فى فترة وجيزة من الأمور العظيمة ما لا يمكن لرجل مخادع ماهر تحقيقه .^(١)

ولو كان نشأ محمد على حال تلفت الأنظار من المواهب : خطيباً مصقلاً أو شاعراً مفلحاً أو عالماً محققاً ، لكان مستر ويلز أول من يشك فى نبوته ويرفع عقيرته قائلاً لا جرم أن رجلاً يسترعى الأنظار منذ نشأته ، فيقرر الأسماع بسحره ... لجدير بأن يمتلى قلبه غروراً " ^(٢) وينقد "وحدى" ويلز كونه مؤرخاً ، ينسى ما صنعه محمد من تأليف أمة ، ووضع ديانة ، وسن قانون وتحطيم وثنية ، فأين تحقيق البسكيولوجى المطلع ؛ فصنيع ويلز صنيع المتعصب الدينى الذميم . ولعله يعتقد أن محمداً رجل عندما وصل لسن الكهولة أراد تمجيد شخصه وإخضاع العالم له بالاعتماد على أنصاره وغاب عنه المثل العليا التى جاء بها محمد وكونت أمة ، صارت بعلمها أما للمدنية الحديثة ، اللهم إلا القشور من البدع التى دخلت عليها ...

تاسعاً : القرآن ومحمد ^(٣)

يقول المستر ويلز " وقد أملى محمد كتاباً من الأوامر والقصص اسمه القرآن زاعماً أنه أوحى به إليه من عند الله ، وإذا نظرنا إلى هذا القرآن ، من الناحية الأدبية والفلسفية كان غير جدير بنسبته إلى الإله "

يرد "وحدى" ^(٤) مستكراً " لا جرم أن هذا أمر يؤسف له ، ويدل إما على تعمد الاستخفاف ، وهو لا يصدر إلا عن تعصب ذميم ، أو عن جهل ، وهو لا يغفر لمؤلف فى التاريخ ، والتاريخ فى عرف أهل العصر الحاضر يقتضى درس العلل الأولية للحوادث الكبرى وآثارها المترتبة عليها ، وما أدت إليه من الانقلابات فى خلال القرون ؛ ويستدعى تحليل نفسيات الشعوب وقابلياتها ، ونفسيات قاداتها ، ومكانة تعاليمهم من الأصول المقررة ، والحقائق الثابتة .

ويلومه "وحدى" ؛ فقد كان عليه دراسة أحوال العرب من خلال الأحوال الاجتماعية والتداعيات النفسية ولا ينطق عن القرآن أو يصفه من خلال تعصبه الموروث .

(١) محمد فريد وحدى : مناقشات وردود : ص ٩١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٣ : ٩٦ نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد العاشر سنة ١٣٥٨ هـ .

(٤) المصدر السابق : ص ٩٣ : ٩٤ .

ثم يدافع عن القرآن ^(١) " إذا كان القرآن متى نظر إليه من الناحية الأدبية والفلسفية ، يظهر أنه غير جدير بنسبته إلى الله ، فلا يوجد كتاب فى العالم يستحق هذه النسبة ، بل لو أنصف المستر ويلز لقال : ما كان الإنسان ليستطيع أن يدرك الفوارق البينة المحسوسة بين الكلام الإلهى فى روعته وسموه وروحانيته وبين الكلام البشرى فى نسبيته ، وماديته ، إلا بعد نزول القرآن "

ويعال " وجدى " السبب ، وذلك لأن الإنجيل والتوراة كتبوا بأقلام بشرية فى حين أن القرآن حفظ الله نصه ، وإذا كان مستر ويلز يدعى " أن القرآن من الناحية الأدبية والفلسفية غير جدير بنسبته إلى الله .. " ^(٢) ماذا عسى أن يتخيل أرفع الناس خيالاً من السمو الأدبى فوق قوله تعالى : ^(٣) " إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ " ^(٣٧) وقوله : ^(٤) " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " ^(٥) "

وغيرها من آيات ... فأنت ترى أن الإسلام يعنى كل العناية بقلب الإنسان ، ويوجه إليه كل اهتمامه حتى لم يجد القلب فى تاريخ البشرية من عنى به هذه العناية وهذه النزعة هى لب أرفع مذهب إصلاحى اليوم ، وقد تابع الإسلام طريقته فى هذا الأمر الجلل حتى علق النجاة فى اليوم الآخر على سلامة القلب " فقال تعالى : ^(٥) " إِيَّاكَ أَتَى اللَّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ " ^(٨١) ويقرر " وجدى " أنه حتى يتم استيعاب كل أمهات الآداب التى وردت فى القرآن فسيحتاج هذا إلى سفرأ كبيراً ، ومن تلك الأمور مثلاً فى العلم .. " الأصول الأولية التى تعتبر أساساً لآخر طور من أطوار الفلسفة ، وبها تم للعقل البشرى إدراك الوجود والحياة على الوجه الذى يحسب تنويعاً لجهود جبارة ، بذلها العلم فى آماط طويلة. كقوله تعالى : ^(٦) " سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا " ^(٦٢) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ " ^(٦٣) ^(٧) وقوله فى لانهائية العلم ^(٨) " وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " ^(٦٧) "

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٤ .

(٣) سورة ق : آية ٣٧ .

(٤) سورة الحج : آية ٤٦

(٥) سورة الشعراء : آية ٨٩ .

محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩٥

(٦) سورة الأحزاب : آية ٦٢ .

(٧) سورة القمر : آية ٤٩ .

(٨) سورة لقمان : آية ٢٧ .

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

وقوله: (١) "

يَرَهُ. (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. (٨)

وفى بر الأبوين : قوله تعالى: (٢) فَلَا تَقُلْ لِمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (١٣) وقوله " وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثَمَرًا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) " (٣) فما يملأ ما بين دفتي كتاب ضخم .

ويتساعل متعجباً مستكراً يقول " فإذا كانت هذه الأصول التى جاءت منثورة فى القرآن ، وكان كل منها مظهراً لعبقرية أدبية أو فلسفية أو علمية ، قام لها الناس وقعدوا ، وهللوا فى إبان ظهورها وكروا ، ليست فى رأى المستر ويلز ، ذات شأن يذكر ، فليس يوجد فى الكون شئ يذكر ، وإذا كانت هذه الأصول ، وكلها فتوحات علمية وصل إليها الناس بعد أن كلت عقولهم بحثاً وتنقيباً ، لا يصح أن ينسب الكتاب الذى جاء بها جملة إلى الله فأى كتاب يصح بعد ذلك أن ينسب إليه ؟ " (٤)

عاشراً : محمد والفقر (٥)

يقول البعض (٦) " إن محمداً لنشؤته فى الحرمان والفقر كان يفكر فى الفقراء فأوصى بالتصدق عليهم .. وإلى ذلك تعزى كثرة المتسولين حيث تدرس تعاليم الإسلام " ويحلل "وجدى" هذا الأمر من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية يقول: (٧) " وهذه فى الواقع ليست بشبهة ، ولكنها تنطوى على معجزة اقتصادية واقتصادية لختام النبيين صلى الله عليه وسلم ، لمن يتذوق الأمور الاجتماعية ، ويفهم مكان العوامل الاقتصادية منها . إنه لو عرف الذين يلقون هذه الشبهة بأنها تثبت لمحمد معجزة فى علم الاجتماع نظراً لظهور مسألة الفقر ، بصورة تؤرق العلماء فى القرن التاسع عشر ويبحثون عن حلول لها لو علموا أن محمداً قد حل هذه المسألة لما أثاروها حتى لا ينسب إليه هذا الفضل وهذه المعجزة . "

(١) سورة الزلزلة : الآيتان (٧ ، ٨) .

(٢) سورة الإسراء : آية ٢٣

(٣) سورة لقمان : آية ١٥ .

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩٦ .

(٥) محمد فريد وجدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح : ص ١٨٣ : ١٨٧ .

(٦) المصدر السابق : ص ١٨٣ .

(٧) المصدر السابق : ص ١٨٣ .

" إن أمة قديمة يجبل الباحث نظره فيها ، يجد طبقتين من الناس لا ثالثة لها الطبقة الموسرة ، تتضخم إلى غير حد .. والطبقة المعصرة لا تفتأ تهزل حتى تلتصق بأديم الأرض معيبة رازخة ."(١)

ثم أعطى " وجدى" أمثلة من مصر^(٢) كانت مصر في عهدها القديم ، جنة الله في الأرض ، وكانت تنبت من الخيرات ما يكفى أضعاف أهلها عدداً . ولكن الطبقة الفقيرة فيها كانت لا تجد ما تأكله لأن الطبقة الموسرة ، كانت لا تترك لهم شيئاً غير حثالة لا تسمن ولا تغنى من جوع" وكذلك الحال في بابل ولدى الأغريق وأسبارطة وأثينا ، ورومية منبع الشرائع والقوانين .. ولم يتنبه العالم إلى مخاطر هذه العلة "الفقر" إلا في القرن التاسع عشر وظهور العلوم الاجتماعية ، ومن الحلول الفاشلة المرفوضة التي وضعوها :-

١- التصديق على الفقراء وهو مرفوض لأنه يؤدي إلى التواكل والتكاسل.

٢- فتح باب الهجرة. ورفضوه لأنهم سيخسرون الأيدي النشطة.

وأخيراً نجحوا في تأليف الجمعيات التعاونية.

أما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقد تنبه إلى هذا الخطر ، وأحاديثه تنطق بهذا ، " كاد الفقر أن يكون كفراً " "اللهم إني أعوذ بك من الفقر"^(٣)

والإسلام قد وضع الحلول لهذه المسألة " لقد أوجد نظاماً اقتصادياً ، استوعب جميع المبادئ العمرانية المخففة من خطر الفقر والمنجية من آثاره .. "^(٤) من هذه الحلول :-

أولاً : الزكاة وهي "ضريبة إجبارية على كل ذى مال وللحكومة أمر التصرف فيها ، فهي التى تعمل بما تمليه عليها الحاجة الوقتية والحالة الاجتماعية " وهو يشبه الضرائب لدى الأمم الغربية اليوم .. " فالإسلام يمنع تركز المال فى أيدي رجال معدودين ، وحرمان الكافة منه حرماناً مطلقاً ولم يهمل الإسلام إزاء هذا الحل ، بقية الأصول العمرانية المخففة للفاقة ، فدعا إلى الهجرة ."

ثانياً : الهجرة وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً^٥ " (٥)

ثالثاً : حث على التعاون : " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا

عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ^٦ " ويستتبط وجدى سر التشريع فى كل ما سبق " الزكاة تركز المال

(١) محمد فريد وجدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح: ص ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٨٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٨٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٨٦ . سورة النساء : من آية ١٠٠

(٦) سورة : المائدة : آية ٢ .

كله فى أيدى معدودة ، سن البحث على الهجرة ؛ انتقال العدد الزائد من المجتمع إلى البلاد الأخرى تخفيفاً للضغط عليه وجعل من حثه على التعاون هيئة تصلح للتوفيق بين العمل ورأس المال^(١) .

وقد حث على الصدقة وأبى أن تكون هذه الصدقة سبباً فى تكاسل بعض طبقات المجتمع. وأخيراً يقول إن نشأة محمد تنفى أن الحرمان هو سبب الحث على الصدقة ؛ فقد تكفل به جده ثم عمه ، وهم من سادات قریش ، ثم إنه عمل صغيراً فى الرعى ثم فى التجارة حتى نزل عليه الوحي ...

الخلاصة

تتميماً للفائدة ، وتوضيحاً لجهود فريد وجدى فى الدفاع عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تتبعت بعض المقالات التى انتشرت فى مؤلفاته ، وخاصة فى مجلة الأزهر وكتابه الإسلام دين الهداية والإصلاح .. والشبهات التى توقف عندها فريد وجدى تكاد لا تحصى فهو لم يدع فرصة يدافع فيها عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم إلا وانتهزها حتى وإن تكررت القضية ، وقد اخترت بعضاً منها كنماذج وهى بالترتيب :-

- ١- أن محمداً وأتباعه ، مهمتهم السيطرة على العالم ولو بالقوة.
- ٢- إنكار النبوة.
- ٣- عدم أمية محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٤- تعلم النبى الكتابة بعد النبوة.
- ٥- نقد القرآن على أنه كلام محمد .
- ٦- اعتماد محمد صلى الله عليه وسلم فى نبوته على صلته باليهود والنصارى.
- ٧- تعدد الزوجات.
- ٨- اتهام محمد بالغرور والطمع والمكر وخداع النفس.
- ٩- القرآن ومحمد.
- ١٠- محمد والفقر.

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ١٨٧ .

الفصل الرابع

بين الدين والأدب والاجتماع

يتضمن الفصل مناقشة لأهم القضايا التي تربط بين الدين والإجتماع والأدب ويتضمن

مبحثين :-

• **المبحث الأول : المرأة المسلمة**

• **المبحث الثاني : الأدب الجاهلي (شعر ونثر)**

المبحث الأول المرأة المسلمة

مبحث المرأة المسلمة

أخذت قضية المرأة المسلمة أشكالاً وأطواراً مختلفة منذ بداياتها ؛ منذ حدوث الثورة الفرنسية .. وما تلتها من ثورات " في أكثر الممالك الأوروبية لتقرير حقوق الشعوب ، رافعة علم الحرية ، وأطلقتها بعد ذلك التقييد الشديد إلى أبعد حدودها وكان للنساء نصيب موفور منها ، فمضين في تيار أهوائهن لا يلون على شيء ، حتى بلغت إلى غاية لم تكن تخطر على بال أعنف المتطرفين في الدفاع عن حقوقهن " . (١)

ودعوة قاسم أمين لخروج المرأة (٢) - وثورة ١٩١٩م التي قلبت أوضاع المرأة فكأنها ليست ثورة على الاستعمار وحسب ، بل ثورة على كل قيد رآه الإنسان وشعرت به المرأة على وجه الخصوص . (٣)

وكثير من الأعلام رفضت ما دعا إليه قاسم أمين ، وأقلام أخرى أيدت رأيه فمنذ بداية القرن الماضي صار موضوع المرأة مادة خصبة لثراء المناقشات في عالم الكتابة ، وهي من أبرز القضايا التي اهتم بها أتباع مدرسة محمد عبده (٤) فهي هو محمد فريد وجدي يرد على دعوة قاسم أمين في دائرة معارف القرن العشرين ، ثم يطبع كتاب " المرأة المسلمة " ثم يليها بمقالات في مجلة نور الإسلام وأخرى في الأهرام وغيرها على مدار سنوات عديدة .
ومن رجال الأدب ، توفيق الحكيم وعباس العقاد وبنيت الشاطي ، كما اهتم بهذه القضية دعاة حقوق الإنسان ورجال القانون ، ورجال الدين ، كل يناقش من وجهة نظره ، إنها قضية ثارت ومازالت تطالعا كل يوم بجديد .

ولنلقي نظرة على نقط الخلاف والإتفاق ولنزنها بميزان الدين والإسلام ، ولنرى معا المتغيرات التي طرأت ليست على القضية فحسب بل على آراء الشخصيات ذاتها . ولا نغفل أن شخصية الدراسة (بحثنا) هي الأستاذ محمد فريد وجدي الذي كان له دور مهم تذكره الأعلام دائما سواء رفضا لأرائه أو قبولا لها ،

(١) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٨٦ نقلا من مجلة نور الإسلام - رمضان سنة ١٣٦٦ هـ

(٢) يصادف مرور مائة عام على أول كتاب صدر لقاسم أمين " تحرير المرأة " عام ١٨٩٩م .

(٣) مثال خروج هدى الشعراوي تقود النساء بمظاهرات تضامناً مع حزبها الوفد .

(٤) أمثال محمد رشيد رضا وقد وضع كل ما يتعلق بالمرأة في تفسير " القرآن الحكيم " وكذلك أحمد مصطفى المراغي في " تفسير المراغي "

وتعد آراء قاسم أمين مفتاحاً لكتاب " المرأة المسلمة " فمحمد فريد وجدي يذكر رأي لقاسم أمين يقبله أو يرفضه ثم يأتي بما يؤيد وجهة نظره بعلماء الغرب الذين جعلهم قاسم أمين نبراساً له ، ثم يأتي بما يؤيد من القرآن والسنة وجهة نظره .
ولا ينسى مع كل هذا ؛ مناقشته ومنطقيته في محاولة للإقناع برأيه. هذا غير المقالات المتناثرة التي كتبها على مدار نصف قرن تقريباً .
وسنقسم العناصر التي تمت مناقشتها في قضية المرأة المسلمة إلى ستة عناصر لتيسير دراستها وهي :-

- ١- الحجاب .
- ٢- التعليم .
- ٣- العمل .
- ٤- السياسة .
- ٥- رأي الإسلام .
- ٦- نماذج من آراء وجدي .

أولاً : الحجاب :-

إن قضية الحجاب شكلت ركناً مهماً في الخلاف والجدال في قضية المرأة فأخذ كل من الفريقين المؤيد والمعارض لخروج المرأة يدافع عن وجهة نظره ، واختلف العلماء حول تحديد المصطلح " الحجاب " ، هل هو الحجاب الشرعي (أو الحجاب الديني كما سماه قاسم أمين) أم الحجاب الاجتماعي أي احتجاب المرأة عن الرجل سواء بوضع ستر عن وجهها أو بمخالطتها للرجل في مجالس العلم والعمل ؟

ومن لا يقرأ بتركيز ووعي لاختلاف مدلول اللفظ سيقف حائراً أمام ما يقصده كل كاتب في قضية المرأة ودرءاً لهذا الاختلاط في المدلول سنحدد ما المقصود بالحجاب ؟

أولاً : في اللغة :-

هو (الحاء مع الجيم ويثلاثهما) ^(١) قيل الستر حجاب لأنه يمنع المشاهدة " والأصل في الحجاب " جسم حائل بين جسدين ، وقد استعمل في المعاني ، فقيل العجز حجاب بين الإنسان وممراده ، والمعصية حجاب بين العبد وربه " ^(٢) .

اصطلاحاً من خلال القرآن وآراء المذاهب الأربعة :-

(٣) يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَّا رَوْحَكَ وَبَنَانِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ
ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾

(١) غنار الصحاح : الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي : عن تربيته السيد محمود خاطر ص ١٢٢ دار نضمة مصر للطبع والنشر - الفجالة القاهرة .

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد المقرئ الفيومي - ت سنة ٧٧٠ هـ : ص ١٦٦ " الطبعة السادسة " المطبعة الأميرية - القاهرة سنة ١٩٢٦ م .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٥٩ .

(١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ

اختلف الفقهاء في معنى قوله تعالى وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا

ويتلور هذا الاختلاف في هذين الاتجاهين :- (٢)

"الاتجاه الأول : يرى الإمام أحمد بن حنبل أن معناه : إن النساء منهيات عن إبداء الزينة إلا الزينة التي ظهرت بنفسها من غير قصد فمغفو عنها ، كأن كشفت الريح عن نحر امرأة أو ساقها ، وذهب الإمام أحمد إلى أن بدن المرأة كله عورة فيحرم إبداء شيء منه للأجنبي ، وهو أصح قول الشافعي وقالوا : إن المراد بما ظهر منها ، ما ظهر بنفسه بغير قصد إلى إظهاره .

والاتجاه الثاني : ذهب الحنيفة والمالكية إلى أن معنى الآية (ولا يبدين زينتتهن) إلا شيئاً جرت العادة بظهوره ، فليس منهيات عن إبدائه ، وذلك هو الوجه والكفين وما فيهما من زينة ، كالكل والخضاب والخاتم ، وعلى هذا التأويل تكون الزينة نوعين : ظاهرة وباطنة ، فانه قد حظر إبداء شيء من الزينة الباطنة لغير من استثنى في بقية الآية ، ولم يحظر إبداء الزينة الظاهرة لأن الحاجة تقضي بظهورها ، وعلى هذا قال الحنيفة والمالكية إن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وهو أحد قولي الشافعي ، واستشهدوا بقوله صلى الله عليه وسلم :

" يا أسماء أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح لها أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه " . (٣) وقوله تعالى " وليضربن بخمرهن على جيوبهن " الخمر جمع خمار وهو ما يخر به أي يغطي به الرأس ، والجيوب جمع جيب وهو الصدر ، فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن ، أن يغطين رؤوسهن وأعناقهن ونحورهن وصدرهن بكل ما فيها من زينة وحلي ، على خلاف ما كانت عليه حال النساء في الجاهلية " .

ويوضح الشيخ محمد متولي الشعراوي^(٤) "حكمة تشريع الحجاب مناقشاً المرأة في

ضرر التبرج .

"والمرأة التي تتضرر من الحجاب بزعم أنه يقيد من حريتها بستر ما أمر الله من مفاتنها .. عليها ألا تعترض على منح هذه الحرية لغيرها .. فإن أباحت لنفسها أن تتزين وتكشف عن مفاتنها .. لتجذب إنساناً وتفنته .. فعلها ألا تعترض على قيام غيرها بكشف زينتها ومفاتنها لتجذب زوج هذه المرأة أو ابنها . "

(١) سورة النور : آية ٣١ .

(٢) عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٦١ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - إيداع سنة ١٩٩٣م

(٣) وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يبين عدم فرضية النقاب .

(٤) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم : ص ٨٧ ، مؤسسة أخبار اليوم ، الإيداع ١٩٩٠م .

ويبين الشيخ الشعراوي^(١) للمرأة أن الهدف من الحجاب يعود عليها (١) :-

"إن الهدف هو صيانة المجتمع كله من الفتنة .. وإبقاء للاستقرار والأمن بالنسبة للمرأة .. حتى لا يخرج زوجها من بيته وهي لا تعلم هل ستفتنه امرأة أخرى فيتزوجها .. أم أنه سيعود إلى بيته ؟

... لو أن الله سبحانه وتعالى لم يفرض الحجاب ، لكان على المرأة أن تطالب به .. لأنه أكبر تأمين لها ولحياتها ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد حجب المرأة من أن تستلفت الأنظار إليها بالكشف عن زينتها .. وهو قد حجب غيرها ممن هن أصغر وأجمل وأكثر نضارة من أن يستلفتن أنظار زوجها فيعرض عنها .. "

"وقاسم أمين" لا يرفض هذا الحجاب ، بل نراه يؤيده (يقول) (٢) .. " لم نر حاجة للتكلم عن الحجاب من الجهة الدينية فإن ما أوردناه في كتاب (تحرير المرأة) من النصوص القرآنية صريح في إباحة كشف الوجه واليدين ، ومعاملة النساء للرجال ، وقد وافقنا على ذلك كثير من علماء المسلمين الذين نقلنا آراءهم ، أما أن فريقاً آخر من الفقهاء استحسنت التشديد في الحجاب فهذا رأي لا يلزمنا الدين باتباعه . "

وكما هو واضح هو يوافق على ارتداء الزي الشرعي ويرفض النقاب ، ويستشهد بكلمة رشيد رضا تؤيد رأيه : " وقد كتب صاحب مجلة " المنار " كلمة في الحجاب نوردها هنا تأييداً لرأينا قال : وأما الأمر الثالث ، وهو حكم الشرع في هذه المكالمة ، فالمعروف أن الشرع إنما حرم الخلوة بالمرأة الأجنبية ، وأخبار الصدر الأول مستفيضة بمكالمة النساء للرجال وحديثهن معهم في الملأ دون الخلوة ، وكفاك أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهن اللاتي أمرن بالمبالغة في الحجاب ، كن يحدثن الرجال ، حتى أن السيدة عائشة كانت قائدة عسكر ومدبرة له في موقعة الجمل المعروفة وما أخال أن مكابراً يقول إنها لم تكن تكلم أحداً منهم إلا إذا حرم " (٣)

على أننا قبل أن ننتهي من الحديث عن الحجاب فلا بد من كلمة حول الحجاب والنقاب .. ويوضح "الشيخ الشعراوي" رأيه الخاص في هذه المسألة .. " وما دامت المسألة تدور كلها على ألا تكون المرأة فتنة للرجال .. ولا دعوة لهم إلى المفسدة .. فإننا - ومع الخط العام - نقول : إن كان وجه المرأة جميلاً .. جمالاً فتاناً .. يمكن أن يأتي بتأثير على كل من يراها ..

(١) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن : ص ٨٩ ، ٩١ .

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٧ المقدمة ، ج ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، إيداع سنة ١٩٩٣م

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٧ ، ٨ .

ففي هذه الحالة يجب أن تستر وجهها .. أما المرأة العادية .. فلا ضرورة لأن تستر وجهها وكفيها .. ولذلك أقول عن النقاب .. إن النقاب لا مفروض ولا مفروض ..^(١)

أما "الشيخ محمد الغزالي" فيناقش بوجهة نظر رجل الدين الداعية موقف الغرب من النقاب يقول^(٢): "وأعود إلى التجربة الكبيرة التي سوف يمر المسلمون بها في إنجلترا وغير إنجلترا بعد أن يبنوا مدارسهم الخاصة ! ترى هل سيلزمون الطالبات بالنقاب ؟

إذا حدث ذلك فسيكون قضاء على الدعوة الإسلامية والصحة الإسلامية ، ولن يقبل رجل أو امرأة الدخول في هذا الدين ! إن الأوروبيين يعرفون ملابس الفضيلة في أزياء الراهبات عندهم وهذه الأزياء أقرب ما تكون إلى الحجاب الشرعي عندنا ، وإذا نحن التزمنا بهذا الحجاب أنصفنا ديننا ، وأغرينا عشاق الفضيلة بالدخول فيه .

أما إخفاء الأيدي في القفازات وإخفاء الوجوه وراء هذه النقاب ، وجعل المرأة شبحاً يمشي في الطريق معزولاً عن الدنيا فذاك ما لم يأمر به دين .^(٣) ومنشأ الحجاب (يقصد النقاب) في نظر "قاسم أمين" هو^(٤) .

"ولما كان من المحال ألا تعرض ضرورة تقضي على المرأة بالخروج من منزلها في بعض الأحيان أراد أن يتبعها - يقصد الرجل - بالحجاب حيث سارت فألزمها بستر وجهها إذا خرجت .

هذا الحجاب الذي قرره الرجل في الأصل على زوجته تعدى بعد ذلك إلى البنات والأمهات والأخوات وإلى عموم النساء ، لأن كل امرأة هي زوجة أو كانت زوجة أو مستعدة لأن تكون زوجة .

وليس من الغريب بقاء الحجاب بعد زوال السبب الذي أوجده أي بعد خروج المرأة عن ملكية الرجل .. اقتضت سنة التدريج أن تعيش النساء في حالة وسط بين الرق والحرية .. يكبر على الرجل أن يعتبر المرأة التي كانت ملكاً له بالأمس مساوية له اليوم .. وزعم أن الله لما خلق الرجل وهبه العقل والفضيلة وحرّمها من هذه الهبات .. يلزم أن تعيش غير مستقلة تحت سيطرة الرجل وأن تنقطع عن الرجال وتحتجب بأن تقتصر في بيتها وتستتر وجهها إذا خرجت حتى تفتنهم بجمالها أو تخدعهم بحيلها ، وإنها ليست أهلاً للرقى العقلي والأدبي فيلزم

(١) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم : ص ٩٧ .

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والرافدة : ص ٧ ، دار الشروق ط السادسة شوال ١٤١٦هـ ، مارس ١٩٩٦م قال هذا الحديث تعقيباً على مؤتمر عقد في لندن حول مستقبل التعليم الإسلامي في إنجلترا وكان المتحدث البريطاني "مستر جاك سترو" دافع فيه عن الإسلام وأنه أعطى للمرأة حقوقاً منها التعليم والدعوة إلى الدين وغيرها وقد شكر الغزالي صنيعة ثم علق بما سبق .

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٣٥

أن تعيش جاهلة • وذلك هو السر في ضرب الحجاب • وعلة بقائه إلى الآن ، فأول عمل يعد خطوة في سبيل حرية المرأة هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره . "

ويوافق "فريد وجدي" رأي "قاسم أمين" وهي - موافقة ضمنية - حين يرى أن صاحب القرار في قضية المرأة هو الرجل " ومن ضمن البراهين المحسوسة على أن حجب المرأة وكشفها من حقوق الرجل مباشرة هو أن محرري النساء إذا أبدوا أفكارهم وطلبوا طلباتهم لا يوجهون الخطاب إلا للرجل نفسه "(١)

ويستشهد بما كتبه قاسم أمين نفسه حين يتحدث عن تحرير المرأة يحدث الرجل عما يخص المرأة " فقد كتب حضرة مؤلف " المرأة الجديدة " يقول "(٢) : " وإنما تكتب لأهل العلم وعلى الخصوص الناشئة الحديثة التي هي مستودع أمانينا في المستقبل فهي التي بما اكتسبته من التربية العلمية الصحيحة يمكنها أن تحل مسألة المرأة المقام الذي تستحقه من العناية والبحث . "

وكان "فريد وجدي" قاسياً حين جعل المرأة كقطعة أثاث حين قال : "(٣)
" هل بعد هذا برهان قاطع على أن مقادير النساء بيد الرجال يوجهونها كيف يشاؤون ويتصرفون في شؤونها بما يريدون .. "

ورفض "فريد وجدي" الدعوة إلى استقلال المرأة لأن الاستقلال يكون بين عنصرين متكافئين لا مكملين لبعضهما كالمرأة والرجل فقد شبهما بالماء ..
" أن مثل الساعين في ذلك كمثله الساعي في إيجاد الاستقلال بين العنصرين المكونين للماء الأكسجين والهيدروجين "(٤)

وبعد أن وصل "فريد وجدي" إلى هذه النتيجة يخفف من حدة نبرته ويجعل المرأة والرجل مشتركين معا في القرار .. " إذا تقرر هذا كله وثبت أن الرجل والمرأة غير مستقلين أمام بعضهما ، بل هما شيء واحد فمسألة احتجاب المرأة أو ابتذالها صار بالأقل حقاً مشتركاً بين الرجل والمرأة فليس لها وحدها أن تنبذه بدون إقرار الرجل على نبذه . "(٥)

ويوضح "فريد وجدي" العلاقة الطردية - من وجهة نظره - بين الحجاب وارتفاع شأن الأمم بما حدث في القديم لدولة الرومان حين احتجاب النساء "برع الرومانيون في كل شيء ،

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١١٣ : ط الأولى ، مطبعة الترقى بشارع عبد العزيز بمصر سنة ١٣١٩ هـ ، ١٩٠١ م
نقلاً عن المرأة الجديدة ص ٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ١١٣

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١١٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ١١٨ - في الأصل أيدروجين .

(٥) المصدر السابق : ص ١٢٠ .

نحتوا التماثيل العظيمة وشيدوا الهياكل الفخيمة . وفتحوا البلاد وملكوا العباد واستبدوا
بصولجان الملك والعظمة دون سواهم من الأمم " . (١)

وبالمقارنة فقد انهدم ملك الرومان ما أن خرجت المرأة لمجالس اللهو وتدخلت في
شئون البلاد .. " حتى صار لهن الصوت الأول في تنصيب رجال السياسة وخلعهم فلم تلبث
دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري .. حتى أن
القارئ للتاريخ ليندهش أن ذلك الصرح الروماني الباذخ قد هدمته المرأة حجراً بعد حجر
بيديها الرقيقتين " - ويبرر وجدي فعلتها - لا سوء نية منها ولا لكونها مستعدة للإفساد بل
لافتتان الرجال بها وتناظرهم عليها . " (٢)

وسوء النية بالمرأة قد أبرزه الكاتب الغربي " لويز برول" في تحليله لأسباب الفساد
السياسي " فساد الأسس السياسية وجد في كل زمان. ومن الغريب المدهش أن مظاهره في
الزمن السابق مشابهة تماماً لمظاهره في الزمن الحاضر ، بمعنى أن المرأة كانت العامل
الأقوى في هدم الأخلاق الفاضلة " (٣)

والحق فقد دافع فريد وجدي عن المرأة من تلك التهمة .. قال " كان الأجدر بهذا
الكاتب العمراني أن لا يلصق تهمة الإفساد بالمرأة لأن الرجل هو الذي أفسدها وجعلها
أحبولة للإفساد لمحض أمياله الدنيئة . " (٤)

وقد كرر فريد وجدي دفاعه فيما سبق حين وصف الرجل الروماني الذي أخرج المرأة
من حجابها قال : " فتمكن ذلك العنصر المهاجم لمحض حظ نفسه من إتلاف أخلاقهن وخذش
طهارتهن ورفع حيائهن ... " (٥)

ويصور فريد وجدي حال النساء بعد حياة الترف والبدخ في زمن فساد العهد الروماني
إلى نقيض من الأسر وهضم الحقوق ومن ذلك ما لا يستطيع وصفه .. يقول : (٦)
" وإنى لو أردت أن أشرح للقراء كيفية تحقيق الجرائم على النساء والآلات المختلفة
والأساليب الشيطانية للتعذيب لما وجدت من نفسي الجلد على وصف هذه المظالم المرعبة

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٢٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٢٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٢٥ .

نرى فريد وجدي مدافعاً عن المرأة من تهمة هدم الأخلاق ألا ترون معي كيف يناقش ويرفع من شأن المرأة ويبعد عنها كل التهم
والإهانات التي يلصقها بها الغرب فلا تلبث المرأة القارئة له أن تشعر أنه معها يدافع عنها وإن اختلفت معه في بعض الوجوه فكل ما
يكتبه كفيل بأن يجعلها تثق فيه فهو الأب ، الأخ ، الزوج ، هو الرجل الذي تحتاجه المرأة .

(٥) المصدر السابق : ص ١٢٤ .

(٦) المصدر السابق : ص ١٣٠ .

ثم لو كلفت أحد النقاشين برسم الهيئات بذاتها تمثل النساء في حالة صب القطران على أجسامهن أو ربط أرجلهن في خيول مختلفة وتركها وشأنها تركض إلى كل جهة لتمزقهن تمزيقاً ، أو ربط جماعة منهن في سارية وتحتهن نار هادئة مدة أيام ليمتن على تلك الحالة يتساقط لحومهن وشحومهن ... "

كما رأينا حالة من الظلم البين بعد الحرية التي تمتعت بها النساء يأبى فريد وجدي أن يصورها لبشاعة الأمر عليه وعلينا وإن كان وضوحها بما يثير الاشتزاز .

وبعد أن وصل من خلال المناقشة والتحليل إلى أن أسباب الظلم الواقع على المرأة من قبل الرومان شعورهم إنها سبب الفساد بعد ما أخرجوها بأيديهم وزينوا لها الفساد .. يناشدنا "فريد وجدي" .. " فإذا كان حال المرأة كذلك في يد الرجل فاحتجاب المسلمة خير كفيل لها من الوقوع في مثل هذه الحالة فقد حاطها الإسلام بقوانين حكيمة رسخت في أعماق القلوب لا يستطيع المسلمون هدمها إلا إذا غيروا دينهم وبدلوه كله . "(١)

إنه يعيد الحديث ويلج على المقارنة بين حال المسلمات والنساء في الغرب وما تعرضن له من تعذيب ، وهذا فيما أرى لأن الداعين إلى خروج المرأة يقلدون الغرب ، فهو يبين لهم سوء حال الغرب المزعم تقليدهم .

ويقسم "قاسم أمين" مزايا وعيوب الحجاب - يعني إحتجاب المرأة عن الرجل - يقول:-(٢)
" أما الحجاب فضرره أنه يحرم المرأة من حريتها النظرية ويمنعها من استكمال تربيتها ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة ، ويحرم الزوجين من لذة الحياة العقلية والأدبية ولا يأتي معه وجود أمهات قادرات على تربية أولادهن . وبه تكون الأمة كإنسان أصيب بالشلل في أحد شقيه . "

" ومزاياه تنحصر في أمر واحد هو أن يقلل الزنا حيث يحول بين الصنفين ، ويمنع الاختلاط بينهما في الظاهر ، وإن لم ينزع الميل إليه من النفوس ، فيكون ما يسمونه عفة على حد ما قيل : إن من العصمة ألا تحد ، فالأجساد في صيانة ، وأغلب القلوب في خيانة ! . "
أما فوائد الحجاب عند "فريد وجدي" هي .. " .. أن الحجاب هو الضامن الوحيد لاستقرار المرأة والكامل الفرد لحريتها ورد سيطرة الرجال .. "(٣)

" يرانى القراء لا اختار الحجاب للنساء طلباً لعفتهن ولا أريد أن أطلبه لهذا الغرض .. لأنه هضم لحقوق ذلك الجنس الرقيق صاحب العواطف الفاضلة فإن الغريزة الأدبية لدى

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٣٣ .

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة ١٢١ .

النساء اسمى منها لدى الرجال يقيناً وأعراضهن أظهر من أعراضهن في الجملة وإنما اختاره لأنه الحصن الحصين الذي يأمن فيه النساء غائلة الرجال وشرتهم ...
فإنهم إعتدلاً على أن ليس في تركيبهم - يقصد الرجال - ما يفضحهم لو خرقوا سياج العفة يوماً أو كل يوم تراهم يتكالبون بنهمة إفراطية على إغراء النساء بكل حيلة وبكل وسيلة .^(١)
ويوضع "فريد وجدي" سبب تقليد المرأة المسلمة للمرأة الغربية :-

" الذي يلقي نظرة على حالة المرأة المسلمة اليوم يجدها قد تجردت من جميع تقاليدھا القديمة ، واتجهت صوب تقليد المرأة الغربية بل بزتها . والذي يعني بتعليق هذا التطور السريع يجده آتياً من قبل الرجال ، وهؤلاء ما انحطوا إلى هذه الدركة من فقد الغيرة إلا من تسرب روح الفلسفة المادية إليهم ."^(٢)

ويستكر "الشيخ الشعراوي" دفع الرجال المرأة إلى التبرج ..
" والغريب أنك تجد بعض الرجال أشد تحمساً ودفعاً للمرأة لإبداء زينتها وعدم التّحجب وإلى الاختلاط بالرجل . ونحن نقول لهؤلاء الرجال : إن الله قد وضع لكم القانون الذي يحمي زوجاتكم وبناتكم .. فإذا كنتم تدفعون بعض النساء للتبرج .. فإنكم قد وضعتم باستباحتهن ؛ النظر إلى زوجاتكم وبناتكم .. إن الله قد حماكم من هذا .. ولكنكم استباحتموه فلا تلوّموا إلا أنفسكم إذا إنحرفت الزوجة أو الابنة .."^(٣)

واستمرار لمناقشة قضية العفة والاحتجاب يناقش "فريد وجدي" أقوال جريدة المقطم ،
" لأنه ثبت باستقراء حوادث العالم أن الرجل هو المغري للمرأة على خدش وجهه .
الأدب حتى أن جريدة المقطم التي نددت بالحجاب من وجهة عمرانية في ٨ فبراير ١٩٠١م تشهد بهذه الحقيقة الجلية فقد قالت " وتاريخ كل هيئة اجتماعية يشهد أن الرجل هو المهاجم لفضيلة العفة والمرأة هي المدافعة عنها "^(٤)

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٣٧

يعتبر "د. يونان لبيب رزق" فريد وجدي مثبط لهم الداعين إلى تحرير المرأة يقول :

ويصوب جردلاً من الماء البارد على الحماس الذي أبدته المرأة المصرية لتشارك في الحياة العامة عندما يخلص في هذا المقال بأن القاتلين بخروج المرأة إلى ميدان الحياة والعمل لا يريدون لها سوى ارتياد النوادي والمجمعات والملاعب والمنزهات والحفلات المتألقة بالأنوار والمجالس التي يأخذ سناها بالأبصار .. "

(الأهرام:ص٢٧٦الحلقة٢٧٦ من "المرأة المصرية في حياة الأمة" بقلم د. يونان لبيب رزق في ١١ مارس ١٩٩٩م)

(٢) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٨٦ نقلاً من مجلة الأزهر (نور الإسلام سابقاً) رمضان سنة ١٣٦٦هـ

(٣) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن : ص ٩٦ .

(٤) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٣٧ .

وفي عدم أهمية الحجاب كمحافظ لعفة المرأة تقول جريدة المقطم ^(١): " في الهيئة الاجتماعية لا يثبت للحجاب فضل في حفظ العفاف والشاهد على ذلك أنه ليس بين الكتاب كاتب يدعي أن بنات الريف اللاتي لا يحتجبن وأن عرض الفلاحة والبدوية غير مصون كعرض المحجبة " .

ويرد "فريد وجدي" معتمداً على نظريات علم النفس يقول: ^(٢) " .. لا ينكر أحد ذلك، ولكن لا يحسن أن يغيب عن فكرنا أن الفلاحة والبدوية المكشوفتين ، هما في أحط أدوار تنازع البقاء والحرب المعاشية. وقد أثبت البسيكولوجيا (علم النفس) أن الإنسان وهو في تلك الحالة لا يكاد يفكر إلا فيما يحفظ شخصه من العطب وبناء على هذا فمثل هاتي النسوة ليس لديهن وقت تثور عليهن فيه عوامل اللهو وترغمن على الخضوع لمؤثرات أهوائهن . فتراهن يشتغلن مع أزواجهن أو آبائهن طول النهار حتى إذا جاء الليل طالبتن أجسامهن بالراحة من جهادهن الهائل ولذلك ترى الفلاحة أو البدوية بمجرد نوالها ما يغنيها من المال تجعل همها الأول وضع الحجاب على وجهها والتستر عن أعين الرجال . "

يناقش "الشيخ الشعراوي" المسألة من وجهة نظر أخرى فيدافع عن الاحتجاج بعمل المرأة في الريف .. " قد يقال إن المرأة في الريف تعمل في الحقل وفي المنزل .. نقول نعم ، ولكنها تعمل مع بنات جنسها .. أو أشقائها أو محارمها .. وكلهم يعمل معها ، فإذا كانت يوماً متعبة أعانوها .. وإذا كان العمل كثيراً .. فهي يمكن أن تعود إلى بيتها متى شأبت .. والعمل في البيت وفي الريف عمل جماعي .. تتعاون فيه المرأة مع جاراتها وصديقاتها .. كل منهن تساعد الأخرى ولا يكن العمل شاقاً أو متعباً " ^(٣)

أما قول المقطم : " ولما كان الرجل هو العنصر المهاجم لفضيلة العفاف عند انحلال ربط الآداب والمرأة هي المدافعة عنها .. فالعقل يقتضي تقوية قواها العقلية مع قواها الأدبية وتوسيع إدراكها واختبارها حتى تعرف كيف تحفظ منزلتها من الفضيلة والكمال . " فيجيب عنه "وجدي" بقوله : " إن هذا النوع من التربية يستحيل أن يعطي لكل امرأة بل لن ينال إلا بنات المثريين فقط ، لأنه يستدعي سنوات عديدة في المدارس تستلزم ثقل البنت

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٣٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٨ ، ١٤٠ .

يشبه هذا حال بعض النساء في المجتمع الحالي من العمل من أجل تحمل تكاليف وأعباء الحياة مع الرجل ،

(٣) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم : ص ١٠٢

ذهبا^(١) وبذلك يبقى أكثر من تسعة أعشار البنات عارياً من مثل ذلك التهذيب الفلسفي أي معروضات للاتصياح لحيل العنصر المهاجم أي الرجل وبناء عليه ؛ فإن هذا الحجاب المعنوي الذي يشير إليه أنصار الابتذال أشد على المرأة من ذلك الحجاب الرقيق بما لا يقدر - يستفهم في تعجب قائل - لماذا لا يهبون المرأة حجابها المادي لتكتفي هي والرجل مؤونة هذا الجهد الهائل .^(٢)

"فريد وجدي" يرى أن الحجاب يحمي المرأة من الرجل ويحميها من نفسها وهراء أن نرفع الحجاب ثم نقول لها صوني نفسك من الرجل وانتصري عليه وعلى شهواتك فهذا ظلم بين .

ويرد "قاسم أمين" أن للحجاب أضراراً من ذلك .. أنه يحول بين المرأة واستكمال تربيتها^(٣) ... ويوضح قاسم أن العمل وتطبيق ما درسته هو المقصود باستكمال تربيتها "فمزاولة الأعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الأمور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب ، كل هذه الأشياء هي منابع العلم والآداب الصحيحة ، بها ترتقي النفوس الكريمة حتى تبلغ أعلى الدرجات وأمامها تنهزم النفوس الضعيفة وتسقط إلى أسفل الدرجات " ^(٤)

أما فريد وجدي فيؤكد أن الحجاب لا يمنع المرأة من استكمال تربيتها .

" أما الحجاب .. ففوائده أنه يتمتع المرأة بحريتها الحقيقية وقد علمت ما هي تلك الحرية ويمكنها من استكمال تربية نفسها بتربية أموية . ويعوقها عن مشاركة الرجال في أعمالهم وهو الأمر الذي نخر عظم هذه المدنية المادية ، بشهادة علمائها في القارتين الأوروبية والأمريكية ، ويجبر أهلها وحكومتها على ضمانتها معاشها بالطرق الحكيمة ، ويمتع الزوجين بلذة الحياة الزوجية ، ويتأتى معه وجود أمهات قادرات على تربية أولادهن تربية إسلامية ، وبه تكون الأمة كإنسان صحيح البنية له أعضاء ظاهرية وأخرى باطنية .^(٥)

ونجد رأي "الشيخ الشعراوي" يشبه لحد كبير رأي فريد وجدي يقول الشيخ الشعراوي

عن فضل الحجاب :-

(١) هذا كان في بداية القرن العشرين، وقد حلت هذه المشكلة على يد الأستاذ طه حسين عندما دعا إلى مجانية التعليم فهو صاحب الكلمة المشهورة ؛ العلم كالماء والهواء .

(٢) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٩٧

(٤) المصدر السابق : ص ١٠٥ .

(٥) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٤٨

" الحجاب بالنسبة للمرأة .. إنه لصالحها ولأمنها .. وليحفظ لها بيتها وزوجها .. وأنه من مصلحة المرأة مثل غيرها - أن يكون الحجاب عاماً .. وألا يختلط الرجال والنساء ، وأن المرأة التي تسمح لنفسها .. بأن تفتن أزواج غيرها بدعوى الحرية أو غير ذلك .. لا بد أن تسمح لغيرها بأن تخطف منها زوجها ... " (١)

"والشيخ محمد الغزالي" .. جمع بين رأي كل من قاسم أمين وفريد وجدي حين ينادي بالتربية (السلوكية) مع الالتزام بالحجاب كزعي شرعي مع خروج المرأة .

" إن الحجاب المشروع ، وغض البصر ، وإخفاء الزينات والمباعدة بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء في أي اختلاط فوضوي ، وملء أوقات الفراغ بضروب الجهاد العلمي والاجتماعي والعسكري - عند الحاجة - كل ذلك يؤدي ثماراً طيبة في بناء المجتمع على الفضائل . " (٢)

ونتهي الحديث عن الحجاب بتعقيب "فريد وجدي" على مقال مستشرق يوضح حال المرأة المسلمة في المغرب العربي ، يقول المستشرق :-

" أما حالة هؤلاء النسوة فتلوح لهن عادية لاشية فيها . أما اللاتي يتألمن منها اللاتي يردن أن يدفن لذة الحرية التي لا تصلح لها بيئتهن ، ولا يصلحن هن لها ، والعربيات وإن كن على جانب عظيم من الذكاء ، فإن نفوسهن قد ألفت العادات التي نشأت عليها ، وإن كانت تربيتهن الحديثة قد جعلتهن كالمنحطات على مكانتهن . وقد عرفت شابتين عربيتين كلتيهما حاصلة على الدكتوراة في علم الحقوق ، دخلتا الحريم بالزواج بعد عودتهما من جامعة باريس عن طيب نفس ولم تخرجا منه وليس هذا بالأمر النادر ... فعلى المرأة الأوروبية التي يسعها الحظ بأن تقبل في الحريمات باعتبار أنها صديقة لأهلها ، أن ترى من الواجب عليها أن لا تحاول جذب أخوتها العربيات إلى قبول فكرة التحرير . فهذه قد تكون غلطة بسيكولوجية واجتماعية ... (٣)

ولكن يجب عليها أن تعتبر صواحيباتها المسلمات الجميلات اللاتي يشبهن ملكات بيزنطة ، مخالفات لها في الشعور ، فيجب أن تعاشرهن وأن تحترم أسلوب حياتهن ، دون أن

(١) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم : ص ٩٧ .

اعتقد أن المقصود هو الاختلاط الفاسد الذي لا يراعي فيه تعاليم الدين .

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والرافدة : ص ٤١

(٣) هذه المقالة كتبت بعد أكثر من ثلاثين عاماً من الدعوة إلى تحرير المرأة .

تسعى في بذور بذور الآراء التي لم تستعد عقولهن لقبولها .^(١)
هذا عن الجانب الموضوعي في المقالة أم عن التلويح من بعيد لحجاب المرأة أي عدم خروجها يقول :-

" أما أعظم ما يمكن أن يعمل لهن فهو العناية بأمر صحتهن ، وإشراك الأزواج في هذه العناية .. ذلك لأنهن مصابات بفقر الدم بسبب معيشتهن في الظل ... " ^(٢)
ويعقب وجدي مستكرا الاتهام بأنهن أسيرات المنازل :-

" فإن تلك النسوة إن كن محجبات فهن لسن بمحبوسات ، وكل من زار البلاد المغربية يعرف ذلك كل المعرفة ، ولكن كتاب الفرنجة يعادون الحجاب ، ولا يقصرون في اتهامه بكل نقيصة ويقتلهم لدينا من يأخذون أخذهم ويزيدون عليهم في منأواته . " ^(٣)
ويتعجب "وجدي" مما آل إليه حال النساء مع السفور ويتساءل أين دعاة التحرير ؟

ثانيا التعليم :-

ثاني القضايا التي تفرعت عن دعوة تحرير المرأة ، ضرورة تعليم المرأة ، هل هو حقها أم لا ؟!

وإذا اعترفنا بأحقيتها في التعليم ، فما هو نوع التعليم المناسب الذي يجب على المرأة أن تتلقاه ليناسب تكوينها ووظيفتها في الحياة .

وتعليم المرأة يلزمه ويكمّله ويسبقه التربية وهي مفتاح لتعليم الفتاة .
أشار كل من "قاسم أمين" و"فريد وجدي" لضرورة التربية وفسرها كل منهما حسب مقصده وهدفه الخاص ، و"فريد وجدي" يؤكد في بادئ الأمر حق المرأة في حريتها ولكنها حرية مشروطة بالاعتدال .

يقول : " نعم لم تخلق المرأة لتستعبد فيجب عليها أن تجاهد لنوال حريتها المعتدلة .
ولكن بأي سلاح .. ليس ذلك السلاح إلا معرفتها خطورة وظيفتها وسمو مقام الهبة التي

(١) مقال نشر في جريدة (جورنال دو جنيف) السويسرية بعنوان (حالة المرأة العربية في الحريم) عربيه فريد وجدي ونشره في المجلد الحادي عشر من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٩هـ ، ص ٥٧١ وما بعدها نقلا من مناقشات وردود ، محمد فريد وجدي ، جمع محمد رجب البيومي ص ١٨٨

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٨

(٣) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ١٨٩ ، ١٩٠

قسم د. يونان لبيب رزق تفاعل المرأة مع الدعوة إلى تحريرها إلى ثلاثة أطوار (بالنسبة للصحافة) ، الأول : موقف المتفرج من أبان الدعوة الأولى على يد قاسم أمين سنة ١٨٨٩ م ، ثم الطور الثاني : التوقيع في الصحف بأسماء مستعارة على مقالتهن ، والطور الثالث : التوقيع بالأسماء الحقيقية وعلى حد تعبيره (فأسقطن بذلك الحجاب الذي طالما فرض حتى على أمهاتهن ا) أنظر الأهرام " مقالة المرأة المصرية في حياة الأمة " ص ٧ بتاريخ ١١ من مارس ١٩٩٩ م

منحتها والعمل على حسن التصرف بها . هذا السلاح يجعلها موضوع التجلة والاحترام ومحل الإجلال والإعظام لأنها تعتبر عندئذ مليكة لأزمات الإحساسات وسلطانة على منازع الطباع فهي إن شاءت جعلت الحكومة ملوكية وإن شاءت قلبتها جمهورية وإن شاءت عملتها اشتراكية وما ذلك إلا بتربية الأطفال على حسب آميالها وسوقها إياهم إلى الغاية التي تتمناها ... " (١)

ويشير "وجدي" إلى عدم جدوى تعليم المرأة أمام خطورة وأهمية التربية ..
 " أما كان يجدر بالدكتورة أو المهندسة أن تكون والدّة مهذبة تلد خمسة دكاترة وخمسة مهندسين ينفعون النوع الإنساني ويكثرون النسل ويعملون على فلاح الأمة . " (٢)
 ويؤكد فريد وجدي الضرر اللاحق بالأطفال من جراء جهل الأم . " ولو كان في بلادنا إحصائيات كاملة لعلمنا منها أن أكثر الأطفال يموتون من جهل الأمهات بشروط التربية الطفلية . " (٣)

وهو في هذا يتفق مع رأي "قاسم أمين" القائل بضرورة تربية المرأة ثقافياً لتحافظ على أسرتها .. " يمكنني أن أقرر بوجه الإجمال حقيقة أود أن يطلع عليها كل أب وأم ، وهي أن جميع العيوب التي تشاهد عند الأطفال . مثل الكذب والكسل والحمق ، هي ناشئة من جهل أبويه بقواعد التربية وأن من السهل إزالة هذه العيوب بالوسائل الأدبية وقد يتوصل لإزالتها بالوسائل الطبية . " (٤)

ويوضح "فريد وجدي" دور المرأة في المنزل وتربيتها لأبنائها واتفاق هذا مع تكوينها ويشاركه "قاسم أمين" في أهمية هذا الدور يقول (٥): " نصح هنا أن أحسن خدمة تؤديها المرأة إلى الهيئة الاجتماعية هي أن تتزوج وتلد وتربي أولادها ."
 ولكن قاسم لا يغفل مع هذا الدور الهام أهمية التعلم يقول : " إنما الخطأ في أن نبني على ذلك أن المرأة لا يلزمها أن تستعد بالتعليم والتربية للقيام بمعاشها وما يلزم لمعيشة أولادها إن كان لها أولاد صغار عند الحاجة " .

وبعد سنوات من النقاش الذي دار حول تعليم الفتاة أثبتت اتهامات بأن التعليم أفسد الفتيات فأثبتت أقلام تدافع عن تعليم الفتاة موضحة أن العيب في التربية لا في التعليم ومن

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٤٠ .

ينسب وجدي المرأة إلى السلاح الذي يملكه وهي غافلة عنه ، فهذا السلاح قد يصل بها إلى العدل الذي تريده أو الظلم للرجل ولكنه يقول إن الله بما يخص به المرأة من صفات ، يجعلها تستخدمه بطريقة سليمة ، إن هي فطنت إلى ذلك وأوقفه على قوة هذا السلاح .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢

(٣) المصدر السابق : ص ٢٧

(٤) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٧٧ .

(٥) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ١٠٢

ذلك باحثة البادية "ملك حفني" تقول^(١): " التربية الحسنة : هي التي تعود الإنسان من صغره احترام الغير إذا استحق الاحترام ولو كان عدوا . فالتعليم لم يفسد أخلاق الفتيات . وإنما هي التربية الناقصة تلك التربية - في الحقيقة - يجب أن تكون من أعمال البيت لا المدرسة . ولما كانت بيوتنا لم تبلغ الدرجة التي تؤهلها لإحسان تربية الأطفال ، فقد وجب علينا أن تضاعف مجهوداتنا لإصلاح شأن أنفسنا أولا . ثم إصلاح النشء ، ولا يتم ذلك في لحظة كما يتوهم . ومن الظلم أن نلقي مسؤولية الفساد كلها على المدرسة ؛ فإن المدارس لها تأثير في التربية ولكن ليس عليها محل الذنب . بل العيب في الأسر . "

ومن مقترحاتها صدور لائحة تشريعية تحمي الفتاة والمجتمع وتحافظ على تعاليم الإسلام في آن واحد من مواد هذه اللائحة .. " تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن والسنة الصحيحة .. إطلاق الحرية في تعليم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد .. اتباع عادة نساء الأتراك في الأستانة في الحجاب والخروج " .^(٢)

ونجد مقترحات باحثة البادية توافق كل مسلم حريص على دينه فيها هو "الشيخ محمد الغزالي" يؤكد أهمية التربية واتباع تعاليم الدين ..

" إن الإسلام الحق هو الدواء الناجح ، والعناصر التي يقدمها لقيام مجتمع طاهر ، تصان فيه الأعراض ، وتسود أرجاءه العفة تبدأ من البيت ، فالصلوات تنتظم أفرادهم كلهم الصبية والرجال ، ويراقب أداؤها بتلطف وصرامة ، وتراعي شعائر الإسلام في الطعام واللباس والمبيت والاستئذان ، واستضافة الأقارب والأصدقاء ..

والشارع ليكون إسلامياً ينبغي أن يتعاون الجالسون والمارون فيه ، على سحق الكلمة البذيئة ، والنظرة الجريئة ، وعلى مطاردة العصيان والعري بما في الوسع ، كما حددته الشريعة في قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..^(٣)

تردد الرأي في تعليم البنات بين متشدد محافظ يفضل عدم تعليمها الكتابة ، وبين ميسر يرى أن التعليم فريضة ومكرمة ودور المرأة الأساسي هو الزواج والأمومة والبيت ، فهذا هو الدور الذي أعدها الله له .

يرى "محمد عزة دروزه" أن حق المرأة في التعليم .. " ليس من شأن هذا أن يمنع النساء من التعليم والتثقيف ، والجهد في سبيلهما لأن ذلك يرفع من قيمتهن ويزيد من فهمهن للحياة من جهة ، ويساعدهن على القيام بمهنتهن بكفاءة من جهة أخرى ، وليس من شأنه كذلك

(١) عبد المتعال محمد الجبري : المرأة في التصور الإسلامي : ص ٦٧ ، ط الثامنة يونيو ١٩٨٦ م ، رمضان ١٤٠٦ هـ - مكتبة عابدين - القاهرة .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٨ .

(٣) محمد النزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٤٣ .

أن يمنعهم من ممارسة نشاطات عديدة اجتماعية بل وسياسية في نطاق الاعتدال وخدمة المجتمع^(١)

وعلى هذا فكل عمل يخل بالرسالة الزوجية والأمومة للمرأة يخرج من صفة المشروع ولو كان في حد ذاته مشروعاً .

والشيخ "محمد الغزالي" يرى ضرورة تعليم الفتاة وأن من يرفض هم الجهلة الذين يتحدثون بلسان الإسلام ظلماً وهو يصف حالة المرأة في بداية الدعوة إلى تعليمها .. يقول :^(٢) "والناس يكرهون الأنثى لضعفها ، وهم الذين استضعفوها ، وضنوا عليها بما ينضج مواهبها ويساعدها على إعطاء الثمر الطيب !! وقد عاصرت أياماً كان تعليم الأنثى فيها جريمة أو كان ذهابها إلى المسجد منكراً ! وكان الملتصقون بالدين يبخسون حقوقها المادية والأدبية جهرة ! ولا تزال بقايا من أولئك المتدينين الجهلة تظلم الإسلام بسوء الفهم والعرض في شتى الميادين .."

وبعد الاتفاق على مبدأ حسن التربية وضرورة التعليم ، يبقى نوع التعليم ؛ ما الذي نحتاجه المرأة لتتعلمه ؟ هل كل فروع العلم ، أم نوع خاص ، دون سواه ؟

فنرى قاسم أمين يفخر بالمرأة الأمريكية التي تعددت علومها يقول :^(٣) " يكفي للبيان ارتقاء شأن المرأة الأمريكية أن نقول إنه تبين من الإحصائية التي عملت في سنة ١٨٨٠م أن النساء المحترفات بالعلوم والأدبيات فقط بلغ عددهن خمسة وسبعين في المائة .. "

ولكن فريد وجدي لا يقتنع برأى "قاسم أمين" .. يقول^(٤) " لكن حضرته لم يشر إلى ما جره هذا الأمر من المفساد الاجتماعية القتالة ، تلك المفساد التي يعلمها كل واقف على كنه الحركة هناك من الإحصائيات الصحيحة " ... ويستشهد بأراء المرأة الغربية نفسها فيما جره عليهن التعليم .. يقول : "نورد هنا ملاحظة (مدام دوافرينو) ... ولكن يظهر أنه كلما أمغنت المرأة في التوسع بالفنون والعلوم زاد الرجل في طلاقها يمتد فيها إلى حد غريب غير موجود في هذه البلاد الإسلامية وسواها . "

ويشير فريد وجدي إلى التعليم في مدارس الغرب وتجاهلهم لأهم ما يجب تعلمه^(٥) .
 .. فتراهم يعلمونهن بالتدقيق علوم الكيمياء والطبيعة والرياضة ومع كل هذا تجد أن الشابة التي نالت قصب السبق في العلوم والتي تضلعت في جميع مواد البروجرام جاهلة

(١) عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٧٨ .

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بيت التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٦٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٩٦ .

لدرجة القصوى بأبسط النظافات المنزلية" ويستشهد وجدي برأي كاتب فرنسي جول سيمون.. " كنا نشكو من التفريط في التعليم فصرنا نشكو من الإفراط فيه " .

ويبين "الشيخ محمد الغزالي" فساد النظم الغربية التي تلقت منها المرأة التعليم :-
" ولقد كانت قبل الاستعمار الحديث أمة لا تقرأ ولا تكتب ، وفرضت عليها هذه الأمية باسم الإسلام المفترى عليه ! فلما اجتاحت بلادنا الحضارة المادية المعاصرة ، فتحت أبواب المدارس للمرأة .. فلم تتعلم فيها حقائق التراث الغالي ومناقب المرأة في عصرها الأول .. كلا لقد غزا عقلها الفكر الأوروبي ، ونهجه الشارد ، فإذا نحن أمام تقاليد لا تستر ومناهج لا تنفع ، بل قد تضر ^(١)!! .."

" ويناقش فريد وجدي أي أساليب التعليم أصلح لحال النساء ^(٢):- " وجب علينا أن نبحث على أحكم أسلوب نؤدي به للمرأة هذا الواجب التهذيبي عملاً بقول مؤسس العمران الإلهي صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) " .

ويوضح وجدي علة رفضه لأساليب التعليم الغربية فهو ليس تعنتاً أو رفضاً للغرب لكونه غرباً بدليل ^(٣) .. " لو رأينا ذلك الأسلوب الصحيح عند أية أمة من الأمم مهما كانت منافية لنا ديناً ودنيا فلا نتأخر عن تقليدها فيه بدون تعصب؛ طاعة لترجمان الحكمة الإلهية صلى الله عليه وسلم .. " خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت "

ويجب علينا قبل أخذ هذه الأساليب أن نختبرها "فالأولى أن لا نتهافت على أخذ شيء قبل سبر غوره بمسبار العقل والحكمة عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن كيس فطن حذر " .

فإن وجدنا ضالتنا عند أية أمة من الأمم أخذناها على الرأس والعين ونكون قد قمنا بواجب ديني فإن " الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أني وجدها " .

وإن لم نجدها وجب علينا أن نعمل قرائحنا ومواهنا في ابتكار ذلك الأسلوب المنطبق على الفضيلة والفطرة ، وأن نستنزل على أرواحنا الرحمة الإلهية ، لنهديننا إلى أحسن السبل وأقومها ، فإن الله أكرم من أن يتركنا نجاهد وراء الحقيقة عبثاً فقد وعدنا ووعده الحق بالهداية ، حيث قال : ^(٤) " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾ "

(١) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٩٠

(٢) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٩١

(٣) المصدر السابق : ص ١٩٢

(٤) سورة العنكبوت : آية ٦٩

وبعد توالي الأعوام ، يرد فريد وجدي على أحد رسائل الشباب ، فقد سألته أحدهم عن تعلم المرأة ، وعملها ومخالطة الرجال ، ونستشف من رده ، تغيير وجهة نظره على مدار أعوام تناهز الثلاثين وتزيد يقول :^(١) " إن الإسلام لم يضع للنشاط العقلي للمرأة حداً ؛ فأباح لها أن تتوسع في العلوم ما أمكنتها القرص من ذلك ، وما ساعدها عليه استعدادها ، ولم يمنعها أن تبث علمها في الناس ، ولم يخطر على الرجال الأخذ عنها ، بل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء " يريد عائشة أم المؤمنين . وقد روت ما رأته من سنته وما وعته ذاكرتها من كلماته ، وأخذت عنها الرجال ، وكانوا يقصدونها ليستزيدوها علماً . وما كانت هي تضمن عليهم بذلك .. فلما استبحر العلم فيهم ، ونبغ فيهم الأئمة أصحاب المذاهب ، لم ير واحد منهم بأساً في تلقي المرأة العلوم العالية ، بل سمحوا لها أن تجتهد إن بلغت درجة الاجتهاد ، وجوز بعضهم أن تلي القضاء ، وأن تفتي المسلمين . "

ويتفق "الشيخ محمد الغزالي" مع فريد وجدي في كون أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قدوة لنساء المسلمين يقول الغزالي^(٢) : " وكانت - رضي الله عنها - تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت .. وعلم عائشة يتجاوز الفتوى إلى التصحيح ، ورد ما يشيع من خطأ ، وكان رسوخها في فهم القرآن ، وفقهها في السنة النبوية ، وإطلاعها الواسع على أدب العرب ، يجعلها المرجع الثقة أبداً . "

ألا تكون هذه السيرة الناضرة أسوة للنساء المسلمات في شتى الإعصار ، والأمصار؟ أم نقول للنساء : أفعدن في البيوت ، لا شعر ولا نثر ، ولا دين ولا دنيا !! "

ويشير "د. عبد الله شحاتة" إلى بعض النماذج من النساء المتعلمات والمعلمات في تاريخنا الإسلامي ، يقول :-^(٣)

" حفلت كتب الأدب والتاريخ بذكر نماذج متعددة لنساء فاضلات ، بلغت مرحلة متفوقة في الثقافة والعلم ، وهذه أمثلة منهن :- زينب عبد الرحمن الشعري ، كانت عالمة جلييلة وقد أخذ عنها أعيان العلماء رواية وإجازة ، وممن أجازها الحافظ أبو الحسن الفارسي ، وأبو القاسم الزمخشري صاحب تفسير الكشاف ، وقد أجازت هي ابن خلكان وكان صغيراً تشجيعاً له . "

(١) محمد فريد وجدي : من معالم الإسلام : جمع ومراجعة د. محمد رجب البيومي ص ١٣٣ ، نقلًا عن مجلة الأزهر ، المجلد السادس

ج. السابع - رجب ١٣٥٤هـ - الدار المصرية اللبنانية سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٩١ ، ٩٢

(٣) عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٨٢

عديدة جدة أبي الخير التيتاني الأقطع ، وكانت تجلس للتدريس فيجلس أمامها خمسمائة تلميذ من الرجال والنساء .

ويكفيينا في هذا المقام أن نذكر أن ابن عساكر عد أساتذته الذين أخذ عنهم ، فكان منعهم إحدى وثمانون امرأة كما قال ياقوت في معجم الألباء " .

وبعد هدوء الجدل حول حق المرأة في التعليم ، يستمر الخلاف حول ما يجب على الفتاة تحصيله من العلم ، فما يراه أحدهم أن ذلك الفرع - من العلوم - بعينه لا يعود بفائدة على المرأة نرى آخر يقول بأهميته بل وكونه أنسب للمرأة وهي في اعتقادي آراء نسبية- من هذه الصور المتناقضة : يقول "البهي الخولي" ^(١) : " وإذا كانت الظروف تدعونا إلى أن يكون من الفتيات طبيبات أو مدرسات ، فلا بأس بذلك ، لأننا نستحسن أن يكون الطبيب الذي يعالج المرأة امرأة مثلاً ، والمدرس الذي يعلمها امرأة أيضاً . أما تعليم الحقوق والكيمياء والهندسة العليا ، فضرر من الترف لا يكون إلا على حساب المهمة الأصلية التي أعدت لها الفتاة " .

وبوضح رأي الإسلام في هذه العلوم التي يستنكرها هو؛ إرضاء للحق والحقيقة. يقول : " إن شيئاً من تلك العلوم ليس محرماً على البنات في الإسلام ، ولكن المصلحة - قطعاً - في أن تدرس غيره مما يعود عليها بالمنفعة في مهمتها الأصلية . "

ويكرر أن بعض العلوم يكون ضررها أكثر من نفعها " لقد دخلت الفتاة كلية الزراعة وكلية العلوم وكلية الصيدلة .. فماذا جنت الفتاة بنجاحها في كلية الزراعة وكلية الصيدلة؟ .. لم تجن إلا أنها خرجت من نطاق الرقة ومشاعر الأوثنة إلى الإسترجال الخشن " .

وفي حين يرفض البهي الخولي هذه العلوم يمدحها "عبد المتعال الجبري" يقول : ^(٢) " وطالما كان لدى الفتاة فراغ فشغله بالتعليم واجب .. وفي كل كلية جامعية ومعهد عال ، يوجد من الأقسام ما يتفق قليلاً أو كثيراً مع وظيفة المرأة الطبيعية . فكلية الزراعة بها قسم للصناعات الغذائية .. وهكذا . "

كما لا يرى "د.عبد المتعال الجبري" ضرراً في تطبيق ما تتعلمه الفتاة ما دامت تحافظ على تعاليم الإسلام في سلوكها يقول ^(٣) : " وقد درجنا على أن نرى الفلاحة تعمل مع زوجها في تربية الدواجن بالمنزل ، وقد تساعده في الحقل في زيتها المحتشم ، ولم يثر واحد من العلماء على هذا . ولئن عملت المهندسة الزراعية في مزرعتها ، أو مزرعة زوجها ، بالأسلوب العلمي في زي إسلامي لم يكن هنالك مانع ولا اعتراض ، اختلف أسلوب العمل

(١) البهي الخولي : بين البيت والجموع : نقلاً من عبد الله شحاته : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) عبد المتعال محمد الجبري : المرأة في التصور الإسلامي : ص ٦٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٤ .

في المجال الزراعي طبقاً للاختلاف بين ثقافة الفلاحة الزراعية .. وثقافة المهندسة الزراعية.."

وفي حين يرفض البهي الخولي تعليم المرأة لعلوم الطب والصيدلة ، نرى د. عبد الله شحاته يراها أنسب العلوم للمرأة ، ويقول :^(١)

" فالطب والصيدلة والتعليم والمحاسبة والكتابة أكثر انطباقاً على المرأة الجامعية من هندسة الطرق والميكانيكيات أما غير الجامعية فأمامها الغزل والزخرفة والخياطة والتطريز والرسم والتجارة والعمل الديواني والهاتف والبريد ومثل ذلك ، وهو أنسب لها من الحدادة والنجارة والطباعة "

ثالثاً : العمل :-

إن قضية العمل هي التالية لقضية التعليم ومقترنة بها لا محالة . وقد اعترف فريد وجدي بأحقية المرأة في التعليم ، ولكن موقفه من العمل اختلف ، يقول^(٢) :- " .. إننا لا نظن أن توغل المرأة في العلوم والآداب يجعلها مكروهة لدى الرجل ، ولكن الذي يجعلها قبيحة مزدارة هو مزاحمتها له في عمله الخارجي ليس إلا !.. " وقريب من هذا الرأي قول "د. عبد الله دروزه" يقول^(٣) : " إذا سمح للمرأة بنشاط موسع ، زاحمت الرجال ، ولن تكون المرأة بديلاً عن الرجال ؛ لأن ذلك يكون قلباً لأوضاع الطبيعة والجنسية والشرعية . "

ويوضح "فريد وجدي" أن طبيعة المرأة وتكوينها ، ينافي الخروج إلى معترك الحياة:^(٤) " انظر المرأة في إحساساتها تجدها مثال الرحمة والشفقة ونموذج الرقة والدعة ثم انظر لها في عواطفها ، تجدها ميالة لتضحية نفسها في سبيل غيرها ، مستعدة بفطرتها لعمل الخير والبر وهذه كلها صفات تنافي أهوال العالم الخارجي تمام المنافاة لأن الحياة الخارجية نضال وضراب وقتال وقراع للقوة ، فيها الشأن الأول وعلى القسوة في كل مناحيها المعول"

(١) عبد الله شحاته: المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٧٩

ولا ننسى ونحن نتحدث على التعليم أن نذكر فضل رفاة الطهطاوي وعلي مبارك وطه حسين ، أولئك الذين حثوا على تعليم المرأة ، وقد عانٍ أخيرهم برميهِ بالإلحاد ، يوضح محمد الغزالي ١٩-٢٠ هذا الأمر قائلاً :- " إنني عاصرت أوائل عمري معركة نشبت بعد ما اكتشف أن الدكتور طه حسين أذن لعدد من الطالبات بدخول كلية الآداب ، عندما كان عميداً لها . . . كان موقف الإيمان - أو بتعبير أدق - موقف المؤمنين أن ذلك لا يجوز ، أما الطرف الآخر ، والذي سمي بالملاحدة ، فهو الذي ناصر تعليم المرأة إلى أعلى المستويات ، أي إنصاف للإسلام في هذه المعركة السخيفة ؟ الدين مع الجهل ، والإلحاد مع العلم ؟ إلى متى نسمح لأناس يكذبون على الأرض والسماء باسم الدين؟ " .

(٢) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٦٣ .

(٣) نقلاً عن عبد الله شحاته : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٧٨

(٤) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٩٣

" إن كل ما في المرأة يدل على أنها يجب أن تعيش في عالم غير عالم الرجل ، وإلا فتكون كما يقول عنها الأستاذ (جيوم فريرو) .. جنساً ثالثاً بين الرجال والنساء من مميزاته شحوب الوجه وعبوسه ودوام الكآبة والماليخوليا . " (١)

ويرى "قاسم أمين" أن العمل قد يكون ضرورة " ما الحيلة إذا كان نظام الوجود يقضي بأن كثيراً من النساء يعيشن في الوحدة والانفراد ويسعين ويعملن لكسب قوتهن وقوت أولادهن وبعض أقاربهن من القواعد والعاجزين عن الكسب . " (٢)

ولكن يرى "وجدي" أن تلك المشكلة قد أوجد الإسلام لها حلاً يقول : " إذا علمت أن اشتغالهن خارج بيوتهن خلل اجتماعي خطير ، فالذمة وحب الجماعة تقضي علينا ألا نسعى في زيادة انتشاره بتسهيل سبله ، بل توجب علينا الإنسانية أن نعمل إلى مداواته بكل وسعنا وبجهد استطاعتنا ، ونقلد الرجال الغيورين على مستقبل النوع الإنساني في أوروبا وأمريكا بالإشارة على الحكومات بسن القوانين الكافلة لراحة هذا الجنس الرقيق " ثم يتساءل قائلاً : " فلننظر الآن إلى مدنية الديانة الإسلامية لنرى هل فيها ما يضمن حياة هذا الجنس من مخالب الجوع والفاقة ؟ "

ثم يجيب بقوله " نعم إنها ضمنت ذلك بقولها إنه لو مات زوج المرأة ولم يكن لها عائل من أقاربها عموماً وجب على بيت المال أن يقوم بنفقاتها في كل ما تحتاج إليه هذا ما تقوله المدنية الإسلامية . "

وبعد أن ذكر ما يؤيد رأيه من الإسلام أتى بما يؤيد هذا من الغرب حتى لا يكون لمعترض حجة ، يقول : " قال أجوست كونت في كتاب (النظام السياسي) وفي حالة عدم وجود زوج ولها أقارب يجب على الهيئة الاجتماعية أن تضمن حياة كل امرأة . "

ويتشابه رأي "العقاد" مع رأي فريد وجدي حين قال الأول (٣) " وإذا اتخذنا حالة المرأة النافعة لنفسها ولنوعها مقياساً للمجتمع الأمثل فخير ما يكون عليه هذا المجتمع إذن أن تكون المرأة فيه مكفولة المؤنة في أمومتها وأن تكون لها كفاية الأمم التي تؤهلها لتزويد الأمة .. بجيلها المقبل على أصلح ما يرجى من سلامة البدن وسلامة الفكر وسلامة الطوية . "

ولكنه يرى أن الإسلام لا يمنع عمل المرأة للضرورة يقول (٤) : " وقد تلجأ المرأة غداً كما تلجأ اليوم إلى كسب الرزق ودفع الحاجة ، والاعتصام بالعمل من الضنك والتبذل ، فإذا سيقَّت المرأة إلى هذه المآزق ، فليس في أحكام الإسلام حائل بينها وبين عمل شريف

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٩٥

(٢) المصدر السابق : ص ٨٠ ، ٨١

(٣) عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ١٩٣ ، نقلاً عن المرأة في القرآن ، عباس العقاد .

(٤) المصدر السابق : ص ٧١

تزاو له المرأة ، وليست كثرة العاملات في الغرب اليوم وقتلتهن في الشرق لمانع من موانع الإسلام وأحكامه ، وإنما هو الفارق بين مجتمع ومجتمع وبين أطوار وأطوار . "

ويؤكد هذا المعنى "البهي الخولي" ، بقوله ^(١) : " إن الدين لا يحرم على المرأة أن تعمل ، ولكنه يحرم أن تهجر ميدانها الطبيعي بدون عذر ، وهو ميدان لا يجدي فيه سواها ، إلى ميدان يعمره الرجل بكل كفاءة ومقدرة ، حيث لا حاجة إليها " وإباحته للعمل مشروطة يقول "فلتغشى المرأة ميدان العمل العام ، ولكن عند الضرورات التي تجعل عملها فيه أجدي على الأمة من بقائها في ميدانها الطبيعي .. أما التقليد السخيف ، دون مراعاة لطبائع الأشياء فتفاهة ونكسة لا نرضاها للمرأة أياً كانت مسلمة أو غير مسلمة . "

وكذلك يقول "د.محمد دروزه" ^(٢) : " يجب ألا يتعارض نشاط المرأة الاجتماعي والخارجي مع رسالتها الأولى في بيتها .. الحق عندنا .. أن يكون اضطلاع المرأة بالأعمال التكسبية في نطاق ضيق من جهة ومنوطاً بالدرجة الأولى بالحاجة والضرورة من الجهة الأخرى ، "

يقول "قاسم أمين" ^(٣) : " لهذا يمكننا أن نؤكد أن عدد النساء المحترفات لا بد أن يزداد في كل سنة عن الأخرى ؟ لأننا سائرون في الطريق الذي سارت فيه أوروبا قبلنا ، ويعترض عليه "فريد وجدي" قائلاً ^(٤) : " نهبط عن عرش عزنا إلا لترك الأصول المؤصلة لسعادة الحياتين ، وتلك أمم ربطت آحادها ، روابط الجنسية أو الوطنية ، ورسخ في أذهانها أنها لم ترتق إلا بترك التعاليم الدينية . "

"فريد وجدي" يرى أن تقليد الغرب المطلق هو دعوة إلى العلمانية ثم يتساءل في استنكار " وهل يمكن حدوث هذا التحول الذريع ما دام العلم التجريبي يرينا كل يوم أن ديننا هو إكسير شفافنا ، ومرهم سائر جراحنا وهو الأمر الذي أدركه مثلنا كثير من مشاهير علماء الغرب . "

والشيخ "الغزالي" يرفض تقليد الغرب في الأمور البعيدة عن ديننا : " أما السباق العام في مرضاة الله بالإيمان والعمل ، فميدان مفتوح للرجال والنساء ، يتصدر فيه الأتقي والأذكي

(١) عبد الله شحاتة : المرأة بين الماضي والحاضر : ص ٢٠٢ نقلا عن المرأة بين البيت والمجتمع " البهي الخولي " عالم معاصر ؛ انتقل إلى جوار الله في ختام القرن الرابع عشر الهجري ، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة ، واشتغل بالدراسة الإسلامية الجادة المتبصرة زماناً .

(٢) عبد الله شحاتة : المرأة بين الماضي والحاضر : ص ٧٩

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٧٢

(٤) المصدر السابق : ص ٧٣

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ » (١)

ويستدل "د. علي عبد الواحد وافي" على أحقية المرأة في العمل من التاريخ الإسلامي ، يقول (٢) : " وقد ساوى الإسلام كذلك بين الرجل والمرأة في حق العمل . وقد كانت النساء في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، يقمن بكثير من الأعمال في داخل بيوتهن وفي خارجها . وإليك مثلاً أسماء بنت أبي بكر (وهي أخت عائشة أم المؤمنين وزوجة الزبير) فقد كانت تقوم بكثير من الأعمال اللازمة لزوجها وأسرتها في داخل بيتها وخارجه . وفي ذلك تقول هي نفسها : " كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكنت أسوس فرسه وأعلفه وأحتش له ، وكنت أحرز الدلو وأسقي الماء ، وأحمل النوى على رأسي من أرض له على ثلثي فرسخ " ومن هذه الرواية يدلنا "د. عبد الله شحاتة" على الأعمال التي تناسب المرأة ، يقول (٣) : " والعلماء يستنبطون من هذا النص جواز عمل المرأة في الغزل ، ويقاس عليه كل عمل شريف يناسب المرأة ، فخياطة الثياب وأعمال الإبرة ، والتريكو ، والعمل على ماكينة الخياطة ، وماكينة التريكو ، وتفصيل الملابس الجاهزة ، والقيام بأي حرفة أو مهنة ؛ عمل مشروع أو مرغوب ، ما دام ذلك مناسباً للمرأة ، وداخلاً في حدود إمكاناتها " ، أما المحظور في عمل المرأة هو : " إذا ترتب على عمل المرأة مخالطة الرجال مخالطة تؤدي إلى ريبة أو فتنه ، تحول العمل إلى مكروه أو محرم بحسب حالته . وإذا ترتب على عمل المرأة تعطيل لجهد الرجل أو كفاءته صار العمل غير مشروع لهذا وينبغي أن تخرج المرأة إلى العمل في ثياب ساترة ، ملتزمة الجد والحياء والأدب الإسلامي وأن تعود إلى بيتها فور إنتهاء العمل ، وأن تضع لنفسها خطة تعتمد على رجوعها إلى منزلها عند تحقيق الكفاية ، فالضرورات تبيح المحظورات ، ولكنها تقدر بقدرها . ومما يبيح العمل أن تكون المرأة متفوقة تفوقاً باهراً في أمر من الأمور ، ويترتب على عملها نفع عام للجماعة . "

(١) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافد : ص ١٩٥

سورة النحل : آية ٩٧ .

(٢) عبد الله شحاتة : المرأة بين الماضي والحاضر : ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، نقلاً من المرأة في الإسلام لعلي عبد الواحد وافي وهو أستاذ معاصر له دراسات متعددة في علم الاجتماع وفقه اللغة والدراسات الإسلامية.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٠٦

ويوضح "الغزالي"^(١) دور المرأة في معاونة الرجل ، ورفع شأن الأمة معا :-
 " إن الذي أسقط آخر معاقل الإسلام في الأندلس هما (فرديناد وإيزابيلا) رجل وامرأة
 تكاتفوا على إسقاط علم التوحيد ! وفي النساء المسلمات آلاف وآلاف يستطعن خدمة الإيمان
 كما استطاعت الشركات خدمة الضلال ، فلماذا يحال بينهم وبين هذه الخدمة ؟
 ما أجمل أن يطاوع الزوجان ، وأن يتعاونوا على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ! ما
 أجمل أن يكون الزوجان أديبين ، أو كريمين ، أو شجاعين ! فإن قعدت بأحدهما سورة
 عارضة ، أو وسوسة هابطة أسرع إليه الآخر فأخذ بيده وسدده على الطريق ."
 عارض "فريد وجدي" في بداية دعوة قاسم أمين وأتباعه خروج المرأة إلى العمل
 ومخالطة الرجال ، ولكن المرأة لم تصنع إليه أو إلى غيره من الأفلام ؛ التي حثتها على البقاء
 في مكانها الأصلي ؛ البيت .

وتتسقل دعوة تحرير المرأة إلى مراحل أكثر عمقا وخطورة ، فتخرج إلى التعليم ثم
 تخرج إلى العمل في شتى المجالات ، ويصبح لها دور ملموس فتخرج قضيتها إلى أبعد من
 مجرد السماح لها بالعمل إلى الوجود السياسي ومطالبتها بالمشاركة الفعالة .
 ويفاجئنا "فريد وجدي" بآرائه الجريئة ؛ فيوافق المرأة على مطالبها ، بل يرى أحقيتها،
 ويدلل على ذلك من التاريخ الإسلامي الحافل بالقوة والمثل الأعلى ، فترتفع أصوات تطالبه
 بتفسير واضح عن عدوله عن رأيه الأول مناشدة له بالثبات على مبدئه فيرد عليها وجدي
 بهدوء العالم الرزين وبمنطق الإقناع .

ومن هذه الأصوات، في يوم الدستور ذكريات يرويها "عبد العزيز فهمي باشا" وقد
 تطرأ في حديثه عن المرأة ومطالبها السياسية فعاتب وجدي قائلاً^(٢) : " لقد قرأت في الأهرام
 رأياً للأستاذ فريد وجدي في تأييد هذه المطالب ، ولعله يراجع نفسه بعد ذلك فيما كتب ،
 لحاجتنا إلى تكريس النساء وقتهن لتربية جيل من الرجال يعي حقوقه السياسية ويتشبث
 بالمحافظة عليها ، وبذلك تكون المرأة المصرية قد ساهمت من طريق غير مباشر في تدعيم
 الحياة السياسية التي تطالب بها بطريق مباشر . "

ودفاع وجدي عن آرائه المتغيرة ، يتركز في ثلاث نقاط :-

- ١- عدم تراجعها عن رأيه وقد أعلن من قبل الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة .
- ٢- لا وجود للاعتراض خوفاً من الاختلاط ، لأن المرأة قد خرجت بالفعل .
- ٣- الدفاع عن الدين حتى لا تعلق به الشبهات ونخسر الجيل القادم .

(١) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والروافة : ص ٨٢ ، ٨٤

(٢) مقالة بقلم عبد العزيز فهمي باشا : المرأة والحقوق السياسية ، جريدة الأهرام ص ١٧ من جمادى الأولى

١٣٦٨هـ ، ١٧ من مارس ١٩٤٩ ، السنة ٧٥ - العدد ٢٢٨٣٤

أما في دفاعه الأول يقول^(١) : " فمأذا قرر الإسلام للمرأة من حقوق ؟ " قرر لها أن يحسن أبوها تربيتها ، وأن تعلم ، ولم يضع لتعليمها حداً ، بل صرح أنها في حالة نبوغها يباح لها أن تدرس للرجال ، وأن تفتيهم ، وأن تتولى القضاء والمحاماة وهذه مزايا لم تتلها المرأة الأوروبية إلا في القرن العشرين .

وقرر لها أن تحضر اجتماعات الخير ودعوة المسلمين ، وجرى العمل على ذلك في فجر الإسلام ، فأخذ منه العاملون على إنهاء المسلمين ، ضرورة إشراكها في الأمور الاجتماعية العامة ، كما أخذوا من قوله تعالى " وأمرهم شورى بينهم " كل النظم الدستورية التي لم تحدث إلا في القرون الأخيرة .^(٢)

ويتعجب " وجدي " من تغير ردود أفعال القراء فحديثه عن الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة لم يتغير ، يقول :-

" فما بال بعضهم ، حين ذكرنا أن الإسلام يسمح للمرأة بحقوق دستورية يرون في ذلك أمراً نكراً ، فهل كان تدريس المرأة العلم للرجال ، وتوليها القضاء والإفتاء فيهم ، والمرافعة أمامهم لا ينافي مهمة الأنوثة في نظرهم وينافيها أن تمثل جنسها في مجلس النواب والشيوخ بين جماعة موفوري الوقار والرزانة ، دعته المصلحة العامة للتشاور وإبداء الملاحظات والوصول بنظم الحكم إلى لباب العدالة ."

ويستدل من السنة على صحة رأيه : " روى البخاري ومسلم ومالك وأبو داود عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ^(٣) : " إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها " أقول : وكان المسجد عندهم محل الاجتماع للصلاة والعلم والسياسة " قال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن ، فأقبل عليه عبد الله رضي الله عنه فسبه سباً ما سمعت مثله قط ، وقال أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول والله لنمنعهن " .

(١) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٣٨

وهذا الرأي يوافق رأي وجدي السابق بأن المرأة تستطيع أن تتحكم في الأمة فتجعلها جمهورية أو ملكية ، وذلك من خلال تربية الرجال (٩٨ ، ٩٩ ، محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة) وقد كان لفريد وجدي رأياً سابقاً قبل نصف قرن يتعجب من مطالب المرأة بحقوقها السياسية ، وسنورد نموذجاً لهذا ليرى القارئ مدى التغير الذي لحق بأفكار وجدي يقول : " فقل لي بأبيك كيف يكون حال المرأة السياسية وهي في دور الوحام إذا هب أعضاء البرلمان عقب المجادلة في موضوع إلى الملاكمة والصباح كما يحصل كثيراً ، أو كيف يكون حالها من الانفعال والتحمس إذا قامت في وسط الأحزاب تثير العواطف وتستغل المراحم لنسخ قانون أو تخوير مادة من لائحة وقام خطيب مصقع ففسق أقوالها وسفه حلمها ، وبرهن للمجلس بألف دليل على أنها على شطط عظيم كما يحصل كثيراً بين السياسيين ؟ إلى أي حال يؤول أمرها إذا كانت حاملاً وإلى أي درجة يفسد لبنها إذا كانت مرضعاً ."

(٢) محمد فريد وجدي : الحقوق الدستورية للمرأة ورأي الشريعة الإسلامية فيها : جريدة الأهرام : في ٦ من أبريل ١٩٤٩ ، العدد

٢٢٨٥٤ ، سنة ٧٥ ، ص ٣

(٣) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٨٩

قال السنوي هذا وشبهه من أحاديث الباب ظاهر في أنها لا تمنع المسجد بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث وهي ألا تكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلخل يسمع صوتها ، ولا بثياب فاخرة ، ولا مختلطة بالرجال ولا شابة ونحوها ممن يفتن بها " .

ويرى "وجدي" أن الرأي الذي طرحه النووي هو الحل الذي يوفق بين تعاليم الإسلام وخروج المرأة يقول^(١) : " كل هذه الشروط معقولة وممكنة ، فإن للحكومة الدستورية أن تشترط لمن يتولين النيابة من النساء كل هذه الشروط ، وإذا كان قد ساء للنساء أن يلبسن الجلباب في الجامعات والمرافعات ويفتخرون بها ، فيسوغ لهن كذلك أن يلبسن مثل ذلك في المجالس النيابية .

وكما أن الحكومة حرة في تحديد أسنان من يصلحون للنيابة من الرجال ، فهي حرة كذلك في أن تحدد من يصلحون للنيابة من النساء سناً متقدمة ، تنقطع معها الفتنة ، ويضمن فيها نضوج العقل وتوافر الحكمة . "

وكما أن السنة يستمد منها الدليل كذلك فحياة الصحابة مليئة بالنماذج التي تؤيد رأي "وجدي" يقول^(٢) : " فقد ثبت أن عمر أمير المؤمنين دعا أهل الحل والعقد يوماً ليستشيرهم في نظام رغب أن يسنه ، فلما اجتمعوا عرض عليهم أن تقصر مهور النساء على القدر الذي حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم مهراً لبناته وهو أربعمائة درهم، وذلك لأن الناس كانوا قد بالغوا فيها إلى حد رآه إسرافاً فنهضت المرأة من بين الحاضرين وصرحت له بأن ما هو بسبيله من هذا الأمر مناقض للقرآن وتلت عليه قوله تعالى : وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسِيدَآلَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَنَّا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ " ^(٣)

وفي هذا دليل ضمني على أن قيم المهور تطلق ولا تحد بحدده ، فأطرق عمر رأسه وقال : حتى النساء أفاقه منك يا عمر ! وصرف نظره عما كان شرع فيه "

ويتخذ من هذه الرواية ذريعة وحجة لاشتراك المرأة في العمل السياسي يقول^(٤) : " فلا نلام بعد هذا أن اعتبرنا هذه الحادثة قدمة تتخذ مثلاً لما يجب أن تكون عليه الحال في الحكومة الدستورية . "

(١) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٨٩

(٢) محمد فريد وجدي : الحقوق الدستورية للمرأة ، ص ٣ ، السنة ٧٥ - العدد ٢٢٨٣١ - الاثنين ١٤ من مارس ١٩٤٩ م - ١٤ جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ .

(٣) سورة النساء : آية ٢٠ .

(٤) محمد فريد وجدي : المرأة والحقوق الدستورية : الأهرام في ٦ من أبريل ١٩٤٩ - العدد ٢٢٨٥٤ - لسنة ٧٥

أما الحجة الثانية : خروج المرأة بالفعل إلى ميدان الحياة يقول ^(١) "أما حجتي في الدفاع عن حقوق المرأة الدستورية فهي أن المجتمع المصري أصبح يسمح اشتراك المرأة في أعمال الرجال متأسيماً بالأُمم الغربية ، بل أصبح يدفعها في هذا التطور بجميع المغريات ، بل أصبح الذين كانوا يتأثمون أن تخرج نساؤهم بدون حجاب ، لا يخرجون أن يخرجوا معهم سافرات لا لقضاء الحاجات ولكن إلى السينما والتياترات .

وبعد أن كان الأباء يضمنون بناتهم عن التردد على دور التعليم بعد العاشرة من أعمارهن يتسابقون إلى إرسال بناتهم إلى أوروبا للانتظام في سلك جامعاتها لتلقي العلم .." وقد كتب أ.توفيق الحكيم" مقالة يقول فيها ^(٢) إن اشتراك المرأة في الانتخاب قد يعرضها إلى ما يعيبها أو يخرجها من النظرات أو العبارات . فلم يترك "وجدي" هذه المقالة تثبط الهمم وتهبط العزائم ، وتسائل مستكراً : _ " فكيف يسوغ أن نحرّمها من حق خولها إياه الشرع ، وهو شهود اجتماعات المسلمين للنظر في المصالح العامة ، وقد جرى عليه العمل في صدر الإسلام ، ولم يعترض عليه أحد ، فهل من المصلحة لهذه الأمة أن تحرم المرأة هذا الحق بحجة أن نفراً من أهل الفجور يتبعونها إلى لجان الانتخاب ، ويبادلوهن النظرات المريية والعبارات المعيبة !

ألا يحدث مثل هذا المنكر نفسه لدينا في كل مجال يوجد فيه رجال ونساء ، كالمحاكم الشرعية والأهلية والمجالس الحسبية والمستشفيات وغيرها ؟ " ولم يقل عاقل بضرورة إبطال كل ذلك صيانة للأداب ، بل قالوا بوجوب الأخذ على أيدي العابثين والعابثات لها ، ومجازاتهم على هذه المخزيات ^(٣) الحجة الثالثة : الدفاع عن الإسلام :

" إن الذين كرهوا مني المبادرة إلى تأييد المطالب الدستورية للنساء على اعتبار أنها مخالفة لتعاليم الإسلام ، يغيب عنهم أنني فعلت ذلك لمقاومة رأيهم هذا ، توقياً من ضرره وسوء وقعه ؛ لأن المرأة المصرية ستنتال هذه الحقوق لا محالة على مثال ، نساء الأمم الإسلامية الكبرى . " ^(٤)

ويذكر أمثلة " فامة الباكستان وتبلغ نحو سبعين مليوناً ، والأمة الإندونيسية وتربى على الستين مليوناً من المسلمين قد خولتا نساءهما الحقوق الدستورية ، وأسندتا إلى

(١) المصدر السابق في ١٤ من مارس ١٩٤٩

(٢) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٩٠

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة والحقوق الدستورية ص ٣ الأهرام في ٦ من أبريل ١٩٤٩ م

(٤) المصدر السابق

بعضهن وظائف خطيرة ، فالأولى تمثلها في هيئة الأمم المتحدة سيدة ، والثانية عهدة إحدى وزارتها إلى آنسة^(١)

ثم يكمل حجته " ... فلان يثبت أن هذه الحقوق مما سمحت لها به شريعته ، خير من أن يثبت أنها مما لا تسمح به . وفي ثبوت الوجه الأول سمعة للإسلام بعيدة الأثر ، تدحض كثيراً من التهم التي ألحقها به خصومه مخدوعين بما عليه بعض أهله من مخافتهم للترقى ، واستعصائهم على الأخذ بأسبابه " .^(٢)

أما الفائدة التي يتمناها وجدي من تخويل المرأة لحقها الدستوري يقول :^(٣) " وهو إجراء يتوقع منه خير عظيم للجنس النسوي ، لأنه يفتح أمام النساء أبواب العمل الجدي ، ويشعرهن بنبئات ما كن يشعرن بها وهن معزولات عن الشؤون الإجتماعية ... "

ويشارك "محمد الغزالي" فريد وجدي الرأي في ضرورة تصحيح صورة المرأة وبيان الحقوق التي منحها لها الإسلام يقول "الغزالي" :^(٤) "كنت في ملتقى الفكر الإسلامي عندما تحدث السفير الألماني عن الإسلام وقال للحاضرين يجب أن تصححوا أوضاع المرأة عندكم ! فإن صورة المرأة الإسلامية تنفر الأوروبيين من الدخول في الإسلام !!

والرجل - بعد ما شرح الله صدره للإسلام - يقول للمسلمين : أحسنوا عرض دينكم ، ولا تصدوا عنه الآخرين بسوء الفهم وسوء العمل ! لنفرض أن رجلاً كل رأسماله في السنة حديث الحاكم في المستترك أن المرأة لا تتعلم الكتابة ، أو حديث صاحب الزوائد أن المرأة لا ترى رجلاً أو يراها رجل ، ثم جاء هذا المسكين ببضاعته المزجاة أو أحاديثه الموضوعة والمتروكة يعرض الإسلام على أهل أوروبا أو أمريكا ، هل يدخل في الإسلام أحد ؟ هل يحترم الإسلام رجل وتحفي به امرأة ؟؟ "

ويختتم "وجدي" حجته بضرورة حماية الدين من أي شبهة تثار حوله يقول :^(٥)

" إن إشراك المرأة في المجالس النيابية ، أمر محكوم به ، وقد لا يمضي عقدان من السنين حتى يعم أكثر البلاد الإسلامية ، فليبراً رجال الدين بأنفسهم أن يتهموا بأنهم يضعون أمامه العرافيل ، فتتولد في نفوس النساء والرجال شبهة على الدين قد يصعب اقتلاعها عنها ، وهم يعلمون أن التربية والثقافة قد أنشأت جيلاً من النساء لا يقل عن الرجال ثقافة ،

(١) محمد فريد وجدي : المرأة والحقوق الدستورية : الأهرام ، بتاريخ ١٤ من مارس ١٩٤٩ م

(٢) المصدر السابق: ص ٣ - في ١٤ من مارس ١٩٤٩

(٣) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٩١

(٤) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ١٥

(٥) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٩١

والتسليم بما مانعوا فيه بقوة بعد حصوله بالفعل ، لا يقع موقعاً حسناً لدى أحد من المعاصرين " .

ثم يوجه كلمة أخيرة إلى رجال الدين يقول (١): " فحذار من توريط الدين فيما هو منه براء ، وخاصة في هذا الزمن الذي اكتظت فيه الشبهات في العقول ، وحاكت في الصدور فلا يصدن رجال الدين ما يرونه من تهتك بعض النساء والرجال ، عن أن يظهرُوا سماحة الإسلام على أكمل وأجمل ما يكون ، وأن يتخذوا لعلاج ما يشكون منه من تبرج بعضهن، الوسائل المناسبة له . " .

والحديث عن الشبهات المثارة حول المرأة في الإسلام ، يذكرنا بقول "محمد الغزالي" ورأيه في قاسم أمين ، يقول :-

" كنت أتحدث في أحد الأندية عن حقوق المرأة المسلمة ، فقلت : إن لها حق الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتدریس هدايات الإسلام ومجادلة الملحدين فيها ... فإذا شخص يقول لصاحبه : كنا نظن هذا المحاضر رجلاً صالحاً ، فتبين أنه ألعن من قاسم أمين ! (٢) وتذكرت ما قاله أحمد موسى سالم عن قاسم أمين ، وعن الدور الذي قام به في الدفاع عن الإسلام ضد الغزو الثقافي الفرنسي الذي حمى واشتد في عصره ... وقد بدأ بهجوم من أرست راينان ، رد عليه جمال الدين الأفغاني ، ثم تلاه هانوتو الذي رد عليه محمد عبده . (٣)

.. وكان دور قاسم أمين في هذا الحوار جاهزاً وكان محوره الأساسي هو المرأة في الشريعة الإسلامية ، وكانت المباراة التي خاضها مع الخصم الفرنسي الثالث "دوق داركور" الذي أصدر سنة ١٨٩٣م كتاباً عنوانه "مصر والمصريون" تناول فيه حياة المجتمع المصري أيام الحكم المملوكي والتركي ، وهي فترة بلغت ستة قرون عجاف تراجعت فيه خصائص الحياة عن جمهرة الأمة الإسلامية ، مما جعل "دوق داركور" يبسط قلمه بالأذى ، ويرسم صورة قاتمة وبذيئة للشعب كله ، ويخص المرأة بمزيد من التجريح والزراية ... ويرد ذلك كله إلى طبيعة الإسلام المتأبية على الترقى والحضارة ١١ ٠٠

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ٣٩١ .

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ١٧ : ١٩

(٣) لا يجوز شرعاً أن نلعن مسلماً .

وقد تولى فريد وجدى الرد على هانوتو وقد أفرد لهذا مؤلفاً بدأه باستحسان رد محمد عبده على هانوتو وأنه لم يبق إلا نقطة واحدة تولاها وجدى بتزديد من التوضيح نقول " وهي ما نقله من أن الإسلام يجب احترامه لأنه كقنطرة تمر عليها الشعوب من الوثنية إلى المسيحية أما نحن فنريد الآن أن نبرهن له ولأمثاله الواهين في الإسلام بأنه ليس بدين تمهيدي بل هو غاية ما سيصل إليه النوع الإنساني في مستقبل القرون " محمد فريد وجدى : وما قاله هانوتو ص ٥٥ ، مصر ١٣١٨ هـ

ماذا فعل قاسم أمين ليدافع عن دينه وأمته ؟ سارع إلى تأليف كتاب بالفرنسية فند فيه أقوال خصمه ، وشرح حقوق المرأة في الإسلام ، وما كفله الدين لها من كرامة مادية وأدبية ، ووازن قاسم أمين بين حجاب السترة والاحتشام عندنا ، وبين تبذل المدنية الحديثة وما أحاطت به أوضاع المرأة من انحلال وتهتك .. ! .

ويرى "الغزالي" أن قاسم أمين كان موفقا في رده .. " إن ما فعله قاسم أمين كان محكوماً بأمرين أولها الدفاع عن الإسلام المفهوم من مصدره الرئيس ، والآخر : الاعتذار عن تخلف المرأة بأنه من تقاليد غريبة على التوجيه الإلهي ؛ ناشئة عن أخطاء الشعوب ! " . وكما أن لمشاركة المرأة في السياسة معترضين كتوفيق الحكيم ، وأنصار كمحمد فريد وجدي نجد من النساء من توافق المرأة على حقها ولكنها تعارضها في الأسلوب ، فها هي "د. عائشة عبد الرحمن" (بنت الشاطئ) تعترض على تقليد الغرب دون النظر إلى المبررات تقول^(١) : " وقد استكملت هذه الحركة كل مراحلها في الغرب ، وأنتجت أثارها قبل أن نبدأ نحن خطواتنا الأولى ... فالتجربة أمامنا كاملة : بمقدماتها ونتائجها بأسبابها وأثارها ، لكن قومنا اكتفوا بأن يحملونا على تقليدها ، دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة النظر فيما انتهت إليه كما لم يعنهم من قبل ، أن يعرفوا موجهاتها ودواعيها . "

" لعل التقليد ، هو الخطأ الأول الذي شوه الحركة النسوية فيما قطعت من خطوات وأخشى أنه ما يزال يشوه كل خطوة جديدة لها ...

فلتدع داعية منا إلى أي مطلب تتعلق به ، وليرد عليها من شاء بما شاء ، على ألا تكون حجة هذا أو تلك ، أن قوماً غيرنا فعلوا كذا وكيت أو نبذوه ، فلنا كيان ذاتي ، وشخصية متميزة صاغت عوامل طبيعية وتاريخية خاصة ، كما لنا ظروف وحاجات وأهداف يستحيل أن تشبه ما للدول الصناعية في الغرب الطامح المستعمر ، أو تماثلها ظروف البادية وحاجاتها في شبه الجزيرة منذ قرون وأعمار ! " (٢)

اتفق مع د. عائشة بنت الشاطئ في ضرورة عدم التقليد ، والأخذ بما يفيد من الغرب ويناسب مجتمعنا وظروفنا مع مراعاة قيم ديننا الحنيف .

ولكنني أرفض عدم النظر إلى العرب في شبه الجزيرة ؛ لأنهم قدوة لنا نحن كمسلمين ، أخذنا ديننا من الرسول الذي نزلت عليه الرسالة في شبه الجزيرة والنساء المسلمات قدوة لنا ، بما أتبح لهن من الخروج للجهاد والتعلم والمشاركة الاجتماعية ، بحدود تتفق مع الدين وظروف مجتمعهن فإذا انسلخنا من هذا المجتمع الذي عاش في شبه الجزيرة ، أصبحنا بلا قدوة ، وإذا امتنعنا عن الأخذ بما يفيد من الغرب أصبحنا بلا مستقبل ، فأرى أنني أوافقها في

(١) عائشة عبد الرحمن : الأهرام : ١٥ من أبريل ١٩٤٩ - سنة ٧٥ - العدد ٢٢٨٦٣ بعنوان " أرجال "

(٢) د. عائشة عبد الرحمن : الأهرام : ١٥ من أبريل سنة ١٩٤٩ ص ٣ بعنوان " التقليد "

عدم التقليد عن غير وعي وأعرض لأنني أرى أن الآخرين بمثابة تجارب لنا ، نستفيد منها ، ما وافق ذلك ظروفنا وديننا .

ويتفق رأي د. عائشة عبد الرحمن في رفض التقليد لمجرد التقليد دون اعتبارات أخرى مع رأي فريد وجدي القائل " إن تلاحم الشرق بالغرب جعل بعض المتسرعين يرون نقل عادات الغرب ، كما هي دون نظر إلى واقع المجتمع الإسلامي ، وقال أننا نقلد الغرب دون أن يوجد التناسب المتطابق بين المقلد والمقلد ، لأن الباحث المدقق في أحوالنا الاجتماعية يجد أن حافظة الأمة الإسلامية ، لا تتشابه في كل وجه بحافظة الأمم الغربية التي تدعى الآن إلى احتذائها فتكون النصيحة بالتقليد نصيحة بالاستخذاء والتلاشي . "(١)

وكما أن هناك أقلاماً ، ناقشت قضية المرأة بعقل وتبصرة ودراية بتعاليم الدين ، وتاريخ المسلمين ، فتحاول التوفيق بين الآراء ..

رأينا : أقلاماً تتعصب لفريق دون الآخر من ذلك :-

قول "د. أمال كامل بيومي السبكي" عند حديثها عن قضية حجاب المرأة وقد أغضت من شأن فريد وجدي بقول (٢) : " أول تلك القضايا قضية حجاب المرأة ، فقد استماتت المرأة في الدفاع عن حقها في السفور بالشكل الذي جاء به القرآن والسنة (٣) .. لكن الكثير حارب هذه الدعوة سواء من الأزهريين أو رجال الدين وحتى السياسيين البارزين ، كلهم دافعوا عن الحجاب .

وبعضهم اعتبرها قضية حياته كمحمد فريد وجدي - ذلك الصحفي والأزهري البارز (٤) الذي كتب مؤلفاً خصيصاً لهذا الغرض ؛ ناهض فيه السفور وهاجم فيه قاسم أمين ، بل إنه اتهمه بالكفر والإلحاد . ومن ثم أحل سفك دمه " .

ولا أدري من أين جاءت الكاتبة بهذا الاتهام الخطير ، فقد طالعت ما كتبه وجدي في هذه القضية سواء في كتابه الذي استعانت به المؤلفة (المرأة المسلمة) أو مقالاته المتناثرة ، التي وقعت تحت يدي ، فما وجدت شيئاً مما تذكر عن اتهامه قاسم أمين بالإلحاد وسفك دمه ! وربما يكون هذا الرأي من وجهة نظرها هي .

(١) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٢٩ .

(٢) أمال كامل بيومي السبكي : الحركة النسائية في مصر بين الثورتين ١٩١٩ - ١٩٥٢ م ص ١٣٩ : مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٦ م

(٣) لا أدري كيف يتفق السفور مع القرآن والسنة إلا إذا كانت تقصد خروج المرأة وعدم ارتداء النقاب

(٤) لم يكن وجدي أزهرياً ولكنه كان رئيس تحرير مجلة الأزهر .

وشخصية وجدي المجادل والمناقش تنفي هذا ، فهو مشهود له بالنزاهة والموضوعية حتى أشاد به أحد خصومه .^(١)

وأخال "اليومي" يرد على ذلك الاتهام حين قال ^(٢): " لأن الكاتب الكبير قد تعهد قضية المرأة المسلمة بالشرح والتوضيح منذ أخرج الأستاذ الكبير رحمه الله كتابه " تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة " إذ كان أول ما نقد المخالف من آرائه ، نقداً موضوعياً حاز ارتياح المنصفين وأقول نقداً موضوعياً لأن بعض الغلاة ممن واجهوا صاحب تحرير المرأة ، تركوا الباب المعترض عليه إلى السباب والتهكم ، فضاعت نقداًتهم جوار ما يتلبسها من شطط لا تعرفه آداب المناظرة والبحث .

والعجيب أن الأستاذ وجدي رحمه الله قد قابل مثل هذا الهجوم المتعسف حين بسط وجهة نظره في الأربعينيات بصدد حق المرأة في الانتخاب . "

والكاتبة - آمال كامل - تعترف بنفسها بفضل وجدي الذي اتهمته منذ قليل تقول :^(٣) " وللاينصاف فإن هذا الكاتب وبالذات في الثلاثينيات أصبح من الداعين إلى تحرير المرأة ، وأيد - كما سبق ذكره - بعض مواقفها وناصرها في آرائها وشجعها على خوض المجالات الدولية بحضور المؤتمرات النسائية . "

ولكن الكاتبة تعود لتقول مستكرة ^(٤): " لكنه لم يغير رأيه مطلقاً في موضوع الحجاب " ، لا أدري لِمَ تريد الكاتبة أن يغير رأيه ، إن كان الحجاب ما يقصد به من ارتداء الذي الشرعي كما ذكرت الكاتبة من قبل " نادى قاسم أمين بسفور المرأة على أن يكون هذا السفور كما ورد في القرآن ، وذكر في السنة بأن تغطي المرأة كل جسمها ما عدا وجهها وكفيها .. " فهذا لم يرفضه وجدي ، ولا يوجد نص صريح يعترض فيه على هذا ، بل اعترض على الاختلاط وخروج المرأة وقد رجع عن هذا بشرط اتباع تعاليم الإسلام .

(١) المقصود ، زكي مبارك وسرد ذكره بشيء من التفصيل

(٢) محمد رجب البيومي : مقدمة كتاب من معالم الإسلام

(٣) آمال السبكي : الحركة النسائية بين الثورتين ١٩١٩ - ١٩٥٢ م ص ١٤٤

(٤) المصدر السابق

وهنا أذكر ملاحظة : فقد دعا قاسم أمين وسعد زغلول ، وغيرهم إلى السفور بالمعنى الشرعي ، أي عدم ارتداء النقاب ، ثم فوجئنا بصورهم في ملفات " قضية تحرير المرأة " في مجلة حواء - فوجئنا بصور بناتهم وزوجاتهم غير مرتديات للزي الإسلامي بل متبرجات دون حتى غطاء للرأس وأنا هنا لا أحاسبهم (حاشا لله) ولكن أولئك الرجال دعوا إلى رفض الحجاب بدعوة معينة ، وهي كشف الوجه ، ثم رأهم المرأة المصرية قد تخلوا حتى عن الزي الإسلامي ، لذا فأنا ألتبس العذر لكل من هاجمهم في هذه النقطة الخاصة بالحجاب ، فحتى تكون مصدق يجب أن يناسب قولك فعلك ، كذلك أدافع عن الأئمة والشيوخ ، الذي حرص البعض أن يزجوا بأسمائهم مؤيدين لقاسم أمين واتباعه فلا أظنهم وافقوا على أفعالهم الخاصة بالزي الإسلامي والالتزام به .

ونعود إلى "د.محمد رجب البيومي" ^(١) وتقييمه لدور فريد وجدي في قضية المرأة المسلمة " ومما يدعو إلى الارتياح أن كثيرا ممن كانوا يعارضون الأستاذ فريد وجدي في اتجاهه ، فقد أطالوا النظر في كتابه إطالة الفحص الدارس ، حتى اقتنعوا بأفكاره ، وفيهم من ذوي الصدارة الفكرية من يشار إليهم بالبنان فقد ألقى الأديب الكبير الدكتور منصور فهمي كلمة إضافية في الأربعينيات تحت عنوان (نساؤنا بين التقليد والتجديد) ^(٢)...

تحدث فيها عن قاسم أمين وما طرأ من فهم سيئ لآرائه ، ثم اتجه وجهة الأستاذ فريد وجدي فسار مع أفكاره سير المحبذ الموافق ، واستشهد بنصوص من كتاب (المرأة المسلمة) وأنكر ما أنكره الأستاذ وجدي من التبذل وفساد الذوق ومحاولة التبرير بالمرأة حين تخدع بما يقال عن الاختلاط في المصنع والمتجر مزاحمة بالمنكب في نضال غير متكافئ ، قائلا بصدد ذلك :-

وقد صدق الأستاذ وجدي فيما كتب ، فمحاكاتها للغرب ، تدفع نساءنا الحديثات في كل ميادين العمل الاجتماعي ويغرر بهن ليسرن في هذا السبيل ، من غير قيد ولا حذر ، وقد توقع الكثير من علماء الاجتماع سوء عاقبة هذا التماذي في التبرير بالمرأة ، وتوريط المجتمع في كوارث خلقية واقتصادية ، حتى أن " أوجست كونت " وهو رأس من رؤوس فلاسفة الغربيين كان يرى أن من واجب الهيئة الاجتماعية أن تضمن للنساء حياة ناعمة مريحة ، إذا أعوزهن من يكفلهن من الأقارب والأزواج ، ليتجهن وجهتهن فيما خلقن له من إسعاد الأسرة ودعم أساسها ، وهو ما يساير تعاليم الإسلام .

لقد كان كتاب " المرأة المسلمة " المثار الأول لمن يريد رأي الإسلام في قضية المرأة وكان الأستاذ وجدي من النزاهة والإنصاف بحيث أنزله معارضوه حينئذ منازل التقدير والإعجاب .

إنصاف المرأة في الإسلام :-

لقد أنصف الإسلام المرأة ، ولم يجد منصف يقرأ القرآن ويتدبر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته وحياة الصحابة إلا وسيعترف بمكانة المرأة في الإسلام ، ولم يشهد بهذا أهل الدين الإسلامي وحسب ، بل شهد كذلك المستشرقون .

شهادات المنصفين :-

" اعترف كثير من المستشرقين المنصفين - والمستشرقات بالمنزلة العالية ، التي كانت تتبوأها المرأة المسلمة ، تقول المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكة) :

(١) محمد فريد وجدي : من معالم الإسلام : المقدمة بقلم د. محمد رجب البيومي : ص ٣

(٢) المصدر السابق : نقلاً من مجلة الرسالة - العدد ٤٠٦ - ٤ - من أبريل ١٩٤١م

"وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ، ويلقن المحاضرات في المساجد ويفسرن أحكام الدين ، فكانت السيدة تنهي دراستها على يد كبار العلماء ، ثم تتال منهم تصريحاً لتدرس هي بنفسها ما تعلمته ، فتصبح الأستاذة الشیخة ، كما لمعت من بينهم أدبيات وشاعرات ، والناس لا ترى في ذلك غشاضة أو خروجاً على التقاليد " (١) .

ويعقب "د.علي عبد الواحد وافي" تعقيماً على ما سبق : "ومن هذا يظهر أن الإسلام قد هياً للنساء على العموم فرصاً للتربية الراقية ، من انتهزتها منهن بلغن أعلى المراتب ، التي قدر للرجال بلوغها ، فلم يكن السبب في الجهل الذي كان فاشياً بين النساء المسلمات في الجيل الماضي راجعاً إلى النظم التربوية في الإسلام ، وإنما كان السبب في ذلك انحراف المسلمين مما سنه الإسلام من نظم في شئون التربية والتعليم .

وإذا كانت الأمم الإسلامية قد اتجهت في العصر الحاضر إلى تربية البنات وتنقيفها فإنها بذلك تأت بدعاً من العمل في تاريخها ، وإنما أحييت سنة صالحة سنّها النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ بها الخلفاء والأمراء من بعده . " (٢)

يقول الإمام "محمد عبده" (٣) "إن هذه الدرجة التي رفع الله النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده وهذه الأمم الأوروبية التي كان من تقدمها في الحضارة ، أن بالغت في احترام النساء وتكريمهن ، وعنيت بتربيتهن ، وتعليمهن الفنون والعلوم ، لا تزال دون هذه الدرجة ، التي رفع الإسلام النساء إليها ، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها دون إذن زوجها ، وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية ، من نحو أكثر من ثلاثة عشر قرناً ونصف ، وقد كانت النساء في أوروبا منذ أكثر من خمسين سنة بمنزلة الأرقاء كل شيء ، كما كن في عهد الجاهلية عند العرب ، بل أسوأ حالها ، وقد صار هؤلاء الأفرنج الذين قصرت مدينتهم عن شريعتنا في إعلاء شأن المرأة يفخرون علينا ، بل يرموننا بالجهل في معاملة النساء ، ويزعم الجاهلون منهم أن ما نحن عليه هو أثر ديننا .

ويرجح "د.عبد المتعال" ثورة المرأة الأوروبية على الرجل إلى نظرها إلى المرأة المسلمة والحقوق التي كفلها الإسلام لها ، بعد أن اضطرت الأوروبية إلى الخروج أبان النهضة الصناعية في أوروبا .

(١) د.عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٨٤

(٢) المصدر السابق

(٣) د.عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ٨٧ — ٨٨ نقلاً من تفسير المنار ص ٣٧٥ ، ٣٧٦

أما ثورة المرأة في الشرق فجاءت من الاستعمار ، والبعد عن تعاليم الإسلام . يقول (١): " ولما كان الغزو الاستعماري الغربي للدول العربية والإسلامية ، حين غاب عنها الإسلام - رأينا إلى جانب الإرهاب سلاح المدفع ، عملية التحطيم للمجتمعات العربية الإسلامية بتمزيقها فكرياً ، وحول المصالح الطائفية والحزبية . ومن بين عمليات التمزيق الفكري وإظهار سمو النظم الغربية ، وسقوط النظم الإسلامية ، فنسب المستعمر وأبواقه إلى الغرب ؛ احترام المرأة ، وإلى الإسلام احتقار المرأة وتضييع حقوقها . وهكذا رمتي بدائها وانسلت " يقصد الغرب الظالمين للمرأة .

ويقول "د. أحمد الكبيسي" (٢) " كان العالم الإسلامي - خلال النصف الأول من القرن العشرين نهياً موزعاً بين المستعمرين .. وقد حاول المستعمر قطع صلة الأمة بتراتها وحاول دفع المرأة المسلمة إلى التخلي عن الحجاب ، والتحرر من أحكام الدين ، وتقليد الغرب ، حتى قال اللورد كرومر : لن أخرج من مصر حتى أهدم ثلاثاً : القرآن والكعبة والأسرة المسلمة . ومن خلال أعمال كثيرة نشطت حملات التبشير ، وحملات نسائية في محاولة استمالة المرأة المسلمة إلى طريق الغرب والتخلي عن السلوك الإسلامي . "

(١) عبد المتعال محمد الجبري : المرأة في التصور الإسلامي : ص ١٣١

(٢) أحمد الكبيسي : المرأة والسياسة في صدر الإسلام : ص ١٢ - مكتبة العين أبو ظبي نقلا من بقطة الفكر الغربي في مواجهة الاستعمار الأستاذ أنور الجندي ص ٢٠٧ ، نقلا من عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٢٠٧

ملف خاص عن دعاء تحرير المرأة : (١)

رأيت أنه إقراراً للحق بعد توضيح رأي الإسلام ومناقشة علمائه لأهم القضايا التي اختصت بالمرأة أن أنهي هذا المبحث بسجل يحمل نبذ قصيرة لرموز الدعوة إلى تحرير المرأة ؛ واحتراماً لأرائهم ، رغم اختلافنا مع بعضهم أحياناً - أن نذكر هذه الأسماء - مبتدئين بالرجال ، فلولاهم لما ظهرت النساء تطالب بالحرية والمساواة ، فالرجل هو الأب ، الزوج ، الأخ هو الذي ساند الابنة والزوجة والأخت .

رفاعة الطهطاوي : ولد ١٨٠١م ، تعلم في الأزهر ، وسافر إلى باريس عام ١٨٢٦م يعتبر كتابه (المرشد الأمين لتربية البنين والبنات) بمثابة المرجع الأول في حركة تحرير المرأة - حيث تطرق إلى حق المرأة في التعليم ، كما دعا إلى عمل المرأة يقول : " فاعمل يصون المرأة عمالاً يليق ، ويقربها من الفضيلة ، فإن فراغ أيديهن من العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل ، وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل .. وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال ، فهي مذمة عظيمة في حق النساء " توفي عام ١٨٧٣م .

علي مبارك : ولد عام ١٨٢٣ في قرية برتياال الجديدة التابعة لمركز دكرس ، محافظة الدقهلية ، ساهم في إنشاء مدرسة السيوفية للمعلمات عام ١٨٧٣ ، سميت فيما بعد (مدرسة السنية) له الفضل في إنشاء مدرسة " القربية " أول مدرسة ابتدائية مصرية لتعليم البنات ، له كتاب " علم الدين " نادى فيه بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل على أن يتم ذلك بالتدريج ، توفي عام ١٨٩٣ بعد أن أعطى إشارة البدء لانطلاق حركة تحرير المرأة " .

محمد عبده : ولد في منتصف القرن التاسع عشر - كان له اهتمام خاص بقضية المرأة في المجتمع المصري فيما يتعلق بقضايا الأسرة من أهمها ؛ نادى بتقيد حرية الرجل في الطلاق ، حفاظاً على ترابط الأسرة . كان للإمام موقف محدد وصريح حول تعدد الزوجات الذي نهى عنها بسبب ظروف المجتمع المصري. توفي ١٩٠٥ .

قاسم أمين : ولد عام ١٨٦٣ - نادى بضرورة تحرير عقل المرأة من الحجاب الفكري والآراء المغلوطة التي سجدت خلفها سنوات كبرى ، وقد أثار كتابه ضجة وهما تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة " ، وتوفي عام ١٩٢٨م .

سعد زغلول : ولد عام ١٨٦٠م - سمح للمرأة بالمشاركة في حزبه ، وفي ثورة ١٩١٩ خرجت لجنة الوفد النسائية برئاسة هدى شعراوي ، ولم يتوان سعد عن مناصرة هدى

(١) مأخوذ بتصرف من مجلة حواء في عدد مارس ١٩٩٩ - احتفالاً بمرور مائة عام على دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة عام ١٨٩٩م

شعراوي ورفيقاتها في كل ما كانت تتطلع إليه لتحقيق أمانيهن في تحرير المرأة فكراً من الحجاب الذي فرض على عقلا سنوات .

أحمد لطفي السيد : ولد في ١٥ من يناير سنة ١٨٧٢ مركز السنبلوين بمديرية الدقهلية ، نادى بتحرير المرأة ، وناصر قضيتها منذ أن بدأت حركة التحرير . كان له الفضل الأول في التحاق الفتيات بالجامعة أثناء رئاسته لها ، توفي عام ١٩٦٣ م .

طه حسين : ولد في نوفمبر ١٨٨٩م بمحافظة المنيا كان له الفضل في التحاق أول طالبة بكلية الآداب ، متحدياً التقاليد وإيماناً بأهمية تعليم المرأة .

ناصر د. طه حسين حركة النساء في التحرر من قيود الجهل وجاهد لإتاحة الفرصة للمرأة لتتال قسطها من التعليم ، وكان أول من نادى بمجانية التعليم الذي حققته الثورة فيما بعد مما أتاح الفرصة لآلاف الأسر من إلحاق بناتهن بالتعليم بعد أن كان مقصوراً على الأولاد؛ لضيق ذات اليد لمعظم الأسر المصرية .

ومن الرموز النسائية :-

زينب فواز : إحدى الرائدات المجهولات في تاريخ النهضة النسائية ، عاصرت عائشة التيمورية ، بل سبقت ملك حفني ناصف وقاسم أمين في أفكار حول تحرير المرأة ، ولدت تقريباً عام ١٨٦٠م بالجنوب اللبناني وجاءت في العاشرة إلى مصر واستقرت بالإسكندرية ، شاركت في القضايا السياسية والفكرية وكان أبرزها مشاركتها للإمام محمد عبده في الرد على مزاعم هانوتو . وتفنيد اتهاماته للمسلمين والإسلام ، وقادت المعارك والمناظرات دفاعاً عن المرأة ومطالبة بحقوقها توفيت عام ١٩١٤م .

ملك حفني ناصف : مواليد القاهرة ٢٥ من ديسمبر عام ١٨٨٦م ، أول من نالت دبلوماً من مدارس الحكومة المصرية (دبلوم المعلمات السنية) وأول خطيبة ، وأول من مثلت النساء في مؤتمر عام ١٩١١م ، لها كتاب بعنوان (النسائيات) يضم مقالاتها . . كانت شاعرة مفوهة ، اهتمت بالتعليم وقضايا المرأة من خلال منظور الدين .

نبوية موسى : ولدت في ١٧ من ديسمبر سنة ١٨٨٦م ، رائدة تعليم البنات في مصر ، حصلت على دبلوم المعلمات عام ١٩٠٨ ودبلوم المدرسة السنية عام ١٩٠٦م . لها رواية تاريخية بعنوان "توب حتب" أو "الفضيلة المضطهدة" أصدرت جريدة الفتاة عام ١٩٣٧م وفي ختام حياتها جعلت مدارسها وقفاً خيرياً للتعليم وقدمتها لوزارة المعارف .

هدى شعراوي : ولدت ٢٣ من يونيو سنة ١٨٧٦ بمدينة المنيا ، أول امرأة تقود مظاهرة نسائية عام ١٩١٩م ، شاركت في ١٤ مؤتمراً دولياً ، نجحت في رفع السن الأدنى

لزوج الفتاة إلى ستة عشر ولفتي ثمانية عشر . بالإضافة لمحاربته تعدد الزوجات ، ومطالبته بحق المرأة في التعليم والعمل والانتخابات ، كانت تعلم الفتيات في مصر والخارج على نفقتها الخاصة .

دروية شفيق : ولدت في ديسمبر عام ١٩٠٨ في مدينة طنطا ، حصلت على الليسانس والدكتوراة من فرنسا ، قامت بتأسيس حزب " بنت النيل " السياسي عام ١٩٤٨م وكان من أهدافه تعديل قانون الانتخاب ، لتمكين المرأة من المساهمة مع الرجال في الدفاع عن أرض الوطن . وقد أسست فاطمة راشد أول حزب سياسي نسائي عام ١٩٤٤م .

أمينة السعيد : ولدت عام ١٩١٠م في أسبوط أول طالبة تدخل قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب ، استطاعت خلال مشوارها مع المرأة تغيير بعض مواد قانون الأحوال الشخصية ، فمنعت إجبار المرأة على الذهاب لبیت الطاعة بالبوليس . تولت رئاسة مجلة تحرير حواء عام ١٩٥٥ ، ورئاسة مجلس دار الهلال وغيرها ، وأصبحت وكيلة لنقابة الصحفيين وعضواً بالمجلس الأعلى للصحافة ، توفيت في ١٤ من أغسطس سنة ١٩٩٥م .

سمير القلماوي : ثالث خريجة في الجامعة تحصل على الدكتوراة في الآداب ، وأول رئيسة لقسم اللغة العربية من السيدات ، وأول رئيسة للمؤسسة العربية للتأليف والنشر (الهيئة العامة للكتاب فيما بعد) خاضت العديد من المعارك الأدبية والفكرية ، مثل قضية الثقافة الغربية وأنصارها من مؤلفاتها " النقد الأدبي ، فن الأدب والمحاكاة" من الجوائز التي حصلت عليها؛ جائزة الدولة للآداب عام ١٩٥٢م .

لطيفة الزيات : لها مواقف سياسية وطنية كثيرة ، ومن دفاعها عن حقوق الإنسان وحرية ؛ دخلت السجن مرتين الأولى عام ١٩٤٦م والثانية عام ١٩٨١م شغلت عديد من المناصب ، منها رئيس قسم النقد المسرحي بمعهد الفنون المسرحية ورئيس لجنة الدفاع عن القضايا القومية ، وغيرها .

هؤلاء شخصيات نسائية مسلمة ولكن حركة التحرير لم تقتصر على المسلمات ولكنني اخترتهن لمناسبة البحث .

الخلاصة

لقد شغلت قضية المرأة المسلمة عقل ووجدان فريد وجدي ، فتابعها منذ ظهور أول صرخة تطالب بتحرير المرأة على يد قاسم أمين فاهتم أول ما اهتم بحجاب المرأة .. الحجاب بمفهومه كزى إسلامي ، واحتجاب المرأة عن الرجل ، وعدم السماح لها بالعمل حتى إذا أعوزتها الحاجة ، فعلى المجتمع الإسلامي أن يتكفل بحياة كريمة لها لصيانتها وأولادها . وما أن توالى الأعوام ، وخرجت المرأة بالفعل ، لم يجد وجدي بداً من مساندتها على ألا تخرج عن ما حدده لها الشرع وسمحت به تعاليم الإسلام .. فبين لها ما العلوم التي يجب أن تتعلمها ، وما أنسب المهن إلى طبيعتها ، وإن كان تخلى عن حذره فدعا لها بالاشتراك في المجالس النيابية ، مخيباً بعض الآمال التي كانت ترى فيه مسانداً لبقاء المرأة في المنزل .. ولكنه دافع عن رأيه مستمداً حججه من التاريخ الإسلامي .

وهو في هذا يتراءى أمامي كمن رأى المرأة يطلب منها السباحة في بحر عميق لا نهاية له ولا حدود هو الحياة . حذرهما في بداية الأمر خوفاً عليها ، وذكرها بقدراتها المحدودة وأنه يكفيها أن تتعلم مبادئ السباحة حتى لا تغرق .. ولكنها أصرت على خوض التجربة ؛ فهو حقها .. فلم يتركها عقاباً لها وأدرك أنه لو تركها سيكون عقاباً له ولأمة الإسلام .. وقرر أن يرافقها في خطواتها .. إن سمع تصفيق من شياطين الغرب ، يشجعوها على الاستمرار .. خاف وخشى أن تتجذب إليهم تاركة دينها .. معتقدة أنه ظالم ، متجني عليها .. فيأخذ هو في التصفيق معلناً ومؤيداً بما يتاح له من أدلة شرعية على نجاحها على أن تلتزم تعاليم الدين ، وهي تسبح .. فتطمئن إليه ، فهو على كل حال بتياره الديني يمدّها بالراحة النفسية، التي يحتاجها كل إنسان من كون الله بجانبه ، يسدّد خطاه وأنه بعمله لا يعصاه .

وأخيراً . فقد تناولت آراء وجدي و آراء قاسم أمين وبعض العلماء سواء أكانوا رافضين أم مؤيدين لأحدهما أو كليهما ، مثل محمد متولي الشعراوي - محمد الغزالي - عبد الله شحاتة .

وختمت المبحث بملف خاص يشتمل على بعض أسماء دعاة التحرير من الرجال والنساء وأهم النقاط التي تناولتها في المبحث هي :-

- | | |
|------------------|------------------------------|
| ١- الحجاب . | ٢- التعليم . |
| ٣- العمل . | ٤- الاشتراك السياسي . |
| ٥- رأي الإسلام . | ٦- نماذج من آراء فريد وجدي . |

المبحث الثاني

الأدب الجاهلي

الأدب الجاهلي

كانت قضية الأدب الجاهلي في مطلع القرن العشرين ؛ مثاراً للجدل والاختلاف بين الأدباء والمفكرين ، بداية بقضية الشعر الجاهلي التي أثارها طه حسين في العشرينيات ، ثم النثر الجاهلي ، والنظرية التي تبناها زكي مبارك بعده بسنوات.

وقد أثارَت هذه القضية "محمد فريد وجدي" ككاتب ، ومفكر إسلامي ؛ كغيره من الكتاب . لن نتناول قضية الأدب الجاهلي من وجهة النظر الأدبية .. ولن نأتى بكل ما تناوله فريد وجدي بالمناقشة ، لكننا سنشير ونركز على ما يتصل بالإسلام والقرآن خاصة ، لنرى كيف اهتم فريد وجدي بكل ما له صلة بالدين كالقضايا الأدبية التي نحن بصدها الآن . ونبدأ المبحث ببيان ما المقصود بالأدب ؟ وما المراد بالجاهلي ؟ لنعرف ما الزمن الذي نتحدث عنه ونذكر صلة الأدب فيه بالقرآن ، والعصر الإسلامي .

أدب جاهلي

كلمة أدب كما يقول شوقي ضيف هي :- " من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية ، وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية والحضارة. وقد اختلفت عليها معانٍ متقاربة ، حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم ، وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين ، سواء أكان شعراً أم نثراً ."^(١)

ثم يحدد د. شوقي ضيف ؛ ما المقصود بالعصر الجاهلي ؟
 "قد يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة ، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الاتساع ، إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية ، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية ، وهي الحقبة التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصها ، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي."^(٢)
 ولاحظ ذلك الجاحظ بوضوح إذ قال : " أما الشعر العربي ؛ فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ، ومهلل بن ربيعة .. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فماتى عام"^(٣)

(١) شوقي ضيف : العصر الجاهلي : المقدمة ؛ ط الثالثة - دار المعارف بمصر.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٨ . نقلاً من الحيوان للجاحظ ، ط الخلي ، ج ١ ، ص ٧٤ .

"وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه ، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفة والغضب والنزق ، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جل وعز وما يطوى فيها من سلوك خلقى ، ودارت الكلمة فى الذكر الحكيم والحديث النبوى والشعر الجاهلى ، بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب ، فى سورة البقرة ^(١) : "قَالُوا لَنَخْذَنَّهُمْ زُفًى قَالُوا قَدْ عُوذُ

بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ^(٢) " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(٣) " وفى سورة الأعراف ^(٤) " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ^(٥) " وفى الحديث النبوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر وقد عير رجلاً بأمه " إنك

امرؤ فيك جاهلية " . وفى معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا . ^(٦)

وفى تفرقة بين الشعر والنثر قسمى الأدب يقول "محمد عبد المنعم خفاجى" :-
" فالشعر هو الكلام الموزون المقفى ، والنثر هو ما خلا من الوزن والقافية . والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة ، ويثير الشعور والوجدان . والنثر غالباً مما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير ، وقد يعتمد على الخيال ويتعمد إثارة العواطف ، ويصاغ فى أساليب شبيهة بأساليب الشعر فيسمى شعراً منثوراً . ^(٧) وبعد عرض نبذة عن مفهوم الأدب الجاهلى نبدأ بالقسم الأول من هذا المبحث وهو الشعر الجاهلى ونتناول فيه بعض النقاط التى وقف عندها (أو لديها) فريد وجدى فى مناقشته لكتاب طه حسين " الشعر الجاهلى "

(١) سورة البقرة : من آية ٦٧ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٩٩ .

(٣) سورة الفرقان : آية ٦٣ .

(٤) شوقى ضيف : العصر الجاهلى : ص ٣٩

ويقول محمد عبد المنعم خفاجى فى كتابه الشعر الجاهلى ، ص ١٢٣ - "كلمة جاهلى من الجاهلية المأخوذة من الجهل ضد العلم لما كان عليه العرب من أمية ، أو من الجهل ضد الحلم ، لما كانوا عليه من سفة وطيش وإسراع إلى الانتقام ، وشن الحروب لأوهى الأسباب ."

(٥) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ١٠٧

القسم الأول : الشعر الجاهلي

القسم الأول : الشعر الجاهلى

يوضح "وجدى" فى مقدمة كتابه " نقد كتاب الشعر الجاهلى " عن ظروف تأليفه له .
 فبداية إنه استحسن إصدار طه حسين لمؤلفه " الشعر الجاهلى " ولكنه لاحظ به بعض الأخطاء
 يقول :- " هذه الحلقات المتصلة من الحوادث التى أثارها هذا الكتاب حفزتنى إلى الإطلاع
 عليه فرأيت أخطاء اجتماعية وبسيكولوجية وفلسفية لا يصح السكوت عليه."
 وأفيت الدكتور لاضطراره إلى تصيد الأسباب التى حملت ذوى النفوس المريضة
 على اختلاق الشعر ونسبته إلى الجاهليين ، قد عول على كتب المحاضرات ، وهى قرارة
 الأكاذيب ، ومستنقع المفتريات من كل نوع ^(١)
 وأهم خطأ ارتكبه "طه حسين" من وجهة نظر "وجدى" .. " طامساً لمعالم أكبر ثورة
 اجتماعية حدثت فى العالم ، ألا وهى ظهور الديانة الإسلامية ، وما استتبع انتشارها من
 سقوط دول وقيام دول ، ... وطروء عهد جديد على الإنسانية ، انتقلت به درجات كثيرة فى
 معارج العلم والفلسفة والأخلاق والعمران. " ^(٢)
 ومع ذلك ينفى "فريد وجدى" شبهة التعمد عند طه حسين فى هدم أثر الثورة الإسلامية.
 " لا ندعى هنا أن الدكتور طه حسين قصد إلى تشويه جمال هذه الثورة الكبرى فى
 كتابه ولكنه بغفوه فى تحرى أسباب الاختلاق ، على الجاهليين التتقط من كتب المحاضرات
 جميع ما فيها ما يتعلق بالاختلاق !
 "يصعب علينا أن نرى واحداً منا يضع كتاباً بالغرض قليل الخطر ، هو إثبات أن
 الشعر الجاهلى مخلق ، يكون أثره على قارنه أن يحتقر هذه الثورة الكبرى ، ويستخف
 برجالها الذين أخذوا حظاً من تمثيلها ، والاضطلاع بأعبائها ، وقد آتت العالم ببركات لا يزال
 يعترف لها بها إلى اليوم. " ^(٣)
 ويعرض "وجدى" منهجه فى نقد كتاب "الشعر الجاهلى"
 " إنى ما كدت أتم قراءة كتاب الدكتور طه حسين حتى وجدتنى مدفوعاً لوضع نقد
 عليه ، استهدف به غرضين : (أولهما) مناقشته فى المسائل التى تتعلق بتكوين الأمة

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١ ، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، مصر ١٩٢٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢ .

الإسلامية ، ولا يتفق حكمه فيها والمقررات التاريخية ، ولا الأصول الاجتماعية ، وأرى الإغضاء عنها ضاراً كل الضرر بنابئة هذا الجيل ، وهم فى هذا الدور من الانتقال السريع. (وثانيهما) مقابلة أول ثمرات الجامعة المصرية ، بما تستحق من العناية ، وهذه العناية لا تعنى فى عالم العلم ، غير النقد والتمحيص.^(٤)

ومن أهم القضايا والنقاط التى اهتم بمناقشتها فريد وجدى: وهى :- أولاً منهج طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى .

ثم يشير إلى ما وضعه طه حسين فى منهجه . "نحن بين اثنين إما أن نقبل فى الأدب وتاريخه ما قاله القدماء ، وأما أن نضع علم المتقدمين كله موضع البحث بل الشك. أريد ألا نقبل شيئاً مما قال القدماء فى الأدب وتاريخه إلا بعد بحث وثبت إن لم ينتها إلى اليقين ، فقد ينتهيان إلى الرجحان".^(١)

وقد استحسن "فريد وجدى" منهج تمهيد طه حسين لكتابه يقول :- وقد انتحى فيه مذهباً لا نقول حسناً فحسب ، بل نقول هو المذهب الوحيد الذى لا يصح الجرى على خلافه ، .. هذا مقتضى النهضة الأدبية التى تندفع فى تيارها اليوم.

.. فتمهيد الدكتور طه حسين هو المنتظر من أستاذ الآداب فى الجامعة ولو جرى على خلافه لاعتبر غير خليق بمكانه منها"^(٢)

ولكن فريد وجدى اعترض عليه فى : "وكل الذى نأخذه على الدكتور طه حسين فى هذا التمهيد ذهابه إلى أن الشك الذى اعتراه فى الشعر الجاهلى حادث أدبى جديد ، وأن العلماء الأقدمين ، كان قصارى مما عملوه فى الشعر الجاهلى أنهم اختلفوا فى روايته بعض الاختلاف..."

ويبرر وجدى اعتراضه قائلاً :- "والحقيقة أنهم نظروا فيه وشكوا فى نسبته إلى الشعراء الذين عينهم الرواة وقرروا أن هؤلاء ، قد كذبوا على القدماء ، حتى اختلط القديم بالجديد ولم يعد من الممكن تمييز بعضه عن بعضه الآخر"^(٣)

ومن الشواهد التى أيد بها وجدى رأيه .. "قال الأصمعى : أقمت فى المدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة "

"وقال العلامة ابن سلام فى كتابه طبقات الشعراء : زاد الناس فى قصيدة أبى طالب

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٢ .

(٢) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٥ ، ٦ .

التي قالها في النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يدري أين منتهاها " (١)
ويكمل وجدى مأخذه على منهج طه حسين " ونأخذ على الدكتور طه حسين أيضاً تعامله
على الطائفة التي سماهم بأنصار القديم ، وذهابه إلى أنهم مطمأنون إلى ما قاله القدماء ،
وأنهم أغلقوا على أنفسهم باب الاجتهاد في الأدب ، فإن كان يقصد بهذا القول أنهم لا
يجرؤون على أن يفعلوا فعله في نقد الشعر وتمحيصه فقد وجب علينا أن نرده إلى الصواب
فيه ، ولا نجد أفعال في إقناعه من نقل ما كتبه الأديب المشهور الأستاذ مصطفى أفندي
صادق الرافعي في كتابه " تاريخ آداب العرب " (الذي نشره في ١٩١١م أي قبل خمس
عشرة سنة) فقد جاء فيه قوله (لما جاء الإسلام ، واندفع به العرب إلى الفتوح ، اشتغلوا
عن الشعر بالجهاد والغزو حيناً من الزمن . فلما راجعوا روايته بعد ذلك وقد أخذ منهم
بالسيف والحيث ، وذهب كثير من الشعر وتاريخ الوقائع بذهاب روايته ، صنعت القبائل
الأشعار ونسبتها إلى غير أهلها . تتكثر بها وتعتاض مما فقدته ، وأخذ عنهم الرواة " (٢)

ويؤيد رأي وجدى "د. شوقي ضيف" قائلاً : " إذا تركنا المستشرقين إلى العرب
المحدثين والمعاصرين ، وجدنا مصطفى صادق الرافعي يعرض هذه القضية ، قضية الانتحال
في الشعر الجاهلي عرضاً مفصلاً في كتابه " تاريخ آداب العرب " الذي نشره في سنة ١٩١١
م ولكنه لا يتجاوز في عرضه - غالباً - ما لاحظته القدماء ، ونحن نحمد له استقصاءه
لملاحظاتهم كما نحمد له ما وقف عنده من شعر الشواهد للمذاهب النحوية والكلامية ، فقد
لاحظ ما دخل هذا الشعر من بعض الوضع ، وهو وضع سجله القدماء أنفسهم ولم يفتهم التنبيه
عليه " (٣)

وبعد أن أتى " وجدى " بخلاصة منهج طه حسين القائم على منهج ديكارت " أي الشك "
يقول مادحاً .. معاً تبا في ذات الوقت . " أنا لا أتمالك نفسي من أن أقول صراحة أن هذا
الكلام ثمين ، ولا أغالي إن قلت إنه أعرق في الإسلام من كل كلام قرأته قبل هذا ، ولا يعيبه
إلا شيء واحد ، وهو أنه مفرغ في قالب الخروج على الجماعة على حين أنه مذهب القرآن
الذي هو دستور هذه الجماعة ، فلو كان قال إنه سيعالج البحث في الأدب العربي وتاريخه
ناسياً قوميته وكل مشخصاتها ، ودينه وكل ما يتصل به وغير ما يتقيد بشيء ، ولا مدع

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلي ص ٦

(٢) المصدر السابق : ص ٧ .

(٣) شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ص ١٧٠ .

وقد لفتت هذه القضية ، قضية انتحال الشعر الجاهلي أنظار الباحثين المحدثين من المستشرقين والعرب ، وبدأ النظر فيها تولدك ،
وكان مرجحيوث أكبر من أناروا هذه القضية في كتاباته إذ كتب فيها مقالاً مفصلاً ، نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعدد يوليو
سنة ١٩٢٥م . ولا يزال المستشرقون إلى اليوم يختلفون في قبول هذا الشعر بمحدر والشك فيه شكاً معتدلاً أو متطرفاً ، ومن أدل بدلوه
منهم في هذا الموضوع بلاشير في الجزء الأول من كتابه : تاريخ الأدب العربي . (شوقي ضيف : العصر الجاهلي : ص ١٦٦ ، ١٦٨ .

لشيء، إلا مناهج البحث الصحيح ، جاريًا بذلك على مذهب القرآن (لاديكارت) لكانت كلماته هذه عدت أجمل تفسير لآيات الكتاب التي وردت خاصة بمنهج البحث عن الحقائق" (١)
ويتساءل "فريد وجدى"، ما الذى يمنع طه حسين من القول بأنه يتبع منهج القرآن لا ديكارت ؟ وبجيب قائلًا :- "فإن كان المانع الأتفة من الإتياع ، فالإتياع حاصل ديكارت ، فهل من مرجح للأتفة من إتياع محمد وعدم الأتفة من إتياع ديكارت ؟ وهل فرق فى التبعية ، بين أن يقول هذا قرآنى وهذا ديكارتى ؟" (٢)

ويقدر "وجدى" أنه لا يأنف من تبعة المذاهب الإصلاحية ولكنه يفضل القرآن لأسباب منها :- " أن ديكارت رجل فرنسى ليس بينى وبينه أية علاقة من جنس أو لغة أو صلة من أى نوع كانت. وأما القرآن فهو كتاب الأمة التى أنا منها .. وقد سبق ديكارت بعشرة قرون ، وأسلوبه أدق من أسلوبه ، وأجمع لوجوه الاحتياط منه. " (٣)

ويفند وجدى ما يحتاجه طه حسين ليرى هل يغنى القرآن بمذهبه أم لا من ذلك :-
أولاً : يرى الدكتور طه حسين أن صواباً أو خطأ إن المتقدمين قد شايعوا أو هامهم وأهواءهم فى تقرير ما قرروه عن العلم فلا يريد مجاراتهم فيه . والقرآن يؤيده فى مذهبه هذا فهو يعنى على المتأثرين بالأهواء ، والآخذين بالظنون فقال : " (٤)

إِنْ يَكْفُرُوا بِالْإِلَهِ الظَّنِّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٦٦﴾
ثانياً : " يطلب الدكتور طه حسين أن يتوخى فى بحثه عن الحقيقة نسيان قوميته وكل مشخصاتها وقد محق القرآن القوميات ومخصصاتها فقال : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (٥)

وشرح رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية بقوله " لقد اذهب الله عنكم رجز الجاهلية وتفاخرها بالآباء. كلكم من آدم وادم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى ولا فضل لأعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح " (٦)
ثالثاً : يقول الدكتور طه حسين (إنا إذا لم ننسى قوميتنا وديننا وما يتصل بهما فسنضطر إلى المحاباة وإرضاء العواطف ، وسنغل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين "

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ١٠ ، ١١ .

(٢) المصدر السابق : ص ١١ .

(٣) المصدر السابق : ص ١١ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٢ . سورة يونس : آية : ٦٦ .

(٥) سورة الحجرات : آية ١٣

(٦) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى ص ١٢٠ .

ويجيبه وجدى قائلاً : " كيف نضطر إلى المحابة وإرضاء العواطف وهذا الدين نفسه
يزجرنا عن المحابة وإرضاء العواطف فيقول " يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ
شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ

رابعاً : ويقول (٢) الدكتور طه حسين " لنجته في أن ندرس الأدب الجاهلي غير حافلين
بتمجيد العرب أو الغض منهم ، ولا مكترئين بنصر الإسلام أو النعى عليه ، ولا معنيين
بالملاءمة بينه وبين نتائج البحث العلمى والأدبى ، ولا وجلين حين ينتهى بنا هذا البحث إلى
ما تأباه القومية ، أو تنفر منه الأهواء السياسية ، أو تكرهه العاطفة الدينية "

ويرد عليه وجدى (٣) مؤكداً مع التحفظ :-
" نقول إن هذا الكلام لا غبار عليه وهو مذهب كل طالب للحقيقة إلا قوله ولا
مكترئين لنصر الإسلام أو النعى عليه ، فإن مثل هذا القول لا يصح إطلاقه على دين لا
مرمى له إلا إيصال الإنسان إلى الحقيقة ... "

ويلخص فريد وجدى رأيه قائلاً :- إننا نعد منهج الدكتور طه حسين فى البحث ..
من أكمل المناهج ، بل هو المنهج الوحيد الذى ينطبق على أصول الفلسفة العصرية المنتجة
إلا ما ارتكبه من غمط حق الإسلام فى هذا الموطن .

فإنه إن كان يعرف مكان الإسلام من هذا المنهج كان الأولى به أن يقول إن المتقدمين
ارتكبوا ما ارتكبه من إفساد الأدب والعلم بعدم جريهم على المنهج الذى يحضهم عليه
القرآن وإنه سيجرى على ذلك المنهج الذى يوافق ما جاء بعده بألف سنة كمنهج
روجرباكون وديكارت وغيرهما (٤)

وينبه وجدى مؤكداً " وإن كان لا يعرف الإسلام كان يجب عليه أن يلم به قبل أن
يخط حرفاً فى الأدب العربى فإن علاقته بأداب هذه الأمة وعقليتها وتأثيره فيهما مما لا
يمكن إنكاره أو عدم الاعتدال به على أية حال . " (٥)

ويوافق أ. "محمد خضر حسين" رأى فريد وجدى فى عدم جدة منهج ديكارت ؛ فهو منهج
معروف عند علماء الشرق يقول (٥) " إذا كان منهج ديكارت يرجع إلى أن الشك أساس الفلسفة
وتعرف الحقائق وألا يسلم بشيء إلا بعد أن يفحصه العقل ، فإن هذا المنهج ليس بالغريب عند

(١) سورة النساء : آية ١٣٥ .

(٢) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٥

(٣) المصدر السابق : ص ١٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٥ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٥ .

(٦) السيد محمد خضر حسين : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى : ص ٢٦ ، ٢٧ ، مطبعة السلفية - القاهرة ١٣٤٥ هـ .

علماء الشرق ... ، وممن صرح بهذا المسلك أبو حامد الغزالي حيث قال في "المنقذ من الضلال" إن اختلاف الخلق في الأديان والملل ثم اختلاف الأمة في المذاهب وكثرة الفرق ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون .. ولم أزل في عنفوان شبابي منذ راهقت البلوغ إلى الآن ، وقد أناف السن على الخمسين - أفتحم لجة هذا البحر .. واتفحص عقيدة كل فرقة واستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين محق ومبطل ومستن ومبتدع .. وقد كان العطش إلى درك الحقائق دأبى ودينى .. وحتى انحلت رابطة التقليد وانكسرت عنى العقائد الموروثة " وقد أفصح عن مثله الفليسوف ابن خلدون " وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ، لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات "

ثانياً :- تمثيل القرآن للعصر الجاهلى وعدم تمثيل الشعر الجاهلى له :

" يقول حضرته إن الشعر المسمى بالجاهلى لا يمثل حياة الأمة العربية قبل البعثة المحمدية "

ويوافقه وجدى قائلاً :- " ونحن لا يسعنا إلا موافقة الأستاذ على ذلك ... ولئن كان الرواة الأولون قد حفظوا عن الجاهليين شعراً صحيحاً فإنما هم قد تحروا فيه ما لا يصادم الإسلام تأثماً من نقل أخبار المشركين وإذاعة ضلالاتهم الاعتقادية. "(١) ويقول الدكتور طه حسين : " إن القرآن أصدق مرآة للحياة الجاهلية ، وأصح تمثيلاً لها من الشعر المسمى بالجاهلى " (٢)

" ووجدى " يتفق معه فى كون القرآن مرآة للجاهلية يقول :- " أما أن القرآن يعتبر أصقل مرآة لما كان عليه عرب الجاهلية من النقائص والعيوب الاجتماعية والمنكرات العادية فنعم ... فهو يمثل حياة الجاهليين من وجهة نقائصهم وسيئاتهم تمثيلاً لا يدانيه فيه شعر ولا تاريخ . وكيف لا يكون كذلك وهو إنما جاء لنقلهم مما هو عليه إلى حال أرقى منه درجات ، وتهيئتهم لأن يحيوا حياة صالحة تأخذهم إلى معارج الارتقاء "(٣) ويخالفه " من وجه كفاية القرآن وحده فى تجلية ما كان عليه العرب من الصفات المحمودة ، وليس له أن يعرض لذلك وهو فى مقام دعوتهم إلى دين يقلب وجودهم

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ٣١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣١ .

(٣) المصدر السابق : ٣١ .

الاجتماعى رأساً على عقب ، ويهدم ما هم عليه من أساسه ، ويقوم على أنقاضه صرحاً جديداً لحياة جديدة لم يعرفوها إلى ذلك الحين. ^(١)

كما يذكر أننا لا نعرف الصفات الحميدة للعرب إلا من الشعر الجاهلى فإذا تركناه تركنا جزءاً مهماً مكملاً للحياة الجاهلية : يقول " وما دام الشعر المنسوب لهم ، وفيه المختلف والصحيح . قد أجمع على نسبة هذه الصفات لهم فيمكن الاعتماد عليه فى تكميل بناء تاريخهم . (إلا فنكون قد حكمنا بعدم إمكان الوصول إلى هذا التاريخ على الإطلاق. ^(٢)

ويؤيد "د. محمد عبد المنعم خفاجى" فريد وجدى فى أنه لا غناء عن الشعر لتمثيل حياة الجاهليين : يقول ^(٣) " الشعر الجاهلى يمثل حياة الجاهليين ، ويرسم ألوان معيشتهم ، ويروى عاداتهم ويتحدث عن أديانهم ويصف بيئتهم ولون ثقافتهم.

وهل هناك ريب فى أن الشعر الجاهلى يصف البيئة الجاهلية وصفاً دقيقاً ، وهل هناك شك فى أنه سجل لتاريخهم وأخبارهم وأيامهم.

ويقول "نيكلسون" فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) : إن الأدب الجاهلى المنظوم منه والمنثور يمكننا من تصوير حياة تلك الأيام الجاهلية تصويراً أقرب ما يكون عن الدقة فى مظاهره الكبرى .

ويقول "ثوربيك الألمانية" : يمكن تعريف الشعر الجاهلى بأنه وصف مزين بالشواهد لحياة الجاهلية وأفكارها فقد صور العرب أنفسهم فى الشعر صورة منطبقة على الحقيقة بدون تزويق ولا تشويه.

وقال "نولديكه المستشرق الألمانية" فى كتابه عن الشعر العربى القديم : إن عادات عرب الجاهلية وأحوالهم معلومة لنا بالدقة نقلاً عن أشعارهم وفى الشعر الجاهلى ما يفتن القارئ من أوصاف الحياة والعادات فى البادية.

ويقول "لطفى جمعه" فى كتاب الشهاب الراصد : يدل الشعر الجاهلى فى جملته فى نفوس ناظميه وحياتهم ، ثم قال : والشعر الجاهلى أشد ما يكون اتصالاً بحياة القوم وتاريخهم وأكثر ما يكون تمثيلاً ، ووصفاً لبيئتهم ، بل أنه أصدق مثال لحياة العرب أنفسهم ، فأثر تلك البيئة الطبيعية والمحيط الاجتماعى ظاهر فى شعورهم بجانب بلاغتهم النادرة

وهل هناك أكثر من الدلالة على الحياة الجاهلية أكثر من الشعر الجاهلى نفسه الذى هو ديوان العرب ومستودع تاريخهم ومرآة حياتهم وصناعاتهم وعاداتهم . "

(١) المصدر السابق : ص ٣١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٢ .

(٣) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ٣٤٣ ، ط ١٩٤٦ م ، ١٣٦٨ هـ - مطبعة حجازى بالقاهرة ، مكتبة الحسين التجارية .

ثالثاً : قوة الحياة العقلية والدينية والسياسة عند عرب الجاهلية

وقف فريد وجدى وقفة طويلة مع مقولة طه حسين : " إن القرآن يمثل لنا فى عرب الجاهلية حياة دينية قوية ، وقدرة على الخصام والجدال ، وإنهم كانوا أصحاب علم وذكاء وعواطف رقيقة ، وعيش فيه لين ونعمة ، وإنهم كانوا على اتصال قوى بمن حولهم من الأمم قسمهم أحزاباً وشيعاً ، وكانوا يعنون بسياسة أمتى الفرس والروم ، وعلى اتصال اقتصادى بغيرهم من الأمم ، وإنهم تجاوزوا باب المندب إلى بلاد الحبشة ، وتجاوزوا الحيرة إلى بلاد الفرس ، وتجاوزوا الشام وفلسطين إلى مصر ، وإنهم كانوا متأثرين بالسياسة العامة ومؤثرين فيها ، وبذلك فقد كانوا أمة متحضرة راقية لا أمة جاهلة همجية . ثم قال وكيف يستطيع رجل عاقل أن يصدق أن القرآن قد ظهر فى أمة جاهلة همجية ؟ " (١)

وقد أعلن وجدى مخالفته لرأى طه حسين فى هذه القضية ، ثم قسمها إلى جزئيات ، وسنشير إلى كل جزئية فى لمحة خاطفة لعدم الإطالة .

أولاً : قوة الحياة العقلية والدينية عند عرب الجاهلية

يقول وجدى : " لا جدال فى أن العرب كانوا قبل البعثة المحمدية على دين هو الوثنية على أحسن أشكالها لا كوثنية اليونان ذات الميثولوجيا المتأنقة فى الخيال ، ولا كوثنية المصريين والهنود والصينيين الثرية فى الأصول ، الداعية إلى تطهير النفس ، والتجرد من عالم المادة والتغفل فى الحياة الروحية بفرض الرياضيات ، وإيجاب العبادات . وقد دفعت الأديان الوثنية أصحابها إلى كثير من العلوم والفنون . "

أما العرب فكانت وثانيتهم ساذجة مبهمة قليلة السلطان على عقولهم لم تدفعهم لأى صناعة من الصناعات التى يدفع إليها التدين ، ولولا أصرام كانوا أقاموها فى مكة يحجون إليها فى كل عام مرة لساغ عدهم من الأمم المجردة عن العاطفة الدينية . " (٢)

" وليس أدل على تدهور وانحلال القبائل العدنانية فى نجد والحجاز أيضاً من تركهم جيش أبرهة عامل الحبشة يتوغل فى بلادهم على عزم هدم الكعبة دون أن يلقى أية مقاومة أين هذا من غيرة اليونان حين اعتزم الملك اكسيركسيس ملك الفرس فى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح على اكتساح بلادهم فقاوموه شبراً شبراً حتى أصلوه فى مضايق الترموبيل نار

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٣٣ .

وقد اهتم فريد وجدى بهذه القضية اهتماماً كبيراً فلم يترك مناسبة ، تم فيها ذكر هذا الموضوع إلا وأفاض وأطال مثل ما نجد فى السيرة المحمدية سابقاً ، وفى النثر العربى لاحقاً .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣ .

حرب طاحنة لم يجد معها مناصاً من الارتداد على عقبه رغماً عما كان معه من الجيوش
الجرارة والعدد المجتاحة .. " (١)

ومن خلال الآيات القرآنية يستدل وجدى على عدم قوة الحياة العقلية الدينية
يقول " لكن عرب الجاهلية قابلوا الدعوة الإسلامية بسلاح العاجز وهو قولهم إنهم لا
يستطيعون أن يتخلوا عن دين آبائهم الأولين . وكل ما فعلوه بعد ذلك إنهم كانوا يتعجبون
من التوحيد فقالوا كما حكاه عنهم القرآن : أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ﴿٥﴾
وَأَنْطَلَقُوا مَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصِيرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِهَةٍ الْأَخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾ " (٢)

ولا يخفى أن التعجب من وحدانية الله لا يدل على شيء من الذكاء والتواصي
بالصبر على آلهتهم لا يتجاوز المقاومة السلبية ، مقاومة الجهلة الأغبياء . وتصريحهم
بأنهم لم يسمعوا بهذا التوحيد في الملة الآخرة يدل على سذاجة لا يعزرون عليها على أية
حال " (٣)

ويكمل وجدى مناقشته : " نعم قد كان لبعض العرب ذكاء وفهم ، وعيش فيه لين
ونعمة ، ومن سكان المدن منهم ؛ كانوا على شيء من الحضارة ، ولكنهم كانوا على حال
من الانحلال الأدبي والاجتماعي لا يرجى لهم معه قيام . فكانوا من الدين على وثنية منحطة
خالية مما يموهها من المعابد الفخمة ، والهيكل الضخمة ، والسدنة الراقية ، والمرشدين
الروحية ، وكانت عبادتهم تنحصر في حج البيت والتصفيق والصفير فيه ، وكان لديهم
السفاح ذائعاً ، وشرب الخمر شائعاً ، ولعب الميسر مباحاً ، وتعدد الزوجات إلى ما لا حد له
سائغاً ، وحرمان النساء من الميراث ، بل وراثتهن كما تورث الأنعام والتحكم فيهن حقاً
مقررأ ، وإجبار فتياتهن على البغاء طمعاً في أجورهن عملاً محلاً ، وكانوا مع ذلك يدعون
اليتيم ولا يتحاضون على طعام المسكين ، ويأكلون التراث أكلاً لما ، ويحبون المال حبا جما
كل هذا صرح به القرآن ، وشهد به عليهم ، وجههم به على رؤوس الأشهاد . يلوح من
هذا لأول وهلة أن العرب لو كانوا على وشك نهضة لما صادفت دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم منهم كل هذا النفور ولما كانت حجتهم المثلى في رفض الدين قولهم (٤) : " وَكَذَلِكَ
مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ
مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ "

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلي : ص ٤٢ .

(٢) سورة ص : آية ٥ ، ٦ ، ٧

(٣) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلي : ٣٦ .

(٤) سورة الزخرف : آية ٢٣ .

قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا

(١)

فإن الأمم المتحفزة للنهوض لا تدفع المجددين بمثل هذا الأصل الدال على أقصى درجات الجمود. بل عهدناها تكتسب شعوراً حاداً يسوقها لكرهية ما كان عليه آباؤها الأولون ، وقد تغلوفتنسلخ من حقهم وباطلهم ، وحسنهم وقبيحهم على السواء ، وتترامى فى أحضان كل جديد حتى ما كان ضاراً بها كما يشاهد فى تركيا ومصر اليوم . (٢)

وأخيراً يجيب على التساؤل الذى طرحه فى بداية المناقشة وهو ما سر التطور الذى لحق بالأمة العربية بعد الإسلام ؟ يقول " فالفضل فى التطور العظيم الذى دخلت فيه الأمة العربية فأصبحت به منقذة العالم من برائن الجهالة والهمجية يرجع إلى الروح المحمدية التى بثت الحياة فى هذه الأشباح الجامدة فحركتها لطلب الحياة الصحيحة من كل مظانها ، وبثت هذا الشعور فىمن حولها من الجماعات حتى استحققت خلافة الله فى الأرض كما استحققتها قبلها أم لا صلة بينها وبين العرب فى شيء قوله تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (٣)

رابعاً : قصة هجرة إسماعيل إلى مكة

يقول الدكتور طه حسين : "إننا مضطرون أن نرى فى قصة هجرة إسماعيل إلى مكة ونشوء العرب المستعربة بها نوعاً من الحيلة فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى وأقدم عصر يمكن أن تكون نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو العصر الذى أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية . فنحن نعلم أن حروباً عنيفة شبت بين اليهود وبين الذين كانوا يقيمون فى هذه البلاد وانتهت بشيء من المسالمة والملاينة فليس ببعيد أن يكون هذا الصلح منشأ هذه القصة التى ستجعل اليهود والعرب أولاد أعمام "

ثم قال : " أمر هذه القصة إذن واضح فهى حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام واستغلها لسبب ديني ، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً " (٤)

(١) سورة لقمان : آية ٢١ .

محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٥ .

(٣) سورة النور : آية ٥٥ .

(٤) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى ، ص ٤٦ .

ويرفض وجدى هذا الرأى ويقول مدافعاً عن رأيه : " لو كانت هذه القصة حيلة من اليهود افعلوها ليعيشوا مع العرب بسلام آمنين لكانوا ، حين اجمعوا على الهجرة إلى بلاد العرب ، جعلوا ترويجها بين العرب باكورة أعمالهم لا أن يبدأوا هجرتهم بالحروب العنيفة حتى إذا طحنتم المعارك سنين ابتكروها لتكون سبباً فى اجتلاب عطف خصومهم عليهم . وهل ابتكارها بعد تلك المعارك الطاحنة لا يثير فى نفوس العرب الشك فى صحتها ، بل الجزم بأنها حيلة يراد بها خضد شوكتهم ، وثلم حميتهم ؟

ثم إننا نقول إن قريشاً لم تعمل قط على ترويج نسبتها إلى إبراهيم وإسماعيل لعدم وجود أى دليل على ذلك .^(١)

وافترض "وجدى" عدة أسباب لذلك منها ؛ عدم اهتمام قريش بالتوحيد لوثنياتها ، وكثرة القبائل التى تشترك معها فى أبوة إسماعيل وغيرها .

"ومما يدل دلالة تكاد تكون محسوسة على أن قريشاً لم يطف بخيالها هذا الترويج قط عدم عنايتها بتسمية أولادها بإبراهيم أو إسماعيل وأنت خبير أن هذه التسميات ذات دلالات قوية على تطور الحوادث الاجتماعية حتى أنها وحدها لتشير إلى مبلغ تشييع الشعوب لبعض الأفراد الممتازين ، أو إلى دور انتقال جديد ، أو إلى اتجاه الأمة نحو مثل أعلى فى الحياة الأدبية ."^(٢)

يناقش وجدى قول طه حسين " إن قصة هجرة إسماعيل إلى مكة نوع من الحيلة لإثبات الصلة بين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة .

فيعقب متساءلاً : أكان الإسلام لأجل أن يقوم بما انتدب له من هداية العرب ودفعهم إلى مستوى الأمم الحية ، فى حاجة إلى انتحال الصلة بينه وبين اليهودية حتى يصح أن يقال إنه استغل هذه القصة لمنفعته الشخصية ؟

اللهم إننا لا نرى وجهاً للحيلة فى إثبات الصلة بين الإسلام واليهودية ولا بين القرآن والتوراة ، فإن كان فى القرآن ذكر عن اليهودية والتوراة ففيه ذكر عن النصارى والإنجيل ،

بل هو قد ذكر النصارى والإنجيل وعيسى والحواريين والرهبانية بكثير من العطف فقال .

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

"^(٣)

﴿٨٢﴾

قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

وقد ذكر أيضاً الصابئة والمجوس والدهريين ومنكرى البعث وغيرهم. ذلك لأن الإسلام قد جاء بإصلاح دينى عام للأمم كافة فكان لابد من ذكر الأديان والتبنيه على ما فيها من

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) سورة المائدة : آية ٨٢ .

الانحراف عن جادة المنطق للتأثير في أهلها كما يضطر الفيلسوف إلى ذكر مذاهب أسلافه ونفدها .^(١)

يقول الدكتور طه حسين : " إن ورود أسمى إبراهيم وإسماعيل في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل ابن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها "^(٢)

ويجيبه وجدى قائلاً :- " معناه إنه لا يمكن إثبات وجودهما إذا جرى التاريخ على أسلوبه في إثبات وجود الرجال ، وتحقيق الحوادث المعزوة إليهم ، مستقلاً عن نصوص الكتب السماوية ، فالتاريخ يطلب في إثبات وجود الرجال أدلة حسية ، وآثاراً مادية فوق ما تذكره عنهم الكتب الدينية وبخاصة بالنسبة للأفراد المتغلغلين في القدم كإبراهيم وإسماعيل .. ونحن نرى أن هذا الموقف من العلوم في الاستقلال عن النصوص الدينية ضروري لها ؛ لتستطيع أن تؤدي وظيفتها من التحرير والتمحيص مطلقة الحرية ، في دائرة العلل الطبيعية. فلا يجوز لحفظة الأديان الصحيحة أن يكرهوا هذا الاستقلال لها فأنها بما تتأدى إليه من نتائج علمية محققة من طرق مادية محضة تؤيد الدين وتصدقها فتتساق النفوس لحبه والأخذ به ، والتأدب بأدبه ، خلافاً لما إذا كانت العلوم تابعة للدين فإنها تقع تحت وصاية قاداته أي تحت وصاية رجال ليسوا من أهلها ، فيرون في كل حركة من حركاتها انحرافاً ، وفي كل رأى من آراء الباحثين فيها تطرفاً .

فيقع التنازع بين الهيئتين فإن انتصر رجال العلوم عملوا على ملاشاة الدين وأهله. فتفاديا من هذا التنازع الضار بالأديان والعلوم معاً ، تراضى الناس على أن يسير كل منهما مستقلاً في طريقه .

والقول بأن إبراهيم وإسماعيل لم يثبت وجودهما تاريخياً ليس معناه ، أن التاريخ قرر بأنهما لم يوجد ، ولكن معناه أنه لا يستطيع إثبات وجودهما إثباتاً ينطبق على أسلوبه الحسى ، وهذا العجز من العلم لا ينفي أنهما كانا موجودين ، وأنهما بنيا الكعبة .

فنحن نحترم هذا العجز من العلم ، ونشجعه على الاعتراف به ، بل ولا نقبله منه أن يدعى علم مالا ينطبق أسلوبه عليه ، وإدراك مالا تصل وسائله إليه.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نلاحظ على الدكتور طه حسين أنه لم يحسن التعبير عن رأيه في هذه المسألة فقد كان يستطيع أن يقول مثل ما قلنا فلا يلومه أحد.^(٣)

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ٦٠ ، ٦١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٩ ، ٧٠ .

ثم يستدل وجدى من خلال المحسوسات على وجود إبراهيم وإسماعيل من ذلك يقول :
 " ولو حذفنا من التاريخ كل شخص لم ترد على وجوده أدلة حسية ، وآثار مادية لحذفنا أكثر
 رجاله المشهودين ، ولم يبق منهم إلا أسماء معدودة . على أن إجماع أمة برمتها كاليهودية
 على تسمية نفسها بالإسرائيلية نسبة إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إبراهيم من منذ وجودها ،
 وإجماع أمة أخرى وهى العربية على اعتبار بعضها من ذرية إسماعيل مما لا يصح أن
 يقابل بالتحفظ إلا إذا وجدت قرائن تدل على غير ذلك. " (١)

وقد أثارت هذه القضية " وجود إبراهيم وإسماعيل " الشعور الدينى لدى المصريين.
 يقول "محمد عبد المنعم خفاجى " وقد حدثت ضجة إثر نشر كتاب " الشعر الجاهلى " فنشره
 الدكتور باسم الأدب الجاهلى بعد أن حذف منه بعض فقرات مما يمس الشعور الإسلامى " (٢)

خامساً : أسباب انتحال الشعر

يرجع طه حسين أسباب انتحال الشعر إلى أسباب سياسية ودينية قال الدكتور طه
 حسين : " المؤثر الذى طبع الأمة العربية بطابع لا يحى مؤلف من عنصرين قويين جدهما
 الدين والسياسة . ولا سبيل إلى فهم التاريخ الإسلامى إلا إذا وضحت مسألة الدين والسياسة
 توضيحاً كافياً. فإن العرب لم يستطيعوا أن يخلصوا منذ ظهر الإسلام من هذين المؤثرين فى
 لحظة من لحظات حياتهم فى القرن الأول والثانى. " (٣)

ويدافع وجدى عن العرب فى هذا قائلاً (٤) :- " لم يكن العرب بدعاً من الأمم فى
 الاشتغال بالدين والسياسة فليس فى العالم أمة قديمة أو حديثة ، لم يعمل هذان المؤثران فى
 حياتهما عملاً مستمراً.

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٧١ .

(٢) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ٣٤١

" ويبدو أنه كان متأثراً برأى الدكتور مرجليوث الذى يقول " وحقيقة الأمر فى قصة إسماعيل إنها دسيسة لفقهاء قدماء اليهود تزلزلاً إلى
 العرب وتذرعاً منهم إلى دفع الروم عن بيت المقدس " محمد عبد المنعم خفاجى - الشعر الجاهلى - ص ٤٠١
 ، " رآلف فى نقد هذا الكتاب عدة مؤلفات أهمها :-

أ- الشهاب الراصد للأستاذ محمد لطفى جمعة المحامى وقد طبعه عام ١٩٢٦ م

ب- النقد التحليلى للأستاذ الغمراوى .

ج- نقض مطاعن فى القرآن الكريم للأستاذ الكبير محمد عرفة .

د - نقض كتاب الأدب الجاهلى للشيخ الخضر حسين .

هـ - نقد الأدب الجاهلى للخضرى بك "

محمد عبد المنعم خفاجى - الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى - ص ٣٤١ .

(٣) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٨٥ : ٨٧ .

" بل لم يستطيعوا أن يخلصوا منهما إلى اليوم ، ولن يخلصوا منهما ما دامت للروح حاجة فيما وراء المحسوسات ، وما دامت بهم حاجة إلى حكومة حكيمة تدبر أمورهم ، وإلى مكان يشغلونه بين الأمم .

فهذه الخصال كانت لجميع شعوب العالم . فاليهود قد ظهوروا باليهودية واعتزوا بها واتصلت حياتهم بها اتصالاً وثيقاً ، وما خرجوا من مصر وتاهوا في شبه جزيرة طور سيناء ، وفتحوا فلسطين ، وتنقلوا في أدوار الاجتماع تحت حكم القضاة ثم الملوك إلا تحت تأثير الدين والسياسة .. والمسيحيون قد ظهوروا بالمسيحية واعتزوا بها ، واتصلت حياتهم بها اتصالاً محكماً .

فأى أمة من الأمم القديمة والحديثة عرضت على عقلك أموراً فلا تجدتها تخلو عن التأثير بهذين المؤثرين إلا ما يعرف عن بعض الأمم الأوروبية منذ نحو قرن ، فإنها بدأت تدفع تأثير الدين عنها ، والمراد بالدين هنا رجاله والقائمون عليه ، إلا الدين نفسه ، فالنفوس والعقول لا تزال في شغل شاغل به نقياً وإثباتاً ، بحثاً وتمحيصاً ."

أشكال الجهاد بين النسي وقريش (من الأسباب السياسية لانتقال الشعر)

يقول الدكتور طه حسين " بدأ الجهاد بين النسي وقريش جدلياً ثم لما هاجر إلى المدينة ووجد له فيها أنصاراً اعتمد الجهاد على السيف وتجاوز الخلاف كون الإسلام حقاً أو باطلاً إلى النزاع على حكم الأمة العربية أو القبائل الحجازية ومصير الطرق التجارية " (١)

ويعقب "جدى" سارداً أحداث السيرة بداية من جهاد النسي صلى الله عليه وسلم بدعوته إلى الإسلام ومجادلة قريش له وهجرة بعض أصحابه إلى الحبشة ثم الهجرة إلى المدينة بعد إسلام الأوس والخزرج ومؤازرتها للمسلمين إلى أن تم فتح مكة.

ويصل جدى من هذا كله إلى تبرير الغزوات التي قامت بها قريش ضد المسلمين "فغزوة بدر حدثت بسبب ما أشيع من أن المسلمين استولوا على تجارة قريش فخرجت فرقة تقدر بألف رجل لاستردادها.

وغزوة أحد شنها المشركون للأخذ بثأر من قتل منهم فى بدر ، وغزوة الخندق كانت بإغراء نفر من اليهود ... حرضوا قريش على غزو المدينة واستئصال شأفة المسلمين فيها وتعهدوا أن ينضم اليهود إليهم . فلبت قريش دعوتهم.

ولم يؤثر عنها - قريش - فى تلك الوقائع الثلاث الماضية مثل ما يؤثر عن الطوائف الموتورة فى دينها ودنياها من غليان الصدور بالسخائم ... وإبلاغ الحرب إلى أقصى شدتها

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٨٧ .

.. والذهاب بالصبر والثبات إلى مثل ما يروى عن المستبسلين والمستمتين في الدفاع عن وجودهم. " (١)

ويكمل وجدى نقاشه مقللاً من شأن قريش المشركة "سمعنا أن قريشاً استنفرت بعض من حولها من العرب للحرب ليعينوها على الأخذ بالتأثر أو لنصرة أوثانها ومعبوداتها ولكن لم نسمع قط أنها استنفرت البعيدين عنها كما يفعل الذين تلتهب في قلوبهم نيران الحمية . ولم تذكرهم بضرورة تأمين الطرق التجارية ، ولم ينقل إلينا إنها قامت بنشر دعوة حارة ضد المسلمين ، تصلح لجمع كتلة من المحاربة تتمكن بهم من عمل شيء جدى ، ذلك لأنها لم تكن من العرب على ما وصفها به الدكتور طه حسين ، ولم يكن لانقطاع الطرق الاقتصادية في نظرها كبير خطر يدفعها للاستماتة في الدفاع عنها."

ويتساءل وجدى " أليس يدل على هذا الفتور من قريش في حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعجزها عن جمع أكثر من عشرة آلاف من العرب المخالفين لها على أنها لم تكن كما يقول الدكتور طه حسين منيعة الحوزة ، عزيزة الجانب ، تحدث نفسها بجمع كلمة العرب لتكوين دولة وثنية مستقلة تطرد الأجانب من بلادها؟ " (٢)

يقول الدكتور طه حسين " وهذا أدى إلى نشوء عداوة بين قريش وأهل المدينة ، واصطبغت هذه العداوة بالدم يوم انتصر الأنصار على قريش في بدر " (٣) ويحلل "وجدى" هذا الرأي من الوجهة الاجتماعية

" ونحن نقول (٤) " إما نشوء عداوة بين قريش وأهل المدينة فصحيح ، وسببها نصرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم أما قوله واصطبغت هذه العداوة بالدم يوم انتصر الأنصار على قريش في بدر فكلام إن ساغ من ناحية كتابية شعرية ؛ فلا يسوغ من وجهة اجتماعية علمية تتطلب تتبع الأسباب والعلل وغزو الحوادث إلى عواملها الحقيقية. والحق إن الذى انتصر فى بدر هى قريش المسلمة على قريش الوثنية . وأما الأنصار فكان مكانهم فى هذه الحوادث . مكان المعين الممالئ ليس غير .. فإذا صح لقريش أن تحقد فلتحقد على أبنائها محمد وأصحابه الذين كفروا بآلهتها ، وانفصلوا عن جامعتها ، وأخذوا بديانة غير ديانتها ، وانتهجوا فى الحياة طريقة غير طريقته ، واعزوا أصدقاءها على عداوتها.

هذا ما يقتضيه علم الاجتماع الذى يربط العلل بمعلولاتها ، والأسباب بمسبباتها.. ولكن الدكتور طه حسين رتب هذه المقدمات وتسامح فى درس علل هذه الحوادث على

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى: ص ٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩١

(٣) المصدر السابق : ص ٩١ .

(٤) المصدر السابق : ص ٩١ .

الأسلوب العلمى ، وخالف العرف وطبيعة الأشياء لخدمة غرض أدبى محض هو تعليل الاختلاق فى الشعر الجاهلى. فكان مثله كمن يشعل مدينة برمتها لياخذ منها قيساً . وليس هذا من العمل الصالح فى شىء.

يقول طه حسين ^(١) : " فنظر زعيمها وحازمها أبو سفيان فى الأمر فرأى أن يصانع ويدخل فيما دخل فيه الناس لعل هذا السلطان السياسى الذى انتقل من مكة إلى المدينة ، ومن قريش إلى الأنصار أن يعود إلى قريش ، إلى مكة مرة أخرى "

ويرد وحدى ^(٢) " فهو كلام خال من التحقيق العلمى ، ومتسامح فيه كل التسامح .. أوقد استسلم أبو سفيان ودخل فيما دخل فيه الناس ، وقام بهدم بعض الأصنام بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وحارب معه ومع خلفائه أعداء الإسلام ، وعرض نفسه للهلكة فى هذا السبيل حتى فقد عينيه فلا يصح أن يقال عنه إنه كان حازم قريش ورجلها الفذ ، وإنه كان ينتظر أن يعود لقريش الوثنية مجدها القديم. أى مجد يصح أن يتمنى عوده وهو نفسه يعمل على تقويضه وإزالة معالمه. فأى قريش كان يريد أن ينتقل إليها ذلك السلطان السياسى ؟ أولئك العامة المستضعفين الذين بقوا فى مكة بعد الفتح ، أم أولئك الرجال الكبار ، والقادة المحنكين أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وأبى عبيدة .. إلخ من القرشيين الذين كانوا بالمدينة يدبرون ذلك السلطان الإسلامى ويعملون بأنفسهم وأموالهم على تقوية شوكته وإعلاء كلمته . "

يقول د . طه حسين ^(٣) : " لم تكن العواطف والمنافع الدينية أقل من العواطف السياسية أثراً فى تكلف الشعر وانتحاله وإضافته إلى الجاهليين فكان يقصد به إلى إثبات النبوة وصدق النبى ، وكان هذا النوع موجهاً إلى عامة الناس ... ومن هذا كل ما يروى من الشعر الجاهلى ممهداً لبعثة النبى. "

ويوافقه وحدى ولكنه يعترض على الطريقة التى طرحت بها هذه القضية والسبب " أنه يشعر القارئ غير الملم بتاريخ الدين الإسلامى أن الذى وضع هذه الأشعار قادة الدين للتأثير به على العامة . " ^(٤)

وبين وحدى من يكون وراء ذلك ^(٥) " وهما صنفان (أولهما) أعداء الدين لإفساده بإدخال عنصر الغلو فيه ، وإصااق الخرافات به . و(ثانيهما) جهلة المتدينين ظناً منهم أن

(١) محمد فريد وحدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ٩٢ : ٩٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٥) المصدر السابق : ١٢٩ : ١٣٠ .

الكذب فى هذا المعنى حلال لاشية فيه . وربما عدوه وسيلة للمثوبة الحسنة عند الله . وقد نبه قادة الدين على هذين الأمرين وعدوهما من العبث بالدين ، والنكوب عن طريق المؤمنين .. على أن طبيعة الدين الإسلامى تأبى هذا الغلو فى تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم لكثرة ما ورد فى الكتاب والسنة من النهى عنهما" ، ومن الآيات التى استدلت بها وجدى قوله تعالى (١) "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ

وقد نص القرآن .. على أن النبى لا حول له ولا حيلة .. قوله تعالى (٢) "لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ" ومن السنة النبوية قال لقوم جاءوه فقالوا أنت سيدنا : فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا سيدنا فإن السيد الله وقد زاد النبى صلى الله عليه وسلم إيضاحاً فقال : إنا فيما لم يوح إلى كأحدكم" وقد نبه عليه السلام على أن الأحداث الطبيعية لا تحدث لميلاد أحد ولا لوفاته فقال : الشمس والقمر آيتان الله ، لا يكسفن لموت أحد ولا لحياته فإن رأيتم ذلك فاذكروا الله.

فكل ما يروى إذن من إرهابات ، التى سبقت النبوة ، ومن الأشعار التى عزيت إلى الجاهليين ؛ أكاذيب لا يصح الالتفات إليها . ويكفى فى إسقاطها إنها ركيكة المبانى ، سقيمة المعانى ، ظاهر عليها طابع الوضع ، تدل على أن مختلقها ليسوا من الشعر فى شىء ، وأنها تتافى أصول الإسلام."

"ويضاف إلى هذا الباب كل ما ورد على السنة القصاص معزواً إلى الأخبار والرهبان الذين كانوا يتوقعون بعثة النبى صلى الله عليه وسلم : فكل ما روى عنهم أحاديث خرافة تتافى طبيعة الدين الإسلامى ، وتدل بذاتها على أن مختلقها مضار العقول ليسوا حتى من المهارة فى التلفيق على شىء ."

ويتفق أ. "محمد حسين" مع وجدى فى تأييده لحديث طه حسين يقول محمد حسين : (٣) " لا نرى نحن وغيرنا مانعاً من أن يكون العرب المسلمون قد تأثروا للدين وحرصوا عليه وأجهدوا نفوسهم للاعتزاز به والتحفظ عليه . ولاضير أن يكونوا قد عملوا فى السياسة لإعلاء كلمته ورفع شأنه "

وكذلك يتفق "محمد حسين" مع وجدى فى نقطة الاختلاف يقول (٤) " ولكننا لا نرى أن أولئك المخلصين للدين والعاملين بالنفس والمال لاعتزازه يبيحون لأنفسهم ليمهدوا للنبوة من القلوب مقرأ... فإن أتهم الشيخ أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بانتحال الشعر يقصد صحة النبوة.

(١) سورة الكهف : آية ١١٠ .

(٢) سورة الغاشية : آية ٢٢ .

(٣) محمد حسين : الشعر الجاهلى والرد عليه : ٧٦ ، ط ١٩٢٩ م القاهرة .

(٤) المصدر السابق : ص ٧٦ .

فقد كذب نفسه وكذب الحقيقة. والواقع يخرسه. وقد اعترف بأن الصدر الأول من الإسلام كان أهله متأثرين بالدين حريصين عليه . فكيف انقلب ذلك إلى أن يفتروا ويختلفوا ؟ وفي هذا أكبر خلاف لما نهى الدين عنه ؛ ثم ما داعى أن يرتكبوا الأثم والنبي صلى الله عليه وسلم كان قد بعث والدين ظهر ولم يكن ينتظر ممن أصر على العناد أن يتأثر بالشعر ؟
وقد كان بين هؤلاء الجاهلين من الشعراء والرواة . وليس في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا السيد والشريف والأمير والنبي . فما داعى أن ينزل أولئك عن كرامتهم وأنسابهم ؟ وما الباعث بهم إلى انتحال الشعر وبين أيديهم المعجز من آيات الذكر الحكيم ؟
أترى الشيخ يعرف أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . هم حفظة الدين ورواة شريعته ؟ وإذا جاز وقوع الكذب منهم في غير الدين جاز أيضاً منهم في الدين . وتكون النتيجة أن الإسلام كذب ؟ أو يعرف أن من يقول مضلل وكافر ؟ ^(١)

سادساً : إثبات عربية ألفاظ القرآن

ومن الآراء التي اتفق فيها وجدى مع طه حسين يقول ^(٢) " وأما ما قاله الدكتور طه حسين عن وضع الوضعيين للأشعار ونسبتها للجاهلين لإثبات عربية ألفاظ القرآن ، وللاقتصار على الخصوم في فهم معانى القرآن ، فهذا كله صحيح ، ولكنه لم يجرؤ عليه إلا أهل البهتان من المشتغلين بالقرآن وعلماء السوء الذين يودون الظهور على خصومهم بأى سلاح كان. وقد عرف ذلك النقدة الأقدمون ونبهوا إليه ، ولم يغفل هذه الملاحظة الأستاذ مصطفى صادق أفندى الرافعى فى كتابه آداب العرب."

ولم يفصل وجدى فى الرد ؛ اعتماداً على أن ما كتبه مصطفى الرافعى كافٍ .
وفى حين أيد وجدى رأى طه حسين السابق ، اعترض د. "أحمد محمد الغمراوى" قائلاً:- " ويلتحق بهذا النوع من المزاعم ما زعمه من إنهم كانوا يستعينون على فهم القرآن بشعر يضوعونه! كأن القرآن كان لعبة بينهم ، أو كأن تفسير القرآن كان بأيدي الشعراء والنحاة، أو كأن لم يكن فوق الشعراء والنحاة عند أمثال المنصور والمهدى والرشيد والمأمون طبقة من أهل الفقه والتفسير لا تعتمد فى علمها على نحوى ولا شاعر ، ولا تقر شاعراً ولا نحوياً ولا إنساناً كائناً من كان على التلاعب بالقرآن ! أو كأن أمثال المنصور والمأمون كانوا من قلة الهيبة بحيث يجترأ عليهم به ومن قلة الغيرة على حرمتهم ، إن لم يكن على حرمة الدين ، بحيث لا ينزلون بالمجترىء أشد العقاب . " ^(٣)

(١) محمد حسين : الشعر الجاهلى والرد عليه : ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٣٣ .

(٣) أحمد محمد الغمراوى : النقد التحليلي : ص ٢٣٥ ، مطبعة السلفية ط ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م .

" كانت هناك استعانة بالشعر الصحيح على تأويل القرآن ، ولم يكن الشعر المستعان به جاهلياً كله ، بل كثيراً منه إسلامياً ، إذا كان هو لا يشك ، وهو ما هو في عربية القرآن ، بعد ثلاثة عشر قرناً ونصف من نزوله فأحر بأولئك العرب وهم أخبر كثيراً بالعربية وأقرب جداً من عهد النبي ألا يشكوا في شيء من عربية القرآن خصوصاً والقرآن نفسه يمن على العرب بعربيته في غير ما آية فيه ، ويتخذ من عربيته حجة يخرس بها من ألد فيه أنه من تعليم أعجمي قوله تعالى^(١) : " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ " ١٣

فلم يكن في العرب ولا في الموالي من يشك في عربية شيء من القرآن ولكن كان فيهم من لا يفهم كل آية من آية ، أو كل لفظة فكان يسأل ، وكان يجيب والسائل كان يسأل عن شاهد على صحة التأويل لا على صحة اللفظ ، ومن ذلك أسئلة نافع بن الأزرق وأسئلة غيره .. " (٢)

وهذه الوجهة الأخيرة التي انتحاهها " الغمراوي " يؤيدها " محمد حسين خضر " بقول ابن الانباري " وفي القرآن كلمات غريبة يحتاج المفسر عند بيان معناها إلى الاستشهاد بشيء من كلام العرب حتى يعلم طالب العلم أن التفسير لم يخرج عن حدود اللسان العربي فيطمئن إلى صحة التفسير لا إلى أن القرآن عربي ، فإن هذا لا يشك فيه أحد مطلق الرجلين يطوف أنى شاء ويلتقي بمن شاء "

لم يستشهد العلماء على كل كلمة من كلمات القرآن بشيء من شعر العرب ؛ فإن أغلب كلامه ظاهر لا يحتاج في تقرير معناه أو وجه إعرابه إلى شاهد . " (٣)

(١) سورة النحل : آية ١٠٣ .

(٢) أحمد محمد الغمراوي : النقد التحليلي : ص ٣٣٤ .

(٣) محمد حسين خضر : نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص ٢٠٤ .

سابعاً : دين إبراهيم

يقول د/ طه حسين ^(١) وشاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم ، ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور . ثم عرضت عنه وانصرفت إلى الأوثان . فأحاديث هؤلاء الناس قد وضعت لهم وحملت عليهم حملاً بعد الإسلام لتثبت أن للإسلام في بلاد العرب قدمة وسابقة

ويعقب وجدى ^(٢) أن الأمر الذي يستغربه الدكتور طه حسين وهو أن للإسلام أولية كانت قبل أن يبعث النبي ، وأنه خلاصة الدين الحق الذي أوحاه الله إلى الأنبياء من قبل ، هذا الأمر قد قرره القرآن نفسه ، وجد في بئنه في العقول ، ونشره في الشرق والغرب ، لا المجادلون من المسلمين الذين كانوا يجادلون أصحاب الملل الأخرى .

وهذا الأمر نفسه هو المبرر الوحيد لأن يتقدم الإسلام إلى الأمم ، وهي تموج في خضم زاخر من الديانات ، بعنوان أنه دين عام لجميع العالمين ، وأن الآتي به هو خاتم النبيين .. هذا هو مصدر القوة الخارقة للعادة التي أوجد بها الإسلام لنفسه مكاناً بين الأديان ، وسوغت له أن يصف نفسه بأنه دين آخر الزمان .

واستدل وجدى بالعديد من الآيات التي تؤيد قوله ^(٣) ، قرر القرآن بأن الله شرع هذا الدين لجميع الأمم فالإسلام ليس بجديد حتى يتردد في قبوله ، بل هو الأصل الأقدم الذي أمرت بالأخذ به الأمم كافة فانحرفوا عنه بغياً بينهم : قال تعالى ^(٤) " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ " ^(٥)

ويؤيد "محمد حسين خضر" رأى وجدى يقول ^(٥) " القرآن هو الذي ينبئنا بأن الإسلام يهdy إلى الدين الحق كان عليه إبراهيم وغيره من الأنبياء ، وإذا ذكر إبراهيم عليه السلام فلأنه أقدم الرسل الذين لم يزل في الأمم من ينتمى إلى شريعتهم ، أو لأن نبوته يعترف بها اليهود والنصارى والوثنيون من العرب جميعاً ، أو لأن الإسلام يوافق آداب شريعته أكثر مما يوافق التوراة والإنجيل "

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٣٣

(٢) المصدر السابق : ١٣٤

(٣) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى ، ص ١١٣

(٤) سورة الشورى : آية ١٣

(٥) محمد حسين خضر : نقض كتاب في الشعر الجاهلى : ص ٢١٠ ، ٢١١

ثامناً : الشعوبية

يستخلص مما كتبه الدكتور طه حسين في الشعوبية " أن الفرس والعرب كانوا من التحالف والتضامن ، حتى بعد أن جمع بينهم الإسلام ، وأن هذه الخصومة أحدثت آثاراً بعيدة المدى في حياة المسلمين السياسية والأدبية . فكان شعراؤهم يتعصبون للأحزاب السياسية لا عن إخلاص وحسن نية ، بل لجر المغانم ، وكسب الدراهم . وقد تذرعوا بذلك إلى ثلب أشراف قريش وقراية النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد قولوا العرب الجاهليين ما لم يقولوه من الشعر في مدحهم والإشادة بذكرهم . واضطروا العرب لأن ينحوا نحوهم في وضع الشعر المناقض لمزاعمهم .

ثم استحال الخصومة بين الأمتين بعد سقوط الدولة الأموية إلى خلاف علمي حمل الفريقين على الإغراق في انتحال الشعر والأخبار الكاذبة ، ذكر الدكتور طه حسين كل هذا ولم يستثن طائفة ولا جيلاً ، فلا يتمالك القارئ نفسه من الازدراء بالفريقين . " (١)

ثم يوضح "جدي" السبب في آراء طه حسين السابقة :- (٢)

" أن الدكتور طه حسين في بحثه عن مصادر الشعر المختلفة المنسوبة للجاهليين وفي تحريره عن علل هذا الاختلاق ، اضطر أن يعول على كتب المحاضرات كالأغانى والعقد الفريد والبيان والتبيين وغيرها ، ولا ندري كيف فاتته أن هذه الكتب أدبية فكاوية قاصرة على البحث في أطوار فن واحد يكثر فيه الخلط والخليط .

فلا مذهب ديكارت ولا أى أسلوب فلسفى فى الأرض ، يسمح لواحد من شيعته فى القرن العشرين أن يصدر على أمة كان لها أكبر الآثار فى العالم مثل هذه الأحكام المنافية لطبيعة الأشياء اعتماداً على مثل هذه المصادر التى لو سلط عليها نقد جدى لنفى تسعة أعشار ما فيها لعدم موافقته للمألوف ، وشطراً من العُشر الباقى لنقص سنده التاريخى " .

ويقدر وجدى أنه لا ينكر أن هناك نفرأ من العرب ونفرأ من الفرس شاعت بينهم العصبية الجاهلية يقول :- (٣)

" نحن لا ننكر أن نفرأ من الشعراء الذين أصولهم فارسية ، ونفرأ آخرين من أبناء جلدتهم الذين لم يتأدبوا بأدب الإسلام فى مسألة الجنسية .. كما لا ننكر أن رجالاً من العرب الذين لاحظ لهم من الإسلام إلا الالتحاق بأهله ، لم يقفوا مع نص الدين فى إماتة الفوارق الاجتماعية ، قام الفريقان بإحياء سنة الجاهلية .. ولكن أين د. طه حسين من هذا المثل الأعلى الذى

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٤٧

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٨

(٣) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٤٩

أوجده الإسلام من إدماج الأمم بعضها فى بعض ، وسل ما بينها من السخائم الموروثة منذ أجيال وتأليفه منها دولة قامت لأول مرة فى تاريخ البشر على المبادئ لا على الجنسيات " .
ويعطى وجدى بعض الأمثلة على صدق رأيه يقول :-^(١)

" والدليل على أن أمر الشعوبية كان بين القلة والأغلب وخاصة فى القرون الثلاثة الأولى . ما كان من أمر الأئمة والعلماء من الموالى ؛ الحسن البصرى الذى يعتبر إمام أئمة هذه الأمة والمرجع الأعلى للدين والعلم والفتيا ، كان فارسياً من الموالى وكان رأس التابعين والمقدم عليهم سعيد بن جبير وهو أسود اللون وقد ولاه الحجاج إقامة الصلاة فى الكوفة إذ ذاك مُعشش العرب وقبة الإسلام ، وكان سليمان الأعمش الإمام المشهور عبداً أعجمياً .. وكان أبو حنيفة صاحب المذهب فارسياً وقد لقبه العرب أنفسهم بالإمام الأعظم ، فإن كان صحيحاً ما قاله الدكتور طه حسين عن الموالى وجب أن يكون المسلمون منذ ألف وثلاثمائة سنة إلى اليوم من الغفلة والغباوة والبلادة فى الحضيض الأسفل ، إذ أخذوا دينهم عن قومهم من الطراز الذى وصفه الدكتور طه حسين بإضمار الخصومة للمسلمين الأولين وبكراهة الإسلام وتفضيل المجوسية عليه .. لا يقول بهذا عاقل .. "

هذا كان عرضاً موجزاً لأهم ما ناقشه "فريد وجدى" رداً على كتاب الشعر الجاهلى "لطه حسين" وخاصة ما يمس الدين . ونختم هذا ببعض الآراء عن الشعر الجاهلى :-

يقول "شوقى ضيف"^(٢) "والحق أن الشعر الجاهلى فيه موضوع كثير ، غير أن ذلك لم يكن غائباً عن القدماء ، فقد عرضه على نقد شديد ، تناولوا به رواته عن جهة وصيغه وألفاظه من جهة ثانية ، أو بعبارة أخرى عرضه على نقد داخلى وخارجى دقيق .

ومعنى ذلك أنهم أحاطوه بسياج محكم من التحرى والتثبت ، فكان ينبغى ألا يبالغ المحدثون من أمثال مرجليوث وطه حسين ، فى الشك فيه مبالغة تنتهى إلى رفضه ، إنما نشك حقاً فيما يشك فيه القدماء ونرفضه ، أما ما وثقوه ورواه أثباتهم من مثل أبى عمرو بن العلاء والمفضل الضبى والأصمعى وأبى زيد ؛ فحرى أن نقبله ماداموا قد أجمعوا على صحته . ومع ذلك ينبغى أن نخضعه للامتحان وأن نرفض بعض ما روه على أسس علمية منهجية لا لمجرد الظن ، كأن يروى لشاعر شعر لا يتصل بظروفه التاريخية ، أو تجرى فيه أسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته ، أو يضاف إليه شعر إسلامى النزعة ، ونحو ذلك مما يجعلنا نلمس الوضع لمساً " .

ويقول "محمد حسين خضر"^(٣) "أما الذين يريدون أن يكونوا فى البحث على بيئة فإنهم يضعون هذه الأشعار وما يتصل بها من الأخبار موضع النقد ، فما وجدوا فى رواته أو فى ألفاظه أو فى

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٥١

(٢) شوقى ضيف : العصر الجاهلى : ص ١٧٥

(٣) محمد حسين خضر : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى : ص ٢١١

معانيه ، ما يدل على وضعه ، أو يجر إلى ريبة ، اطرحوه أو ارتابوا في أمره ، وما وجدوه سليماً من كل جانب قبلوه ، وتناقلوه " .

الخلاصة

في هذا القسم الخاص بالشعر الجاهلي قد تم عرض فقرات من كتاب الشعر الجاهلي لطله حسين ، تناول قضايا معينة ، ثم تابعها بتعقيب فريد وجدى واستشهدت ببعض الآراء لبعض الكتاب والأدباء الذين تناولوا هذه القضايا سواء بالتأييد أو الرفض كشوقي ضيف ، أحمد محمد الغمراوي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، محمد حسين ، محمد حسين خضر . والنقاط التي تناولتها على الترتيب هي :

- ١- منهج طه حسين في كتابه الشعر الجاهلي .
- ٢- تمثيل القرآن للعصر الجاهلي وعدم تمثيل الشعر الجاهلي له .
- ٣- قوة الحياة العقلية والدينية والسياسية عند عرب الجاهلية .
- ٤- قصة هجرة إسماعيل إلى مكة .
- ٥- أسباب انتحال الشعر .
- ٦- إثبات عربية ألفاظ القرآن .
- ٧- دين إبراهيم .
- ٨- الشعوبية .

القسم الثاني : النشر الفني

النثر الجاهلي

إن النثر الفني الجاهلي موضوع أثار جدلاً كان بعضه عنيفاً ليس بين رجال الأدب وحسب ، بل ورجال القانون المهتمين بالأدب . وهذا لعلاقته الوثيقة بالقرآن كما سيتضح من نظرية زكي مبارك الذي تبناها وأثارت من حوله هذا الجدل .

وقبل الدخول في المناقشات نطل بإطلالة سريعة على ماهية النثر :-

" النثر بمعناه العام هو : الكلام المرسل الذي أطلق من قيود الوزن والقافية وهو أنواع ثلاثة :

نثر عادي : هو الذي يستخدمه عامة الناس في لغة تخاطبهم .

نثر علمي : هو الذي تصاغ به الحقائق العلمية بمجرد إبرازها والتعبير عنها دون عناية بالناحية الفنية .

نثر فني : هو الذي يرتفع به أصحابه عن لغة الحديث العادية ولغة العلم الجافة إلى لغة فيها فن ومهارة وروية . ويوفرون له ضرورياً من التنسيق والتتميق والزخرف ، فيختارون ألفاظه .

وينسقون جملة ، وينمقون معانيه ، فيكون النثر الفني بهذا المعنى : لوناً جميلاً من الإنشاء العالي للتعبير عن خلجات النفس ، وومضات العقل وخطرات الشعور وهو ما أطلق عليه في دائرة المعارف البريطانية اسم : الكتابة الراقية " **Highly writing** " وهذا النوع هو موضع عناية النقاد ودارسي اللغة والأدب في كل زمان ومكان .^(١)

ويقسم د. "محمد عبد المنعم خفاجي"^(٢) النثر إلى نوعين : " أحدهما ما يدور في كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض في حاجاتهم ومصالحهم ، إنما هو كلام عادي لم يقصد أصحابه فيه غالباً إلى الإجادة ولا إلى جمال فني ، وإنما أرادوا تأدية ما في نفوسهم من المعاني وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الأغراض .

والثاني : هو ما يسمى نثراً فنياً وهو ما حوى أفكاراً منظمة ، في عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الأسلوب ، وهذا هو الذي يعد قسماً للشعر في باب الأدب ، وأهم أنواعه : الخطابة ، والكتابة الفنية والكتابة عند الأوروبيين ؛ وصف أو قصص وعند العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ " .

ونختم بتعريفات النثر ما قاله أ. "شوقي ضيف" في تعريف النثر عامة والجاهلي منه خاصة .

النثر الجاهلي^(٣) :- "النثر هو الكلام الذي لم يُنظم في أوزان وقواف ، وهو على ضربين :

أما الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب ، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحياناً من أمثال وحكم " .

(١) عبد الحكيم بليغ : النثر الفني وأثر الجاحظ فيه : ص ١١ ، ١٢ ، ط الثانية لجنة البيان العربي - القاهرة

(٢) محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي : ص ١٠٧

(٣) شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي : ص ١٥ : ط الخامسة - دار المعارف ١٩٦٥ م

"وأما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع به أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة . وهذا الضرب هو الذي يُعنى النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه وبيان ما مر به من أحداث وأطوار ، وما يمتاز به في كل طور من صفات وخصائص ، وهو يتفرع إلى جدولين كبيرين ، هما : الخطابة والكتابة الفنية - ويسمى بعضها بعض الباحثين باسم النثر الفني - وهي تشمل القصص المكتوبة كما تشمل الرسائل الأدبية المحبّرة . وقد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة . ومن يرجع إلى العصر الجاهلي وأخباره يجد هذا الضرب الأخير من النثر يلعب دوراً مهماً في حياة العرب حينئذ ، إذ كان عرب الجاهلية مشغوفين بالتاريخ والقصص من فرسانهم ووقائعهم وملوكهم .. " .

الشعر أم النثر أيهما أسبق في الوجود :

ليست مما يهنا ولكننا سنشير إليها . : " أما القدماء من علماء الأدب ونقاده في اللغة العربية فيرون أن النثر أسبق من الشعر : لأن الأول مطلق والثاني مقيد ، والمطلق أسبق وجوداً من المقيد ، وأسهل تناولاً لخلوه من الوزن والقافية .. " (١)
يقول ابن رشيق : " وكان الكلام كله منثوراً ، فاحتاجت العرب إلى التغني بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها .. فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً . " (٢)

" ويرون أن النثر هو أول ما ظهر من فنون الأدب ، ثم نشأ الرجز ، ثم الشعر . واستمر هذا الرأي سائداً إلى أن داعت في أوروبا أخيراً نظرية جديدة خلاصتها : أن الشعر أسبق في الوجود في جميع الأمم من النثر الفني ، وممن آمن بها ودافع عنها في فرنسا المسيو مرسيه وممن أذاع هذا الرأي وآمن به ودافع عنه الدكتور طه حسين وبعض أدبائنا الذين تقفوا ثقافة أجنبية .

يقول أنصار هذا الرأي : إننا نسلم أن النثر العام سبق الشعر في الوجود الأدبي ولكننا لا نسلم ابداً أن النثر الفني - وهو ما حوى أفكاراً منظّمة في عرض جميل جذاب مؤثر ، وصياغة جيدة السبك فصيحة الأسلوب - قد سبق الشعر في الوجود ، بل العكس هو الصحيح ، فالشعر هو الذي سبق النثر الفني . (٣)

" والحق أن النثر وجد أولاً ثم تحول إلى النثر الفني ، ثم نشأ بعد ذلك الشعر ، ويؤيد هذا الرأي إجماع كثير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر في الأدب العربي القديم .

(١) محمد عبد المنعم خفاجي: الشعر الجاهلي : ص ١٣٥ ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، الطبعة الثانية

(٢) المصدر السابق نقلاً من العملة لابن رشيق .

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي : الشعر الجاهلي : ص ١٣٦ ، ١٣٧

والنثر الجاهلى ينقسم إلى أمثال وحكم ووصايا وخطب ومنافرات ومغامرات ، ومحاورات ، ونثر الكهان ^(١).

وبعد ففضية النثر الفنى ونشأته ووجوده فى العصر الجاهلى ظلت محل جدال بين الأدباء والكتاب على صفحات الجرائد والمجلات وكان المحاور الأساسى هو زكى مبارك الذى يرى وجود نثر فنى فى العصر الجاهلى ؛ هو القرآن .
وسنطرح المناقشات والمجادلات التى كانت بين زكى مبارك وفريد وجدى ولن نغفل كذلك بعض الأقسام التى شاركت برأيها .

- ناقش لطفى جمعة ما نشره زكى مبارك وآراءه حول وجود نثر فنى فى الجاهلية .

يقول "زكى مبارك" ^(٢) معقباً على رأى لطفى جمعة فى مؤرخى الإسلام " كنت قلت أن مؤرخى الإسلام من المسلمين كانوا يحرصون على إثبات أن الإسلام هو الذى خلق العرب خلقاً وأنشأهم إنشاء فنقلهم من الظلمات إلى النور ومن العدم إلى الوجود .. فرأى الأستاذ لطفى جمعة أننى بذلك أنسب إلى مؤرخى الإسلام التعصب والنفاق .

فأنا حين أذكر أن المؤرخين المسلمين كان يهمهم أن يهونوا من حياة العرب قبل الإسلام لا أرميهم بالتعصب ولا النفاق لأنهم ينساقون بفطرتهم إلى مثل ما ينساق إليه المؤرخون فى جميع الشعوب ... مثل أمر الإنجليز سيقولون أن مصر كانت فى ضيق وذل قبل أن يأتوا إليها. وكذلك الفرنسيون مع الجزائر وهكذا .

" الأستاذ " لطفى جمعة" يسألنى مارأى ^(٣) فى مؤرخى الإسلام من الأفرنج وقد أجمعوا على أن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام . ومنهم هوجرونييه وجولدزيهر ومرجرليوث . ويرى الأستاذ لطفى جمعة أن هذا ليس فى مصلحتهم السياسية ولا الدينية . وكنت أحسب الأستاذ أبعد نظراً من ذلك ، فإن المستشرقين الذين يغضون من شأن العرب قبل الإسلام ، لهم مآرب سياسية ودينية .

فهم يريدون أولاً أن يقتنع الناس بأن العرب من الأجناس الهمجية التى لا تصلح للمدنية ولا تعرف ما السياسة وما النظام .

فإذا تم لهم ذلك عادوا فبحثوا كيف أمكن للعرب أن يسودوا مع أنهم شعب همجى وضع وعندئذ يقولون إن ذلك كان بفضل الإسلام . ثم ينتقلون فيبحثون للإسلام عن أصول سريانية وعبرانية وأرامية ، وبهذا يقررون أن الإسلام نفسه لم يكن من الوثبات العربية وإنما كان فى أصوله

(١) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ١١٠

(٢) زكى مبارك : جريدة البلاغ - فى ٤ من سبتمبر ١٩٣١ - مساء الجمعة - ٢١ من ربيع الثانى ١٣٥٠ - العدد ٢٤٩٢ السنة التاسعة .
مقالة بعنوان [قد جدت الحرب بكم فجدوا ، نقض ما كتبه الأستاذ لطفى جمعة فى إنكار النثر الجاهلى]

(٣) زكى مبارك : البلاغ : ٤ من سبتمبر ١٩٣١ ، مساء الجمعة ٢١ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ

أجنبياً عن أولئك القوم المتوحشين ثم ينتقلون نقلة ثانية فيثبتون أن العرب لم يكن لهم نثر فنى ولا حياة عقلية إلا حين اتصلوا بالفرس والروم !! "

ويدافع زكى مبارك عن وجهة نظره ^(١) " وفى دفع هذه الضلالات يتشرف كاتب السطور بأنه هاجم أولئك المستشرقين فى عقر دارهم وفى جامعة باريس حين أثبت أن العرب كان لهم نثر فنى قبل الإسلام وأنهم نضجوا أدبياً وسياسياً واجتماعياً قبل أن يعرفوا الفرس والروم ، وأن أصدق شاهد على وجود ذلك النثر الفنى هو القرآن " .

- مناقشة أخذ العرب الزخرف الأدبى عن الفرس واليونان :

يقول د. "زكى مبارك" ^(٢) " إن وجود النثر الفنى ، يفترض نوعاً من الزخرف يهتم به علماء البلاغة " . ^(٣)

يعقب "لطفى جمعه" " وإنما كان قوله هذا ليصل به إلى مقارنة الأستاذ مرسية وأتباعه ، الذين قالوا بأن الزخرف الأدبى ، وصل إلى العرب من الفرس واليونان ، وسواء أكان الزخرف وصل إلى العرب من الفرس أم اليونان ، فقد غاب عن ذهن الأديب أن الزخرف الذى قال به مرسية وغيره من علماء المشرقيات وأرباب النقد ، إنما يقصد به الزخرف الذى تحلى به النثر العربى بعد الإسلام . "

ويدافع "زكى مبارك" ^(٤) " أصل البحث كان أن فى القرآن خصائص فنية صارت فيما بعد مدداً لكتاب البلاغة والبيان . فلا عبرة إذن بما يدعيه المستشرقون وأشياعهم من أن العرب نقلوا أصول البلاغة عن الفرس واليونان .. .

وأنا قد فصلت فى هذه المسألة وبينت أن صلة العرب بمن جاورهم قبل الإسلام كانت أضعف من أن تترك فى شعورهم ونثرهم آثاراً قوية كالتي عرفت بعد أن اتصلوا بالفرس والروم بعد الإسلام . "

وقد سبق أن أكد "لطفى جمعة" على عدم وجود نثر فنى جاهلى بقول :- ^(٥)

(١) زكى مبارك : البلاغ : ٤ من سبتمبر ١٩٣١ . مساء الجمعة - ٢١ من ربيع الثانى ١٣٥٠هـ -

(٢) المصدر السابق

(٣) محمد لطفى جمعة : البلاغ : ٦ من سبتمبر ١٩٣١ ، مساء الأحد - ٢٣ من ربيع الثانى ١٣٥٠هـ - العدد ٢٤٩٤ السنة التاسعة

مقالة بعنوان (من النثر الفنى الجاهلى إلى رسالة محمد عليه السلام)

(٤) زكى مبارك : البلاغ : ١١ من سبتمبر ١٩٣١ م - مساء الجمعة - ٢٨ من ربيع الثانى ١٣٥٠هـ - العدد ٢٤٩٥ السنة التاسعة - بعنوان [إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً - نقض أقوال الأستاذ لطفى جمعه .

(٥) محمد لطفى جمعة : البلاغ : ٦ من سبتمبر ١٩٣١ م - مساء الأحد - ٢٣ من ربيع الثانى ١٣٥٠هـ -

" ألا فليعلم الدكتور زكى أن العرب فى جاهليتهم كانوا أميين إلى درجة ذات خطورة ، فلم يحفظوا عن طريق الكتابة شيئاً يستحق الذكر ، ويبتعد عن الحقيقة بعداً شديداً ، كل من يقول إن الإسلام كان تاجاً لنهضة علمية وأدبية وسياسية وأخلاقية واجتماعية ، فقد أثبتنا من التاريخ والعلم أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا على شئ من مؤهلات المدنية والنهضة ، بل كانوا على العكس فى حضيض من العصبية الحمقاء والمطامع الأشعبية وحب الانتقام والتفريق بين القبائل والاستهزاء بروابط الألفة القومية ، ولم يكونوا يستطيعون تكوين أمة تماثل الحبشة أو سوريا أو العراق . "

ويرد "زكى مبارك" (١)

" الظاهر أننا سنضطر فى كل مرة ، إلى أن نصحح أغلاط الأستاذ لطفى جمعة فى فهم طبائع الاجتماع . فالعصبية الحمقاء كانت عند العرب المسلمين أقوى منها عند العرب الجاهليين والمطامع الأشعبية وحب الانتقام والتفريق بين القبائل ، كل ذلك كان من العيوب المألوفة بعد الإسلام ، وتلك العيوب تعد من أمهات الفضائل فى حياة الأمم والشعوب ، فإن الطمع والعصبية من دلائل الحياة والنهوض ، وخاصة فى الأمم البدوية التى يقوى نشاطها بالتحاسد والتنازع والشقاق . "

" وقد تنبه إلى هذا المعنى بديع الزمان الهمذانى حين أشار إلى أن البهائم لا تكاد تختلف ، كما أن الأسود لا تكاد تأتلف ، فى رسالته التى فضل بها العرب على الفرس رداً على من غض شأن العرب لا يغالهم فى العداوة والبغضاء . وأنت تستطيع اليوم أن تتخذ الطمع والعصبية دليلاً على حيوية الأمم القوية ، وليس هناك من فارق إلا أن التنازع كان قديماً بين القبائل وهو اليوم بين الأحزاب . "

ويخلص د. "زكى مبارك" (٢) إلى أن هدف لطفى جمعة من إنكار وجود نهضة أدبية فى الجاهلية هو " إنك أيها الرجل تسرف فى الغضب من عرب الجاهلية ليصح ما تدعيه وما ادعاه الملايين قبلك من أن الإسلام وحده هو الذى خلق الأمة العربية . ولكنى لا أستطيع فى ضوء العلم الحديث أن أتصور ذلك ، وإنما أفهم أن العرب كانوا أمة وصلت بعد تطورات عديدة إلى الصلاحية للملك ، فلما جاء النبى عليه السلام نهض بهم ، فنهضوا ووجههم إلى الفتح والسيطرة فوصلوا فى زمن قليل إلى ما كان يريد . "

- وفى دور النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى تغيير عرب الجاهلية يقول "زكى مبارك" :-(٣)

(١) زكى مبارك : البلاغ : ١١ من سبتمبر ١٩٣١ - مساء الجمعة ٢٨ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ

(٢) المصدر السابق

(٣) زكى مبارك : البلاغ : ٤ من سبتمبر ١٩٣١ - مساء الجمعة ٢١ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ .

"ولو كان يكفي أن يكون الإنسان نبياً ليفعل ما فعله النبي محمد صلى الله عليه وسلم لما رأينا أنبياء أخفقوا ولم يصلوا لأن أمهم لم تكن صالحة للبحث والنهوض ."

ويرد عليه "لطفى جمعة"^(١):- ولكن ما حيلتك وحيلة الكتاب أمثالك إذا كان هذا هو الذي حدث فعلاً وأن رجلاً فرداً مثل النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي نسيت إنه كان أشرف العرب وأشهرهم بمكارم الأخلاق وحدة الذهن وقوة التدبير وسعة الحيلة وقناعة النفس وعفة اليد واللسان وطهارة الذيل ، تسمع يا أستاذ . أن رجلاً فرداً مثل النبي محمد عليه السلام هو الذي نقل بمعونة الله وحسن توفيقه أمة العرب من العدم إلى الوجود ... "

ويعقب "زكى مبارك"^(٢) مدافعاً عن نفسه :-

"كانت هذه الفقرة فرصة صالحة ليلقى علينا الأستاذ لطفى جمعة درساً في الشوائب النبوية ، وقد بسط القول في أخلاق الرسول ، وآدابه بحيث لا مزيد لمستزيد . وقد صورنا بصورة من ينكر عظمة الرسالة المحمدية ، ولبس على حسابنا ثياب الأنقياء المرشدين . فبأى ضمير أيها الرجل تحاول أن تصورنا بصورة من ينكر الرسالة الإسلامية . كيف ساغ لك في دينك وإيمانك أن تحرض علينا الجماهير باسم الدين^(٣) ، وأنت تعرف في دخيلة نفسك أن المنهج الذي ننهجه هو الطريق العلمى المستقيم الذى لا عوج فيه ولا تنواء . أفتحسب أنني لمن يقيمون وزناً للترهات والأباطيل حتى أسلك ذلك المسلك ، فى وقت وجدنا فيه من علماء الدين من يوافقونا على أنه لا بأس من دراسة القرآن دراسة أدبية يغض فيها النظر عن الوجهة الدينية .

ألا فلتعلم أنى من الجراءة بحيث أصر على أن منزلة النبي عليه السلام من العرب كانت منزلة البناء الذى لا يقيم القصر بدون أحجار ، فالعرب كان لهم وجود أدبى وعقلى واجتماعى قبل النبوة ، ومن أجل ذلك نفعت فيهم جهود الرسول ."

هذه صورة لما كانت عليه المناقشات مع زكى مبارك ومعارضيه حتى تدخل محمد فريد وجدى فى المناقشة فانسمت بطبع أكثر هدوءاً ومناقشة أكثر عمقاً .

يبدأ "وجدى" مقاله بعنوان العرب والإسلام والقرآن "مادحاً أسلوب زكى مبارك شاكراً له منهجيته . يقول^(٤) " وإنى لمعجب بتمسكه بالأسلوب العلمى الدقيق ، وبجهاده فى نقل المباحث الأدبية من مجال الظنون والأوهام إلى مجال النظر المباشر المجرد عن الملابس الدينية

(١) محمد لطفى جمعة : البلاغ : ٦ من سبتمبر ١٩٣١ - مساء الأحد - ٢٣ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ .

(٢) زكى مبارك : البلاغ : ١١ من سبتمبر ١٩٣١ - مساء الجمعة - ٢٨ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ .

(٣) حاولت أن أبعد النقد الذاتى (الشخصى) من كلمات زكى مبارك ولطفى جمعة ، ولكنها كانت غالبية فى مقالتهما .

(٤) محمد فريد وجدى : البلاغ : ٢٠ من سبتمبر ١٩٣١ - مساء الأحد - ٨ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ - العدد ٢٥٠٨ السنة التاسعة

(العرب والإسلام والقرآن) وقد ظل هذا العنوان لا يتغير على مدى ست مقالات بين وجدى وزكى مبارك .

والتقاليد . وهى الطريقة التى وضع أساسها الأستاذ الفاضل الدكتور طه حسين فكان كلا الرجلين مجددين للأدب العربى ، واضعين له أعلاماً نيرة يستهدى بها الباحثون . " وبعد المدح يأتى القدح وهو للحق ليس قدحاً بل اعتراضاً على نقاط بينها وجدى فى تهذيب بالغ مبرراً كتابته لهذه المقالات قائلاً^(١) : - " ولسنا ننكر أن سلوك هذه الجادة على وضوحها واستقامتها لا تخلو من المضال التى تستدرج الباحثين إلى ما لا يتفق والأسلوب الذى يحرصون على تطبيقه ، فيضربون فى متاهاتها بمعزل عن الأعلام العلمية ، ويكون مثلهم فى تصرفهم فى تطبيق الأسلوب كمثّل خصومهم الذين يخطبون فى بحوثهم بغير دليل . وقد وقع فى هذا الأمر وضعة الأسلوب العلمى أنفسهم من أول (باكون) إلى (ديكارت) إلى (أجوست كونت) فى العصر الحديث .

وقد لاحظت على حضرة الدكتور طه حسين شيئاً من ذلك فى كتابه عن الشعر الجاهلى ، والأحظ مثله فى هذا البحث الطريف للدكتور زكى مبارك ، ولذلك رأيت أن انبه إليه القارئ حرصاً على تقرير الحقيقة .

ومن النقاط التى اتفق فيها "فريد وجدى" مع "زكى مبارك" هى كالاتى:-^(٢)

أولاً : " نقل المباحث الأدبية من مجال الظنون والأوهام إلى مجال النظر المباشر المجرد عن الملابس الدينية والتقاليد . "

ثانياً : " أن حقيقة الحياة الأدبية عند العرب الجاهليين لا يصح أن تؤخذ عن الذين كتبوا فيها من المؤلفين الأولين الذين تأثروا بالروح الدينية ونحوها فى وصفها نحواً يتفق وروايات رجال ليس مرماهم تقرير الحقائق ولكن الأغراب والزلفى من الحاكمين . "

ثالثاً : " جعل مجال البحث عصر النبوة نفسه فهو العصر الذى اعتزكت فيه التقاليد الجاهلية والدين الجديد ، وكانت حلقات الاتصال بين الدورين تامة لا يشوبها فراغ يتقحم منه الخطب والوضع والتزوير . "

وهذه الأصول الثلاثة بعدها أ. "زكى مبارك" غنيمة يسعد بها يقول^(٣) وموافقة الأستاذ على تلك الأصول تعد أول مغنم ظفرت به ونحن فى بداية المعركة ، ويكاد يلهينى هذا المغنم عما انتظره إن جد الجد من طيبات الغنائم والأسلاب . "

وبوضح د. "زكى مبارك" أصل الخلاف قائلاً :-^(٤) يرجع أصل الخلاف إلى رغبتى فى نقض ما أصر عليه فريق من المستشرقين ، وشايعهم عليه الدكتور طه حسين من أن النثر الفنى عند

(١) محمد فريد وجدى : البلاغ : ٢٠ من سبتمبر ١٩٣١ .

(٢) زكى مبارك : البلاغ : ٢٩ من سبتمبر ١٩٣١ - مساء الثلاثاء ١٧ من جمادى الأولى ١٣٥٠ - العدد ٢٥١٧ - السنة التاسعة

ب عنوان (العرب والإسلام والقرآن) - مناقشة أقوال الأستاذ فريد وجدى .

(٣) زكى مبارك : البلاغ : ٢٩ من سبتمبر ١٩٣١ .

(٤) المصدر السابق .

العرب لم يعرف إلا في أواخر العصر الأموي ، حين اتصل العرب بالفرس واليونان ، فن اكتسبه العرب بعد الإسلام . ومن رأى المسيو مرسية أن العرب يدينون في نثرهم إلى الفرس ، وكان ذلك رأى الدكتور طه حسين ثم عاد فقرر أن العرب يدينون في نثرهم إلى اليونان . وبعد تأملات طويلة اهتديت إلى أن للنثر العربي أصولاً أخرى غير الأصول الفارسية ، وتلك الأصول هي النثر عند الجاهليين وبذلك يكون النثر الأموي نثراً تطور عن النثر الجاهلي ، ولم ينقل نقلاً عن نماذج النثر الفارسي ، ثم بحثت عن الشواهد فرأيت القرآن أوضح شاهداً وأصدق دليلاً . " وحجة هؤلاء الباحثين أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم وجود أدبي ولا عقلى ؛ وأنه يمكن فقط الاعتراف بأنه كان عندهم شعر ، لأن الشعر فن ساذج يوجد عند الأمم الهمجية ، ولا كذلك النثر فإنه لغة العقل ، والعرب في رأيهم كانوا قبل الإسلام يعيشون عيشة أولية **primilif** لا يعرفون فيها كيف تكون طرائق البيان تلك حجبتهم ، وذلك أصل الخلاف^(١) .

وقد لخص كل من د. زكى مبارك وفريد وجدى آراءهما في قضية النثر الجاهلي وإليك أهم النقاط :-

أولاً : النهضة الأدبية التي لحقت بالعرب بعد الإسلام يقول^(٢) فريد وجدى :-
يتهمنا الدكتور زكى مبارك بأننا نذهب إلى " أن العرب نهضوا فجأة بلا تطور ، وأن البناء أقام القصر بلا أحجار ، لأنه كان قوى الروح متين الإيمان . "
ويعقب وجدى " فهل يعتبر الدكتور انقياد العرب لمحمد ودخولهم في ملته نهوضاً فجائياً بلا تطور ؟ لا ليس هذا بنهوض ، ولكنه بداية للنهوض ، وأن الداعى إليه والقائم به كان النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد شرع يستكمل مقوماته من أصغرها شأناً متدرجاً بهم إلى ما فوقها كما يربى المعلم الطفل ، ويستدرجه من الصغريات إلى الكبريات شيئاً بعد شئ .
أما رأيت النبى قد بدأ بتعليمهم الأوليات والبسائط كالنظافة وآداب المعاشرة والزيارة والتحية وحقوق الجوار .. هذا غير ما كان يهذب به عقولهم من تعويدهم النظر فى الكائنات والتأمل فى عجائبها ويلطف به طباعهم من تلقينهم العطف على الضعفاء ، والبر بالفقراء ، ويقوى به أخلاقهم من إثارة العدل والمساواة والإنصاف ، ويعدل به عوجهم من كراهة الظلم والإحجاف ،

(١) ويقول زكى مبارك فى كتابه النثر الفنى ص ٣٨ .

وكان ينتظر أن ينته المسيو مرسية ومشابهه الدكتور طه حسين إلى أن العصر الذى وسموه بالأولية عند العرب هو القرن الخامس للميلاد . وفى ذلك العصر كان النثر الفنى موجوداً عند أكثر الأمم التى جاورت العرب أو عرفوها كالفرس والهنود والمصريين واليونان ، وليس بمعقول أن يكون لتلك الأمم نثر فى قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون ، كان العرب انفردوا فى التاريخ القدم بالتخلف فى ميادين العقل والمنطق والخيال .

(٢) محمد فريد وجدى : البلاغ : ٨ : من أكتوبر ١٩٣١ - مساء الخميس - ٢٦ من جمادى الأولى ١٣٥٠ - العدد ٢٥٢٧ السنة التاسعة - بعنوان (العرب والإسلام والقرآن) مناقشة أقوال الدكتور زكى مبارك .

ومجانبة العنف والإرهاق ، ويوطد به جماعتهم من حملهم على التعاون والتكافل .. إلى غير ذلك من خلال التي تدرس اليوم في مدارسنا الإلزامية للأطفال ، وتعتبر من البسائط والأوليات لكل تربية نفسية . فلما تم للنبي ما أراد من إقامتهم على طريق الأحياء شرع يدفعهم دفعاً هيناً لكفاح ، وهو الشئ الوحيد الذي ألفوه ومرنوا عليه ، فبدأ بمعاكسة تجارة قريش وهى فى طريقها إلى الشام لينشئ لهم من الحصول على المغنم رغبة فى التماسك ، وحباً فى التعاون ، ترشياً لهم لتحقيق الآمال البعيدة ، والتطلع للحصول إلى الغايات الشريفة .. فلما استحصد أمرهم ، وقويت شوكتهم ، وذاقوا حلاوة التعاون على تحقيق المطالب ، دفعهم النبي هنا وهناك ليدوخوا له القبائل .. فأصبحت لهم دولة وصولاً ولكن على أبسط الحالات ، وأقربها إلى بساطة البداوة .. فهذه الحالة كما ترى بداءة نهضة وضع أساسها محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخذ يتعدها كما يتعهد البستاني البذرة التي يستنبتها . وإلا فأنى كانت لهم مقومات الحياة الاجتماعية من علوم وفنون وصنائع ومدارس ومعاهد وكتب ومؤلفين .. "

وبعد أن وضح "وجدى" الدور التربوى الذى قام به محمد صلى الله عليه وسلم يتساءل مستكراً^(١) :-

" فأين الطفرة والفجاءة فى هذا كله ، وقد عاش المسلمون أكثر من قرن وهم عيال على سواهم ، حتى بدأ حفاظهم يدونون أحاديث الرسول ، وعلمائهم يفسرون الكتاب الكريم . وأسعف الله العرب بالفرس فكانوا خيراً وبركة للإسلام والمسلمين ، إذ تولوا هذه المقومات بما هم عليه من القابلية للتدوين والتأليف .. وما لبث المسلمون قرناً ثانياً حتى تولدت فيهم رغبة شديدة إلى التوسع فى العلم فقاموا بترجمة كتب اليونانيين فى الطب والهيئة والكيمياء والزراعة وسائر العلوم ، فتم لهم بعد نحو ثلاثة قرون استكمال مقومات الاجتماع والعمران ، فأين أثر الفجاءة فى هذا التطور التدريجى البطئ ، الذى وضع بذرتة الأولى الرسول الأمين . هذا هو السير الطبيعى لكل نهضة أدبية واجتماعية ، لا ما يفترضه الدكتور زكى مبارك من أن العرب كانوا قد دخلوا قبل الإسلام فى نهضة منذ ثلاثة قرون^(٢) حتى عن أثرها فيهم لم نجد غير الانقسام ، وفساد الأخلاق ، والسطو والتلصص والفجور . "

(١) محمد فريد وجدى : البلاغ : ٨ من أكتوبر ١٩٣١ - مساء الخميس ٢٦ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ .

(٢) وفى البلاغ : ٨ من أكتوبر ١٩٣١ .

" فرض زكى مبارك أن العرب أعدتهم الأيام لذلك والفتح فى تطور طويل لا يقدر بأقل من ثلاثة قرون .. ولتقيدها أن ثلاثة قرون التي نفترضها لتطور الأمم العربية لا يراد بها مطلق تطور لمطلق ملك ، وإنما يراد بها الحقبة التي سبقت ظهور الإسلام ، والتي كان من آثارها أن نرى مجموعات للشعر الجاهلى الموثوق بصحته وللنثر الجاهلى الذى يمثل القرآن " .

ثانياً : اعتبار القرآن نثراً جاهلياً

يرى الأستاذ زكى مبارك "أن استدلالنا بالقرآن على وجود النثر الفنى عن أهل الجاهلية غير مقنع ، لأن القرآن إن كان وحياً سماوياً أو فيضاً وجدانياً من آية طريق روحانية فلا يجوز الاستدلال به على ما يظن لدى أهل الجاهلية من نثر ، لانقطاع الصلة بين ما هو إلهى وما هو بشرى^(١) " .

ويجيبه "زكى مبارك"^(٢) " بأننا لا نقول بانقطاع الصلة بين ما هو إلهى وما هو بشرى وليس من حقه أن يفرض علينا المذهب الروحانى ، فى حين أننا صارحناء بأننا نكتب للناس جميعاً من ماديين وروحانيين والسبب فى هذا هو أساس البحث العلمى ، لأن المقدمات يجب أن تكون مسلماً بها من الجميع ، لتقبل النتيجة لدى الجميع ..

والأستاذ يعرف أن الناس لم يتفقوا على رأى فى المسائل الروحية والمادية .. ومن هذا نرى أن القول بانقطاع الصلة بين ما هو إلهى وما هو بشرى يبعدنا عن التفاهم والاتفاق .

ومن الأسئلة التى ناقشها زكى مبارك مع وحدى فى هذا الأمر ، يقول زكى مبارك:-^(٣)
هناك افتراض : ذلك بأن الأستاذ يقول : " وإن كان القرآن ليس بوحي ولا بفيض وجدانى من طريق روحانية بحثة ؛ فلا يجوز الاستدلال به أيضاً فى هذا الموطن ، لأن هذا الكتاب اعتبرته أمة بأسرها كتاباً إلهياً معجزاً للأنس والجن مجتمعين فهل يسمح لنا الأستاذ بأن نقول إن هذا تناقض ! إنك تفترض أن يكون القرآن ليس وحياً سماوياً وفى الوقت نفسه نرى أنه مع هذا الافتراض لا يصح الاستدلال به على وجود النثر الجاهلى لأن أمة بأسرها اعتبرته كتاباً إلهياً .
إن المنطق يقضى علينا بقبول إحدى اثنتين :-

الأولى : الاطمئنان إلى أن القرآن " وحى من السماء " وهذه مسألة أقبلها كمسلم ، وأتغاضى عنها مؤقتاً كباحث ، لأنى أكتب للمسلمين وغير المسلمين .

الثانية : إن القرآن ليس بوحي . وعند هذا الافتراض لا قيمة مطلقاً لأن تعتبره أمة بأسرها كتاباً سماوياً . ولا عبرة بما يقدره الأستاذ من أن هذا الإجماع منهم فى نهاية الأمر دليل محسوس على أنه كان بالنسبة لهم نسيج وحده فى أسلوبه ونظمه وإن كان من طراز لا عهد لهم به ولا قدرة لهم عليه . "

(١) محمد فريد وحدى : البلاغ : ٢٢ من سبتمبر ١٩٣١ - مساء الثلاثاء - ١٠ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ - السنة التاسعة بعنوان (العرب والإسلام والقرآن) .

(٢) زكى مبارك : البلاغ : ١٣ من أكتوبر ١٩٣١م - مساء الثلاثاء - ١ من جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ - العدد ٢٥٣٢ السنة التاسعة بعنوان (العرب والإسلام والقرآن) - مراجعة آراء الأستاذ فريد وحدى .

(٣) المصدر السابق .

ويكمل "زكى مبارك" استدلاله الماضى :-^(١)

" لا عبرة بهذا لأن إعجاز القرآن ليس مرجعه إلى الصياغة الفنية ، وإنما مرجعه إلى ما فيه من القوة الروحية ، فقد يتساوى كلامان من ناحية النظم والأسلوب ثم يرتفع أحدهما ويهبط الآخر (والسبب) لأن سر الفصاحة يرجع إلى روح الكاتب والشاعر والخطيب .. "

ويتساءل "ما هي خصائص القرآن اللفظية ؟" إنها في جملتها من نوع الكلام المرسل والمسجوع وقد حاكها كثير من المتأخرين أفطن أن القرآن أعجز الناس لأنه يسجع حيث لا يسجعون وينطلق حيث لا ينطلقون (ويجيب) هيهات أن يكون ذلك !

إنما أعجزهم القرآن لما فيه من قوة الروح ، وما فيه من الأحكام الخالدة في تقدير النفس الإنسانية ، وهذا مصير كل أثر أدبي كان لبابه من روح الحق والصدق والإخلاص .

ولن ترى البلاغات تعيش في الأمم بغير ذلك ، لأن المحسنات اللفظية تجري في البلاغات على نحو ما تجري البدع في الأزياء . تقبل حيناً وترفض حيناً ، تبعاً لاختلاف العصور والأذواق .

أما المعانى القوية التى يوحىها العقل والقلب والروح في حرارة وإيمان فهي الأثر الباقي من عبقریات الكتاب والخطباء والشعراء . وتكون النتيجة أن القرآن نوع من الكلام يمثل لغة العصر الذى جاء فيه لأنه جرى على لسان رسول بلغ رسالته بلسان قومه ، وفهمه أولئك القوم لأنه من جنس ما كانوا يقولون ويكتبون ، ثم أعجزهم ذلك الكتاب بما فيه من المعانى النبيلة والأغراض الشريفة التى لا يتفق وجودها بسهولة ، لأنها من خواص الرجال الملهمين ، ومن هنا صح التحدى ، لأنه ليس في وسع أحد أن يأتي بكتاب كالقرآن حين يقترح عليه ذلك"

وقد لخص د. زكى مبارك في كتابه النثر الفنى نظريته ، لذا سأستعين بها لتوضيح ما

يقصده يقول :-^(٢)

" الخلاصة أن القرآن نثر ، وأنه دليل على أن العرب كان عندهم نثر فنى قبل الإسلام فكان لهم بذلك وجود أدبي متين قبل أن يصلوا بالفرس واليونان ولا ينبغي الاندهاش من عد القرآن أثراً جاهلياً ، فإنه من صور العصر الجاهلى : إذ جاء بلغته وتصويراته وتقاليدته وتعابيرها ، وهو بالرغم مما أجمع عليه المسلمون من تفرد بصفتها أدبية لم تكن معروفة في ظنهم عند العرب يعطينا صورة للنثر الجاهلى ، وإن لم يمكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند غير النبى من الكتاب والخطباء ...

أننا حين نحكم بأن القرآن من شواهد النثر الجاهلى ليس معناه أن نقول إن القرآن لا يعلو في قيمته عن الآثار الجاهلية ، ولكن معناه أن القرآن في أساليبه وطرائق تعبيره يسلك مسالك الجاهليين لأنه نزل لهدايتهم ، من العبث أن يخاطبوا بغير مايفهمونه . "

(١) زكى مبارك : البلاغ : مساء الثلاثاء - ١٠ من جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ .

(٢) زكى مبارك : النثر الفنى في القرن الرابع . ص ٤٣ ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .

ولا يرد وجدى فى تلخيصه سوى بالإشارة إلى زكى مبارك ليعود إلى قراءة ما كتبه يقول:-(^١)
 " أما أن يكون القرآن كتاباً إلهياً أو وضعاً بشرياً ، وعلى كلتا الحالتين لا يبلغ الدكتور زكى مبارك منه بغيته من الاستدلال به لانقطاع الصلة بين الإلهى والبشرى إن كان الأمر الأول ولتسجيل العرب على أنفسهم العجز المطلق عن تحديه إن كان الأمر الثانى . وهل فى العالم كتاب دينى يخرج عن هذين الافتراضين ! فرأى الدكتور أن هذا منى تناقض وأننى أدخلت الدين فى البحث العلمى .

وقد قلت إن إقرار العرب بأن القرآن كلام معجز ، حتى لو لم يكن كذلك يسجل عليهم أنهم رأوا فيه أسلوباً ونظماً يخالفه ما كان لديهم من جميع الوجوه .

فلم يرتض الدكتور زكى هذا الافتراض ، ولست بمجبره على أن يرتضيه ، ولكنى أزيد عليه بأن أسلوب القرآن ونظمه ، بل حكمته وروحه ، لا يزال نسيج وحده فى العربية إلى اليوم . ألا تراه يظهر متميزاً فى ديباجته ، متلألئاً فى لونه الخاص به ، معنئاً عن نفسه بروعته فى كل كلام يوضع فيه ، مهما بلغ من إحكام الصنعة وسحر البيان ، وإنه لمتميز حتى فى خطب النبى نفسه . وهو الذى كان صدره مهبط وحيه ، ومشرق نوره ، وفى خطب أصحابه ، وخطب التابعين ، وتابعيهم إلى اليوم . "

هذا رغماً عن أنهم اتخذوا تلاوته طول حياتهم ورداً ، وتدارسوا آياته تدارساً ، بل حفظوها عن ظهر قلب حفظاً . وقد مضى على هذه الأمة أربعة عشر قرناً ، وهو شغلها الشاغل ، ومرجعها فى علومها وآدابها وعباداتها ، ومع كل هذا الشغل المتواصل لا يزال القرآن ممتازاً عن كل كلام بديباجته ونظمه ، ومتوحداً فى معناه وأسلوبه ، وهذا لم يمنع أن لسان متقدمينا ومتأخرينا العربية ، وأنه أقرب إلى الإفهام من كل كلام سواه فلم يعجز القرآن العرب لما فيه من قوة الروح فقط ، فإنه من هذه الناحية معجز فى كل زمان ومكان ، ولكنه كان ولا يزال معجزاً بلفظه ومعناه ، وفيما قدمناه من الدلائل غناء للمتدبرين ."^(٢)

وبعد أن عرضنا فى إيجاز المناقشات التى دارت بين زكى مبارك وفريد وجدى وسبقه محمد لطفى جمعة وآراءهما مشتركة فى إنكار النثر الجاهلى ورفض كون القرآن نثراً نرى هناك من يساند زكى مبارك على صفحات البلاغ هو محمد عبد المطلب محاولاً التوفيق بين رأى زكى مبارك ومحمد فريد وجدى .

(١) محمد فريد وجدى : البلاغ : ٢٠ من أكتوبر ١٩٣١ مساء الثلاثاء - ٨ من جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ - العدد ٢٥٣٩ - بعنوان >

العرب والإسلام والقرآن (تلخيص لزاء تلخيص .

(٢) قد مر بنا رأى فريد وجدى فى الإعجاز الروحى والتأثير النفسى للقرآن ولكنه لا ينكر الإعجاز البلاغى وإن كان يراه ثانوياً (على

حد تعبيره)

يبدأ محمد عبد المطلب بتحديد معنى النثر الفنى يقول ^(١) " تبين لى أن المسألة إنما هى عراك فى غير معترك لأنه لابد لهم أن يحددوا معنى النثر الفنى ومتى تحدد المعنى ارتفع الخلاف.. فالنثر لا مزية هو ماقابل النظم ، والفنى نسبة إلى الفن ومعنى الفن فى اللغة معروف وهو النوع أو الحال أو الضرب من كل شئ ومنه فنون البنان وفنون الأموال وفنون الكلام وفنون العلم .

فإن أرادوا من الفن الأدب يكون المعنى النثر الأدبى ، وإن أرادوا من الفن العلم كان المعنى النثر العلمى ، ونحن لا ننازعهم أى المعنيين أرادوا ، لأنهم إن أرادوا الأول دخل فيه كل كلام بليغ منظوم من خطابة وكتابة وإن أرادوا الثانى دخل فيه كل كلام احتوى علماً أو كان مبعثه العلم . ومن أنكر على العرب فى جاهليتهم أو إسلامهم بلاغة ما ليس بمنظوم من الكلام ؛ فقد أنكر وجودهم لأن البلاغة من لوازم اللغة فى كل أمة وكل أمة توجد معها لغتها من أول وجودها فاللسان العربى موجود ببلاغته فى العرب من أول وجودهم فى لغة تخاطبهم وفيما هو ماثور منها على أى معنى قلبت النثر الفنى .

فإن أردت منه الأدب فهو عند الجاهليين فى خطابتهم وحكمهم وأمثالهم وما عثر عليه من قليل كتبهم ، فلا معنى لتخصيصه بنوع من الأنواع ، وهذا هو الذى يريده الدكتور زكى ، وإن كان قد شق على نفسه بتجاهله وإعراضه عما روى من هذا النوع واقتصر على الاستدلال بالقرآن . وإن أرادوا منه العلم ، فحكم الجاهليين علم ، وأمثالهم علم ، وما أثر عنهم من قليل الكتب علم ، وكل كلام يفيد علماً لا يصدر إلا عن عقل . ويدلنا على هذا العقل عند العرب ما اعترفوا لهم به من الشعر على رغم مازعموه من قصره على العاطفة . وهو يوافق زكى مبارك قائلاً :- ^(٢)

" النثر الفنى من آثار العرب فى جاهليتهم وإسلامهم ، وزمن المولدين منهم ، يثبت القرآن كما قال الدكتور زكى واقتصر عليه ، وافقته على هذا فيه ، وزدت عليه أن بين أيدينا مما رواه الثقاف من الأمة ما يدل عليه ، وإن كان قليلاً .

أن كتب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتب أصحابه ، والخلائف من بعده ، وهى كثيرة جداً بأيدينا نماذج تدل على عرفان العرب للنثر البليغ ، فإنهم ما تعلموا كتابة الكتب من القرآن ، ولا هى مأخوذة عنه ، وإنما هى كتب كانوا يكتبونها جرياً على سنة موروثة عن العرب ، من قبلهم ، تشبه كل الشبه ، ذلك القليل الذى أثر عن أهل الجاهلية .. " ويعقب على رأى فريد وجدى ملتصاً له الأعذار :- ^(٣)

(١) محمد عبد المطلب : البلاغ : ١ من أكتوبر ١٩٣١ - مساء الخميس - ١٩ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ - العدد ٢٥١٩ - السنة

التاسعة بعنوان (عراك فى غير معترك)

(٢) محمد عبد المطلب : البلاغ : ١ من أكتوبر ١٩٣١ - مساء الخميس ١٩ من جمادى الأولى ١٣٥٠ .

(٣) المصدر السابق .

"بقى أن الستفت إلى الأستاذ فريد وجدى ، فيما قرره ، من عدم وجود النثر الفنى فى الجاهلية ، وما استند إليه من الأسباب .

" فأشكر له أولاً ذلك المرمى الذى رمى إليه ، فى ذنك المقالين وهو فرط اعترافه بمعجزة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، ذلك المرمى الذى نعرفه به من قبل ونحمده ويحمده الله له ، سواء أوافق الصواب فيه ، أو لم يواته البحث بالوافق .

والذى يرميه إليه الأستاذ الجليل - يقصد فريد وجدى - بإثبات أن العرب لم يكونوا على استعداد للملك ، وهو معجزة الرسول فى إعدادهم للملك ، من غير أن يكون فيهم الاستعداد له ، إنما يثبت بمدعانا أكثر مما يثبت بمدعاه ، لأن إخضاع الأمة المستعدة للملك ، ذات الوجود ، ونضج العقل فى الحياة . أبلى وأعجب من إخضاع أخرى ، هى فى حياتها الأولية أينما وجهتها الزعامة توجت ، لا تعرف ما المعارضة ولا تفقه ما الخلاف .

" على أن قریشاً وهى التى استدل بأمرها على ما يقول كان نظام حياتها فى الجاهلية أشبه شئ بنظام الملك وإن لم يكن فيهم الملوك . فقد كانت فيهم وكانت الممالك التى حولهم تعترف لهم بذلك وتقرهم عليه . "

" فأما الأدلة التى ذكرها الأستاذ فلا تنهض لإثبات ما يقول به من عدم وجود النثر الفنى من الوجهة العقلية وكل ما تثبتته إنما هو شدة المعارضة ولجاجهم فى خصومة الرسول صلوات الله عليه وكذلك ما ذكره من تسفيه الذكر الحكيم لأحلامهم وغضه من عقولهم ، وإنما هو من فنون التشهير بهم والتشنيع عليهم لما كان لهم من اللدد فى الخصام ولا يقول أحد بأن لدد الخصام من طباع البله المغفلين من الناس . فإنك لا ترى للعقل البشرى طوراً هو أعلى ما فيه من طوره الحاضر ومع ذلك هم إزاء الدين أضل حالاً من قریش والعرب فى القديم . "(١)

ونختم قضية النثر الجاهلى بآراء لبعض الأدباء والكتاب ونبدأ برأى "طه حسين" .

يقول : "(٢) لابد من أن نتفق قبل كل شئ على ما يفهم من لفظ " النثر " عند مؤرخى الآداب ، كما اتفق على ما يفهم عندهم من لفظ " الشعر " فأما إن فهم من النثر كل كلام لا ينظمه وزن ولا قافية . فليس من شك فى أن قد كان للعرب الجاهليين نثر منذ عصور قديمة جداً ، وليس من شك فى أنهم تخاطبوا بالإشارات والكلمات والجمال المقتضبة قبل أن يظهر فيهم الشعور الفنى الذى يحملهم على أن يتغنوا ويقرضوا الشعر . "

(١) وقد اثنت البلاغ - فى آخر عدد ٢٠ من أكتوبر ١٩٣١ - على كل من زكى مبارك ووجدى تقول :-

رأى القراء أن كلاً من الأستاذ محمد فريد وجدى والدكتور زكى مبارك عرض آراءه عرضاً كافياً ثم تلخصها بعد ذلك تلخيصاً وافياً . وقد أثنى كل من قرأ كتابهما على عمقهما فى البحث وأدبهما فى المناظرة وعنايتهما بتبيين جزء من تاريخ الأدب العربى ، يجب أن يكون معروفاً ... ونثنى عليهما ونشكرهما بقدر ما بذلا من الجهد وأفادا به قراء البلاغ .

(٢) طه حسين : فى الأدب الجاهلى : ص ٣٢٥ : دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

ثم يستطرد قائلاً :

ولكن هذا النوع من النثر إن أهم أصحاب اللغة وعلم النفس فهو لا يغنى مؤرخ الآداب فى قليل ولا كثير . "

" وكل ما يمكننا أن نستخلصه من هذا النثر الذى يضاف إلى الجاهليين إنما هو شئ واحد . وهو أن من الممكن أن يكون هذا النثر قد حاول قليلاً أو كثيراً تقليد ما كان للعرب فى جاهليتهم من نثر ، فحفظ لنا صورة ما من هذا النثر الجاهلى ، دون أن يحفظ لنا نصاً من نصوصه . والذين يريدون أن يدرسوا تاريخ النثر العربى الصحيح مضطرون إلى أن يردوه لا إلى نثر جاهلى بل إلى القرآن وحده فنحن نعلم إلى أى حد بعد التأثير الأدبى للقرآن فى نفوس العرب حتى أصبح المثل الأعلى الذى يحتذى الكاتب والمحاور والخطيب والشاعر أيضاً .^(١)

ويقول د. "عبد الحكيم بلبع"^(٢) " أما هذه الآثار النثرية المختلفة التى تنسب إلى الجاهليين ، فيكاد مؤرخو الأدب جميعاً يتفقون على عدم صحة شئ منها ، وأنها لم تصل إلينا بطريقة ثابتة أو مربحة حتى يمكن الاطمئنان إليها من الناحية العلمية ، وجعلها وسيلة ترسم لنا صورة النثر الجاهلى ، وتعين لنا أساليبه وخصائصه وفنونه .

ويوضح د. بلبع السبب فى فقدان النثر الجاهلى " ولعلمهم متفقون كذلك على أن السبب فى عدم الثقة بهذه النصوص هو أن وسائل التدوين التى تحفظ الآثار الأدبية لم تكن ميسرة فى ذلك العصر الجاهلى ، وعلى فرض معرفتهم لها - يقصد الكتابة - لم يستخدموها فى تدوين آثارهم الأدبية ، بل استخدموها فى أغراضهم السياسية والتجارية إذن فكل ما أثر عن العصر الجاهلى من نثر لا ينبغى الاطمئنان إليه . وأغلب الظن أنه من عمل الرواة الذين دسوا على العرب كثيراً مما ينسب إليهم . "

ويؤيد هذا رأى د. "شوقى ضيف" :-^(٣)

" فالعرب استخدموا الكتابة فى العصر الجاهلى لأغراض سياسية وتجارية ، ولكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة تتيح لنا أن نزع أنه وجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية . ومن المؤكد أن الكتابة لم تكن حينئذ تؤتى بجانب أغراضها السياسية والتجارية أغراضاً أدبية أو فنية من تجويد وتحبير ، إذ لم تكن أكثر من كتابة ساذجة أدت أغراضاً خاصة فى عصرها ، وانتهت بانتهاء هذا الغرض . "

ولا ينكر د. "شوقى ضيف" وجود نثر عاماً ، بل يرى أن هناك أنواعاً من النثر كانت

(١) طه حسين : فى الأدب الجاهلى : ص ٣٣٠ .

(٢) عبد الحكيم بلبع : النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه : ص ١٤ .

(٣) شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى : ص ١٩ .

موجودة وهى ^(١) "ومما لاشك فيه أنه لا يوجد تحت أيدينا وثائق ، نستطيع أن ندعى بها أن الجاهليين عرفوا الكتابة الفنية ، إنما الذى نستطيع أن ندعيه لهم حقاً - عن طريق الوثائق الصحيحة . - هو الأمثال ، فقد أكثروا من ضربها ، وهناك كتب مشهورة تتخصص ببحثها . وبجانب الأمثال نعرف أنه كانت لهم خطابة وخطب كثيرة ، وقد أخذت الخطابة عندهم صورتين : صورة اجتماعية عامة فى منافراتهم ومفاخراتهم ومجامعهم وأسواقهم وحروبهم ، وصورة خاصة فى سجع الكهان وما كان ينزل على ألسنتهم أثناء تكهنهم . "

ويقول "محمد عبد المنعم خفاجى" ^(٢) " هذا وينكر بعض المستشرقين ومن تابعهم وجود نثر فنى جاهلى لأن عيشة العرب الأولين لم تكن توجد النثر الفنى لأنه لغة العقل ، على حين سمحت بالشعر لأنه لغة الخيال والعاطفة ، وهذا رأى خطأ ، بدليل ما يأتى :-

أ- كان عند كثير من الأمم القديمة كالفرس والهنود وقدماء المصريين نثر فنى قبل الميلاد بكثير فلم لا يكون للعرب نثر فنى بعد الميلاد بخمسة قرون .

ب- وجود الكتب الدينية يستدعى وجود نثر فنى .

ج- بقاء بعض من النثر الجاهلى فى مصادر الأدب العربى وأمها كتب كالأغاني والأمالى وسواهما ، أما الكثير منه فقد ضاع لعدم تدوينه بالكتابة التى لم تكن معروفة فى الجاهلية إلا للقليل النادر من الناس . "

(١) شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى : ص ٢٠ .

(٢) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ١١٠ .

الخلاصة :

عرضت في هذا الجزء الخاص بالنثر بماهية النثر وأيهما أسبق للوجود الشعر أم النثر. ثم طرحنا قضية النثر الجاهلي وضياع الكثير منه والاعتماد على القرآن باعتباره نثراً جاهلياً. وصاحب هذه الدعوة هو زكي مبارك ويؤيده محمد عبد المطلب ومعارضه فريد وجدي ويؤيده محمد لطفي جمعه. وتطور المناقشات حول :-

- ١- وجود نثر فني جاهلي .
 - ٢- حالة العرب قبل الإسلام في تطور واستعداد لاستقبال النبوة .
 - ٣- اعتبار القرآن نثراً جاهلياً .
- ثم ختمنا هذا العرض بالإشارة إلى آراء بعض الأدباء في قضية وجود نثر جاهلي . وننتهي بهذا مبحث الأدب الجاهلي الذي يتكون من :-
- أولاً : تمهيد لمعنى الأدب الجاهلي بقسميه .
 - ثانياً : الشعر الجاهلي .
 - ثالثاً : النثر الفني .

الخاتمة والمصادر والفهرست

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الطويلة آن لنا أن نصل إلى منتهاها . ومع أهم النتائج وهى مرتبة حسب فصول الرسالة .

الفصل الأول :

١ - منهجه فى تفسير القرآن الكريم

جمع فريد وجدى فى تفسير القرآن بين منهجى النقل والعقل مع الاهتمام بالجانب الاجتماعى الذى ميز مدرسة محمد عبده ؛ فاستعان بأدوات التفسير التى تجمع بين المأثور والمعقول وهى (القرآن - الحديث - أسباب النزول - القراءات - النسخ والمنسوخ - التأويل - البلاغة) . كما اهتم بالمقاصد الشرعية والإعجاز العلمى ، كما اهتم بالإصلاح الاجتماعى المتمثل فى المرأة والأسرة .

وقد وصف أحدهم منهجه بالمنهج الإجمالى ، ووصفه آخر بالهدائى .

الفصل الثانى

٢ - مباحث قرآنية

معجزة الإسراء والمعراج

اعتمد فريد وجدى على الربط بين العلم والدين ؛ ليقرب إلى العقل ما عجز عن إدراكه ، فاتخذ كغيره من العلماء بعض التطورات العلمية كوسيلة لتقريب معجزة الإسراء والمعراج إلى الأذهان . ولكنه لم يصل فى النهاية إلا إلى القول بأن الإسراء تم بالروح والجسد معاً والمعراج تم بالروح فقط . فهو لم يختلف مع غيره فى الحكمة المستنبطة منه ، بل اختلف فى كيفيته .

٣ - قضية الإعجاز القرآنى

لم يغفل فريد وجدى الجانب البلاغى فى الإعجاز ، ولكنه يرى أنه ثانوى وأن للقرآن تأثيراً روحياً يفوق هذا التأثير البلاغى .

ولم يكن بدعاً فى ذلك ، بل التفت إلى هذا الرأى كثيرون منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى عهد العلماء المحدثين أمثال : أمين الخولى ومحمد الغزالى .

- الوحدة الموضوعية

٤- دافع فريد وجدى عن عدم مماثلة القرآن فى ترتيبه بالكتب الوضعية بتتزيه كلام الله عن مماثلة كلام البشر ؛ ولكنه حاول إثبات وجود وحدة بين آيات القرآن مثل مقالاته التفسيرية فى مقدمة تفسيره

ترجمة معانى القرآن الكريم

٥- تحمل فريد وجدى النصيب الأكبر فى الدفاع عن الدعوة إلى ترجمة معانى القرآن مع الشيخ محمد مصطفى المراغى . وإن كان قد جانبه الصواب فى إعلان موافقته لدعوة تركيا إلى الترجمة ومناصرتة لها وتجاهله أو إغفاله نواياها العلمانية ، مما أثار سخط بعض العلماء وعامة المسلمين . ويغفر لوجدى سمو هدف الدعوة إلى الترجمة وقد كالت بالنجاح فى نهاية المطاف .

الفصل الثالث : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة

٦- السيرة المحمدية

استرعى انتباه فريد وجدى بعض المواقف فى السيرة المحمدية مبيناً لأوجه الإعجاز والتأييد الإلهى لنبيه ملزماً نفسه بالجانب العلمى والفلسفى .. مضمناً إياه علم النفس والاجتماع .

٧- رد على بعض شبهات المستشرقين حول محمد صلى الله عليه وسلم تناول فريد وجدى الرد على العديد من الشبهات التى أثارها المستشرقون حول محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام معتمداً على المنهج العلمى فى المناقشة والتحليل .

الفصل الرابع بين الدين والأدب والاجتماع

٨- المرأة المسلمة

أولى فريد وجدى قضية المرأة فى الإسلام عناية خاصة بادئاً بكتاب المرأة المسلمة ثم مقالاته المتناثرة عبر نصف قرن . مغيراً رأيه من رفضه خروج المرأة إلى السماح لها بالعمل والاشتراك فى المجالس النيابية مستمداً آرائه من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامى .

الأدب الجاهلى

٩- الشعر الجاهلى

اعترض فريد وجدى على طه حسين فى استخدام منهج ديكرات القائم على الشك واقتراح الاعتماد على القرآن مذهب التمهيص .

- كما اعترض على كون قصة هجرة اسماعيل إلى مكة اختلاقاً .
- وانكر كذلك أن تكون الشعوبية بين عامة المسلمين والفرس ، بل هى قلة من المسلمين وقلة من الفرس بدليل اندماج كثير من المسلمين مع العرب وتفوقهم فى كثير

من المجالات مثل : الحسن البصرى، أبو حنيفة ووافق طه حسين في تمثيل القرآن للعصر الجاهلى ولكن مع تمثيل الشعر الجاهلى له أيضاً.

١٠- النثر الفنى

- ناقش وجدى وجود حياة أدبية فى العصر الجاهلى.
- وافق فريد وجدى زكى مبارك فى جعل مجال المبحث عصر النبوة نفسه فهو العصر الذى اعتركت فيه التقاليد الجاهلية والدين الجديد.
- اعترض على رأى زكى مبارك بوجود تطور أدبى فى العصر الجاهلى على اعتبار زكى مبارك أن القرآن نثر جاهلى يشبه النثر الجاهلى فى أساليبه.
- رأى وجدى أن أسباب النهضة الأدبية التى لحقت بالعرب بعد الإسلام سببها الروح المحمدية والدين الجديد.

التوصيات.

- ومن خلال مرافقتى لفريد وجدى كلماته ومؤلفاته أوصى بما يأتى :-
- ١- إعادة طبع المؤلفات القديمة حتى لا يحرم جيل قادم من فكر قدیر يحتاج إلى البحث والتحليل.
- ٢- الاقتداء بصنيع د. محمد رجب البيومى فى جمع المقالات المتناثرة فى الجرائد والمقالات " لفريد وجدى " على أن تجمع حسب الموضوع ، مع مزيد من التحقيق والتحليل.
- ٣- عدم إهمال الرموز الدينية الفكرية التى حركت وأثرت فكر وثقافة أمة.

وأخيراً إن أحسنت فهو فضل من الله عز وجل بمنه وإحسانه وأشكر جهد أستاذى مصطفى الصاوى الجوينى الذى رافقتى كلمة كلمة فما مل ولا ضاق حلمه.

وإن قصرت فهو من نفسى العصية التى لا تملك الكمال فهو الله وحده.

وأبرأ أستاذى من كل نقص لحق برسالتى ؛ فقد لازمنى فى بحثى ملازمة الأب يعلم طفله . السير فما أكاد أخطو حتى يهال مستبشراً وما يخالنى اتعثرت حتى يمد يده مسرعاً ، فسرت فى رحاب علمه وتوجيهاته لا آلو جهداً إرضاءً له وإرضاءً للعلم ولا أحملهما لنفقتى بأنى بجواره فى أمان وفى رحاب الله الثقة المنتهاه.

فحمداً لله حمداً يليق بنعمه علينا ومغفرة واسعة تشملنا وتمحو نقصنا وزللنا.

واتوجه بالشكر لكل من ساعدنى بقول أو فعل وجزاه الله عنى وعن العلم خير الجزاء.

المصادر والمراجع

- ١- إحسان عباس : فن السيرة : دار بيروت للطباعة والنشر ط ١٩٥٦ م .
- ٢- أحمد جمال العمرى - دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرآنى .
مكتبة الخانجى بالقاهرة ط ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٣- أحمد زغلول صادق : المنهج الجديد فى مناهج المفسرين
بنها - مطابع أونست - ط ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٤- أحمد محمد الغمراوى : النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى .
مطبعة السلفية القاهرة ط ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م.
- ٥- أحمد مصطفى المراغى : تفسير المراغى المجلد الخامس
إحياء التراث العربى - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٥ م.
- ٦- آمال كامل بيومى السبكي : الحركة النسائية فى مصر بين الثورتين (١٩١٩ - ١٩٥٢ م)
- مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٦ م
- ٧- أمين الخولى : مناهج التجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب
الأعمال الكاملة الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ١٩٩٥ م.
- ٨- أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين
الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط ١٩٧٤ م.
- ٩- رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية.
مكتبة الخانجى - مطبعة السعادة ط ١٩٨٠ - ١٤٠٥ هـ.
- ١٠- زكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
- ١١- سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج
مؤسسة روز اليوسف ط ١٩٧٧ م
- ١٢- السيد محمد حسين خضر : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى
مطبعة السلفية القاهرة ط ١٣٤٥ هـ
- ١٣- شوقى ضيف : العصر الجاهلى
دار المعارف بمصر ط الثالثة
- ١٤- شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى
دار المعارف القاهرة

- ١٥- طه حسين : فى الأدب الجاهلى
دار المعارف بمصر : ط ١٩٦٤
- ١٦- طه حسين : على هامش السيرة
دار المعارف الطبعة التاسعة عشر ط ١٩٩٢م
- ١٧- عباس محمود العقاد : حياة قلم (المجموعة الكاملة)
المجلد الثانى والعشرون السيرة الذاتية دار الكتاب اللبنانى بيروت ط
الأولى ١٩٨٢م.
- ١٨- عبد الله شحاته : المرأة فى الإسلام بين الماضى والحاضر
الهيئة المصرية العامة للكتاب إيداع ١٩٩٣م.
- ١٩- عبد الله شحاته : منهج الإمام محمد عبده فى تفسيره القرآن الكريم
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم ط ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م.
- ٢٠- عبد الحكيم بلبع : النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه
لجنة البيان العربى - القاهرة - ط الثانية
- ٢١- عبد الحليم محمود : الإسراء والمعراج
سلسلة البحوث الإسلامية - السنة السادسة - العدد ٨٠ .
رجب ١٣٩٥ - يوليو ١٩٧٥م - ط القاهرة - الهيئة العامة للشئون - المطابع الأميرية
- ٢٢- عبد الحليم محمود : الحمد لله هذه حياتى - دار المعارف - إيداع ١٩٨٩ - ط
الرابعة
- ٢٣- عبد الكريم الخطيب : إعجاز القرآن والإعجاز فى دراسات السابقين. " دراسة كاشفة
لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها " دار الفكر العربى ط الأولى ١٩٧٤م .
- ٢٤- عبد المتعال الجبرى : المرأة فى التصور الإسلامى .
مكتبة عابدين القاهرة ط الثامنة يونيو ١٩٨٦م - رمضان ١٤٠٦ هـ .
- ٢٥- عبد المتعال الصعدي : النظم الفنى فى القرآن.
المطبعة النموذجية - مكتبة الآداب بالجماميز ١٩٧٥م.
- ٢٦- عفت محمد الشرقاوى : الفكر الدينى فى مواجهة العصر " دراسة تحليلية لاتجاهات
التفسير فى العصر الحديث"
مطبعة قاصد خير - مكتبة الشباب إيداع ١٩٧٦م.
- ٢٧- فهد عبد الرحمن سليمان الرومى : اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر المجلد
الثانى ط الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م. بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد فى المملكة العربية السعودية.

- ٢٨- فهد عبد الرحمن سليمان الرومي : منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير
مؤسسة الرسالة حـ ١ ط الثالثة ١٤٠٧ هـ
- ٢٩- قاسم أمين : المرأة الجديدة
الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية إيداع ١٩٩٣ م.
- ٣٠- محمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم
دار التراث القاهرة ط ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٣١- محمد رجب البيومي : البيان القرآني
دار النصر ط ١٩٧١ م.
- ٣٢- محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الكريم
مطبعة المنار الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م ح ٩
- ٣٣- محمد سليمان : حدث الأحداث في الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن
الطبعة الثانية .
- ٣٤- محمد حسين : الشعر الجاهلي والرد عليه .
القاهرة - ط ١٩٢٩ م
- ٣٥- محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون
دار الكتب الحديثة . ح ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ح ١ - ح ٣
- ٣٦- محمد حسين هيكل : حياة محمد
الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة ط الثالثة - ١٩٩٦ م
- ٣٧- محمد طه الحاجري : محمد فريد وجدى حياته وآثاره
معهد البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية ١٩٧٠ م
- ٣٨- محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي
مطبعة حجازي القاهرة - مكتبة الحسين التجارية
ط ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٦ م
- ٣٩- محمد عبد المنعم خفاجي : الشعر الجاهلي
دار الكتاب اللبناني - بيروت ط الثانية
- ٤٠- محمد الغزالي : فقه السيرة
دار الريان للتراث ط الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- ٤١- محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة
دار الشروق - ط السادسة شوال ١٤١٦ هـ - مارس ١٩٩٦ م

- ٤٢- محمد الغزالي : نظرات في القرآن : ط ٣ - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م - دار الكتب
الحديثة لصاحبها توفيق العفيفي
- ٤٣- محمد فريد وجدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح
مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
- ٤٤- محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة
جمع ومراجعة وتقديم د . محمد رجب البيومي
الدار المصرية اللبنانية ط الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٤٥- محمد فريد وجدى : فصول من سيرة الرسول
جمع ومراجعة وتقديم د . محمد رجب البيومي
الدار المصرية اللبنانية ط الأولى شوال ١٤١٧ هـ - مارس ١٩٩٧ م
- ٤٦- محمد فريد وجدى : المرأة المسلمة
مطبعة الترقى شارع عبد العزيز بمصر - ط الأولى ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م .
- ٤٨- محمد فريد وجدى الرد على هانوتو ط ١٣١٨ هـ
- ٤٩- محمد فريد وجدى : المصحف المفسر
دار الشعب القاهرة ط ١٩٧٧ م
- ٥٠- محمد فريد وجدى : مناقشات وردود
جمع ومراجعة وتقديم د . محمد رجب البيومي
الدار المصرية اللبنانية ط الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
- ٥١- محمد فريد وجدى : من معالم الإسلام
جمع ومراجعة وتقديم د . محمد رجب البيومي
الدار المصرية اللبنانية ط الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
- ٥٢- محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلي
مطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر ط ١٩٢٦ م
- ٥٣- محمد قطب : دراسات قرآنية
دار الشروق بيروت
- ٥٤- محمد متولى الشعراوى : المرأة في القرآن الكريم
مؤسسة أخبار اليوم ايداع ١٩٩٠ م
- ٥٥- محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج
مؤسسة أخبار اليوم مكتبة الشعراوى الإسلامية ط ١٩٩٠ م

- ٥٦- محمد محمود حجازى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم
دار الكتب الحديثة عابدين القاهرة - مطبعة المدنى القاهرة
ط ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
- ٥٧- مصطفى حلمى : نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى
دار الأنصار ط دار البيان ١٩٧٧ م
- ٥٨- مصطفى الصاوى الجوينى : التفسير الأدبى للنص القرآنى
دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨ م
- ٥٩- مصطفى الصاوى الجوينى : منهج الزمخشري فى تفسير القرآن وبيان إعجازه
دار المعارف ط الثالثة ايداع ١٩٨٤ م
- ٦٠- مصطفى صبرى : القول الفصل
ط ١٣٦١ هـ عيسى البابى والحلبى
- ٦١- منيع عبد الحليم محمود : مناهج المفسرين
ط الأولى ١٩٧٨ م دار الكتاب اللبنانى بيروت - دار الكتاب المصرى القاهرة -
مطبعة نهضة مصر

الدوريات

- ٦٢- الأخبار : العدد ٤٨٤ - السنة العاشرة - السبت
٩ من جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ - ١٣ من فبراير ١٩٥٤ م
- ٦٣- الأخبار : العدد ١٤٧٥٨ - السنة ٤٨ - الأربعاء
٨ من جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٨ من أغسطس ١٩٩٩ م
- ٦٤- الأزهر : المجلد الثانى عشر - محرم ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م
بقلم محمد فريد وجدى
- ٦٥- الأزهر : ملحق الجزء الثانى من مجلة الأزهر ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م
مطبعة المعاهد الدينية
- " الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية "
بقلم محمد فريد وجدى
- ٦٦- الأزهر : ملحق مجلة الأزهر - ربيع الثانى ١٣٥٥ هـ - يونيو ١٩٣٦ م
مطبعة الرغائب - ط الثانية
- " بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها بقلم " محمد مصطفى المراغى .

- ٦٧- الأهرام : العدد ٢٢٨٣١ لسنة ٧٥ - الأثنين
١٤ من جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ / ١٤ من مارس ١٩٤٩ م
بقلم محمد فريد وجدى " المرأة والحقوق الدستورية
- ٦٨- الأهرام : العدد ٢٢٨٣٤ السنة ٧٥ - الخميس
١٧ من جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ - ١٧ من مارس ١٩٤٩ م
- ٦٩- الأهرام : العدد ٢٢٨٥٤ السنة ٧٥ - السبت
٦ من أبريل ١٩٤٩ م
بقلم محمد فريد وجدى " الحقوق الدستورية ورأى الشريعة الإسلامية فيها"
- ٧٠- الأهرام : العدد ٢٢٨٥٨ السنة ٧٥ - الأربعاء
١٠ من أبريل ١٩٤٩ م
بقلم عائشة عبد الرحمن " التقليد "
- ٧١- الأهرام : العدد ٢٢٨٦٣ السنة ٧٥ - الاثنين
١٥ من أبريل ١٩٤٩ م
بقلم عائشة عبد الرحمن " ارتجال "
- ٧٢- الأهرام : العدد ٢٤٥٥٤ السنة ٨٠ - الأربعاء
٦ من جمادى الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٠ من فبراير ١٩٥٤ م
بقلم محمد يوسف خليفة
- ٧٣- الأهرام : العدد ٢٤٥٦١ السنة ٨٠ - الأربعاء
١٣ من جمادى الثانية ١٧ من فبراير ١٩٥٤ م
بقلم محمد عبد الغنى حسن " محمد فريد وجدى تراثه فى الفكر الإسلامى الحديث"
- ٧٤- الأهرام : العدد ٢٤٥٨٩ السنة ٨٠
١٢ من رجب ١٣٧٣ هـ ١٧ من مارس ١٩٥٤ م
بقلم أبو الوفا المراغى " فى ذكرى الأربعين الفيلسوف المصلح محمد فريد وجدى "
- ٧٥- الأهرام : العدد ٤١٠٠٢ السنة ١٢٣ - الخميس . ص ٧
١١ من مارس ١٩٩٩ م - الحلقة ٢٧٦ من المرأة المصرية فى حياة الأمة
بقلم يونان لبیب رزق
- ٧٦- الأهرام : العدد ٤١١٧١ - السنة ١٢٤ - الجمعة . ص ٢
١٦ من جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٧ من أغسطس ١٩٩٩ م
بقلم إقبال حسنى

- ٧٧- البلاغ : العدد ٢٤٩٢ السنة التاسعة مساء الجمعة
٢١ من ربيع الثاني ١٣٥٠ هـ - ٤ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم زكى مبارك " قد جدت الحرب فجدوا ، نقض ما كتبه الأستاذ لطفى
جمعة فى إنكار النثر الجاهلى "
- ٧٨- البلاغ : العدد ٢٤٩٤ السنة التاسعة مساء الأحد
٢٣ من ربيع الثاني ١٣٥٠ هـ - ٦ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم محمد لطفى جمعة " من النثر الجاهلى إلى رسالة محمد عليه السلام "
- ٧٩- البلاغ : العدد ٢٤٩٩ السنة التاسعة مساء الجمعة
٢٨ من ربيع الثاني ١٣٥٠ هـ - ١١ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم زكى مبارك " إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً - نقض أقوال الأستاذ
لطفى جمعة "
- ٨٠- البلاغ : العدد ٢٥٠٨ السنة التاسعة مساء الأحد
٨ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ - ٢٠ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم محمد فريد وجدى " العرب والإسلام والقرآن "
- ٨١- البلاغ : العدد ٢٥١٠ السنة التاسعة مساء الثلاثاء
١٠ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ - ٢٢ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم محمد فريد وجدى " العرب والإسلام والقرآن "
- ٨٢- البلاغ : العدد ٢٥١٧ السنة التاسعة مساء الثلاثاء
١٧ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ - ٢٩ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم زكى مبارك " العرب والإسلام والقرآن مناقشة أقوال الأستاذ محمد فريد وجدى "
- ٨٣- البلاغ : العدد ٢٥١٩ السنة التاسعة مساء الخميس
١٩ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ - ١ من أكتوبر ١٩٣١ م
بقلم محمد عبد المطلب " عراق فى غير معترك "
- ٨٤- البلاغ : العدد ٢٥٢٦ السنة التاسعة مساء الخميس
٢٦ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ - ٨ من أكتوبر ١٩٣١ م
بقلم محمد فريد وجدى " العرب والإسلام والقرآن - مناقشة أقوال الدكتور زكى مبارك "
- ٨٥- البلاغ : العدد ٢٥٣١ السنة التاسعة مساء الثلاثاء
١ من جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ - ١٣ من أكتوبر ١٩٣١ م
بقلم زكى مبارك " العرب والإسلام والقرآن مراجعة الأستاذ فريد وجدى "

٨٦- البلاغ : العدد ٢٥٣٨ السنة التاسعة مساء الثلاثاء

٨ من جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ ٢٠ من أكتوبر ١٩٣١ م

بقلم محمد فريد وجدى " العرب والإسلام والقرآن تلخيص إزاء تلخيص "

٨٧- حواء : عدد مارس ١٩٩٩ م

٨٨- الزهراء : كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر - فرع البنات - العدد الحادى عشر ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

بقلم عفاف على شكرى " ترجمة معانى القرآن "

٨٩- الهلال : العدد ١٤٠ - جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - نوفمبر ١٩٦٢ م

تقديم كتاب الإسلام دين الهداية والإصلاح لـ محمد فريد وجدى

بقلم طاهر الطناحى .

٩٠- الهلال : العدد ١٥١ جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ - أكتوبر ١٩٦٣ م

بقلم عباس محمود العقاد " رجال عرفتهم "

٩١- مختارات الإذاعة والتلفزيون - م ٢٨ - العدد الرابع - ١٦ من يناير ١٩٦٥ م

ملحق العدد ١٥٥٧ - بقلم محمود شلتوت " محمد الرسول الأعظم "

المعاجم

٩٢- دائرة المعارف الإسلامية. المجلد التاسع مادة تفسير

بقلم أمين الخولى دار الشعب

٩٣- دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثانى عشر

الرئاسة العامة لتعليم البنات - كلية التربية - بنات جدة

٩٤- دائرة معارف القرن العشرين والقرن الرابع عشر المجلد السادس

الطبعة الثالثة - دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٧١ م

٩٥- دائرة معارف القرن العشرين والرابع عشر المجلد السابع

الطبعة الثالثة - دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٧١ م

٩٦- كنز العلوم واللغة - مطبعة الواعظ مصر - ط ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م

٩٧- مختار الصحاح : الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى - عنى بترتبه السيد

محمود خاطر - دار النهضة مصر للطبع والنشر - الفجالة - القاهرة

٩٨- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير : للرافعى أحمد بن محمد بن على المفرى

الفيومى ح ١ ط السادسة - المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٢٦ م .

المخطوطات

- ٩٩- أمانى الرمادى : الإنتاج الفكرى حول القرآن الكريم بالإنجليزية والفرنسية فى القرن العشرين : دراسة بيبولوجرافية . رسالة ماجستير ١٩٩٣ م
- ١٠٠- رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين رسالة ماجستير ١٩٧٥ م .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ : ظ
الفصل الأول : منهجه فى تفسير القرآن الكريم	٣٦ : ١
الفصل الثانى : مباحث قرآنية	١١٨ : ٣٧
المبحث الأول : معجزة الإسراء والمعراج	٥٩ : ٣٩
المبحث الثانى : قضية الإعجاز القرآنى	٧٦ : ٦٠
المبحث الثالث : الوحدة الموضوعية	٨٧ : ٧٧
المبحث الرابع : ترجمة معانى القرآن الكريم	١١٨ : ٨٨
الفصل الثالث : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة	١٧٢ : ١١٩
المبحث الأول : السيرة المحمدية	١٥٥ : ١٢٠
المبحث الثانى : رد على بعض شبهات المستشرقين حول محمد صلى الله عليه وسلم	١٧٢ : ١٥٦
الفصل الرابع : بين الدين والأدب والاجتماع	٢٥٨ : ١٧٣
المبحث الأول : المرأة المسلمة	٢١٤ : ١٧٦
المبحث الثانى : الأدب الجاهلى	٢٥٨ : ٢١٥
القسم الأول : الشعر الجاهلى	٢٤١ : ٢١٨
القسم الثانى : النثر الفنى	٢٥٨ : ٢٤٢
الخاتمة	٢٦١ : ٢٥٩
المصادر والمراجع	٢٧٠ : ٢٦٢
الفهرست	٢٧١

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ث	١٠	لحافظة	لمحافظة
س	١٥	١٣٢٨ هـ	١٣٢٨ هـ
س	هامش رقم ٣	ص (١)	ص ١١١
ش	١٥	الوحدات	الوحدات
ط	١٨	أو القضايا	والقضايا
ض-٢٦٠-٢٧١	١٣-١١-٨	الفصل الثالث : السيرة المحمدية	الفصل الثالث : السيرة المحمدية
ض-٢٦٠-٢٧١	١٥-١٢-٩	تحت ضوء العلم والفلسفة	المبحث الأول : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة
٤	٤	؟	؛
٤	٥	؟	،
٤	٢٣	التقوى	التقوى
٥	٣	الإجتماعي	الإجتماعي
٨	هامش ٧	ص	ص ٨١٥
١٣	٢٠	بالشيء	بالشيء
١٩	٢	مجاز تربيتها	مجاز عن تربيتها
٢٢	هامش ١	المصدر السابق	محمد فريد وجدي : المصحف المفسر
٢٦	هامش ٢	المصدر السابق	محمد فريد وجدي : المصحف المفسر
٢٧	هامش ١	المصدر السابق	محمد فريد وجدي : المصحف المفسر
٢٧	٨	المحوبة	المحوبة
٣٣	آخر هامش	آثاره	آثاره
٣٤	١٧	بآراء	آراء
٤٢	هامش ٣	سير جنها	سيرجنها
٤٤	٩	أختار	اختار
٤٦	١٨	وجوب معارضتنا	وجوب عدم معارضتنا
٤٧	٣	إذن العقل	إذن فالفعل
٥١	٢١	شيء	شيء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٢	هامش ١	احاديث الاسراء	أحاديث الإسراء
٥٣	١٠	شيء	شيء
٥٤	٥	شيء	شيء
٥٥	٨	شيء	شيء
٥٦	٨	شيء	شيء
٥٦	١١	تستعص	تستعصى
٥٦	١٢	على	على
٥٦	هامش س ١٢	شيء	شيء
	١٣،		
٦٨	٢٠	والبيان	في البيان
٦٨	٢٤	إنه أفصح	إنى أفصح
٦٩	١٥-١٤	شيء	شيء
٦٩	٢٢	الدراس	الدارس
٧٢	هامش س ٢	وتصوره لا	وتصوره بصورة لا
٧٨	١٨	شيء	شيء
٧٩	هامش ١	الجاميز	الجاميز
٨٢	هامش ٢	تشرifa لهم	تشرifa له
٨٣	٦	ميدانها	ميدانها
٨٦	٢	شيء	شيء
٨٧	هامش س ٤	اعتمد	اعتمدا
٩١	٤	الصحف	المصحف
٩٥	هامش س ٣	الخلافة	الخلافة
١٠١	١٧	قراءتها	قراءتها
١٠٢	١٧	اصل	أصل
١٠٤	٦	الراية	الدراية
١٠٥	١٧	ألسنتهم ن	ألسنتهم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٦	هامش س ٤	إن الفرسية	إن الفارسية
١٠٨	٢	ألا لا عيب	الألا عيب
١٠٨	هامش ١	ترجه	ترجمة
١١٠	٨	أننا لا نجوز	أننا لا نجوز
١١٢	١١	شيء	شيء
١٣٢	١٠	الرئيسي	الرئيس
١٣٥	٨	البشرية	التبشيرية
١٣٥	٩	يدعون الإسلام	يدعون إلى الإسلام
١٣٦	١٢	هذ هذا الأمر	هذا الأمر
١٣٧	٢٢	عليه	عليه
١٤٧	٨	ثلاث عشر سنة	ثلاث عشرة سنة
١٥٠	٢٢	طفرة	طفرة
١٥٢	هامش ٥	ص ١٦٣ - ١٦٤	ص ٢٦٣ - ٢٦٤
١٥٣	١٤	تكرار (انتقاله إلى الرفيق الأعلى.... صلى الله عليه وسلم)	
١٥٣	٢٢	شيء	شيء
١٦٠	١	بشيء	بشيء
١٦٠	٧	موضوعه	موضوعه
١٦٣	٦	موافقتها	موافقته
١٦٤	٥	لجنهم	لجهنم
١٦٤	٧	شيء	شيء
١٦٧	٣	يتخذونه	يتخذون
١٧٤	١	الإجتماع	الاجتماع
١٧٩	٣	إمرأة	امرأة
١٨٠	١٧	إمرأة	امرأة
١٨٤	هامش ١	المرأة	المرأة
١٨٨	هامش ٧	١٨٨٩	١٨٩٩

الصفحة	السطر	الخط	الصواب
١٩٤	١٨	الإسترجال	الاسترجال
١٩٧	١	تزاو له	تزاوله
٢٠٤	هامش س ٥	نقول	يقول
٢٠٩	١١	تأت بدعاً	لم تأت بدعاً
٢٠٩	١٩	الأرقاء كل شئ	الأرقاء فى كل شئ
	٢٠	بل أسوأ حالها	بل أسوأ حالاً
٢٢٥	هامش ١	المصدر السابق	محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر
			الجاهلى
٢٣٠	٣	أسمى	اسمى
٢٣٧	٣	فأحر	فأحرى
٢٤٤	١١	إنشاء	إنشاء
٢٤٦	١٧	لا يغالهم	لا يغالهم
٢٤٨	هامش ٢	مبارك ك	مبارك
٢٥٠	٤	الشئ	الشئ
٢٥٣	١١	متلأنا	متلأناً
٢٥٥	٢١	شئ	شئ
٢٥٦	١١ ، ٤	شئ	شئ

